

ضبط مفهوم اللوهمية عند اهل السنة والجماعة ودوره الاصيل في الاصلاح الفكري للعقل المسلم



تأليف :
محمّد هارون موسى



ضبط

**مفهوم الألوهية عند أهل السنة والجماعة: دوره
الأصيل في الإصلاح الفكري للعقل المسلم.**

تأليف

محمد هارون موسي

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر – السودان

214.3 محمد هارون موسي آدم، 1977.

م، ه، ض.

ضبط مفهوم الألوهية عند أهل السنة والجماعة ... / محمد

هارون موسي آدم. – ط1، الخرطوم: ع.ع. عبدالله، 2021.

444 ص؛ 24 سم.

ردمك ISBN 978-99988-0-434-0

1. الألوهية (إسلام) 2. الله (إسلام) أ. العنوان.

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى: 2022م

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (آل عمران: 102).
وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (النساء: 1).
وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } (الأحزاب: 70، 71).
أما بعد :

تعتبر قضية ضبط المفاهيم والتصورات وتحريرها من أهم القضايا التي يجب علي الإنسان الإهتمام بها لأنها أس المعرفة، فمن تصور حقيقة شئ ما علي خلاف ما هو عليه في الواقع يخطئ في الحكم والسلوك لا محالة.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: (من تصور حقيقة أي شي علي ما هو عليه في الخارج وعرف ماهيته بأوصافها الخاصة عرف ضرورة ما يناقضه ويضاده. وإنما يقع الخفاء بلبس احدي الحقيقتين، أو بجهل كلا الماهيتين. مع انتفاء ذلك وحصول التصور التام لهما لا يخفي ولا يلتبس احدهما بالآخر. وكم هلك بسبب قصور العلم وعدم معرفة الحدود والحقائق من الأمة، وكم وقع بذلك من غلط وريب وغمّة)1.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (حدود الأشياء وتفسيرها الذي يوضحها، تتقدم أحكامها؛ فان الحكم علي الأشياء فرع عن تصوره، فمن حكم علي أمر من الأمور _ قبل أن يحيط علمه بتفسيره، ويتصوره تصوراً يميزه عن غيره _ أخطأ خطأ فاحشاً)2.
لذلك تعتبر قضية ضبط المفاهيم والتصورات وتحريرها العامل الأساسي لأي عملية اصلاح فكري لعقل الإنسان. ففوق الخلل و الاضطراب في المفاهيم والتصورات يقود إلي اضطراب فكر الإنسان وانحرافه أي إلي خلل في تشكيل العقل وتكوينه.

نسبة لهذه المكانة الخاصة لتحرير المفاهيم والتصورات يجب أن تكون هي الخطوة الأولى في عملية التغيير والإصلاح الشامل.

قال الدكتور صلاح إسماعيل: (نظراً لأهمية المفاهيم وخطورتها في إحداث التغيير الفكري والتحول الحضاري الذي ننشده لأمتنا، فإن توضيحها يجب أن يأتي في مقدمة أولويات الفكر الإسلامي المعاصر)3.

من أهم المفاهيم التي يجب تحريرها ومعرفة حدها مفهوم الألوهية "مفهوم الإله" لأنه من أكثر المفاهيم التي شغلت الفكر الإنساني علي مر التاريخ.
قال الأستاذ سيد قطب: (فلقد كانت المشكلة دائماً في تاريخ البشرية هي مشكلة عدم معرفة الإله الحق، بصفاته الحقّة، ولم تكن هي مشكلة عدم الإيمان بوجود إله!)4.

1 منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات ابن جرجيس ص12.

2 التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص9.

3 دراسة المفاهيم من زاوية فلسفية، مجلة إسلامية المعرفة العدد الثامن ص 11.

4 في ظلال القران، المجلد الثاني ص1031.

معرفة الإله الحق وعبادته وعدم الإشراف به هي القضية المركزية لكل دعوات الرسل والأنبياء و بالتأكيد هي القضية المركزية في الدين الإسلامي أي القضية المركزية للمسلمين. لذلك كانت المهمة الأساسية للعقيدة الصحيحة هي ضبط وتحريم مفهوم الإله.

قال الشيخ عبدالله أبابطين: (الله سبحانه فرض علي عباده معرفة معني "لا إله إلا الله"، وأن يعلموا أن لا إله إلا هو قال تعالى: " فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " محمد:19"، وترجم البخاري علي الآية فقال: "باب العلم قبل القول والعمل"، إشارة إلي أن العلم بمعني لا إله إلا الله أول واجب، ثم بعد ذلك القول والعمل..... وإستدل العلماء بهذه الآيات ونحوها علي أن أول واجب علي الإنسان: معرفة الله. ودلت هذه الآيات: علي أن أكد الفرائض العلم بمعني لا إله إلا الله)1.

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: (لذلك كان من أعظم ما بينه الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في العلم أنه صحح الفهم لمعني الإله)2.

لأن معرفة حد مفهوم الإله يقود لمعرفة الحد الفاصل بين مفهومي توحيد الله والإشراف به، ووقوع الانحراف والاضطراب في مفهوم الإله يقود للانحراف والاضطراب في هذين المفهومين فلا يعرف الفرق بينهما، مع العلم ان قضية التوحيد أي إفراد الله بالعبادة وعدم الإشراف به هو أعظم الواجبات علي الإطلاق التي يجب علي المسلم المكلف أن يقوم بها، والقاعدة تقول ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

قال العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي: (الجهل بمعني الإله يلزمه الجهل بمعني كلمة التوحيد؛ "لا إله إلا الله" وهي أساس الإسلام وأساس جميع شرائعه الحق)3.

في هذه الدراسة لا تقوم بدراسة تصور الألوهية في الفلسفات والأديان المحرّفة السابقة لبعثة النبي ﷺ والقيام بنقدها وإظهار عدم صحتها. وفي داخل الفكر الإسلامي لا نتطرق كثيراً إلي مفهوم الألوهية عند الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة والقيام بنقدها وإظهار مخالفتها للفطرة. إنما الهدف من هذه الدراسة هو ضبط وتحريم مفهوم الألوهية أي مفهوم الإله عند أهل السنة والجماعة ومعرفة حده. ومن ثمة معرفة أثر ذلك الضبط لمفهوم الإله في الإصلاح الفكري للعقل المسلم 4 أي أثر ذلك الضبط في ضبط المفاهيم الإسلامية الأخرى مثل الايمان والشرك والعبادة والجهاد والبيغي والربا والغي والرشد والحكمة والتزكية والفساد. الخ. لان الخلل و الاضطراب في مفهوم الألوهية يقود إلي خلل في المفاهيم والتصورات الإسلامية الأخرى والسبب في ذلك أن مفهوم الألوهية هو المفهوم المركزي في الفكر الإسلامي. وباستقامة المفاهيم والتصورات يستقيم الفكر وباضطراب المفاهيم والتصورات يضطرب الفكر. ولمعرفة مدي استقامة الفكر وسلامته أي صحة وسلامة المفاهيم و التصورات التي يتضمنها ذلك فكر، يكون باستقامة و صلاح جوانب الحياة التي يشكلها ذلك الفكر وهي الجوانب الاجتماعية والاقتصادية و السياسية أي استقامة السلوك بصورة عامة وقمة ذلك الصلاح هو الوصول إلي مرحلة الحياة العليا أي الحياة الكاملة وحقيقة ذلك هو القدرة علي إيجاد حلول وإجابات للمشكلات والهموم والتساؤلات التي تواجه الإنسان الذي يحمل ذلك الفكر

1 إنتصار حزب الله الموحدين والرد علي المجادل عن المشركين ص 9.

2 شرح كشف الشبهات ص 113.

3 رفع الاشتباه عن معني العبادة والإله ص 32.

4 الإصلاح الفكري له ثلاثة مكونات الأول منها: ضبط المفاهيم والتصورات، والثاني منها تحديد القيم المعيارية، والثالث منها تحديد المنهج الكلي ولكن هنا تم ذكر المفاهيم أي التصورات فقط لأنها الأصل فالقيم والمنهج الكلي لا يظهران إلا بعد وضوح التصور الكلي.

في حياته، فالفساد في هذه الجوانب وعدم القدرة علي إيجاد حلول وإجابات للمشكلات والهموم والتحديات دليل علي فساد الفكر السائد أي دليل علي وجود خلل وتناقض في المفاهيم والتصورات. قال الدكتور فتحي حسن ملكاوي: (ان الإصلاح الفكري والتربوي أساس للإصلاح في الجوانب الاخرى من الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي)1

قال الدكتور لؤي صافي: (بإمكاننا الحكم علي مضمون العقل السائد بين أفراد مجتمع ما بالنظر إلي تجليات ثقافتهم المشتركة في سلوكهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعلمي. ويلزمنا لذلك الحكم باضطراب العقل وتناقضه اذا تبين لنا اضطراب السلوك الاجتماعي وتناقض أقوال القوم وأفعالهم)2.

فإذا كان المعيار لصحة وسلامة المفاهيم والتصورات في عقل أفراد مجتمع ما أي صحة وسلامة الفكر الذي يحتويه ذلك العقل هو إصلاح الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية أي تحقيق الإصلاح الشامل أي الحياة الكاملة العليا وحقيقة هذا هو المقدره علي إيجاد حلول وإجابات لكل المشكلات والهموم والقضايا التي تواجه أفراد ذلك المجتمع في حياتهم العامة والخاصة، فلا يخفي علي ذو عقل وبصيرة ما تمر به الأمة الإسلامية خاصة والمجتمع الإنساني بصورة عامة من فتن و فوضى واضطراب وانحراف عن الحياة الكاملة الصحيحة التي يجب أن يعيشها الإنسان . فالاسلام دين عالمي غير مقيد بزمان أو مكان أو جنس أو لون أو طبقة او قومية إنما هو للناس كافة.

قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ } (سبا: 28).

عن جابر ابن عبد الله الأنصاري قال: أن النبي ﷺ قال: (اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا، وايمان رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل، واحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث الي قومه خاصة وبعثت الي الناس كافة)3. فالمشاكل والتحديات والهموم التي تواجه المجتمع الانساني أي البشرية عامة هي التحديات التي تواجه النظام الإسلامي أي هي همومه وقضاياها.

فهناك المشكلات كثيرة تواجه المجتمع الانساني مثل الجوع والفقر والامراض الفتاكة التي لم تكن في الاسلاف "عضوية ونفسية" وانتشار الجريمة بانواعها المختلفة و إنتشار الحروب في أنحاء متفرقة من العالم والمشكلات البيئية "الايكولوجية" بكل انواعها التي تهدد الحياة علي الارض والتفكك الاسري وكثرة الهجرة واللجوء لاسباب انسانية او سياسية حتي اصبحت البلاد تضيق باهلها.

والانتشار المرعب للأسلحة الفتاكة الذي تعتبر من اهم الصناعات في الحضارة المعاصرة. بل يقال ان السلاح النووي الموجود في الكرة الأرضية الآن يكفي لتدميرها عدة مرات. واطغر هذه التحديات والمشكلات هو التوظيف الغير اخلاقي للعلم التجريبي وغيرها من المشكلات. فهذا ان دل علي شي يدل علي أن المفاهيم والتصورات القائمة عليها الحضارة المعاصرة غير صحيحة. فتصحيح التصور الاعتقادي أي معرفة حد مفهوم الإلهية هو الاساس في الإصلاح الفكري الذي هو يقود الي الإصلاح في الجوانب الاخرى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أي تحقيق الإصلاح الشامل أي الحياة الكاملة العليا الذي هو غاية جميع الأنبياء. قال تعالى: { إن أريد

1 مجلة إسلامية المعرفة العدد65 ص10، كلمة التحرير بعنوان أولويات الاهتمام الفكري والبحثي.

2 أعمال العقل ص 18.

3 صحيح البخاري، حديث رقم (438).

إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَنْطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ { (هود: الآية 88). والإصلاح في الأرض هو مراد وغاية كل الأنبياء والمرسلين، من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد p.

وقال تعالى: { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ { (النساء:114). وعنه صلي الله عليه وسلم قال: (ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس فينمي خيراً)1.

لقد قسمنا هذه الدراسة الي سبعة أبواب ومقدمة وتمهيد.

في التمهيد كان الحديث عن لقب اهل السنة والجماعة وعن مصطلحات الفكر والفهم والعقل.

اما في الباب الأول كان الحديث فيه عن الإله والمعبود والإرادة وفيها تم ضبط مفهوم الإله عند أهل السنة والجماعة والمفسر عندهم بالمعبود ومن خلال هذا الضبط تم تحرير مفهومي التوحيد و الشرك. ثم كان الحديث في هذا الباب عن الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ثم الحديث عن أنواع الإخلاص وهما الإخلاص بالمعني الخاص والإخلاص بالمعني العام أي احتساب الأجر عند الله والإتباع وما يضاد ذلك ضد الأول الرياء وضد الثاني الفتنة في الدين.

اما في الباب الثاني كان الحديث فيه عن علاقة الفتنة في الدين بمفهومي الربا والميسر أي علاقة التكاثر بالأموال والأولاد بمفهومي الربا والميسر لأن الربا والميسر هما الصور التفصيلية للفتنة في الدين.

أما في الباب الثالث كان الحديث في هذا الباب عن المخالفين لتوحيد العبادة وهم أهل النار أي الضعفاء والمتكبرين وبيان سبب انحرافهما.

اما الباب الرابع كان الحديث فيه عن علاقة الفتنة في الدين بمفهومي الهجرة والجهاد.

أما الباب الخامس كان الحديث فيه عن منهج العلمي عند أهل السنة والجماعة القائم علي مخالفة أهواء اليهود والنصارى والمجوس والأعراب... الخ. ثم الحديث عن العقل العملي في الاسلام ثم الحديث عن علم الاخلاق وبالاخص الحديث عن المثل الاعلي في الاسلام ثم الحديث عن الالتزام الخلقي في الاسلام.

أما الباب السادس كان الحديث فيه عن المثل الأعلى في الإسلام وعلاقته بعملية التنمية

أما الباب السابع كان عن علاقة المثل الأعلى في الإسلام بفكرة نهاية التاريخ.

وختاماً أرجو من كل أخ كريم له ملاحظة على شيء مما يقرؤه في هذا البحث أن يبادر بها، أداءً للأمانة وقياماً بواجب النصيحة.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله من العلم النافع، و أن يجعل العمل فيه خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

1 صحيح البخاري، حديث رقم (2692)/ صحيح مسلم، حديث رقم (2605).

التمهيد

السنة في اللغة:-

السنة في اللغة هي الطريقة والسيره. (قد تكرر في التنزيل وفي الحديث ذكر السنة وما يتصرف منها. والأصل فيها الطريقة والسيره)1.

السنة في الاصطلاح:-

للسنة عدة تعريفات تختلف باختلاف السياق العلمي الذي هي في إطاره فتعريف السنة عند الاصوليون يختلف عن تعريف السنة عند الفقهاء ويختلف عن تعريف السنة عند علماء العقيدة ويختلف عن تعريف السنة عند اهل الحديث. الذي يهمننا في هذه الدراسة السنة عند علماء العقيدة أي علماء السنة أي العلماء المشتغلين بتقرير قضايا الاعتقاد والسنة وهي التي تقابل الاهواء والبدع أي هي المنهج. عن العرباض بن سارية قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منه العيون، فقيل: يا رسول الله! وعظتنا موعظة مودع، فاعهد اليها بعهد، فقال: (عليكم بتقوي الله، والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا، وسترون من بعدي إختلافا شديدا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والامور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة)2.

عن أنس، أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء. وقال بعضهم: لا أكل اللحم. وقال بعضهم: لا أنام علي الفراش. فحمد الله وأثنى عليه فقال: (ما بال اقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام. وأصوم وأفطر. وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)3.

السنة في هذا الجانب هي الطريقة السالمة من الشبهات والشهوات أي الطريقة السالمة من جميع الأهواء وتشمل الاعتقادات والاعمال .

قال شيخ الاسلام بن تيمية: (فالسنة كالشريعة هي: ما سنه الرسول وما شرعه، فقد يراد به ما سنه وشرعه من العقائد، وقد يراد به ما سنه وشرعه من العمل، وقد يراد كلاهما. اسم السنة والشريعة قد يكون في العقائد والأقوال؛ وقد يكون في المقاصد والأفعال)4.

وقال في موضع آخر: (ولفظ "السنة" في كلام السلف يتناول السنة في العبادات وفي الاعتقادات، وإنه كثير ممن صنف في السنة يقصدون الكلام في الاعتقادات، وهذا كقول ابن مسعود وابي بن كعب وابي الدرداء رضي الله عنهم "الاقتصاد في السنة خير من إجتهاد في البدعة")5.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي: (والسنة: هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الإعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا علي ما يشمل ذلك كله)6.

وقال في موضع آخر: (ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة: طريقة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات . . . ثم صار في عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم السنة عبارة عما سلّم من الشبهات في الاعتقادات خاصة في

1 بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الجزء الثاني ص 390.

2 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4607)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (42).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (5063)/صحيح مسلم، حديث رقم (1401) واللفظ لمسلم.

4 مجموعة الفتاوي، المجلد التاسع عشر ص307.

5 الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ص 61.

6 جامع العلوم والحكم ص280.

مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة . . . وأما السنة الكاملة فهي الطريق السالمة من الشبهات والشهوات(1).

قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي: (لأن السنة تأتي بمعنى المهنج مثل قوله عليه الصلاة والسلام: "فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين" 2، وهذه يراد بها ما كان عليه النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم؛ وهي بهذا المعني يكون ما خالفها البدع(3).

الجماعة في اللغة:-

الجماعة في اللغة من الجمع وهو ضم الشيء بعضه إلي بعض. (بصيرة في الجمع: وهو ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض. جمعته فأجتمع) 4.(معني الجماعة في اللغة: من الجمع، يُقال: جمع المتفرق، والجماعة ضد الفرقة)5.

الجماعة في الاصطلاح:-

عن معاوية بن أبي سفيان؛ قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا، فقال: (ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب أفترقوا علي ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق علي ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة)6.

عن ابن عباس يرويه قال: قال النبي ﷺ: (من رأي من أميره شيئا يكرهه فليصبر، فإنه ليس احد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية)7.

عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب خطب الجابية فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي فيكم فقال (استوصوا بأصحابي خيرا، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفسو الكذب، حتي إن الرجل ليبتئ بالشهادة قبل أن يسئله. فمن أراد منكم بحبوة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الإثنين أبعد، لا يخلون احدكم بأمرأة، فإنا الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته وسأته سيئته فهو مؤمن)8.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (أن الله يرضي لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا: فيرضي لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)9.

الاختلاف العلماء في المراد بالجماعة علي خمسة أقوال وهي:-

القول الأول: إنها جماعة الصحابة علي وجه الخصوص.

القول الثاني: إنها السواد الأعظم من أهل الإسلام.

القول الثالث: إنها جماعة المجتهدين، دون غيرهم من الناس وهم العلماء.

القول الرابع: إنها جماعة المسلمين إذا اجتمعوا علي امر ما، وهو الإجماع.

القول الخامس: إنها جماعة المسلمين إذا اجتمعوا علي أمير، فلا يجوز الخروج عليه.

1 كشف الكربة ص 7.

2 سبق تخريجه.

3 مكانة السنة والتحذير من الغلو ص 13.

4 بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الجزء الثالث ص 267.

5 مجموع الفتاوي المجلد الثالث ص 157.

6 صحيح سنن ابي داود، حديث رقم (4597).

7 صحيح البخاري، حديث رقم (7143).

8 مسند الامام احمد حديث رقم (114).

9 صحيح مسلم، حديث رقم (1715).

قال الإمام الطبري: (اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة، فقال قوم: هو للوجوب والجماعة السواد الأعظم، ثم ساق عن محمد بن سيرين عن أبي مسعود أنه وصي من سأله لما قتل عثمان "عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد علي ضلالة". وقال قوم: المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم، وقال قوم: المراد بهم أهل العلم؛ لأن الله جعلهم حجة علي الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين)1.

قال الإمام الطبري: (والصواب أن المراد من خبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من إجتمعا علي تأميره فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة)2.

لقب أهل السنة والجماعة:-

لقب أهل السنة له اطلاقان عام وخاص: العام هو ما كان في مقابل الشيعة ويدخل فيه كل الطوائف الاسلامية أي كل من اثبت خلافة الخلفاء الثلاثة ابوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي واحتج بالحديث. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:(لفظ السنة يراد به من اثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف، إلا الرافضة)3.

اما المعني الخاص لأهل السنة هو أهل الحديث والسنة المحضة. أي هو إتباع النبي عليه الصلاة والسلام في الأقوال والأفعال والتقريرات، الذين لا يقدمون شيئاً من العقول على سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء في الأخبار أو في الأحكام أو في السلوك والأخلاق .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من أثبت الصفات لله تعالى ويقول: القرآن غير مخلوق، وإن الله يري في الدار الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة)4.

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: (و أهل السنة "هذا اللفظ" يطلق باعتبارين : الأول: يطلق ويراد به من خالف الشيعة والرافضة وفرقهم وما تفرع من هم، فيدخل في هذا الإطلاق أهل الأثر، أهل الحديث . ويدخل فيه الأشاعرة ، ويدخل فيه الماتريديية ، ويدخل فيه كل من خالف الرافضة، فيدخل فيه الذين عندهم نوع احتجاج بالحديث ، و يخرج الرافضة والشيعة والخوارج والمعتزلة ونحو ذلك، هذا باعتبار مقابلة هذا اللفظ بأهل التشيع، فيقال: السنة والشيعة ، وأهل السنة وأهل التشيع.

الثاني: يطلق ويراد به أهل إتباع النبي عليه الصلاة والسلام في الأقوال والأفعال والتقريرات، الذين لا يقدمون شيئاً من العقول على سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء في الأخبار أو في الأحكام أو في السلوك والأخلاق)5.

الضبط في اللغة:-

الضبط في اللغة هو الحزم.

جاء عند ابن فارس: ضبط: الضاء والباء والطاء أصل صحيح، ضبط الشيء ضبطاً، والأضبط الذي يعمل بيديه جميعاً)1.

1 فتح الباري المجلد الثالث عشر ص54.

2 فتح الباري المجلد الثالث عشر ص54.

3 منهاج السنة الجزء الثاني ص221.

4 منهاج السنة الجزء الثاني ص221.

5 ألاله البهية في شرح العقيدة الواسطية ص 77.

قال إسماعيل الجوهري: ضبط: ضبط الشيء حفظه بالحزم، والرجل ضابط: أي حازم والأضبط: الذي يعمل بكلتا يديه².

الضبط في الإصطلاح:-

الضبط في الاصطلاح هو التعريف التام بالشيء المقصود دون لبس أو إبهام أي تحديد الصفات والخصائص التي تميز المفهوم عن غيره من المفاهيم. عند جميل صليبيبا في المعجم الفلسفي أن: (الضابط أو الضابطة عند العلماء حكم كلي ينطبق علي جزئياته. والمضبوط "" هو المحكم، والدقيق، والصحيح، وتقول: نص مضبوط أي تام، وكامل، ومطابق للمعنى المقصود. والضبط العقلي هو التعريف التام بالشيء المقصود دون لبس أو إبهام، أو هو وضع ميزان يسمح بمعرفة ما هو مطابق أو غير مطابق للقصد) 3.

المفهوم في اللغة:-

الفهم في اللغة هو العلم بالشيء.

وجاء في الصحاح: "فهمت الشيء فهماً وفهاميةً: علمته" 4.

وجاء عند ابن الفارس "فهم": "الفاء والهاء والميم علم الشيء، كذا يقولون أهل اللغة" 5.

المفهوم في الاصطلاح:-

المفهوم في الإصطلاح هو الصورة الذهنية لأمر ما.

قال ابوالفداء الكفوي:(المفهوم: هو الصورة الذهنية) 6.

عند الجرجاني:(الفهم: تصور المعني من لفظ المخاطب) 7.

(المفهوم بمعناه المنطقي هو مجموعة الصفات والخصائص التي تحدد الموضوعات التي ينطبق عليها اللفظ تحديدا يكفي لتمييزها عن الموضوعات الاخرى) 8.

الفكر في اللغة:-

عند ابن فارس: "فَكَرَ؛ الفاء والكاف والراء: تردّد القلب في الشيء، يقال: تفكّر، إذا ردّد قلبه معتبراً، ورجل فكّيرٌ: كثير الفكر" 9.

1 معجم مقاييس اللغة ص 609.

2 الصحاح ص 670.

3 المعجم الفلسفي الجزء الأول ص 753.

4 الصحاح ص 903.

5 معجم مقاييس اللغة، المجلد الرابع ص 457.

6 الكليات ص 860.

7 التعريفات ص 176.

8 المفاهيم والمصطلحات القرآنية دراسة منهجية، مجلة إسلامية المعرفة العدد 35 عبد الرحمن حلي.

9 معجم مقاييس اللغة المجلد الرابع ص 446.

عند الراغب الأصفهاني: "الفكرُ مقلوبٌ عن الفك، لكن يستعمل الفكرُ في الأمور المعنويّة، وهو فكرُ الأمور وبحثُّها للوصول إلى حقيقتها"¹.

الفكر في الاصطلاح:-

الفكر والمفرد فكرة يقصد منه في الإصطلاح الصورة الذهنية لأمر ما.

جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبيبا أن:(الفكرة: هي التصور الذهني، أو هي صورة الشيء في الذهن)²3.

جاء في المعجم الوسيط:(الفكرة: الصورة الذهنية لأمر ما)⁴.

العقل في اللغة:-

العقل مصدر عَقَلَ ، يَعْقِلُ ، عَقْلًا ، فهو معقول وعاقِل.
أصل العقل يرجع إلى : المنع ، والإمساك ، والحبس.
قال ابن فارس : (العين والقاف واللام أصلٌ واحد منقاس مطرد، يدل عظمه على حُبسة في الشيء، أو ما يقارب الحُبسة. ومن ذلك العقل ، وهو الحابس عن ذميمة القول والفعل)⁵.

قال الرازي:(العقل: الحجر والنهي)⁶.
قال الفيروز آبادي: (العقل: ضد الحُمق كالمعقول، والجمع: عقول. عَقَلَ يَعْقِلُ وعقل فهو عاقِل، والجمع عُقلاء. وعقل الدواء البطن يعقله ويعقّله: أمسكه. وعقل الشيء: فهمه)⁷.
(عقل عقلاً: أدرك الأشياء علي حقيقتها. تعقله عن حاجته: حبسه منعه. تعقله الدواء بطنه: أمسكه)⁸.

العقل في الاصطلاح:-

العقل في الاصطلاح نوعان عقل فطري ضروري وعقل مكتسب.
قال الإمام ابن القيم: (العقل عقْلان: عقل غريزة: وهو أب العلم ومربيّه ومثمره. وعقل مكتسب مستفاد: وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته)⁹.

قال الدكتور لؤي صافي: (ينقسم العقل، كما رأينا إلى قسمين: قسم فطري أو غريزي وآخر متحصل أو مكتسب) ¹⁰. وقال أيضاً: (علماء المسلمين المتقدمين ربطوا العقل بالعلم، وميزوا بين

1 المفردات في غريب القراءن ص386.
2 قد يقول قائل المعني الاصطلاحي للمفهوم هو الصورة الذهنية للشيء ما، والمعني الاصطلاحي للفكرة هو الصورة الذهنية للشيء ما هذا يعني أنهم شيء واحد! نقول بينهما عموم وخصوص فكل فكرة هي تصور ومفهوم وليست كل مفهوم وتصور هو فكرة، لأن الفكر متعلق بالمرجعي والقيمي أي متعلق بالتصور الكلي الوجودي "العقيدة" ما ينبثق منه من القيم.
3 جميل صليبيبا، المعجم الفلسفي الجزء الثاني ص 157.
4 المعجم الوسيط ص698.
5 معجم مقاييس اللغة، المجلد الثاني ص128.
6 مُختار الصحاح ص447.
7 بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المجلد الرابع ص85.
8 المعجم الوسيط ص639.
9 مفتاح دار السعادة، المجلد الأول ص 384.
10 إعمال العقل ص102.

العلم الضروري الفطري . . . والعلم المكتسب) 1. فكل نوع من أنواع العقل له مكونات التي يتشكل بها.

مكونات العقل الضروري:-

يتكون العقل الفطري الضروري من مبادئ أولية فطرية مثل عدم التناقض ومبدأ الهوية، ومبدأ أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، ومبدأ السببية أي أن الحادث لا بد له من محدث. وهذه المبادئ تسمى بالمباني الضرورية أو المباني المنطقية.

قال الدكتور عبد الرحمن الزنيدي: (وتشمل المبادئ الأولية التي فطر عليها العقل في تلك الأحكام الكلية مثل الكل أعظم من الجزء، والواحد نصف الاثنين، والأشياء المساوية لشي واحد متساوية، قد حاول بعض الفلاسفة حصرها بشكل كلي، فجعلوها في أربعة تنبثق منها، أو تقوم عليها المبادئ الأخرى وهي:

1-مبدأ الهوية، الذي يقتضي بأن ما هو هو وما ليس هو ليس هو، أي: الشيء لا يكون غيره.

2- مبدأ عدم التناقض الذي يقضي بان الشيء الواحد لا يمكن أن يكون، وان لا يكون معاً. وهذا المبدأ أهم المباني العقلية، وجوهر الفكر المنطقي، وهو لازم لكل معرفة بحيث لا يمكن التيقن من صحة معرفة بدون الارتكان اليه.

3- مبدأ نفي الثالث (الوسط المستبعد) الذي يقضي بان كل شئ هو إما أ أو لا أ، لا وسط بينهما، فالعدد زوج أو فرد، ولا يمكن أن يكون إلا احدهما. المبدأ الثاني والثالث مرتبطان، لان مقتضى الثاني أن النقيضين لا يكونان معاً، ومقتضى الثالث انهما لا يرتفعان معاً، بل لا بد أن يكون احدهما.

4- مبدأ العلية: ومقتضاه أنه لا يمكن ان يحدث شي دون ان يكون هناك سبب او علة محددة، تصلح تفسيراً لحدوثه، وتكون هذه العلة كافية إذا كانت قادرة وحدها علي التفسير الحقيقي الكامل لذلك الحدوث)2.

وهذه المبادئ الضرورية والمنطقية ترجع إلي مبادئ أساسين هما مبدأ عدم التناقض ومبدأ السببية. قال الدكتور محمد عبد الله القرني: (المبادئ الأولية، أو الأوليات، أو المبادئ العقلية هي المقدمات الضرورية لاستدلال العقلي وتعود هذه المبادئ إلي مبادئ أساسين وهما: مبدأ عدم التناقض، ومبدأ السببية)3.

الي جانب المباني المنطقية يتكون العقل من عمليات إجرائية مثل التحليل والتركيب والاستقراء والاستنتاج والتجريد.

قال الدكتور لؤي صافي: (وذلك أن العقل في أساسه الفطري وطبيعته الجبلية ليس سوي نسق من المبادئ المنطقية "مثل مبدأ الاتساق والسببية" والعمليات الإجرائية "مثل التحليل والتركيب و التجريد والتشخيص")4.

وهذه المباني يشترك فيها كل البشر وفقدانها سبب لاختلال عملية الفهم والتفكير السليم لأنها تمثل الأصول المنطقية للعقل.

وقال كذلك: (كما يتألف العقل الفطري من مجموعة أحكام شكلية أو صورية تشكل القواعد المنطقية والرياضية، مثل قاعدة الوسط المرفوع وعدم التناقض وكون الكل أكبر من أي أجزائه. وهذا القسم

1 إعمال العقل ص54.

2 مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي ص324.

3 المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها ص 297.

4 إعمال العقل ص 96.

من العقل هو الذي يمثل القاسم المشترك بين الناس كلهم، ويؤدي فقده إلى اختلال الفهم والعجز عن التفكير السليم)1.

مكونات العقل المكتسب:-

يتكون العقل المكتسب من العلم المكتسب وحقيقة ذلك التصورات والتصديقات أي المفاهيم والأحكام. قال الدكتور لؤي صافي: (فإذا نظرنا في محتوى العقل المكتسب وجدنا أنه ينطوي على تصورات وتصديقات "أو مفاهيم وأحكام")2.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي: (اعلم أن العلم الحادث ينقسم أربعة أقسام ، لأنه إما علم

تصور ، وإما علم تصديق ، وكل واحد منهما إما ضروري ، وإما نظري ، فالمجموع أربعة)3.

قال الدكتور راجح الكردي: (أن التصور هنا أحد قسمي العلم وهو يقابل التصديق. فالتصور حصول صورة الشيء في الذهن ولا حكم معه أو كما يسميه القزويني تصوراً فقط. والتصديق تصور معه حكم)4.

أنواع التصورات المكتسبة:-

التصورات التي يتكون منها العقل المكتسب ثلاثة أنواع تصورات للوجود وتصورات قيمية وتصورات تجريبية.

قال الدكتور لؤي صافي: (يتألف العقل البشري من نوعين من المعارف، معارف قبلية فطرية سابقة على الخبرة والتجربة وموجهة لها، ومعارف مكتسبة من التجارب الحسية والتأملات النظرية والخبرة العملية. وتتألف المعارف القبلية من مبادئ فطرية تحول دون التناقض الداخلي للفكر، وتمكنه من فرز المعطيات الحسية إلى مجموعة المفاهيم الأولية ومن ثم تركيبها وفق مفاهيم مجردة. أما المعارف المكتسبة فتتكون من تأكيدات أو قناعات عملية وقيمية وغيبية. تكسب القناعات العملية من خلال الخبرة والتجربة العمليتين، كمعرفتنا أن الماء يغلي عند تعرضه لحرارة شديدة، وأنه يتجمد عند تعرضه لبرودة قارصة، وعلماً بأن النار تتأجج إذا ألقى عليها القش، وأنها تنطفئ إذا حجب عنها الهواء. وتكسب المعارف الغيبية المحددة لمعنى الوجود وغاية الحياة من خلال تفسير نصوص الوحي أو رفضها أو تأويلها. بينما تكسب المعارف القيمية من المبادئ المستمدة من الوحي والقواعد المستخلصة من التجارب)5. وأصل في كل تلك التصورات هو التصور الكلي أي العقيدة.

قال الأستاذ محمد باقر الصدر: (العقيدة هي القاعدة المركزية في التفكير الإسلامي التي تحدد نظرة المسلم الرئيسية إلى الكون بصورة عامة)6.

قال الشيخ صالح الفوزان الفوزان: (العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه بنیان الأمم، فصلاح كل أمة ورفقيها مربوط بسلامة العقيدة وسلامة الأفكار، ومن ثم جاءت رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنادي بإصلاح العقيدة)7.

1 الوحي والعقل مجلة إسلامية المعرفة العدد الحادي عشر ص 67.

2 إعمال العقل ص 102.

3 أدب البحث والمناظرة ص 11.

4 نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص 625.

5 إعمال العقل ص 17.

6 إقتصادنا ص 292.

7 بيان حقيقة التوحيد ص 5.

قال الأستاذ عبدالمجيد النجار: (إن العقيدة الإسلامية في تحديدها لحقيقة الوجود والإنسان والكون هي "الفكرة" التي صنعت الحضارة الإسلامية، - إذ كل حضارة هي ثمرة فكرة تحدد هذه الحقيقة)1.

ولكن التصورات القيمية هي فرع من التصور الكلي للوجود أي فرع من العقيدة. قال الأستاذ محمد باقر الصدر: (المثل الأعلى هو نقطة البدء في بناء المحتوى الداخلي للجماعة البشرية، وهذا المثل الأعلى يرتبط في الحقيقة بوجهة نظر عامة الي الحياة والكون، ويتحدد من قبل كل جماعة بشرية علي أساس وجهة نظرها العامة نحو الحياة والكون، علي ضوء ذلك تحدد مثلها الأعلى)2.

قال الأستاذ سيد قطب: (القيم قد تختلف من نفس إلي نفس ومن بيئة إلي بيئة، ومن عصر إلي عصر، ولكنها في كل حال تنبثق من تصور معين للحياة، والإرتباطات فيها بين الإنسان والكون)3. **التصور الوجودي والألوهية:-**

التصور الوجودي أي التصور الاعتقادي للوجود ذو علاقة وثيقة بقضية الألوهية، بل تعتبر قضية الألوهية أهم قضايا العقيدة، لذلك هي الأساس الذي يحدد طبيعة التصور الوجودي لكل مذهب فكري. فالحديث عن التصور الكلي الاعتقادي أي التصور الكلي للوجود هو في الحقيقة حديث عن تصور حقيقة الإلوهية.

قال الدكتور راجح عبدالحميد الكردي: (إن التصور الاعتقادي للألوهية وصفاتها ومقتضياتها أو عالم الغيب وبحقيقته وتفصيلياته والتي تعد هذه القضية أساسا له ليس في قدرة العقل أن يقدم معرفة دقيقة. فإذا كان الإنسان بما أولي من عقل يفكر وينظر ويتفكر في نفسه وفي عالم الشهادة من حوله فإنه يستطيع أن يؤمن بوجود أثر، ترجع اليه هذه الآثار. ولكن كيف تتفق العقول علي تصور موحد لهذا الإله. أليست الفلسفات البشرية قديمها وحديثها، تعيش في تيه وركام من التصورات المختلفة للألوهية)4.

قال الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي: (إن قضية الألوهية لتأتي في طبيعة المعضلات الفلسفية العريضة التي شغلت أذهان الفلاسفة والمفكرين قروناً طويلة، لا سيما ما يتعلق بتصوير الإله وصفاته، حيث تفاوتت التصورات المنحرفة، فأوغل بعضها في التجريد حتي وصل إلي درجة المعميات والالغاز المبهمة، وسفل بعضها في التجسيم حتي هبط إلي مستوي الجمادات والمخلوقات التافهة)5.

التصور الوجودي الإسلامي والتصور الوجودي العلماني:-

القاعدة الأساسية للتصور الكلي للوجود أي التصور الاعتقادي الإسلامي أي المرجعية النهائية هي الإيمان بالغيب أي الإيمان بوجود الإله الحق هو الله سبحانه وتعالى6. قال الأستاذ سيد قطب: (الإيمان بالله في الإسلام قاعدة التصور. قاعدة المنهج الذي يحكم الحياة. وقاعدة الخلق وقاعدة الاقتصاد. وقاعدة كل حركة يتحركها المؤمن هنا وهناك)1.

1 دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية، مجلة إسلامية المعرفة، العدد الأول، ص57.

2 المدرسة القرآنية ص 110.

3 في التاريخ فكرة ومنهاج ص 11.

4 نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص713.

5 العلمانية ونشأتها وتطورها في الحياة الإسلامية ص35.

6 هنا نقطة يجب التنبيه إليها وهي أن حقيقة الايمان بالله عند اهل السنة قائم علي العمل فالعمل هو أساس الايمان وجوهره عند اهل السنة والجماعة كما سيأتي.

وقال في موضع آخر: (يعني المنهج أقراني عناية واضحة بتجلية "حقيقة الإلوهية" وخصائصها وتقريرها وتوكيدها وتعميقها وتثبيتها في الضمير البشري، ومن خلال تعريف الناس بتلك الحقيقة يجئ تعريفهم بسائر الحقائق الأخرى التي تنشئ "التصور الإسلامي" الكامل الصحيح، وبكل الإرتباطات القائمة بين هذه الحقائق . . . مبتدئة ومنتبهة بحقيقة الإلوهية)2.

وقال كذلك: (ولقد عرف البشر بإلههم الواحد تعريفا موحيا عميقا مريحا - علي نحو الذي سنعرض له في فصل "حقيقة الإلوهية" . . . كل ذلك لأن هذه الحقيقة هي القاعدة التي يقوم عليها عقيدة المسلم، والتي ينبثق منها تصوره)3.

وفي مقابل الإيمان بوجود الإله الحق هو الله سبحانه وتعالى أي الإيمان بالغيب، الإيمان بالمحسوس فقط كما هو عند غلاة العلمانيين "العلمانية الأوروبية"4 وهذا هو أساس التصور الوجودي لديهم.

قال الدكتور مجدي عز الدين حسن: (إذا عقدنا مقارنة بين الثقافة الأوروبية من جانب والثقافة الإسلامية من جانب آخر - ولناخذ الثقافة هنا بالمعنى الذي تتحدد به نظرة الفرد "المسلم أو الأوربي" والتصور الذي يحمله عن الموضوع الكلي المركب من ثلاثية "الله، الإنسان، العالم" - سنجد أن الفكر الأوربي قد أختزل هذه الأقطاب الثلاثة في قطبين "الإنسان، العالم" وبالتالي الإنسان في مقابل العالم، وهو الأمر الذي يعني أن الإنسان في مواجهة مشكلاته وقضاياه، أما القطب الثالث "الله" فغائب، ولو حضر يتم توظيفه لخدمة قضايا الإنسان والواقع، وبالتالي هناك الدين في خدمة الإنسان، وليس الإنسان في خدمة الدين، وفرق كبير بين الاثنين)5. قال البر فسيور محمد الحسن بريمة: (ويمكننا القول أن فلسفة العلوم الغالبة عبر تطور العلوم الحديثة هي ما يسمى بالوضعية (positivism). وهي فلسفة تعود جذورها إلي الفلسفة العلمانية الغربية والتي ظلت تبحث لقرون عن الحقيقة، وما هو نوع المعرفة المتعلقة بها، . . . وتوصلت هذه الفلسفة الي انه لا حقيقة وراء المحسوسات، وان المعرفة الحقة هي التي تقوم علي المحسوسات)6.

فإذا كان التصور العلماني للوجود قائم علي عدم الإيمان بالغيب أي علي عدم الإيمان بوجود إله فإن التصور الإسلامي للوجود قائم علي الإيمان بالغيب أي الإيمان بوجود إله وهو الإله الحق الله سبحانه وتعالى.

1 في ظلال القران، المجلد الأول ص 341.

2 مقومات التصور الإسلامي ص 69.

3 المصدر السابق ص 82.

4 العلمانيين الأوربيين أي غلاة العلمانيين هم الذين يقولون أن الحقائق الموضوعية (العلم) لا يتم الوصول إليها إلا بالملاحظة والتجربة أي الإيمان بالمحسوس فقط، وأن الوحي والدين ليس مصدر للحقائق الموضوعية إنما هو علاقة ذاتية بين الإنسان والإله وبذلك أبعادوا الدين والغيب من الحياة الاجتماعية أي من العلوم الاجتماعية (اقتصاد، سياسة، إجتماع، تربية... الخ) وهذه التي تسمى بالعلمانية الشاملة أو العلمانية الصلبة المتطرفة، لأن هناك العلمانية الجزئية اللينة المعتدلة هي علمانية الدستور (علمانية العقد الاجتماعي) أي مدنية الدولة.

5 العقل الإسلامي المعاصر. . . إلي أين؟ ص 252.

6 أزمنا المعرفية بين التوحيد والوضعية ص 17.

الباب الأول الإله والمعبود والإرادة

في هذا الباب سيكون الحديث عن مفهومي الإله والعبادة وعلاقتهما بالإرادة ثم الحديث عن إستعمالات لفظة الإله في القراءن الكريم ثم الحديث عن الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة ثم الحديث عن حقيقة الشرك في العبادة و أنواع الشرك في العبادة وهما الرياء والفتنة في الدين وما يقابلهما وهو فرعي توحيد العبادة وهما إحتساب الأجر عند الله سبحانه وتعالى والفرع الثاني وهو الأصل وهو إخلاص الدين لله سبحانه وتعالى.

الفصل الأول

ضبط مفهوم الإله

الإله في اللغة:-

إله: مصدر إله يألؤه فهو إله. فالإله في اللغة هو المعبود، والألوهية هي العبادة.

قال الفيروز آبادي: (اله إلهة والوهة والوهية: عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة وأصله اله، كفعال، ومعني مالوه. وكل ما أتخذ معبوداً "اله" عند متخذه والتأله: التنسك، والتعبد. والتأليه: التعبيد)1.

("أله" يألؤه بالفتح فيهما "الإلهة" أي عبد. من قرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما "ويذكر و"إلهتك" بكسر الهمزة أي وعبادتك)2.

قال أبو الحسين بن فارس: (اله: الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد. فالإله الله تعالى. فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال تأله الرجل، إذا تعبد)3.

قال الاصفهاني: (واله جعلوه اسماً لكل معبود لهم وكذا الذات وسموا الشمس إلهةً لإتخاذهم إياها معبوداً، وأله فلان عبد وقيل تأله فالإله علي هذا هو المعبود)4.

(الإله: كل ما أتخذ معبوداً)5.

هناك إجماع من أهل اللغة بان الإله هو المعبود.

قال الإمام ابن جرير الطبري: (فإن قال: وما دل علي أن الألوهية هي العبادة وأن الإله هو المعبود، وأن أصلاً في "فعل يفعل"؟ قيل: لا تمنع بين العرب في الحكم لقول القائل يصف رجلاً بعبادة وبطلب ما عند الله جل ذكره: "تأله فلان" بالصحة، ولا خلاف)6.

قال الشيخ عبدالله أبابطين: (وجميع المفسرون يفسرون (الإله) بالمعبود، والمشركون يعرفون ذلك؛ لأنهم أهل اللسان، فلما طلب منهم النبي صل الله عليه وسلم أن يقولوا: لا إله إلا الله؛ قالوا: {أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ} (ص:5))7.

قال العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي: (اعلم انني تتبعت عبارات اهل العلم في تفسير لفظ "اله"، فوجدتهم كالمجمعين علي ان معناه: - معبود بحق - وقال بعضهم: معبود)8.

الخلاصة: أن الألوهية هي: العبادة، وأن الإله هو المعبود، فكل ما عبد فهو إله.

الإله في الإستعمال الشرعي:-

من أقوى الأدلة الشرعية علي أن لفظ الإله يفسر بالمعبود أو لفظ الإله هو المعبود هو أن هناك بعض الأحاديث النبوية تكون لها روايتان أو أكثر ويكون أحدي المواضيع التي تناوله هذه الأحاديث

1 معجم القاموس المحيط ص 59.

2 مختار الصحاح ص 22.

3 معجم مقاييس اللغة، المجلد الأول، ص 69.

4 المفردات في غريب القرآن ص 31.

5 المعجم الوسيط ص 25.

6 تفسير الطبري المجلد الأول ص 54.

7 إنتصار حزب الله الموحدين والرد علي المجادل عن المشركين ص 9.

8 رفع الإشتباه عن معني العبادة والإله ص 66.

له علاقة بشهادة التوحيد أي ب"لا إله إلا الله" فتذكر الشهادة في أحادي الروايات أي شهادة "لا إله إلا الله". وعندما تأتي للرواية الثانية للحديث تجد في نفس الموضوع الذي له علاقة بالشهادة لم تذكر الشهادة إنما ذكر اللفظ الآخر وهو العبادة أو عبادة الله أو العبودية والنصوص تفسر بعضها البعض فيكون تفسير لفظ الإله بالمعبود.

الجمع الأول بين حديثين:- في حديث جبريل عليه السلام الطويل في الرواية الأولى. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ذات يوم إذ طلعت علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس الي النبي ﷺ فأسند ركبتيه الي ركبتيه ووضع كفيه علي فخذيه وقال: يا محمد اخبرني عن الاسلام. فقال رسول الله ﷺ: (الاسلام ان تشهد أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا)1.

وفي الرواية الثانية. عن ابي هريرة قال: كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس، فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟ قال الاسلام ان تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان)2. في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند تعريف الاسلام ذكر أول اركانه "ان تشهد لا اله الا الله وأن محمد رسول الله" وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند تعريف الاسلام أيضا ذكر أول اركانه "بان تعبد الله ولا تشرك به شيئا" فإذًا جمعت بين الروايتين وجدت أن معني الاله في هذه الاحاديث هو أن تعبد الله ولا تشرك به شي أي أن معني الإله هو المعبود.

الجمع الثاني بين حديثين:- وفي حديث وفد عبد القيس عندما أتوا النبي ﷺ وطلبوا منه أن يامرهم بأمر يخبروا به من ورائهم ويدخلهم الجنة. في الرواية الأولى. عن ابي جمره قال: كنت اترجم بين ابن عباس وبين الناس، فقال: إن وفد عبد القيس أتوا النبي ﷺ فقال: من الوفد – او القوم – قالوا: ربعة. فقال: مرحبا بالقوم – او الوفد – غير خزايا ولا ندامي. قالوا: إنا ناتيك من شقة بعيدة، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، ولا نستطيع أن ناتيك إلا في شهر حرام، فمرنا بامر نخبر به من وراءنا ندخل به الجنة. فأمرهم بربع، ونهاهم عن اربع: أمرهم بالإيمان بالله عز وجل وحده، قال: هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله اعلم. قال: شهادة أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله. وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخمس من المغنم. ونهاهم عن الدباء، والحنتم، والمزفت)3.

عن ابي سعيد الخدري في حديثه هذا أن اناسا من عبد القيس قدموا علي رسول الله فقالوا: يا نبي الله ﷺ إنا حي من ربعة وبيننا وبينك كفار مضر ولا نقدر عليك إلا في اشهر الحرم فمرنا بأمر نأمر به من وراءنا ندخل به الجنة إذا نحن اخذنا به. فقال رسول الله ﷺ: (أمركو بأربع وأنهاكم عن اربع. اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان وأعطوا الخمس من الغنائم. وأنهاكم عن أربع عن الدبا والحنتم والمزفت والتقيير)4.

1 صحيح مسلم، حديث رقم (1).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (50).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (87).

4 صحيح مسلم، حديث رقم (26).

في الرواية الأولى أمرهم النبي ﷺ بالإيمان بالله عز وجل وكان تعريف النبي ﷺ للإيمان شهادة أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله. وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وفي الرواية الثانية للحديث أمرهم بربع أشياء مباشرة بدون ذكر الايمان وهي اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان.. وعندما تجمع بين الروايتان تجد "أن شهادة أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله" التي في الرواية الأولى تقابل " اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً " في الرواية الثانية هذا يعني أن لا اله الا الله هي عبادة الله وعدم الاشراف به شيئاً فيكون الاله هو المعبود.

الجمع الثالث بين حديثين:- وفي حديث معاذ بن جبل المشهور عندما أراد النبي ﷺ إبتعائه إلي اليمن. عن ابن عباس أن معاذاً قال: بعثني رسول الله ﷺ قال: (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلي شهادة أن لا اله الا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله أفترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة)2.

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً الي اليمن قال: (إنك تقدم علي قوم اهل كتاب فليكن اول ما تدعوهم اليه عبادة الله عز وجل فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم)3.

عن يحيى بن عبد الله بن صيفي أنه سمع أبا معبد مولي أبين عباس يقول: (سمعت ابن عباس يقول: لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلي نحو اهل اليمن قال له: إنك تقدم علي قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم الي أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم)4. في الرواية الأولى امر النبي ﷺ معاذ بان اول يدعو اليه اهل اليمن هو شهادة "لا اله الا الله" وانه رسول الله ﷺ وفي الرواية الثانية امر النبي ﷺ معاذ بان اول ما يدعوا اليه اهل اليمن هو عبادة الله عز وجل وفي الرواية الثالثة أمر النبي ﷺ معاذ بان اول ما يدعوا اليه اهل اليمن هو أن يوحدوا الله والنصوص تفسر بعضها البعض فهذه الاحاديث من أقوى الأدلة علي تفسير الاله بالمعبود5. هذا ما بينه العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي في رسالته المشهورة "رفع الإشتباه عن معني العبادة والإله" التي قال فيها: (وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابي هريرة في حديث جبريل عليه السلام أنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان والاسلام، قال: "الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به". وفي صحيح مسلم حديث عمر في هذه القصة وفيه بدل قوله: "أن تعبد الله ولا تشرك به"، "أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله".

وفي الصحيحين أيضاً حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس وفيه " . فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع، أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالو: الله ورسوله أعلم، قال:

1 هنا ملاحظة وهي الصلاة في الرواية الأولى يقابلها في الرواية الصلاة والزكاة كذلك والحج كذلك هذا يعني أن "أن شهادة أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله" هي " اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ".
2 صحيح مسلم، حديث رقم (19)/صحيح البخاري، حديث رقم (1396).
3 صحيح مسلم، حديث رقم (19)/صحيح البخاري، حديث رقم (1458).
4 صحيح البخاري، حديث رقم (7372).
5 كما أن في هذه الاحاديث دليل علي شي آخر وهو عندما يطلق لفظ التوحيد يراد به توحيد العبادة.

شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله. " وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد في هذه القصة، " . . . أمركم بربيع: أعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا . . . "ولهذا نظائر)1.

لقد وضح كذلك العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اجماع الصحابة حول تطابق معني "لا اله الا الله" ومعني العبادة فقال:(ان الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرون اتحاد معني شهادة لا اله الا الله ومعني التزام عبادة الله وعدم الشرك به)2.

قال العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي في موضع آخر:(اعلم انني تتبعت عبارات اهل العلم في تفسير لفظ "اله"، فوجدتهم كالمجمعين علي ان معناه: - معبود بحق - وقال بعضهم: معبود)3.

قال الشيخ صديق حسن القنوجي: (إن معني الإله هو المعبود هذا تفسير هذه اللفظة باجماع أهل العلم، سلفاً وخلفاً)4.

أين الخلل؟

كثير من العلماء يسعي ليثبت إن معني الإله هو المعبود ويقف عند هذا الحد، والهدف من ذلك هو مخالفة التفسير البدعية التي تفسر كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" وهذه التفسير هي "لا موجود إلا الله" أو "لاخالق إلا الله" أو "لا حاكم إلا الله"5. والصحيح في تفسير كلمة التوحيد هو "لا معبود بحق إلا الله". والمالوه هو المعبود والعبادة هي ألتاليه ويقف عند هذا الحد. ولكن السؤال ما هو حد العبادة؟ وما هو حد المعبود؟.

أصل العبادة هي المحبة:-

قال تعالى: {مِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} (البقرة:165).

قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} (التوبة:24).

1 رفع الإشتباه عن معني العبادة والاله ص 36.

2 للمصدر السابق ص37.

3 رفع الإشتباه عن معني العبادة والإله ص 66.

4 الدين الخالص، الجزء الأول ص 190.

5 من المفكرين الذين قالوا بهذا التفسير "لاحاكم إلا الله" سيد قطب. ومن العلماء الذين بينوا فساد هذا التفسير ونبهوا إلي بطلانه الشيخ ربيع بن هادي المدخلي ومن ما قال: (خالف سيد في تفسير "لا إله إلا الله" علماء التوحيد والتفسير والفقهاء والمعتبرين، وتابع المودودي في هذه النظرة بأن الإله هو الحاكم المتسلط، ويقول سيد في كتابه "العدالة الإجتماعية": أن الأمر المستيقن في هذا الدين أنه لا يمكن أن تقوم في الضمير عقيدة ولا في واقع الحياة ديناً؛ إلا أن يشهد الناس أن لا إله إلا الله؛ أي لا حاكمية إلا الله) أضواء إسلامية علي عقيدة سيد قطب وفكره ص 63. وفي حديثه عن تفسير سيد قطب لكلمة التوحيد قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي: (تفسيره للا إله إلا الله تفسير بدعي يؤكد تفسير مبتدعة أهل الكلام، فهو يفسر لا إله إلا الله بأنه لا حاكم إلا الله . . . يقول سيد قطب: "فلقد كانوا - أي العرب - يعرفون من لغتهم معني (إله) ومعني لا إله إلا الله. . . كانوا يعرفون أن الألوهية تعني الحاكمية العليا) الحد الفاصل بين الحق والباطل حوار مع بكر أبي زيد ص 106.

عن انس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يرجع عن دينه، كما يكره أن يقذف في النار)1.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وإذا كان أصل الإيمان العملي هو حب الله تعالى ورسوله، وحب الله أصل التوحيد العملي، وهو أصل التآليه، الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له)2.

قال الإمام ابن القيم: (أصل العبادة: محبة الله، بل إفراده بالمحبة، وإن يكون الحب كله لله. فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله فيه، كما يحب الانبياء ورسوله وملائكته وأولياءه. فمحبتنا لهم من تمام محبته، وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحبه)3.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (فذكر أصل الإيمان الذي هو: هو محبة الله ورسوله؛ ولا يكتفي بمطلق المحبة، بل لا بد أن تكون محبة الله مقدمة علي جميع المحاب)4.

المحوبات نوعان:-

المحوبات نوعان: محبوب لذاته أي المراد لذاته ومحبوب لغيره أي المراد لغيره.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (المراد والمستعان علي قسمين:

منه ما يراد لغيره، ومنه ما يراد لنفسه. . . . فمن المراد ما يكون هو الغاية والمطلوب، فهو الذي يذل له الطالب ويحبه، وهو الإله المقصود، ومنه ما يراد لغيره)5.

وقال شيخ الإسلام في موضع آخر: (المراد إما أن يراد لنفسه، أو لشيء آخر، ولا يجوز أن يكون كل مراد لغيره، لأنه إن كان الذي قبله دائماً لزم الدور، وإن كان الذي بعده دائماً لزم التسلسل، فلا بد من مراد مطلوب محبوب لنفسه)6.

وقال كذلك: (المقصودات: إما أن تكون مقصودة لنفسها أو لغيرها، والمقصود لغيره يستلزم وجود مقصود لنفسه، فثبت أنه لا بد من وجود مقصود لنفسه)7.

قال الإمام ابن القيم: (فاعلم ان المراد نوعان: مراد لنفسه. ومراد لغيره. فالمراد لنفسه: مطلوب محبوب لذاته ولما فيه الخير. فهو مراد ارادة الغايات والمقاصد)8.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (وكل مقصود؛ إما أن يقصد لنفسه، وإما أن يقصد لغيره)9.

الدليل عقلاً:-

الدليل العقلي علي أن المحوبات نوعان محبوب لذاته ومحبوب لغيره حتى لا يحصل الدور والتسلسل في العلة الغائية 1 لأن الدور والتسلسل من المستحيلات العقلية والدور والتسلسل في العلة الغائية باطل باتفاق العقلاء.

1 صحيح البخاري، حديث رقم (16)/صحيح مسلم، حديث رقم (67).

2 قاعدة في المحبة ص 133.

3 مدارج السالكين، المجلد الأول، ص 88.

4 شجرة الإيمان ص 56.

5 مجموع الفتاوي، المجلد الأول ص 34.

6 الإستقامة ص 334.

7 بيان تلبيس الجهمية، المجلد الثاني ص 22.

8 مدارج السالكين، المجلد الأول ص 591.

9 طريق الوصول إلي العلم المأمول ص 13.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (والمراد إما أن يكون مراداً لنفسه أو لغيره، والمراد لغيره لا بد ينتهي إلي مراد لنفسه، فيمتنع أن تكون كل المرادات مرادات لغيرها، فإن هذا تسلسل في العلل الغائية، وهو ممتنع، كامتناع التسلسل في العلل الفاعلية، بل هو أولي)2.

وقال أيضاً: (المراد إما إن يكون مراداً لنفسه، أو لشيء آخر، ولا يجوز أن يكون كل مراد لغيره، لأنه إن كان الذي قبله دائماً لزم الدور، وإن كان الذي بعده دائماً لزم التسلسل، فلا بد من مراد مطلوب محبوب لنفسه)3.

قال الفخر الرازي: (لا يمكن أن يقال: إن كل شيء محبوب لمعني آخر وإلا لزم إما التسلسل وإما الدور، وهما محالان، فوجب الإنتهاء في الأشياء المحبوبة إلي ما يكون محبوباً لذاته)4. وقال كذلك: (فإن لو كان كل شيء إنما مطلوب لأجل شيء آخر، لزم إما التسلسل، إما الدور، وهما محالان، فلا بد من الإنتهاء إلي ما يكون مطلوباً لذاته)5.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (فإذا عرف إن كل حركة فاصلها الحب والإرادة، فلا بد من محبوب مراد لنفسه، لا يطلب ويحب لغيره، إذ لو كان كل محبوب يحب لغيره لزم الدور والتسلسل في العلل والغايات، وهذا باطل باتفاق العقلاء)6.

الدليل من النقل:-

الدليل النقلى علي أن المحبوبات نوعان محبوب لذاته ومحبوب لغيرها لإحاديث التي تحدث فيه النبي ρ عن أنه لو كان متخذ من أهل الأرض خليل لأتخذ أبابكر ولكن الشيء الذي منعه من إتخاذ أبوبكر خليل إنه ρ إتخذ الله سبحانه وتعالى خليلاً مع العلم أن الخلّة هي نوع من أنواع المحبة. عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ρ الناس وقال: (لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت ابا بكر، ولكن أخوة الاسلام ومودته)7.

عن ابي سعيد الخدري قال: خطب النبي ρ فقال: (لو كنت متخذاً خليلاً من أمّتي لاتخذت ابا بكر، ولكن أخوة الاسلام ومودته)8. عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ρ جلس علي المنبر فقال: (لو كنت متخذاً خليلاً من أمّتي لاتخذت ابا بكر، إلا خلّة الإسلام)9.

عن ابي الاحوص، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يحدث، عن النبي ρ ؛ أنه قال: (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابا بكر خليلاً. ولكنه اخي وصاحبي. وقد اتخذ الله، عز وجل صاحبكم خليلاً)1.

1 الدور: يعني توقف الشيء على ما يتوقف عليه، أي أن يكون الشيء علّة لعلّة نفسه، كما لو قيل: إن "أ" أوجد "ب"، و "ب" أوجد "أ"، فإن معناه أن "أ" أوجد "أ" وهذا يعني أن "أ" الذي لم يكن موجوداً صار علّة لوجود نفسه. وبعبارة أخرى، أن "أ" معلولٌ وعلّة لـ "ب"، فيكون "أ" متأخراً عن "ب" لأنه معلول لـ "ب" كما إنه متقدم على "ب" لأنه علّة له، وهو واضح البطلان لأنه محال كما ترى.

التسلسل: هو توقف موجود كـ (أ) في وجوده على موجود آخر كـ (ب)، وتوقف (ب) في وجوده على (ج) ... إلى ما لا نهاية، مع فرض أن سلسلة الموجودات المتوقف بعضها على البعض الآخر في الفرض المتقدم فقيرة بذاتها ولا تمتلك الغنى.

2 درء تعارض العقل والنقل، المجلد الرابع ص 230.

3 الإستقامة ص 334.

4 تفسير الفخر الرازي المجلد الثامن، الجزء السادس عشر ص 80.

5 تفسير الفخر الرازي المجلد الثاني، الجزء الرابع ص 186.

6 إغاثة اللهفان الجزء الثاني ص 376.

7 صحيح البخاري، حديث رقم (3654).

8 صحيح البخاري، حديث رقم (466).

9 صحيح البخاري، حديث رقم (3904).

عن ابي الاحوص، عن عبد الله قال: قال: عن النبي ﷺ قال: (لو كنت متخذاً من اهل الارض خليلاً، لاتخذت ابن ابي قحافة خليلاً. لكن صاحبكم خليل الله)².

وفي المقابل توجد احاديث أخرى ذكر النبي ﷺ أنه يحب أشخاص مثل أن يحب عائشة ويحب أبوها ويحب عمر ويحب معاذ ويحب الانصار. عن ابي عثمان اخبرني عمرو بن العاص؛ أن رسول الله ﷺ بعثه علي جيش ذات السلاسل. فأتيته فقلت: اي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة"، قلت: من الرجال. قال: "أبوها" قلت ثم من؟ قال "عمر" فعد الرجال)³.

عن معاذ بن جبل؛ أن رسول الله ﷺ اخذ بيده وقال: "يا معاذ! والله أنى لأحبك، والله اني لأحبك"⁴ عن ابي هريرة، أن النبي ﷺ قال للحسن: "اللهم اني أحبه، فأحبه، وأحب من يحبه"⁵. وكذلك قوله للأنصار⁶.

دل هذا علي أن هناك نوعان من المحبوبات النوع الأول هو المحبوب محبة خاصة وهو الله سبحانه وتعالى محبته لا يشاركه فيها كائن من الكائنات ورفض النبي ﷺ ان تكون لغير الله حتي لأحب البشر إليه وهو ابوبكر الصديق رضي الله عنه وهي الخلقة والنوع الثاني من أنواع المحبوبات هو المحبوب محبة عامة وهي يمكن أن يدخل فيه الاشخاص والمخلوقات بصورة عامة أما الفرق بين المحبوبين هو أن المحبوب محبة خاصة لا يقبل المشاركة ولا المزاحمة في محبته من باب أولي أن لا يقبل أن يتقدمه محبوب آخر عليه وبما أنه لا يقبل أن يتقدمه أي محبوب عليه هذا يعني أن هو محبوب نهائي أي محبوب لذاته أي أنه غاية أما المحبوب محبة عامة فهو يقبل المشاركة والمزاحمة وأن يتقدمه محبوب آخر وهذا يدل علي أنه ليس محبوب لذاته بل محبوب لغيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ثبت في الصحيح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ انه قال: "لو كُنْتُ متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت ابا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله" - يعني نفسه - وفي رواية: "إنى ابرأ الى كل خليل من خلته، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً"

وفي رواية: "أن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً"

فبين ﷺ انه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلاً وانه لو أمكن ذلك لكان أحق الناس بها ابوبكر الصديق - رضي الله عنه. مع انه ﷺ قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصاً كما قال معاذ: "والله أنى لأحبك"

وكذلك قوله للأنصار

وكان زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ، وكذلك ابنه أسامة حبه، وأمثال ذلك. وقال له عمرو بن العاص: اي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة"، قال: فمن الرجال. قال: "أبوها" وقال لفاطمة ابنته - رضي الله عنها: "الاتحبين ما أحب؟" قالت: بلى! قال: "فأحب بعائشة" وقال للحسن: "اللهم أنى أحبه فأحبه وأحب من أحبه" وأمثال هذا كثيراً.

1 صحيح مسلم، حديث رقم (2383).

2 صحيح مسلم، حديث رقم (2383).

3 صحيح البخاري، حديث رقم(3662)/صحيح مسلم، حديث رقم(2384).

4 صحيح سنن ابي داود، حديث رقم(1522)/صحيح سنن النسائي، حديث رقم(1302).

5 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (116).

6 صحيح البخاري، حديث رقم (3785).

المحبة والخلة:

فوصف نفسه بمحبة اشخاص وقال: "أنى ابرأ الى كل خليل من خلته، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً"

فعلم أن الخلة اخص من مطلق المحبة بحيث هي من كمالها وتخللها المحب حتى يكون المحبوب بها محبوب لذاته لا لشيء آخر. إذ المحبوب لشيء غيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير، ومن كمالها لا تقبل الشركة والمزاحمة لتخللها المحب ففيها كمال التوحيد وكمال الحب. فالخلة تنافي المزاحمة، وتقدم الغير بحيث يكون المحبوب محبوباً لذاته محبة لا يزاحمه فيها غيره¹.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (وفي الصحيح عنه ρ أنه سئل: "من احب الناس اليك؟ فقال: عائشة" ولهذا كان مسروق رحمه الله إذا حدث عنها: "حدثتني الصديقة بنت الصديق، حبيبة رسول، المبراة من فوق سبع سموات" وصح عنه ρ أنه قال: "حبب اليكم من دنياكم النساء والطيب. وجعلت قرة عيني في الصلاة" فلا عيب علي الرجل في محبته لأهله، وعشقه لها، إلا إذا شغله ذلك عن محبة ما هو انفع له، من محبة الله ورسوله، وزاحم حبه وحب رسوله، فإن كل محبة زاحمت محبة الله ورسوله، بحيث تضعفها وتقصصها فهي مذمومة. وإن اعانت علي محبة الله ورسوله وكانت من اسباب قوتها، فهي محمودة²).

وقال كذلك: (وأما الخلة فهي توحيد المحبة، فالخليل هو الذي توحد حبه لمحبيه، وهي رتبة لا تقبل المشاركة)³.

الإله أي المعبود هو المراد لذاته "غاية نهائية" :-

بعد الكلام علي ان الإله هو المعبود أي هو المحبوب المراد وان المحبوبات نوعان محبوب لذاته ومحبوب لغيره فالمعبود المألوه هو المحبوب لذاته أي المراد لذاته ف كل شي مراد لذاته مقصود لذاته أي غاية نهائية هو مألوه معبود أي هو إله معبود، لان حقيقة ألتاليه أي حقيقة العبادة هي إرادة الشئ لذاته أي أن يكون غاية نهائية.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (وإذا كان لا بد للإنسان من مراد لنفسه، فهذا هو الإله الذي يالهه القلب)⁴.

وقال كذلك: (وأيضاً فلا بد لكل حي من محبوب، هو منتهى محبته وإرادته، واليه تكون حركة باطنه وظاهره، وذلك هو إلهه)⁵.

وقال أيضاً: (فالمعبود هو المقصود المطلوب المحبوب لذاته وهو الغاية والمعنى، وهو البارئ المبدع الخالق، ومنه ابتداء كل شي، والغايات تحصل بالبدايات بطلب الغاية، فالإلهية هي الغاية)⁶. وذكر في موضع آخر: (ولا بد للإرادة من مراد لنفسه، وذلك هو الإله، والمخلوق يمتنع أن يكون مراداً لنفسه)⁷.

1 الثحفة العراقية ص 82.

2 إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ص 379.

3 روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص 48.

4 درء تعارض العقل والنقل، المجلد الرابع ص 230.

5 قاعدة في المحبة، ص 103.

6 منهاج السنة النبوية، الجزء الثاني ص 108.

7 مجموع الفتاوي، المجلد الثاني ص 37.

قال الإمام ابن القيم: (ليس في الوجود ما يحب لذاته ويحمد لذاته إلا هو سبحانه، وكل ما يحب سواه، فإن كانت محبته تابعة لمحبته سبحانه بحيث يحب لأجله؛ فمحبته صحيحة، وإلا فهي محبة باطلة، وهذا هو حقيقة الإلهية)¹.

قال الامام بن رجب الحنبلي: (أن كل من أحب شيئاً وأطاعه، وكان غاية قصده ومطلوبه، ووالي لأجله، وعادي لأجله، فهو عبده، وكان ذلك الشيء معبوده وإلهه)².

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: (فاتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلي كلمة التوحيد وهي "لا اله إلا الله" والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجهال يعلمون ان مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى **بالتعلق**، والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه، فانه لما قال لهم: قولوا: "لا اله إلا الله"، قالوا: {أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} (ص:5). فاذا عرفت ان الجهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار)³.

و نقل عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (إن اله هو المقصود المعتمد عليه، وهذا امر هين عند من لا يعرفه، وكبير عظيم عند من يعرفه)⁴.

قال الشيخ صديق حسن القنوجي: (أن كل من أحب شيئاً وأطاعه، وكان غاية قصده ومطلوبه، ووالي لأجله، وعادي لأجله، فهو عبده، وكان ذلك الشيء معبوده وإلهه)⁵.

المراد لذاته هو الكمال:-

الإنسان مفطور مجبول علي حب الكمال والتعلق به فالكمال غاية نهائية عند البشر. فالكمال مراد لذاته لا لشي آخر وراءه.

قال الفخر الرازي: (والكمال محبوب لذاته والنقصان مكروه لذاته)⁶.

وقال كذلك: (أن الكمال محبوب لذاته لا لغيره)⁷.

قال الامام ابي حامد الغزالي: (ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهي الكمال لم تسقط شهوتها للكمال، فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتدة به لذاته لا لمعني لآخر وراء الكمال)⁸.

قال الإمام ابن القيم: (الكمال محبوب لذاته ولنفسه)⁹.

وقال كذلك: (فان القلوب مفطورة علي محبة الكمال)¹⁰.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (القلوب مجبولة علي محبة الكمال)¹¹.

لذلك غاية حركة التاريخ البشري هو الوصول إلي الكمال لان حركة التاريخ حركة غائية تسعى للوصول الي الكمال.

1 الفوائد ص 199.

2 كتاب التوحيد ص 56.

3 كشف الشبهات في التوحيد ص5.

4 الدرر السنية 21-2، نقلا من مقال بعنوان عبودية الشهوات، مجلة البيان العدد 238، للدكتور عب العزيز بن محمد آل عبد اللطيف.

5 الدين الخالص، الجزء الأول ص 163.

6 تفسير الفخر الرازي المجلد الثامن الجزء السادس عشر ص 80.

7 تفسير الفخر الرازي المجلد التاسع الجزء السابع عشر ص 103.

8 إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، ص 255.

9 طريق الهجرتين وباب السعادتين ص 325.

10 روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص356.

11 القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ص 78.

قال الدكتور مصطفى محمود: (نحن نعلم علي الاقل قانون حركتنا نحن البشر. وأنا منطلقون بشوق لا يهدأ نحو بلوغ الكمال والمثل الاعلي)1.

قال الأستاذ محمد قطب: (هذه الرغبة في الكمال - الذي لا يتحقق أبداً في واقع الأرض² - هي الدافع الأكبر لكل حركات التاريخ وكل حضارات الإنسان)3.

وقال موضع آخر: (وكل التطور البشري - سواء من التطور السوي والتطور المنحرف - كان الدافع من ورائه هو هذه الرغبة الكامنة في أعماق الإنسان أن يصل إلي أقصى ما يستطيع من "الارتفاع" . . إن يحقق أقصى ما يستطيع من "الكمال")4.

وقال كذلك: (كل التقدم الآلي والعلمي والحضاري والفكري كان وراءه هذا الدافع . . الرغبة في الكمال . . والشعور بان هناك نقصاً يجب إكماله . . في هذا العلم . . أو في تلك الآلة . . أو في ذلك النظام . . أو في تلك الفكرة . . وكلما خطا الإنسان في ذلك كله خطوة، استشرى أفقاً أعلى، وبنات له إمكانيات جديدة، وتطلع إلي "كمال" جديد)5.

لذلك الإنسان دائماً في صراع مع النقص إبتغاء الكمال.

لفظ الإله في القرآن الكريم له إستعمالان:-

لفظ الإله في القرآن الكريم له إستعمالان، الإستعمال الأول يطلق علي الإله الحق الموجود المتفق عليه عقلاً وشرعاً وهو المتفرد بالكمال المطلق. والإستعمال الثاني لفظ الإله يطلق علي المعبود كل معبود فكل شيء محبوب مراد لذاته هو مألوه أي إله إذا كان مألوه بحق أو مألوه بباطل يطلق عليه القرآن الكريم لفظ الإله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (أن لفظ "الإله" يراد به المستحق للإلهية، ويراد به ما أتخذته الناس إلهاً وإن لم يكن إلهاً في نفس الأمر، بل هي أسماء سموها هم وآباؤهم. فتلك ليست في نفسها آلهة، وإنما هي آلهة في أنفس العابدين. فإليتها أمر قدره المشركون، وجعلوه في أنفسهم من غير أن يكون مطابقاً للخارج، كالذي من ليس بعالم عالماً، ومن ليس بحي حياً، ومن ليس بصادق ولا عدل صادقاً وعدلاً فيقال: هذا عندك صادق، وعادل، وعالم، وتلك اعتقادات غير مطابقة، وأقوال كاذبة)6.

قال الأستاذ ابو الاعلي المودودي: (مما ينبغي أن يلاحظ في هذا المقام أن كلمة "الإله" جاء استعمالها في القرآن بمعنيين اثنين، أحدهما المعبود الذي يعبده الناس في الواقع، حقاً كان ذلك المعبود أم باطلاً، لا عبرة بذلك، وثانيهما المعبود الذي يستحق في حقيقة الأمر أن يعبد)7.

هنا سؤال ما هو الإله الحق الموجود المتفق عليه عقلاً وشرعاً وما هي صفاته؟

الإله الحق الموجود واحد:-

إذا كان التأليه أي العبادة هي محبة الشيء لذاته ، فالإله الحق الموجود الذي يجب أن يعبد في الوجود واحد وذلك ثابت عقلاً وشرعاً لا ثاني له ولا اختلاف في ذلك بين البشر.

1 الوجود والعدم ص 116.

2 كمال العبد نوعان: كمال دنيوي وكمال آخروي فالذي لا يتحقق علي الارض هو الكمال الآخروي لان حقيقته لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر ولكن هناك كمال يتحقق علي الارض أي في الحياة الدنيا وهو كمال نسبي ومع العلم أنه لا توجد مقارنة الكمالين والوسيلة للكاملين عبادة الله سبحانه وتعالى.

3 دراسات في النفس الإنسانية ص 255.

4 المصدر السابق ص 256.

5 المصدر السابق ص 256.

6 مجموع الفتاوي، المجلد السادس عشر ص 575.

7 المصطلحات الأربعة ص 16.

قال تعالى: { أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِنَبِيِّهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (البقرة:133).

قال تعالى: { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } (البقرة:163).

قال تعالى: { وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۗ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ } (النساء:171).

قال تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ ۚ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ } (المائدة:73).

قال تعالى: { أَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى ۚ قُلْ لَا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } (الانعام:19).

قال تعالى: { هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ } (ابراهيم:52).

قال تعالى: { إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ } (النحل:22).

قال تعالى: { وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ۗ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَفِي آيَاتِي فَارْهَبُونَ } (النحل:51).

قال تعالى: { فَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا } (الحج:34).

قال تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا } (التوبة:31).

قال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ } (فصلت:6).

قال تعالى: { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ } (المؤمنون:91).

قال تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } (الانبياء:22).

قال تعالى: { قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا } (الإسراء:42).

قال الشيخ محمد الامين الشنقيطي: (وينقسم الكلي: باعتبار وجود افراده في الخارج ، وعدم وجودها فيه إلى ستة لأنه إما ألا يوجد منه في الخارج فرد أصلاً أو يوجد منه فرد واحد ، أو توجد منه أفراد كثيرة . وكل واحد من هذه الثلاثة ينقسم إلى قسمين فالمجموع ستة :

..... الثالث:كُلي وجد منه فرد واحد مع استحالة وجود غيره من الأفراد عقلاً ، كإله ، فإنه كُلي ، ولذا لم يمنع العرب تعقل مدلوله من قبول الشركة كما ذكر الله عنهم في قوله : "أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب"1.

هنا سؤال إذا كان الإله الحق الموجود واحد لا إختلاف في ذلك بين البشر لا شرعاً ولا عقلاً لماذا الإختلاف؟ الخلل إن الناس قد جعلوا معبودات اخري مع الإله الحق الموجود المستحق للعبادة أي عبدوا معه غيره. فالإختلاف ليس في وجود الإله الحق الموجود إنما الإختلاف في جعل معبودات اخري معه أي جعل آلهة اخري معه أي إرادة أشياء لذاتها وهي لا تستحق تلك الارادة والمحبة ولكن القراءن سمي هذه المعبودات آلهة. ففي القراءن الكريم يطلق لفظ الإله علي الإله الحق الموجود أي الإله الواحد، ويطلق لفظ الإله في القراءن كذلك علي كل معبود أي "كل مراد لذاته" إذا كان معبود بحق أي يستحق العبادة او معبود بغير حق أي لا يستحق العبادة أي لا يستحق ان يراد لذاته.

الصفة المميزة للإله الحق الموجود هي التفرد بالكمال المطلق:-

الصفة المميزة للإله الحق الموجود أي الصفة المميزة للإله المعين هي التفرد التام بالكمال المطلق الذي ليس معه أي نقص أو عيب أو عجز بأي وجه من الوجوه وذلك باتفاق العقلا فلا يوجد كائن يتفرد بالكمال المطلق إلا الإله الحق الموجود فحقيقة الألوهية هي التفرد التام بالكمال المطلق.

قال تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ} (المؤمنون: 91). 1.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (وليس الكمال المطلق إلا في الوجدانية) 2.

وقال كذلك: (الوجدانية: تقتضي الكمال، والشركة: تقتضي النقص) 3.

قال الشيخ صديق حسن القنوجي: (من خصائص الألوهية الكمال المطلق) 4.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (علم التوحيد هو العلم بما لله من جميع صفات الكمال، وأن الرب تفرد بها، وأن له الكمال المطلق الذي لا تقدر القلوب أن تبلغ كنهه، ولا الألسن التعبير عنه) 5.

وقال في موضع آخر: (فإن دين الإسلام الذي جاء به محمد أكمل الأديان وأفضلها، وأعلاها، وأجلها، قد حوي من المحاسن والكمال والصلاح والرحمة والعدل والحكمة ما يشهد الله تعالى بالكمال المطلق) 6.

قال الدكتور عبد الرحيم بن صمايل السلمي: (فلا يتصور أن يكون الناقص الهاً، كما لا يتصور أن يكون الكامل غير الها من المعلوم إن الإله المستحق للعبادة لا بد أن يكون كاملاً في ذاته وأفعاله وصفاته كما إن الإله المستحق للعبادة لا يوصف بالنقص بأي وجه من الوجوه، ولا يتصور أن يكون الناقص الهاً معبوداً. وهذا الأمر متفق عليه عقلاً) 7.

قال الدكتور سعود العريفي: (النصوص التي تبطل الوهية الاصنام والاثان، وكل ما عبد من دون الله - تعالى - ، بدلالة إتصافها بصفات النقص. فكل نقص جعل دليلاً على بطلان الوهية المتصف به) 8.

وقال كذلك: (وأن كل نقص دل على بطلان الوهية المتصف به) 9.

قال الدكتور عيسى بن عبد الله السعدي: (كل ما يضاد الكمال فهو نقص يناقض الألوهية ولهذا أبطل الله الشرك بوجود النقص فيما يعبد من دونه) 10.

الكمال المطلق والعلو المطلق متلازمان:-

1 قد يقول قائل الآية ذكرت الصفة المميزة للإله الحق الموجود هي العلو وانتم ذكرتم الصفة المميزة للإله الحق الموجود هي الكمال المطلق اليس هذا افتراء علي القران؟ الإجابة هي أن الكمال المطلق والعلو المطلق متلازمان مترابطان كما سيأتي، والأصل هو التنزيه عن النقص والعيب أي الأصل هو الكمال لأن في كل آيات التلازم قدم التنزيه أي التسبيح علي العلو كما سيأتي.

2 الرسالة الأكملية ص 59.

3 مجموع الفتاوي، المجلد السادس عشر ص 99.

4 الدين الخالص، الجزء الأول ص 316.

5 فتح الرحيم الملك العلام ص 22.

6 الدرر المختصرة في محاسن الدين الإسلامي ص 7.

7 التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص 373-386.

8 الأدلة العقلية النقلية علي أصول الاعتقاد ص 371.

9 المصدر السابق ص 374.

10 حقيقة المثل الأعلى وأثاره ص 20.

هناك تلازم بين الكمال المطلق والعلو المطلق حيثما وجد الكمال المطلق وجد العلو المطلق حيثما وجد العلو المطلق وجد الكمال المطلق لأن القاعدة التفسيرية تقول القرينان متلازمان عند الصحة والسلامة المعارض.

قال تعالى: {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ} (الأنعام:100).

قال تعالى: {قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ يُشْرِكُونَ} (يونس:18).

قال تعالى: {أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (النحل:1).

قال تعالى: {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا} (الإسراء:43).

قال تعالى: {مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (القصص:68).

قال تعالى: {هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ دَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (الروم:40).

قال تعالى: {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (الزمر:67). في الآيات

السابقة التسبيح والعلو قرينان متلازمان. التسبيح هو تنزيه عن النقص والعيب أي إثبات الكمال المطلق، والعلو عن الشرك هو علو عن المشاركة أي العلو علي الخلق وهو العلو المطلق.

قال الدكتور محمد بن عبدالرحمن الجهني: (فهذا مجمع العلو الذي لا أعلي منه: تنزهه عن النقص، القاضي بإتصافه بالكمال المطلق التمام. وعدم النظير المساوي له في كماله، القاضي بأحدثيته.

وتنزهه سبحانه عن النقص والعيب والذم جل تعالي. هو علة إنعدام المساوي والنظير، والسمي، والند، والعدل والكف، والمثيل والشريك، فكل ما عداه لا ينفك من النقص والعيب)1.

فالصفة المميزة للإله الحق الموجود هي الكمال المطلق أي العلو المطلق.

الله له المثل الأعلى "العلو المطلق":-

الله سبحانه وتعالى له الكمال المطلق أي متفرد بالكمال المطلق والدليل علي ذلك هو إتصافه وتفرده بالمثل الأعلى.

قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (النحل:60).

قال تعالى: {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الروم:27). والمثل الأعلى هو الكمال المطلق الذي ليس معه نقص أو عيب بأي وجه من الوجوه.

قال الإمام ابن كثير: ("وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ" أي: الكمال المطلق من كل وجه وهو المنسوب اليه)2.

قال الإمام ابن القيم: (فإن مثل السوء هو العدم، وما يستلزمه، وضده المثل الأعلى وهو الكمال المطلق)3.

قال الدكتور عيسى بن عبد الله السعدي: (التفرد بالمثل الأعلى يقتضي ضرورة إمكان وجود الصفة، ويدل على التفرد بالكمال المطلق)4.

وقال كذلك: (والمثل الأعلى ينتظم جميع معاني الكمال المطلق التي يستحيل معها الاتصاف بالنقص)1.

1 المقارنة بين المثل الأعلى لله عزوجل وقياس الأولي، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية العدد (45)، ص 137.

2 تفسير القرآن الكريم، الجزء الرابع ص330.

3 الصواعق المرسله، الجزء الرابع ص 1031.

4 حقيقة المثل الأعلى وأثاره ص 5.

ويستحيل أن يشترك في المثل الأعلى إثنان.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى أثنان، لأنهما إن تكافأ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافأ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده، يستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى، مثل، أو نظير)2.

قال الدكتور عيسى بن عبد الله السعدي: (تنزيه الرب عن المثل والكفاء داخل في حقيقة المثل الأعلى، لأن التفرد بصفات الكمال المطلق يستحيل معها وجود المثل)3.

ومن الأدلة علي تفرد الله سبحانه وتعالى بالكمال المطلق عدم وجود له ند أو سمي أو كفؤ أو نظير أو المثيل.

قال تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} (البقرة: 22).

قال تعالى: { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} (مريم: 65).

قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشوري: 11).

قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (الإخلاص: 1 - 4).

قال تعالى: {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} (النحل: 74).

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (نفي اللغو والسمي والمثل عنه كمال: لأنه يستلزم ثبوت جميع صفات الكمال له على أكمل الوجوه، واستحالة وجود مشارك له فيها)4.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (قال تعالى: { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} (مريم: 65). أي: هل تعلم لله مساميا ومماثلا من المخلوقين. وهذا الإستفهام للنفي، المعلوم بالعقل. أي: لا تعلم له مساميا ولا مشابها)5.

قال الدكتور عيسى بن عبد الله السعدي: (فإن نفي الكفاء والند والسمي وما في معناها يستلزم ثبوت جميع صفات الكمال المطلق على وجه التفرد)6.

قال وكذلك: (ونفي المثل محقق لإثبات الكمال المطلق، كما أن إثبات الكمال المطلق محقق لنفي المثل وذلك لأن نفي المثل وما في معناه، كالكفاء والند، إذا ورد في سياق المدح والثناء دل على التفرد بصفات الكمال المطلق)7.

ففي الكفو والسمي والند والنظير والمثيل عنه سبحانه وتعالى دليل علي تفرده بالكمال المطلق الذي ليس معه أي نقص بأي جوه من الوجوه. والتفرد بالكمال المطلق يستحيل معه وجود المثل أو الند أو فيما ما معناه.

من الأدلة علي تفرد الله سبحانه وتعالى بالكمال المطلق أمر العباد بعبادته.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} (البقرة: 21).

قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} (النحل: 36).

1 المصدر السابق ص 7.

2 الصواعق المرسله، الجزء الرابع ص 1031.

3 حقيقة المثل الأعلى وآثاره ص 5.

4 الصواعق المرسله الجزء الرابع عشر ص 1369.

5 تفسير السعدي ص 498.

6 حقيقة المثل الأعلى وآثاره ص 47.

7 المصدر السابق ص 15.

من الأدلة علي تفرد الله سبحانه وتعالى بالعلو المطلق
 قوله تعالى: {وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (البقرة: 255).
 وقوله تعالى: {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (الشوري: 4). علي
 معرفة بالالف واللام تفيد العموم والاستغراق فكل العلو لله سبحانه وتعالى.
الوحدانية والقهر متلازمان:-

الله له العلو المطلق علو الذات ، وعلو الصفات، وعلو القهر. ومشاركة الله في علوه تكون في علو
 القهر. فالوحدانية (الإله الحق الموجود) والقهر متلازمان.
 قال تعالى: {يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَأَيْتَ أُزْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (39: يوسف).
 وقال تعالى: {قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (الرعد: 16).
 وقال تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} (ابراهيم: 48 –
 49).

وقال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (ص: 65 – 66).
 وقال تعالى: {لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ
 الْقَهَّارُ} (الزمر: 4).

وقال تعالى: {لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} (غافر: 16).
 الف واللام في القهار للإستغراق أي تعم كل أنواع القهر، فالقهر كله لله
 متلازمان مع العلم أن القهر هو أحد أنواع العلو.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (ونظير هذا القهر المطلق، مع الوحدة، فإنهما متلازمان فلا يكون
 القهار إلا واحدا، إذا لو كان معه كفؤ له، فإن لم يقهره لم يكن قهارا علي الإطلاق، وإن قهره لم
 يكن كفؤا، وكان القهار واحدا)1.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (فإن القهر ملازم للوحدة، فلا يكون قهارين متساويين
 في قهرهما ابدأ، فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق ان يعبد
 وحده، كما كان قاهرا وحده)2.

وقال في موضع آخر: (ووحده تعالى وقهره متلازمان، فالواحد لا يكون الا قهارا، والقهار لا يكون
 الا واحدا، وذلك ينفي الشركة له من كل وجهه)3.

قال عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد: (فجميع هذه المواضع تدل دلالة ظاهرة على التلازم بين
 اسميه الواحد والقهار، فالواحد لا يكون الا قهارا، والقهار لا يكون الا واحدا)4.
 التوحيد والقهر متلازمان متعينان لله سبحانه وتعالى.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (فانه لا توجد الوحدة والقهر الا لله ، فالقهر والتوحيد
 متلازمان، متعينان لله)5.

الإله الحق هو من يملك النفع والضر:-

- 1 الصواعق المرسله، الجزء الرابع ص 1032.
- 2 المصدر السابق ص 716.
- 3 المصدر السابق ص 719.
- 4 فقه الاسماء الحسنی . ص 307.
- 5 تفسير السعدي ص 415.

أخص خصائص الإله الحق الموجود إنه يملك النفع والضرر أي أخص خصائص الألوهية النفع والضرر.

قال تعالى: { قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا } (المائدة: ٧٦).
قال تعالى: { قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا } (الأنعام: 71).
قال تعالى: { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ } (يونس: 18).
قال تعالى: { وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ } (يونس: 106).
قال تعالى: { قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } (الأنبياء: 66 – 67).

قال تعالى: { يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ } (الحج: 12).
قال تعالى: { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ } (الفرقان: 55).
قال تعالى: { وَآتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ } (الشعراء: 69 – 73).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (كل من يملك الضر والنفع فانه هو المعبود، لا بد ان يكون مالكا للنفع والضرر. ولهذا انكر - تعالى - علي من عبد من دونه ما لا يملك ضرا ولا نفعاً، وذلك كثير في القراءن، كقوله تعالى: { وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ } (يونس: 106) { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ } (يونس: 18)، فنفى - سبحانه - عن هؤلاء المعبودين الضر والنفع القاصر والمتعدي، فلا يكون لأنفسهم ولا لعابديهم. وهذا كثير في القرآن، يبين - تعالى - ان المعبود لا بد ان يكون مالكا للنفع والضرر)¹.

قال الإمام ابن القيم: (وكل من يملك الضر والنفع حقا فانه هو المعبود حقا، والمعبود لا بد وان يكون مالكا للنفع والضرر. لهذا أنكر الله تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضرا ولا نفعاً، وذلك كثير في القرآن، كقوله تعالى: { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ } (يونس: 18)، وقوله تعالى: { وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ } (يونس: 106)، وقوله تعالى: { قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (المائدة: 76)، وقوله تعالى: { قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } (الأنبياء: 66 – 67)، وقوله تعالى: { وَآتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ } (الشعراء: 69 – 73)².

العلاقة بين الكمال المطلق والنفع والضرر:-

العلاقة بين الكمال المطلق والنفع والضرر هي بقدر كمال المراد تكون كمال الارادة وبقدر كمال الارادة تكون كمال الحياة أي الحياة الكاملة، والحياة الكاملة هي النفع والخير الأسمى بقدر التعلق بالإله الحق المتفرد بالكمال المطلق يكون النفع أي الحياة الكاملة وبقدر عدم التعلق بالإله الحق المتفرد بالكمال المطلق أي التعلق بغيره يكون الضرر.

الكمال نوعان:-

1 مجموع الفتاوى، المجلد الخامس عشر، ص10.
2 بدائع الفوائد ص835.

لقد تم تبين أن الصفة المميزة للإله الحق هي التفرد بالكمال المطلق أي العلو المطلق ولكن الكمال نوعان كمال خاص بالخالق لا يستحقه المخلوق، وكمال خاص بالمخلوق لا ينبغي للخالق ولا يضاف إليه 1.

قال الدكتور محمد بن عبد الرحمن الجهنبي: (الكمال ثلاثة أنواع: كمال خاص بالخالق لا يستحقه المخلوق ولا يضاف إليه. وكمال خاص بالمخلوق لا ينبغي للخالق ولا يضاف إليه. وكمال مشترك بينهما في المعنى العام الكلي في الذهن، ثم يقوم بالخالق منه ما يليق بجلاله وعظمته علي نحو يخصه لا يكون للمخلوق ولا يضاف إليه، ويقوم بالمخلوق منه ما يليق بضعفه وعجزه علي نحو يخصه لا ينبغي للخالق ولا يضاف إليه) 2.

وقال كذلك: (فإن كل موجود سواه سبحانه مفتقر إلي الله في وجوده فقد حدث من عدم، وهذا أصل في النقص، ثم هو إلي عدم وهلاك، وهذا أصل في النقص، وهو بين هذين الأصلين تطراً علي كمالاته الأعراض والآفات من مرض وضعف وفقد، وهو أصل في النقص، وهو علي كل حال مفتقر إلي الله في بقائه ومآله) 3.

الذي يستحق ان يراد لذاته ويحب لذاته هو الله سبحانه وتعالى:-

لا يستحق ان يراد لذاته او ان يحب لذاته الا الله سبحانه وتعالى أي لا يستحق أن يعبد الا الله لانه متفرد بالكمال المطلق الذي ليس معه نقص او عيب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (بل لا يجوز أن يحب شي من الموجودات، لذاته إلا هو سبحانه وبحمده، فكل محبوب في العالم إنما يجوز أن يحب لغيره، لا لذاته، والرب هو الذي يجب ان يحب لنفسه، وهذا من معاني إلهيته) 4.

وقال كذلك: (وليس شئ شرع إن يحب لذاته إلا الله تعالى، وكذلك التعظيم، تارة يعظم الشئ لنفسه، وتارة يعظم لغيره وليس شئ يستحق التعظيم لذاته إلا الله) 5.

وقال في موضع آخر: (إلا بإخلاص الحب لله، بحيث يكون الله هو غاية مراده، ونهاية مقصوده، وهو المحبوب له بالقصد الأول، وكل ما سواه إنما يحب لأجله، لا يحب شي لذاته الا الله. ومتى لم يحصل له هذا، لم يكن قد حقق حقيقة "لا اله الا الله"، ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة لله، وكان فيه من نقص التوحيد والإيمان؛ بل من الألم والحسرة والعذاب بحسب ذلك) 6.

قال ابن رجب الحنبلي: (ان الله تعالى يستحق لذاته ان يطاع ويحب) 7.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (ليس في الوجود ما يحب لذاته ويحمد لذاته إلا هو سبحانه، وكل ما يحب سواه، فان كانت محبته تابعة لمحبهته سبحانه بحيث يحب لأجله، فمحبته صحيحة، وإلا فهي محبة باطلة، وهذا هو حقيقة الإلهية) 8.

1 كمال المخلوق نوعان كمال حقيقي هو الذي يتحقق بعبادة الله سبحانه وتعالى وكمال وهمي خيالي وهو إرادة مشاركة الله في علوه وهو عين الشرك بالله.
2 المقارنة بين المثل الأعلى لله عزوجل وقياس الأولي، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية العدد (45)، ص 141.
3 المصدر السابق ص 137.
4 مجموعة الفتاوى، الجزء العاشر، ص 361.
5 قاعدة في المحبة ص 174.
6 كتاب العبودية. ص 97.
7 التخويف من النار ص 25.
8 الفوائد ص 199.

وقال كذلك: (فلا سعادة للعباد ولا صلاح لهم ولا نعيم إلا بان يعرفوا ربهم ويكون هو وحده غاية مطلوبهم والتقرب إليه قرّة عيونهم)1.

فان محبة الله لذاته أي انه الغاية النهائية من اعظم قضايا في منهج اهل السنة والجماعة وهي من كنوز التوحيد كما ذكر.

قال الشيخ سفر بن عبدالرحمن الحوالي: (وهذه القضية من اوضح قضايا التصور السلفي واجلاها، واصلها ان الناس لو عقلوا عن الله عزوجل كلامه وقاموا لله مثني وفرادي، ثم تفكروا لوجدوا انه مما من شي يتوهمونه مرادا او غاية لذاتها، او سببا في حصول المرادات وتحقق الغايات، الا هو مستلزم لسبب اخر وراءه، وما تزال الغايات والاسباب تتسلسل حتي تنتهي الي الغاية التي ليست وراءها مطلب، والمصدر الذي ليس وراءه سبب وهو الله تعالى. وهذا من كنوز التوحيد ودقائقه)2.

وقال في موضع آخر: (فهو غاية كل مطلوب، وكل محبوب لا يحب لاجله فمحبتة عنا وعذاب، وكل عمل لا يراد لاجله فهو ضائع وباطل، وكل قلب لا يصل اليه فهو شقي محبوب عن سعادته وفلاحه، فأجتمع ما يراد منه كله في قوله: (وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ) فليس وراءه سبحانه غاية تطلب وليس دونه غاية اليها المنتهي. . . وكل ما سواه مما يحب ويراد فمراد لغيره، وليس المراد المحبوب لذاته الا واحد اليه المنتهي، ويستحيل ان يكون المنتهي الي اثنين، كما يستحيل ان يكون ابتداء المخلوقات من اثنين)3.

وتبين لنا مما سبق بالدليل الشرعي والعقلي وأقوال العلماء أن الإله هو المراد المقصود لذاته. فكل شي مراد لذاته هو مالوه معبود. وانه لا يوجد في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته ويراد لذاته إلا الله سبحانه وتعالى كل ما يحب لذاته غير الله محبته باطلة .

الإجماع على ان الله هو المحبوب لذاته:-

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة والحديث وجميع مشائخ الدين المتبعون، وأئمة التصوف أن الله سبحانه محبوب لذاته محبة حقيقية بل هي أكمل محبة)4. قال في موضع آخر: (ثم انتقل بعد ذلك إلي المعتزلة وغيرهم فنفوا الصفات دون الأسماء وليس هذا قول احد من سلف الأمة وأئمتهم، بل كلهم متفقون علي أن الله يستحق أن يحب، وليس شي أحق بان يحب من الله سبحانه، ولا يصلح أن يحب غيره إلا لأجله)5.

حقيقة محبة الله لذاته هي إرادة لقائه والنظر الي وجهه الكريم:-

حقيقة محبة الله وإرادته هي إرادة لقائه والنظر الي وجهه الكريم أي التعلق بما عند الله من فضله ونعمه ورحمته ورضوانه. الخ واعظم الفضل والرضوانه النظر الي وجهه الكريم. قال تعالى: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} (الانعام: 52). قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} (الكهف: 28). قال تعالى: {وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا إِتِّعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} (الليل: 19 – 20).

1 مختصر الصواعق المرسله علي الجهمية والمعتلة 47/1. نقلاً من كتاب المحكم والمتشابه وعلاقته بقضية التفويض لمحمود عبد الرازق الرضواني. ص49
2 ظاهرة الإرجاء في الفكر الاسلامي ص 97.
3 للمصدر السابق ص98.
4 التحفة العراقية في الأعمال القلبية ص81.
5 منهاج السنة النبوية، المجلد 3، ص154.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا} (يونس: 7).
 قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدٌ
 (الكهف: 110).

(واسالك لذة النظر الي وجهك الكريم، والشوق الي لقائك؛ في غير ضراء مضرة ولا فتنة
 مضلة)1.

قال الإمام ابن القيم: (قال تعالى: { وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ
 الْأَعْلَىٰ } "الليل: 19، 20". فجعل غاية أعمال الأبرار والمقربين والمحبين: إرادة وجهه)2.
 قال العلامة عبد الرحمن السعدي: (يقول تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا } أي: لا يطمعون بلقاء
 الله، الذي هو أكبر ما طمع فيه الطامعون، واعلي ما أمله المؤمنون)3.
 قال الشيخ سفر الحوالي: (فالذين يريدون وجهه في قوله تعالى: "ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ
 اللَّهِ" الروم: 38" أي: يحبونه ويطلبونه، فهو مرادهم وتمنأهم و غايتهم، فأعظم غاية وأعظم مراد
 وأعظم مطلوب هو وجه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ)4

وقال كذلك: (وهدفنا و غايتنا هي رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ورؤية وجه الله الكريم في الجنة -جعلنا
 الله وإياكم من أهلها- فهذه هي غاية كل مؤمن يعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" نعبدك وحدك يا
 رب، نريد وجهك، ونريد أن تجعلنا من أهل الجنة، وأن تمتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم، والنظر
 إلى وجهه الكريم هو الغاية التي شمر لها الصالحون والسابقون)5.

إستعمال القران اللفظ الثاني للاله بمعنى المعبود:-

المعبودات نوعان أي الأشياء المرادة لذاتها نوعان. المعبود الحق وهو الاله الحق وهو المتفرد
 بالكمال المطلق أي العلو المطلق.
 والمعبودات الباطلة التي تُسَمَّى في القراءن بالانداد وهي التي اتخذوها البشر آلهة وهي لا تستحق
 أن تعبد لانها ناقصة لذلك القضية الاساسية للانبياء والقضية الاساسية في القران ليست الألوهية
 بالمعني الاول أي ليست الاله الحق الموجود أي المتفرد بالكمال المطلق لانه واحد باتفاق العقلاء
 انما الاختلاف في المعني الثاني للألوهية وهو المعبود لان البشر جعلوا معبودات أُخري مع الله
 سبحانه وتعالى أي عبدوا معبودات اخري غير الله أي عبدوا اشياء وجعلوها آلهة مع العلم ان
 المتفرد بالكمال المطلق واحد شرعا وعقلا. مع انهم لم يختلفوا في معني الاول للاله وهو التفرد
 بالكمال المطلق ولكن عبدوا غيره بسبب الإضطراب في مفهوم الألوهية أي الإضطراب في مفهوم
 العبادة.

لذلك كل دعوات الانبياء جاءت لتحذير البشر وتنهاهم من ان يجعلوا آلهة اخري مع الله سبحانه
 وتعالى.

قال تعالى: { لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْدُومًا } (الاسراء: 22).
 قال تعالى: { وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا } (الإسراء: 39).
 قال تعالى: { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ } (المؤمنون: 117).

1 صحيح سنن النسائي، حديث رقم (1304).

2 مدارج السالكين، الجزء الثاني، ص222.

3 تفسير السعدي ص358.

4 شرح العقيدة الطحاوية، الجزء الثالث ص 5.

5 محاضرة مفرغة بعنوان الدين إتباع وليس ابتداء

قال تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} (الفرقان: 68).
قال تعالى: {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} (الشعراء: 213).
قال تعالى: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} (القصص: 88).
قال تعالى: {الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ} (ق: 26).
قال تعالى: {وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ۚ إِنَّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} (الذاريات: 51).

الفصل الثاني

الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة

الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة هو أن توحيد الربوبية هو إفراد الله سبحانه وتعالى بأفعاله وصفاته ، وتوحيد العبادة هو إفراد الله سبحانه وتعالى بأفعال العباد.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (ولكن الفرق بين الربوبية والعبودية: أن الربوبية وصف الرب وفعله، والعبودية وصف العبيد وفعلهم)1.

قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ: (فأما توحيد الربوبية: معناه: توحيد الله بأفعاله. وأفعال الله كثيرة، منها: الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وتدبير الملك، والنفع، والضر، والشفاء، والإجارة، وإجابة دعوة المضطر، وإجابة دعوة الداعي، ونحو ذلك من أفعال الربوبية، فالمتفرد بذلك علي الكمال هو الله جلا وعلا، فتوحيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله سبحانه . . . ف"توحيد" الإلهية: هو توحيد الله بأفعال العبد المتنوعة)2.

قال الشيخ ناصر بن سليمان العمر: (ذكر العلماء أن دلالة الإستقراء للنصوص تفيد أن التوحيد ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية.

توحيد الألوهية.

توحيد الأسماء والصفات.

ومن العلماء – كشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم- من جعل التوحيد قسمين:

توحيد في المعرفة والإثبات:

وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

توحيد في الطلب والقصد:

وهو توحيد الألوهية.

وتوضيح هذه الأقسام:

توحيد الربوبية:

وهو إفراد الله بالخلق، والملك، والتدبير، وهو توحيد الله بأفعاله.....

توحيد الألوهية:

وهو إفراد الله بالعبادة)3.

أفعال الله:-

أفعال الله هي الخلق والتدبير.

قال تعالى: { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ } (الأعراف:54). وحقيقة توحيد فيه هي عدم مشاركته فيها. قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (قوله: "نؤمن بان له ملك السموات والأرض" خلقا وتدبيراً فهو الخالق وهو المدبر)4.

وقال كذلك: (قد قسم العلماء رحمهم الله التوحيد إلي ثلاثة أقسام:

أحدهما: توحيد الربوبية:

وهو "إفراد الله سبحانه وتعالى في ثلاثة أمور؛ في الخلق والملك والتدبير".

1 القواعد الحسان في تفسير القرآن ص82.

2 التمهيد في شرح كتاب التوحيد ص15.

3 التوحيد أولاً ص17.

4 كتاب شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ص70 فصل "الإيمان بان الله مالك الخلق والتدبير".

دليل ذلك قوله تعالى: { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ } "الأعراف:54" ووجه الدلالة من الآية: انه قدم فيها الخبر الذي حقه التأخير، والقاعدة البلاغية: أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر. ثم تأمل افتتاح هذه الآية ب(ألا) الدالة علي التنبيه والتوكيد: { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ } "الأعراف:54"، لا لغيره؛ فالخلق هذا هو، والأمر هو التدبير. أما الملك؛ فدليله مثل قوله تعالى: { وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } "الجاثية: 27"؛ فان هذا يدل علي انفراده سبحانه وتعالى بالملك، ووجه الدلالة من هذه الآية كما سبق تقديم ما حقه التأخير. إذا؛ فالرب عز وجل منفرد بالخلق والملك والتدبير(1).

قال الدكتور محمود الرضواني: (معني الربوبية في القرآن والسنة يقوم علي معنيين جامعيين: تدل الأصول القراء نبي والنبوية علي ان معني الربوبية يقوم علي ركنيين أساسيين أو معنيين جامعيين: المعني الأول:

إفراد الله بالخلق والتقدير، وإنشاء الشيء من العدم، ومن ثم إفراده بلوازم ذلك من الصفات الإلهية كالعلم والمشئنة والقدرة.
المعني الثاني:

إفراد الله بتدبير أمر المخلوقات والعناية بهم، وتقدير أحوالهم، والقيام علي شؤونهم، واللفظ بهم، والهداية إلي ما يصلحهم، والفصل والقضاء والحكم بينهم(2).

التدبير الرباني نوعان:-

التدبير الرباني للخلق نوعان:

تدبير كوني قدري هو الخلق:-

وهذا النوع لا يمكن رده ولا يتخلف وقوعه وهو لكل المخلوقات.

تدبير شرعي ديني هو الامر:-

وهذا النوع يمكن رده ويمكن أن يتخلف وقوعه لانه وهو العبادة.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (كثيرا ما يقرن بين الخلق والامر، كما في هذه الآية وكما في قوله: "الا له الخلق والامر" وفي قوله: "الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن" وذلك انه الخالق الأمر الناهي، فكما انه لا خالق سواه، فليس علي الزام ولا امر ولا نهى الا من خالقهم، وايضا فان خلقه للخلق فيه التدبير القدري الكوني، وامره فيه الدبير الشرعي الديني(3).

قال الدكتور محمود الرضواني: (من اللوازم المترتبة علي إفراد الله بالأمر والتدبير إفراده بنوعين من التدبير في خلقه:

الأول:

تدبير كوني به خلق جميع الموجودات، ومتمثل في مشئنة الله، وإرادته الكونية، وقضائه الكوني، ويشمل التصرف في المخلوقات، وهذا التدبير لا يمكن رده، او يتخلف وقوعه.

1 شرح العقيدة الواسطية. ص 6.
2 كتاب منة القدير(الدورة العلمية الثانية) ص237.
3 تفسير السعدي ص502.

أما النوع الثاني من التدبير:

فهو تدبير شرعي ديني يخص الإنس وسائر المكلفين، وموضوع لصالحهم، ومتعلق بمشيتهم، يمكن أن يرد وان يتخلف وقوعه، ويلزمهم فيه أفراد الله عز وجل بالعبودية، والعمل بالشرعية الإسلامية، علي اعتبار إنهم ممتحنون مبتلون أمناء في ارض الله عز وجل مستخلفون فيها(1).

حقيقة الامر هو العبادة:-

قال تعالى: { إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } (يوسف: 40).
قال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } (الأعراف: 59).

قال تعالى: { وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } (الأعراف: 65).
قال تعالى: { وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } (الأعراف: 73).
قال تعالى: { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } (الأعراف: 85).
قال تعالى: { وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } (هود: 50).
قال تعالى: { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } (84 هود).
قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } (الأنبياء: 25).

قال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } (المؤمنون: 23).

حقيقة التدبير الشرعي الديني هو عبادة الله سبحانه وتعالى وحده. فالذي يعتقد ان الله متفرد بالكمال المطلق أي متفرد بالخلق والتدبير ولكن لا يعمل بهذا الاعتقاد أي لا يعبد الله وحده فهذا التصور للإلوهية ليس معه ايمان لان الايمان عند اهل السنة والجماعة قائم علي العمل أي يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

الكمال المطلق .. الخلق والتدبير .. النفع والضر:-

الصفة المميزة للإله الحق هي التفرد التام بالكمال المطلق أي التفرد التام بالكمال الذي ليس معه أي نقص أو عجز أو عيب أو ذم بأي وجه من الوجوه. ولكن هناك صفة اخص من الصفة السابقة وأكثر انضباطا منها وهي التفرد بالخلق و الأمر أي بالخلق والتدبير، والخلق هو بالتدبير الكوني القدري والأمر هو التدبير الشرعي الديني عندما يقرن التدبير بالخلق يراد به التدبير الشرعي الديني. قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (كثيرا ما يقرن بين الخلق والامر، كما في هذه الآية وكما في قوله: "إلا له الخلق والامر" وفي قوله: "الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ينتزل الامر بينهن" وذلك انه الخالق الأمر الناهي، فكما انه لا خالق سواه، فليس علي الزام ولا امر ولا نهى الا من خالقهم، وأيضا فان خلقه للخلق فيه التدبير القدري الكوني، وأمره فيه الدبير الشرعي الديني(2).

قال الدكتور محمد بن عبد الله القرني: (المقصود بوحداية الله تعالى اثبات انه واحد لا شريك له، وهذا يستلزم ان يكون هو المتفرد بالخلق والملك والتدبير لجميع المخلوقات، وهذا اخص من عموم

1 كتاب منة القدير(الدورة العلمية الثانية) ص245.

2 تفسير السعدي ص502.

إثبات الكمال المطلق له سبحانه، الذي هو احديته تعالى في أسمائه وصفاته وافعاله، بمعنى تفرد بالكمال المطلق في ذلك، فالاحدية علي هذا اعم من الوحدانية(1).
قال الدكتور عبد الرحيم بن صمايل السلمي: (وقد سبق أن بينا أن المتصف بالربوبية المطلقة في الملك والخلق والتدبير هو الذي يصح أن يكون إلهاً، أما من لا يملك شيئاً من خصائص الربوبية فلا يصلح ان يكون إلهاً)2. لا يكون الإله الهاً حتي يكون رباً أي حتي يتفرد بالخلق والتدبير.
قال الدكتور صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ: (وقد قال الشيخ رحمه الله تعالى اعني المصنف الإمام محمد بن عبد الوهاب في بعض رسائله قال: ان لفظ الرب والإله تدخل في الألفاظ التي تختلف معانيها مع الجمع والتفريق يعني: اذا اجتمعت تفرقت وإذا تفرقت اجتمعت . . . ولا شك ان لفظ الإله ولفظ الرب بينهما اختلاط من جهة اللغة وأيضاً بينهما تلازم، فان الإله لا يصير ألهاً حقا حتى يكون ربا، والرب يكون ربا ويلزم للربوبية به انه يستحق العبادة، لهذا كان توحيد الإلهية متضمنا لتوحيد الربوبية، وصار توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلهية)3.
والصفة الاخص من الخلق والتدبير هي ملك النفع والضر فأخص خصائص الألوهية النفع والضر. والعلاقة بين هذه الاوصاف الثلاثة هو بقدر كمال المراد تكون كمال الارادة وبقدر كمال الارادة تكون كمال الحياة أي الحياة الكاملة وهي التدبير الشرعي الديني للخلق أي التدبير الكامل للخلق والحياة الكاملة هي النفع والخير الأسمي بقدر التعلق بالإله الحق المتفرد بالكمال المطلق يكون النفع أي الحياة الكاملة وبقدر عدم التعلق بالاله الحق المتفرد بالكمال المطلق أي التعلق بغيره يكون الضر.

الرب والإله والمعبود:-

الرب والإله والمعبود هي المفاهيم الأساسية في الفكر الإسلامي والتفريق بينهما من أعظم ما يعين علي الفهم السليم في هذا الفكر. فالرب هو المتفرد بالكمال المطلق ودائماً ما يذكر أنه المتفرد بالخلق والأمر أي المتفرد بالتدبير، فالخلق هو التدبير الكوني القدري والأمر هو التدبير الشرعي الديني. أما المعبود هو المحبوب المراد لذاته أما لفظ الإله له استعمالين الأول هو التفرد بالكمال المطلق والثاني المحبوب المراد لذاته عندما يقرب بالمعبود يكون المعني المراد هو المتفرد بالكمال المطلق لأن المعبود هو المراد لذاته وعندما يقرب بالرب يكون معني الإله هو المحبوب المراد لذاته لأن الرب هو المتفرد بالكمال المطلق. يكون الإله الهاً حتي يكون رباً أي حتي يتفرد بالخلق والتدبير.

أفعال المخلوقات:-

أفعال المخلوقات هي عبادة الله سبحانه وتعالى.

العبادة نوعان:-

عبادة الله نوعان: عبادة كونية قدرية اضطرارية وعبادة شرعية دينية.

عبادة كونية:-

عبادة كونية قدرية اضطرارية هذه عبادة المخلوقات لله سبحانه وتعالى.

1 المعرفة في الاسلام مصادرهما ومجالاتها ص 521.

2 حقيقة التوحيد بين اهل السنة والمتكلمين ص 386.

3 شرح مسائل الجاهلية ص 172.

قال تعالى: { وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُ } (الإسراء: 44).
 وقال تعالى: { وَلِلَّهِ يُسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا } (الرعد: 15).
 قال تعالى: { وَلِلَّهِ يُسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ }
 (النحل: 49).

قال تعالى: { وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ } (الرحمن: 6).
 وعبادة شرعية دينية اختيارية خاصة بالانسان والجن.
 قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (العبادة نوعان: عامة وهي عبادة كونية، وخاصة وهي عبادة شرعية. فمن خضع لله شرعا فهو عابد شرعا وكذلك كوننا، ومن تكبر عن عبادة الله شرعا فهو عابد كوننا وليس عابد شرعا)1.

قال الدكتور محمد بن عبد الله القرني: (كما أن الله على عباده عبودية اختيارية هي مقتضى استحقاق الله للألوهية قد يلتزمون بها وقد لا يلتزمون. فإن الله على عباده أيضاً عبودية جبرية قهرية لا ينفك عنها مخلوق مكلف أو غير مكلف. وهذه العبودية الجبرية هي مقتضى ربوبية الله على عباده وملكه وتصريفه وتدبيره لهم ولا يستطيع مخلوق الخروج عن هذه العبودية كما قال تعالى: { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ } (الرحمن: 33).

و الإيمان بهذه العبودية هو مقتضى الإيمان بالقدر، وكون علم الله محيط بجميع مخلوقاته أزلاً وأبدًا، وأنه لا يكون شيء في الكون إلا بإرادته وقدرته)2.

عبادة البشر:-

عبادة البشر عبادة إختيارية.

حتى يكون الانسان عبداً لله يجب أن تكون كل حركة يتحركها الإنسان اي كل فعل او عمل يقوم به الإنسان بقلبه او جوارحه أي حياته كلها لله أي يبتغي بها وجه الله.

قال تعالى: { قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } (الأنعام : 162-163). يوجد تلازم بين أن تكون الصلاة والنسك والحياة والممات لله وبين إنتقاء الشريك له لانهم القرينان. والقرينان متلازمان هذا يعني إذا لم تكن واحدة من هذه الأشياء الاربعة لله يكون هناك شريك لله. لكن الأصل في هذه الأشياء الأربعة هو الحياة لأن عطف الحياة علي النسك و الصلاة هو من باب عطف العام علي الخاص يفيد التعميم. أما الممات فهو لله بالإضطرار. السؤال متي تكون الحياة لله؟

حتى تكون الحياة الانسان كلها لله يجب أن تكون إرادة الإنسان متعلقة بالله أي بقاء الله والنظر إلي وجهه الكريم فيكون لقاء الله والنظر إلي وجهه الكريم هو همه وغايته أي المحرك له لان الإرادة والحياة متلازمان فلا يوجد حي بلا إرادة ولا تكون الإرادة إلا مع حي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والنفس بطبعها متحولة؛ فإنها حية، والإرادة والحركة الإرادية من لوازم الحياة. ولهذا قال النبي p في الحديث الصحيح: "صدق الاسماء: حارث، وهمام"، فكل آدمي حارث وهمام، أي عامل كاسب، وهو همام، أي يهيم ويريد. فهو متحرك بالإرادة)3.

1 تفسير ابن عثيمين، المجلد الثاني عشر، ص 512.

2 ضوابط التكفير ص 38.

3 الحسنة والسيئة ص 77.

وقال أيضاً: (الإرادة والحركة الإرادية من لوازم الحياة)1. وقال كذلك: (فكل حي له شعور وإرادة وعمل إختياري بقدرته، وكل ما له علم وإرادة وعمل إختياري فهو حي)2. قال الدكتور محمد عبد القرني: (وإذا ثبت إتصاف الله تعالى بالقدرة والإرادة والعلم فإن هذه الصفات مشروطة بالحياة. إذ لا يعقل أن يتصف بها إلا من هو حي)3. فحتي تكون الحياة كلها لله أي تكون أفعال العبد كلها لله هذا يستلزم ويتطلب أن تكون إرادته كلها لله أي ان يتعلق بالله، لان الإرادة أصل والأعمال والأفعال فرع لها وهذا هو الذي يسمى بتوحيد الإرادة أي توحيد العبادة.

الإرادة أصل والأعمال فرع:-

قال تعالى: { وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ } (التوبة:46). عن الحسن قال: خرجت بسلاحي ليالي الفتنة فأستقبلني أبو بكر فقال: أين تريد؟ قلت: أريد نصرة ابن عم رسول الله قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا تواجه المسلمان بسيفهما، فكلهما من أهل النار) قيل: فهذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: (إنه أراد قتل صاحبه)4. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (واصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة، فهو أصل كل فعل ومبدوه)5.

وقال أيضاً: (فإن الفعل الإختياري يتبع الإرادة)6. قال الإمام ابن القيم: (فإذا عرف إن كل حركة فاصلها الحب والإرادة)7. قال الشيخ سفر بن عبدالرحمن الحوالي: (وكل إنسان لا يخلو من الحرث والهم، أي العمل والإرادة، فالتسمية بحارث وهمام وصف للطبيعة البشرية على ما هي عليه دون اقتضاء مدح أو ذم للمسمى، ولهذا كانا اصدق الأسماء. ويدهى أن العمل اثر النية والإرادة)8. وقال في موضع آخر: (في قوله ﷺ: "إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهى القلب" 9. فهذا مع دلالاته على الارتباط العضوي بين الإرادة والعمل- يؤكد مهمة الدين التي هي إصلاح الأصل ليصلح الفرع والأثر)10. الغايات أي الأشياء المرادة لذاتها اذا كانت حسنة ام سيئة فهي أصل للعمل أي تقود للأعمال.

العلم أصل الإرادة:-

والعلم أصل الإرادة وأساسها. قال تعالى: { فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلُغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ } (النجم:29-30).

-
- 1 الحسنة والسيئة ص 77.
 - 2 مجموع الفتاوي، المجلد العاشر ص109.
 - 3 المعرفة في الإسلام ص539.
 - 4 صحيح البخاري حديث رقم (7083).
 - 5 قاعدة في المحبة ص65.
 - 6 المصدر السابق ص 285.
 - 7 إغائة اللهفان الجزء الثاني ص 376.
 - 8 ظاهرة الإرجاء فى الفكر الإسلامى ص 75.
 - 9 صحيح البخاري حديث رقم (52)/ صحيح مسلم حديث رقم (1599).
 - 10 ظاهرة الإرجاء فى الفكر الإسلامى ص76.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (بالجملة فكل ما يريده الإنسان ويحبه لا بد أن يتصوره في نفسه، فتلك الصورة العلمية محرّكة له إلي محبوبه)1.

وقال كذلك: (والإرادة مستلزمه لتصور المراد والعلم به)2.

وقال في موضع آخر: (العلم أصل العمل وأصل الإرادة والمحبة)3.

وقال أيضاً: (والإرادة تتبع المراد، فلا بد أن يتصور الفاعل المراد قبل قصد الفعل الذي هو سبب إليه)4.

قال الإمام بن القيم الجوزية: (فإن النفس متحركة بالإرادة. وحركتها الإرادية لها من لوازم ذاتها، والإرادة تستلزم مراداً يكون متصوراً لها، متميزاً عندها، فإن لم تتصور الحق وتطلبه وتريده تصورت الباطل وطلبته، وأرادته)5.

وقال أيضاً: (ولما كان العلم إمام الإرادة، ومقدماً عليها، ومفصلاً لها، ومرشداً لها)6.

قال الدكتور محمد عبدالله القرني: (عماد الفطرة التي خلق الله الناس عليها يجدها الإنسان من نفسه بالضرورة، تتعلق أحدهما بالعلم والتصور، وتتعلق الأخرى بالعزم والإرادة. أما قوة الإرادة فإنها متضمنة للعلم بالمراد، إذ لا يمكن تحقق الإرادة إلا مع العلم بالمراد، ويستحيل أن تكون الإرادة لغير مراد معلوم)7.

العلم نوعان: علم كامل وعلم ناقص:-

التصور (العلم) للوجود نوعان تصور كامل وتصورات ناقصة، التصور الناقص هو العلم بظاهر الحياة الدنيا فقط والعلم الكامل هو العلم بالدنيا والآخرة.

قال تعالى: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} (البقرة:120).

قال تعالى: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} (البقرة:145).

قال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} (آل عمران:19).

قال تعالى: {يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا} (مريم:43).

قال تعالى: {فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} (الجاثية:17).

قال تعالى: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ} (الرعد:37).

العلم هنا هو العلم الكامل لأن معرف بالآلاف واللام التي تفيد الاستغراق والكمال.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (والكمال في عدم الهوى وفي العلم هو لخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: "وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنَّ

1 مجموع الفتاوي المجلد العاشر ص592.

2 مجموعة الفتاوى، الجزء السابع ص 354.

3 مجموع الفتاوي المجلد الخامس عشر ص240.

4 قاعدة في المحبة ص 285.

5 إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ص 19.

6 مفتاح دار السعادة، المجلد الأول، ص216.

7 المعرفة في الإسلام مصادرهما ومجالاتها ص210.

هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ " فنفى عنه الضلال والغي ووصفه بأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فنفى الهوى وأثبت العلم الكامل وهو الوحي فهذا كمال العلم وذلك كمال القصد¹.
قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (العلم حقيقة هو علم الشريعة؛ لقوله تعالى: "من بعد ما جاءك من العلم": اتي: ب "أل" المفيد للكمال؛ ولا شك أن العلم الكامل الذي هو محل الحمد و الثنا هو العلم بالشرعية)².

اما العلم الناقص هو العلم بظاهر الحياة الدنيا.
قال تعالى: { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ } (الروم: 6-7).
قال تعالى: { فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ } (النجم: 29-30).
ولكنه علم غافل علي الدار الآخرة لذلك هو علم ناقص والعلم بالآخرة هو الذي يوضح حقيقة الحياة الدنيا.

حقيقة العلم الكامل هو العلم بالله:-

إذا كان علم بالدنيا دون الآخرة هو العلم الناقص فإن العلم بالآخرة هو العلم الكامل وأصل هذا العلم هو العلم بالله. قال تعالى: { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (البقرة: 196).
قال تعالى: { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (البقرة: 231).
قال تعالى: { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (البقرة: 233).
قال تعالى: { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } (البقرة: 235)

قال تعالى: { فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (البقرة: 209).
قال تعالى: { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (البقرة: 244).
قال تعالى: { أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (البقرة: 259).
قال تعالى: { وَاعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (البقرة: 260).
قال تعالى: { اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (المائدة: 98).
قال تعالى: { فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (المائدة: 34 – 36).

العلم الكامل وإتباع الهوى نقيضان:-

من جانب آخر هو أتباع الهوى والعلم الكامل ضدان.
قال تعالى: { وَلَئِن اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } (البقرة: 120).

قال تعالى: { وَلَئِن اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ } (البقرة: 145).
قال تعالى: { وَلَئِن اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ } (الرعد: 37). العلم بالله غيب ولقاء الله في الدار الآخرة وهي غيب لا سبيل إليهما إلا الإيمان بهما.

العلم بالله هو الإيمان بالله:-

قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ } (البقرة: 8).

1 مجموع الفتاوي المجلد العاشر ص (545).
2 تفسير ابن عثيمين، المجلد الاول، ص406.

قال تعالى: { مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ } (البقرة: 62).

قال تعالى: { وَارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } (البقرة: 126).

قال تعالى: { وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ } (البقرة: 177).

قال تعالى: { إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } (البقرة: 228).

قال تعالى: { ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } (البقرة: 232).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } (البقرة: 264).

قال تعالى: { يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ } (آل عمران: 114).

قال تعالى: { وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ } (النساء: 38 – 39).

قد يقول قائل في الآيات ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر ولكن انتم ذكرتكم الإيمان بالله فقط أليس هذا للنص؟ الاجابة وفق قاعدة الحكم المستقل والحكم التابع الإيمان بالله إيمان مستقل أما الإيمان باليوم الآخر تابع.

أصل الإيمان بالله العمل الصالح:-

الأصل في الإيمان العمل الصالح والدليل عطف العمل علي الإيمان في الآيات الآتية وهو من باب عطف الخاص علي العام يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام. قال تعالى: { وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } (البقرة: ٢٥).

قال تعالى: { مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ } (البقرة: ٦٢).

قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ } (البقرة: 82).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ } (البقرة: 277).

قال تعالى: { وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ } (آل عمران: 57).

قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } (النساء: 57).

قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } (النساء: 122).

قال تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ } (النساء: 173). وغيرها من الآيات.

العمل الصالح والإشراك بالله نقيضان:-

العمل الصالح و الإشراك بالله نقيضان.

قال تعالى: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } (الكهف: 110).

العلم والعمل في الإسلام:-

قد يقول قائل العلم الكامل نقيض الهوي، والعمل الصالح نقيض الشرك، والهوي هو الشرك أليس هذا تناقض؟ العلم الكامل في الإسلام هو العمل الصالح. عن زياد بن ليبيد؛ قال: ذكر النبي ﷺ شيئاً، فقال: "ذاك عند أوان ذهاب العلم" قلت: يا رسول الله! وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلي يوم القيامة؟ قال: "تكلتك أمك، زياد! إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أو ليست اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل، ولا يعملون بشي مما فيهما" 1. فوجود العمل الصالح هو وجود العلم الكامل أي وجود الإيمان لأن الإيمان هو العلم الكامل.

حد الإيمان عند أهل السنة والجماعة وقضية العمل:-

حد الإيمان عند أهل السنة والجماعة وقول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والإجماع منعقد علي ذلك عند أهل السنة.

قال الشافعي رحمه الله في كتاب "الأم" في كتاب نية في الصلاة: (وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم، ومن ادركناهم، يقولون: إن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزي واحد من الثلاثة إلا بالأخر) 2.

وحكي ابن عبد البر في "التمهيد" الإجماع علي حد الإيمان عند أهل السنة فقال: (اجمع أهل الفقه والحديث علي أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه؛ فإنهم ذهبوا إلي أن الطاعات لا تسمى إيمانا، قالوا: إنما الإيمان التصديق والإقرار) 3. والعمل من حقيقة الإيمان. عن معاذ بن رفاعة عن أبيه قال: قام ابوبكر الصديق علي المنبر ثم بكى فقال: قام فينا رسول الله ﷺ عام أول علي المنبر ثم بكى: (أسألوا الله العفو والعافية؛ فإن أحدا لم يعطي بعد - اليقين - خيرا من العافية) 4. فالعافية غاية في الدنيا والبرزخ والآخرة واليقين وسيلة لكل تلك الغايات.

التلازم بين الظاهر والباطن:-

عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول ﷺ يقول: (وان في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب) 5. عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تعرض الفتن علي القلوب كالحصير عودا عودا، فأني قلب اشربها نكت فيه نكتة سودا، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير قلبين: علي ابيض مثل الصفاء، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والأخر اسود مرابادا، كالكوز مجخيا، لا يعرف معروف، ولا ينكر منكرا، إلا ما اشرب من هواه) 6.

مسألة جنس العمل:-

صورة هذه المسألة هو أن ترك جنس عمل الجوارح بالكلية دليل علي انتفاء الإيمان جملة وهي فرع من قاعدة التلازم الظاهر والباطن عند أهل السنة والجماعة لأن الإيمان يزيد وينقص بالطاعة وينقص بالمعصية.

1 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3288).

2 كتاب الأم للشافعي، نقلا من مجموع الفتاوي لأبن تيمية المجلد السابع ص308.

3 كتاب التمهيد، المجلد التاسع، ص238.

4 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (3558).

5 صحيح البخاري، حديث رقم (52)/صحيح مسلم، حديث رقم (1599).

6 صحيح مسلم، حديث رقم (644).

قال الشيخ عبد العزيز الريمس: (صورة مساءلة "جنس العمل". أن ينطق الرجل بالشهادتين، ويجلس دهره لا يفعل ولا يعمل شيئاً من أعمال الجوارح وأهل السنة يذكرون هذه المسألة تفريراً عن مساءلة تلازم الظاهر والباطن في الإيمان، إذ أن الإيمان الباطن يلزم منه الإيمان الظاهر؛ لأنهما متلازمان مرتبطان لا ينفكان كما قرر ذلك أهل السنة)1.

الفرق بين جنس العمل وآحاد العمل:-

قال الشيخ سفر بن عبدالرحمن الحوالي: (ان ترك جنس العمل شي وترك بعض آحاده شي آخر)2. قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ: (ينبغي أن يعلم أن قولنا: العمل داخل في مسمى الإيمان وركن فيه لا يقوم الإيمان إلا به نعني به جنس العمل، وليس أفراد العمل؛ لأن المؤمن قد يترك أعمالاً كثيرة صالحة مفروضة عليه ويبقى مومناً، ولكنه لا يسمى مومناً ولا يصح منه إيمان إذا ترك كل العمل، يعني: إذا أتى بالشهادتين وقال: أقول ذلك وأعتقده بقلبي وأترك كل الأعمال بعد ذلك وأكون مومناً فهذا ليس بمومناً؛ لأن ترك العمل مسقط لأصل الإيمان، يعني: ترك جنس العمل مسقط للإيمان، فلا يوجد مؤمن عند أهل السنة والجماعة يصح إيمانه إلا ولا بد أن يكون معه مع الشهادتين جنس العمل الصالح)3.

حكم ترك جنس عمل:-

تارك جنس العمل كافر بإجماع المسلمين. قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي: (كتب أخونا أحمد بن عبدالعزيز العتيق مقالا تحت عنوان "تنبيه الغافلين إلي إجماع المسلمين علي أن ترك جنس العمل كفر في الدين". فشرعت في قراءته إلي أن وصلت إلي الصفحة الخامسة فإذا فيها: "الفصل الثالث: ترك جنس العمل كفر أكبر: المبحث الأول: صورة المسألة هي في رجل نطق الشهادتين ثم بقي دهرًا لم يعمل خيراً مطلقاً لا بلسانه ولا بجوارحه ولم يعد إلي النطق بالشهادتين مطلقاً مع وزال المانع". فقلت: إن كان المراد بجنس العمل هذه الصورة فإني لا أتردد ولا يتردد مسلم في تكفير من هذا حاله وأنه منافق زنديق إذ لا يفعل هذا من عنده أدني حد للإيمان)4.

قال الشيخ محمد بن سعيد رسلان: (ولا يتصور عند أهل السنة أن ينطق الرجل بالشهادتين، ثم يبقي دهره كله لا يعمل خيراً مطلقاً! لا بلسانه، ولا بجوارحه، ولا يعود إلي النطق بالشهادتين مطلقاً مع زوال المانع. يرون أن هذه صورة نظرية لا عملية، ولا يتصور وقوع مثلها من المسلم. والشرائع لم تبين علي الصور النادرة، كما قال العلامة ابن القيم. ومع ذلك فهم يقولون: لو وقع هذا فلا يتردد مسلم في تكفير صاحب تلك الصورة إن وجد، ولا يترددون في الحكم عليه بأنه منافق زنديق؛ إذ لا يفعل هذا من عنده أدني حد من الإيمان)5.

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: (إن العمل عند أهل السنة والجماعة داخل في مسمى الإيمان؛ يعني: أن الإيمان يقع علي أشياء مجتمعة، ولذلك من ترك جنس العمل فهو كافر؛ لأنه لا يصح إسلام ولا إيمان إلا بالإتيان بالعمل)6.

1 كتاب تطهير الإرجاء ص 31 -32.

2 ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ص 449.

3 شرح الأربعين النووية ص 527.

4 مقال بعنوان: "كلمة حق حول جنس العمل" موقع الشيخ ربيع المدخلي في الشبكة العنكبوتية.

5 حقيقة الحكم بما أنزل الله ص 60.

6 شرح العقيدة الطحاوية الجزء الثاني ص 1021.

قال الشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي: (بهذا يتبين لطالب الحق إن ترك الأركان الأربعة وسائر عمل الجوارح كفرا ظاهرا وباطنا، لأنه ترك لجنس العمل الذي هو ركن الحقيقة المركبة للإيمان، التي لا وجود لها إلا به، وهذا مما لا يجوز الخلاف فيه، ومن خالف فيه فقد دخلت عليه شبهة الإرجاء شعر او لم يشعر)1.

قال الشيخ عبد العزيز الريب: (صورة مساءلة "جنس العمل". أن ينطق الرجل بالشهادتين، ويجلس دهره لا يفعل ولا يعمل شيئا من أعمال الجوارح، وقد حكي الإمام ابن تيمية - رحمه الله - والآجري وغيرهما أن من لم يعمل شيئا من أعمال الجوارح فانه يكون كافرا مرتدا. . . . ترك جنس عمل الجوارح كفر بإجماع أهل السنة والجماعة كما ذكره الشافعي، و الحميدي، والآجري، وابن تيمية)2.

أصل الإيمان وحقيقته اليقين بقاء الله أي اليقين بالآخرة:-

أصل الإيمان وحقيقته اليقين بقاء الله أي اليقين بالآخرة.
قال تعالى: { لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ } * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ { (التوبة 44- 45). في مقابل الإيمان بالله واليوم الآخر عدم الإيمان بالله واليوم الآخر وريب القلوب هذا يعني هناك تلازم بين عدم الإيمان والريب. قوله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (الحجرات:15). الصفة الأولى للمؤمنين الإيمان الذي ليس معه ريب أي وصول الإيمان مرحلة اليقين فالصفة الأولى للمؤمنين الوصول لمرحلة اليقين.

من جانب آخر الإيمان ضد الشك. قال تعالى: { وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ { (سبا:20-21). فيكون الإيمان هو اليقين.

في الحديث (واليقين الإيمان كله)3.

اليقين هو الدافع للعمل:-

اليقين هو العلم الدافع للعمل فاليقين يتركب من علم وعمل أي من علم وإرادة بقدر ضعف الإرادة يكون ضعف العلم نقصانه أي يكون الشك.

قال تعالى: { رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ } (السجدة:12).

فوجود اليقين بآيات الله ووعده يقود إلي الصبر مع العلم أن الصبر هو الإرادة الكاملة.

قال تعالى: { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } (السجدة:24).

قال تعالى: { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفِّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ } (الروم:60).

قال تعالى: { أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (الزمر:9).

عن مسروق قالت عائشة: صنع النبي ﷺ شيئا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال: (فوالله اني لاعلمكم بالله واشدهم له خشية)1.

1 ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ص 449.

2 كتاب تطهير الإرجاء ص 31 ، وص 35.

3 صحيح الترغيب والترهيب، المجلد الثالث، ص 327.

عن ابي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: (والله لو تعلمون ما اعلم، لضحكتم قليلا، وبكىتم كثيرا، ولما تلذذتم بالنساء علي الفرش، ولخرجتم الي الصعدات تجارون الي الله)2. قال الإمام القُرطبي: (واليقين: هو العلم دون الشك)3. قال الإمام ابن القيم الجوزية: (واليقين هو كمال العلم وغايته)4. قال العلامة عبد الرحمن السعدي: ("اليقين": هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل)5.

وقال كذلك: ("وهم بالآخرة هم يوقنون " أي: قد بلغ معهم الإيمان إلي أن وصل إلي درجة اليقين، وهو العلم التام، الواصل الي القلب، الداعي إلي العمل. ويقينهم بالآخرة، يقتضي كمال سعيهم لها)6. قال ايضاً: (تم وصف المحسنين بالعلم التام، وهو اليقين الموجب للعمل)7.

اليقين هو تعلق القلب التام بما عند الله:-

عن ابن عمر قال: قلما كان رسول الله يقوم من مجلس حتي يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه: (اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبليغنا به جنتك. ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا)8. مع العلم أنه علي العبد عند المصيبة بل عن الصدمة الأولى عليه أن يقول. قال تعالى: {وَلَنْبَلُوَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالنَّمَرَاتِ* وَيَسَّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (البقرة: 155)}. عن ثابت البناني حدثني عمر بن أبي سلمة عن أمه أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله: (من أصابه مصيبة فليقل: إن لله وإنا إليه راجعون، اللهم أحتسب مصيبي، فأجرني فيها وأبدلني خيراً منها)10. أي أنه متعلق بما عند الله لذلك يسأل الله أن يبدله أفضل من مصيبتة وهذا الذي يقود إلي الصبر.

اليقين والصبر:-

الصبر واليقين من الالفاظ التي إذا اجتمعت أفترقت وإذا افترقت اجتمعت إذا افترقت. بمعنى إذا اجتمعت كان الصبر بمعنى الإرادة الكاملة التي لا تردد فيها أي التعلق بالله وكان اليقين هو العلم الكامل الذي لا شك فيه أي العلم بالله وهو المنشي للإرادة الكاملة أي للعمل. قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} (السجدة:24). قال تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لِآ يُوقِنُونَ} (الروم:60). وإذا افترقا تضمن كل واحد منهما المعنيين.

قال تعالى: {وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النحل: 96). الصبر ضد الغفلة. قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ

-
- 1 صحيح البخاري، حديث رقم (6101)/صحيح مسلم، حديث رقم (2356).
 - 2 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2312)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3397).
 - 3 تفسير القرطبي، المجلد الأول ص144.
 - 4 مفتاح دار السعادة الجزء الاول ص 300.
 - 5 تفسير السعدي ص 41.
 - 6 المصدر السابق ص 601.
 - 7 المصدر السابق ص 646.
 - 8 الحرف من في هذا الحديث للجنس وليس للبعض.
 - 9 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2783).
 - 10 مستدرک الحاكم، كتاب النكاح حديث رقم (2734). قال الحاكم صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه وافقه الذهبي.

عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا { (الكهف: 28).

الصبر والعزيمة:-

الصبر هو عزم الأمور.

قال تعالى: { وَإِن تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } (آل عمران: 186).

قال تعالى: { وَأَمَّن صَبْرًا وَعَفْرًا إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } (الشوري: 43).

قال تعالى: { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ } (الأحقاف: 35).

قال تعالى: { وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } (لقمان: 17).

الشكر صفة كاشفة للصبر:-

الشكر في الآيات الآتية صفة مبينة كاشفة لحقيقة الصبر.

قال تعالى: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } (ابراهيم: 5).

قال تعالى: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } (لقمان: 31).

قال تعالى: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } (سبا: 19).

قال تعالى: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } (الشوري: 33).

اليقين بما عند الله والزهد في الدنيا متلازمان:-

اليقين بالآخرة أي بقاء الله والزهد في الدنيا متلازمان لأنه لا يتحقق اليقين بقاء الله أي بالدار الآخرة إلا بالزهد في الدنيا أي هناك تلازم بين الزهد في الدنيا ومحبة الله التامة، بقدر الزهد في الدنيا تكون محبة الله أي اليقين بما عند الله. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: "خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: (أن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله). فبكي ابوبكر، فعجبنا لبكائه ان يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان ابوبكر أعلمنا 1.. وعن أبي سعيد؛ أن رسول الله ﷺ جلس علي المنبر فقال: (عبد خيره الله بين ان يوتي زهرة الدنيا وبين ما عنده. فاختار العبد ما عنده). فبكي ابوبكر. وبكي. فقال: فديناك بأبائنا وأمهاتنا قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخير. وكان ابوبكر أعلمنا به 2. فالرسول ﷺ إختار ما عند الله وإتخذ الله خليلا فلا يتحقق اليقين إلا بالزهد التام في الدنيا³.

عن زيد بن يثيع عن علي قال: قيل يا رسول الله، من يؤمر بعدك؟ قال: (أن تؤمروا أبا بكر تجدوه امينا، زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة) 4. (نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخرها بالبخل وطول الأمل) 5.

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : (صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل وطول الأمل) 6.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولا يحصل الإخلاص إلا بعد الزهد) 7.

1 صحيح البخاري، حديث رقم (3654).

2 صحيح مسلم، حديث رقم (2382).

3 لا تتحقق الخلقة إلا بالزهد التام في الحياة الدنيا ولا يتحقق اليقين إلا بالزهد التام هذا يعني أن اليقين هو محبة الله والتعلق به.

4 مسند احمد بن حنبل 1/ 109 حديث رقم (859). إسناده صحيح.

5 صححه الألباني، صحيح الجامع الصغير حديث رقم (6746).

6 السلسلة الصحيحة حديث رقم (3427).

7 مجموعة الفتاوى، الجزء الاول ص 86.

وقال الإمام ابن قدامة المقدسي: (فإنما محبة الدنيا ومحبة الله تعالى، فهما في القلب كالماء والهواء في القدر، إذا دخل الماء خرج الهواء، فلا يجتمعان)1.

وقال الإمام بن القيم: (لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا)2.
وقال كذلك: (وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تناقله عن طاعة الله وطلب الآخرة)3.

فاذا ادعى انسان انه متيقن بقاء الله وهو غير زاهد في الدنيا فهذا كذب لان الصدقة برهان على الايمان واليقين (الصدقة برهان)4.
واليقين هو العلم التام الذي لا شك فيه أي العلم بقاء الله.

اليقين والغفلة ضدان:-

اليقين والغفلة أو الغفلة عن الآخرة ضدان. عن ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (ادعوا الله، وانتم موقنون بالاجابة، واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه)5.

قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } (الكهف: 28). غفلة القلب عن ذكر الله هي اتباع الهوي النفس.

قال تعالى: {وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } (البقرة: 120). واتباع الهوي ضد العلم الكامل وهو العلم الذي أتى به الوحي هذا يعني أن غفلة القلب والعلم الكامل "اليقين" ضدان.

الغفلة عن الآخرة هي العلم الناقص أي نسيان الله:-

قال تعالى: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ } (الروم: 6-7).

قال تعالى: {فَاعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ } (النجم: 29-30). قال تعالى: {فَالْيَوْمَ نُنَسَاكُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا } (الأعراف: 51).
قال تعالى: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ } (التوبة: 67).

قال تعالى: {وَقِيلَ الْيَوْمَ نُنَسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا } (الجاثية: 34).

قال تعالى: {فَذُوقُوا بِمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ } (السجدة: 14).

قال تعالى: {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ } (المجادلة: 19).

قال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ } (الحشر: 19).

الغفلة هي استحياب الحياة الدنيا:-

حقيقة الغفلة هي استحياب الحياة الدنيا.

قال تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاسْمَعَهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ^ط وَأُولَئِكَ هُمُ

1 مختصر منهاج القاصدين ص 357.

2 الفوائد ص 101.

3 الفوائد ص 104.

4 صحيح مسلم، حديث رقم (223).

5 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (3479)/صححه الالباني صحيح الجامع الصغير حديث رقم (245).

الْعَافِلُونَ} (النحل: 106 – 108). السبب الاساسي للغفلة عن الآخرة هو إستحباب الحياة الدنيا والتعلق بها.

الفصل الثالث

حقيقة شرك العبادة وجوهره تأليه الإنسان لنفسه
(إرادة العلو في الأرض).

الشرك في اللغة:-

الشرك في اللغة الشركة والمشاركة كما عند الراغب الأصفهاني قال: (الشرك: الشركة والمشاركة) 1. (الشرك والشركة، بكسرهما، وضم الثاني: بمعنى. وقد أشتركا وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر)².

الشرك في الإصطلاح:-

الشرك في الإصطلاح ينقسم إلى شرك في الربوبية وشرك في العبادة.

الشرك في الربوبية هو فساد تصور حقيقة الالهوية:-

قال تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ } (73 المائدة)
قال تعالى: { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فُتَيْرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ } (آل عمران: 181).
قال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ } (المائدة: 64).
قال تعالى: { وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ } (التوبة: 30).

الشرك في العبادة فساد الإرادة أي فساد التعلق بالله:-

قال تعالى: { فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } (النجم: 29).
قال تعالى: { مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ } (آل عمران: 152).
قال تعالى: { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } (الكهف: 28).
قال تعالى: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ } (هود: 15-16).
قال تعالى: { وَمَا أوتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ } (القصص 60).
قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا* وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ } (الأحزاب: 28-29).
شرك العبادة:-

حقيقة الشرك في العبادة أي حقيقة التنديد هو عبادة غير الله سبحانه وتعالى أي محبة غير الله سبحانه وتعالى لذاته.

قال تعالى: { مِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } (البقرة: 165). " يُحِبُّونَهُمْ" صفة كاشفة مبينة لحقيقة للأنداد أي أن الند هو المحبوب كحب الله أي أن يكون محبوب لذاته كمحبة الله هي محبته لذاته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فمن أحب مخلوقا مثل ما يحب الخالق فهو مشرك ، ويجب الفرق بين حب في الله، والحب مع الله، فالأول يكون الله هو المحبوب له بذاته، ويجب ما يحبه الرب – تعالى – تبعاً لمحبهته، فيحب رسوله وكتابه وعباده المؤمنين،.....وأما الحب مع الله تعالى فهو الذي يحب محبوباً في قلبه لذاته، لا لأجل الله تعالى كحب المشركين لأندادهم)3.
وقال أيضاً: (فمن أحب شيئاً لذاته أو عظمه لذاته غير الله فذاك شرك به) 4.

1 المفردات في غريب القرآن ص262.

2 الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص681.

3 الاستغاثة في الرد علي البكري ص 379.

4 قاعدة في المحبة ص175.

وقال في موضع آخر: (أصل الشرك في المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا إنما هو إتخاذ أنداد يحبونهم كحب الله)1.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (أن من أحب من دون الله شيئا، كما يحب الله تعالى: فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا)2.

وقال في موضع: (وبالجملة فأساس الشرك وقاعدته التي بُني عليها: التعلق بغير الله)3. وقال كذلك: (فمحببة الله عز وجل أصل المحاب المحمودة، وأصل الإيمان والتوحيد، . . . والمحببة مع الله أصل الشرك وأصل المحاب المذمومة)4.

قال الشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي: (حقيقة الشرك علي اختلاف صورته ومظاهره هي الوقوف بالإرادات عند غاية دون الله عز وجل)5.

تأليه الإنسان لنفسه:-

إن أعظم محبوب للإنسان من دون الله أي أعظم محبوبات الإنسان لذاتها من دون الله هي نفسه. قال تعالى: {مَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} (البقرة:165). الضمير المنفصل "هم" للعاقل، و"يُحِبُّونَهُمْ" صفة كاشفة مبينة لحقيقة الأنداد أي أن الند هو العاقل المحبوب كحب الله أي محبوب لذاته. فهذين الشيين لابد من توفرهما في الند أن يكون عاقل وأن يكون محبوب لذاته وهذه هي النفس لأنها هي أحب الأشياء الي الإنسان.

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ أَخَذُ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ " ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " الْآنَ يَا عُمَرُ "6.

فأحب شي للإنسان من دون الله أي أعظم معبود له من دون الله هو نفسه.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (والإنسان مجبول علي محبة نفسه)7.

قال الإمام أبي حامد الغزالي: (وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته؛ ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته)8.

قال الأستاذ محمد باقر الصدر: (خلق الإنسان مفطوراً علي حب ذاته)9.

وقال أيضاً: (حب الذات هو الغريزة التي لا نعرف غريزة أعم منها وأقدم، فكل الغرائز فروع هذه الغريزة)10.

1 مجموعة الفتاوي، المجلد العاشر ص 444.

2 مدارج السالكين، المجلد الثاني ص220.

3 مدارج السالكين، المجلد الأول ص374.

4 إغائة اللهفان من مصائد الشيطان ص380.

5 ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ص 97.

6 صحيح البخاري، حديث رقم (6632).

7 قاعدة في المحبة ص 213.

8 إحياء علوم الدين، الجزء الثالث ص255.

9 إقتصادنا ص 318.

10 فلسفتنا ص 75.

قال الدكتور حسن عبد الله الثرابي: (الإنسان بالغريزة المركوزة يحب نفسه ويشمل بعاطفته كل شي يتمثل نفسه فيه أو يري وجوده ممتداً إليه وذلك هو سبب حب الإنسان لما ينتسب إليه من أهل وملك وموطن وما يشاكله ويلائمه بأي وجه من الوجوه)1.

قال ايضاً: (جُبِلَ الإنسان ميالاً إلي من تصله بهم قرابة في النسب أو المعشر أو الموطن أو من يماثلونه في أوضاع الحياة، وهو يسعهم بحبه لذات ويعدهم أمتداداً لوجوده)2.

محبة الحياة الدنيا وعلاقتها بتأليه الإنسان لنفسه:-

لقد أوضحنا أن الصفة المميزة للاله الحق الموجود هي العلو المطلق أي الكمال المطلق بكل وجه من الوجوه وأوضحنا أن أعظم ما عبد من دون الله هي عبادة الانسان لنفسه فما هي حقيقة عبادة الانسان لنفسه؟ حقيقة عبادة الانسان لنفسه تظهر عند الحديث عن محبة الحياة الدنيا ومعرفة حقيقتها.

قال تعالى: {مَنْكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ} (آل عمران: 152).

قال تعالى: {وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ} (إبراهيم: 3 - 2).

قال تعالى: {ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ} (النحل: 107).

قال تعالى: {فَأَعْرَضَ عَنْ مَّن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} (النجم: 29).

حب الحياة الدنيا من السنة. عن انس بن مالك، قال: قال رسول الله p: (من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله، واتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق الله عليه شمله ولم ياته من الدنيا الا ما قدر له)3.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (اقتربت الساعة ولا يزداد الناس علي الدنيا الا حرصا ولا يزدادون من الله الا بعدا)4.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: (وطريق التخلص من هذه الافات كلها الاخلاص لله عزوجل).

قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} { ولا يحصل الاخلاص الا بعد الزهد)5.

قال الإمام بن القيم الجوزية: (لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا)6.

وقال كذلك: (وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تتأقله عن طاعة الله وطلب الآخرة)7.

قال كذلك: (لا تدخل محبة الله في قلب فيه حب الدنيا إلا كما يدخل الجمل في سم الإبرة)8.

قال الإمام ابن قدامه المقدسي: (فأما محبة الدنيا ومحبة الله تعالى، فهما في القلب كالماء والهواء في القدح، إذا دخل الماء خرج الهواء، فلا يجتمعان)9. قد يقول قائل لماذا ما يراد لذاته هي الحياة الدنيا؟

1 الإيمان وأثره في حياة الإنسان ص 68.

2 المصدر السابق ص 189.

3 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2005).

4 صححه الالباني صحيح الجامع الصغير حديث رقم (1146).

5 مجموع الفتاوي المجلد الأول ص 94.

6 كتاب الفوائد ص 101.

7 المصدر السابق ص 104.

8 المصدر السابق ص 106.

9 كتاب مختصر منها ج القاصدين ص 357.

نقول لان الغايات في التصور الإسلامي اثنتين لا ثالث أما لقاء الله والنظر إلي وجهه الكريم أي إرادة الدار الآخرة و إما حب الدنيا والتعلق بها.

حب الحياة الدنيا ونهي النفس الهوى ضدان:-

مقابل إيثار الحياة الدنيا وحبها نهي النفس عن الهوى.

قال تعالى: { فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَاتَّرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } (النازعات: 37-41).

فكل من آثر الحياة الدنيا علي الآخرة أي أستحب الحياة الدنيا علي الآخرة هو متبع للهوى وكل من آثر الآخرة علي الحياة الدنيا أي أستحب الآخرة علي الحياة الدنيا لقد نهي نفسه عن الهوى. مع العلم أن أصل الشرك وأساسه هو محبة الحياة الدنيا هذا يعني أن أصل الشرك وأساسه هو هوي النفس. فما هو الهوى النفس؟

الهوى هو إرادة العلو في الأرض:-

الهوى هو محبة غير الله سبحانه وتعالى لذاته، وحقيقة ذلك المحبوب هو العلو في الأرض فالمراد لذاته المحبوب لذاته عند الانسان هو علو نفسه المطلق أي تأليه نفسه الدليل علي هذا من جانبين.

الجانب الأول:-

قال تعالى: { أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ } (البقرة: 87).

قال تعالى: { إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ } (الصفات: 35).

السبب في استكبار الكفار هو أن تأتيهم الرسل بما تهوي انفسهم والسبب في استكبار الكفار أيضاً إذا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. والإله هو المعبود أي المراد لذاته والنصوص تفسر بعضها. هذا يعني أن ما لا تهواه النفوس هو "لا اله إلا الله" أي أن النفوس ترفض تأليه الله سبحانه وتعالى أي ترفض محبة الله سبحانه وتعالى لذاته لأن حقيقة تأليه الله سبحانه وتعالى هو محبته لذاته أي أن يكون غاية نهائية للإنسان¹. الأنفس ترفض "الإله إلا الله" أي تحب تأليه غير الله سبحانه وتعالى أي أن يكون للنفس غاية نهائية غير الله سبحانه وتعالى فما هي غاية النفس النهائية؟ أي ماهو الشيء الذي تأله النفس أي تحبه لذاته؟؟ الاجابة من خلال الجانب الثاني

الجانب الثاني:-

الأهواء من جانب آخر أي المحبة النهائية هي وجود آلهة غير الله سبحانه وتعالى في الوجود. قال تعالى: { وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ } (المؤمنون: 71).

وقال تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا } {الانبياء: 22}. لو اتبع الحق أهواهم لفسدت السموات والأرض. ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدت السموات والأرض. والنصوص تفسر بعضها البعض. أهواء النفس أي غايات النفس النهائية هي أن يكون غير الله سبحانه وتعالى إله أي الغاية النهائية للنفس هي أن يكون هناك آلهة غير الله سبحانه وتعالى في الوجود أي أن يكون هناك موجود غير الله سبحانه وتعالى له العلو المطلق. قد يقول قائل ما الدليل علي إستدلالكم بأن الإله في آية سورة الانبياء أي في قوله تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا } {الانبياء: 22}. هو المعني الثاني للإله هو الإله الحق الموجود أي الذي له العلو المطلق.

1 هنا نقطة مهمة يجب الإنتباه اليها وهي أن الله سبحانه وتعالى يعبد لأنه متفرد بالكمال المطلق أي متفرد العلو المطلق، وهناك تلازم بين إستحقاق العبادة والتفرد بالكمال المطلق فمن له الكمال المطلق هو مستحق العبادة، ومن يستحق العبادة يجب أن يكون متفرد بالكمال المطلق.

المقصود بمفهوم الإله في الآية السابقة هو من له العلو المطلق والدليل علي ذلك هو عدم وجود فساد في السموات والأرض، فإنتفاء وجود فساد السموات والأرض لإنتفاء وجود آلهة مع الله لأن "لو" حرف إمتناع شئ لوجود غيره، مع العلم هناك آلاف الألهة التي تعبد من دون الله في الأرض أي وجود آلاف المعبودات في الأرض من دون الله إذن الألهة المنتفي وجودها أي الغير موجودة مع الله هي من لها العلو المطلق وليس الإله بمعنى المعبود ، فالغاية النهائية للنفس هي العلو أي العلو علي جميع البشر. فحقيقة الشرك هي إرادة العلو في الأرض أي تأليه النفس، لأن صفة الإله الموجود هو العلو المطلق. قال تعالي: { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ } (المؤمنون: 91).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (النفس مشحونة بحب العلو والرياسة)1.
قال الإمام ابن رجب الحنبلي: (واعلم أن النفس تحب الرفعة والعلو على أبناء جنسها، ومن هنا نشأ الكبر والحسد)2.

وقال كذلك: (الإنسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شي من الفضائل)3.

قال الإمام أبي حامد الغزالي: (معني الربوبية التفرد بالكمال، وكل إنسان فإنه بطبعه محب لأن يكون المنفرد بالكمال، ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية: ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله: "أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى")4.

وقال كذلك: (لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع أغلب للذات في الدنيا علي نفوس العقلاء، وكيف لا تكون أغلب للذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالي وهي الربوبية؟ والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب)5.

قال الإمام ابن حجر العسقلاني: (الطباع مجبولة علي حب الترفع علي الجنس)6.

قال الإمام محمد ابوزهرة: (النفس الإنسانية طامحة إلي العلو وحُب البقاء)7.

قال الأستاذ أنور الجندي: (النفس الإنسانية تنزع إلي السيطرة والتفوق وإشباع الرغبات الجنسية والمادية)8.

فعلو النفس هو أعظم ما يُراد لذاته من دون الله وهنا فرق بين محبة الله لذاته لأنه متفرد بالكمال المطلق أي له العلو المطلق وبين مشاركة الله سبحانه وتعلي في علوه أي أن يريد الإنسان أن يكون له علواً في الارض هذا هو حقيقة الشرك بالله.

حقيقة الحياة الدنيا:-

حقيقة الحياة الدنيا التي يجب تركها أي التي تتراد لذاتها من دون الله حقيقة هذه الحياة هي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر بالأموال والأولاد.

قال تعالي: { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ } (الأنعام: 32).

1 الحسنة والسيئة ص 99.

2 ذم المال والجاه ص 37.

3 جامع العلوم والحكم ص 343.

4 إحياء علوم الدين، الجزء الثالث ص 255.

5 المصدر السابق الجزء الرابع ص 21.

6 فتح الباري، الجزء الأول ص 244.

7 زهرة التفاسير المجلد الخامس ص 2799.

8 سقوط العلمانية ص 165.

قال تعالى: { وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ } (العنكبوت: 64).

قال تعالى: { إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ } (محمد: 36).

النفي والإثبات، انما من أقوي صور الحصر ، فالحياة الدنيا لعب ولهو. ولكن في سورة الحديد ذكر مع اللعب واللهو صفات أخرى وهي الزينة والتفاخر والتكاثر.

قال تعالى: { اَعْلَمُوا أَنَّ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ

وَالْأَوْلَادِ } (الحديد: 20). لقد ذكر خمسة أوصاف للحياة الدنيا فما هي الصفة الحقيقية بالضبط؟ للإجابة علي هذا السؤال لابد من مقدمات.

المقدمة الاولى:-

أن اللهو واللعب أو اللعب واللهو نتيجة وليست سبب.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ } (المنافقون: 9). وجود الاموال والاولاد سبب للانشغال عن ذكر الله.

قال تعالى: { أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ } (التكاثر: 1). فالتكاثر بالاموال والاولاد سبب لالهاء عن ذكر الله. فاللهو واللعب أو اللعب واللهو نتيجة وليست سبب والسبب هو الزينة والتفاخر والتكاثر بالاموال والاولاد.

المقدمة الثانية:-

عطف التكاثر بالاموال والاولاد علي التفاخر في قوله تعالى: { اَعْلَمُوا أَنَّ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ } (الحديد: 20). من باب عطف الخاص علي العام فيكون التكاثر بالاموال والاولاد نوع من أنواع التفاخر. والدليل علي ذلك العطف. عن أبي هريرة

– رضي الله عنه- ،قال: بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا شاب من الثنية فلما رايناه (وفي رواية: رميناه) بإبصارنا، قلنا: لوان هذا الشاب جعل شبابه ونشاطه وقوته في سبيل الله! فسمع رسول الله ﷺ مقالتنا فقال: (وما سبيل الله إلا من قتل؟! من سعى علي والديه، ففي سبيل الله، ومن سعى علي عياله، ففي سبيل الله، ومن سعى علي نفسه ليعفها، ففي سبيل الله، ومن سعى علي التكاثر، ففي سبيل الشيطان. وفي رواية: الطاغوت) 1. (ان كان خرج يسعي علي ولده صغاراً فهو في سبيل الله، ان كان خرج يسعي علي أبوين شيخين كبيرين، فهو في سبيل الله، ان كان خرج يسعي علي نفسه يعفها فهو في سبيل الله، ان كان خرج يسعي ري أ ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان) 2.

فالتكاثر هو الرياء والمفاخرة لأن النصوص تفسر بعضها البعض.

المقدمة الثالثة: الزينة والتفاخر متلازمان:-

بعد الحديث عن عطف التكاثر بالاموال والاولاد علي التفاخر أنه من باب عطف الخاص علي العام فيكون التكاثر بالاموال والاولاد نوع من أنواع التفاخر هذا يعني توجد صفتين للحياة الدنيا هما الزينة والتفاخر هما سبب أي هما حقيقة الحياة الدنيا فهما قرينتان يعني أنهما متلازمان لأن القاعدة التفسيرية تقول القرينان متلازمان عند السلامة والصحة من المعارض.

1 السلسلة الصحيحة حديث رقم (3248).

2 صحيح الجامع الصغير، حديث رقم (1428).

الزينة في القرآن نوعان: كونية وشرعية:-

زينة كونية قدرية وزينة شرعية دينية فالزينة الكونية القدرية لا يمكن ردها كما في سورة الكهف. قال تعالى: { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } (الكهف: 7). كل ما علي الارض خلقه الله زينة لها وهي للإمتحان والإختبار فالمقصد من التزيين الكوني القدري هو الإمتحان والإختبار.

الزينة الشرعية هي الاعجاب والتعلق والحب:-

التزيين الشرعي هو الاعجاب والتعلق والحب لانه متعلق بالقلوب. قال تعالى: { وَزَيَّنَّا ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنُّ السَّوءِ } (الفتح : 12). قال تعالى: { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ } (الحجرات : 7). الدليل الآخر علي أن التزيين الشرعي هو الاعجاب والتعلق والحب هو التلازم بين الحب والزينة في قوله تعالى: { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ } (الحجرات : 7). القاعدة التفسيرية تقول القرينان متلازمان عند السلامة والصحة من المعارض. الدليل الثالث علي أن الزينة الشرعية هي الاعجاب والتعلق الاحاديث الآتية.
عن أبي هريرة؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من جاء مسجدي هذا، لم ياتهِ الا لخير يتعلمه او يعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلي متاع غيره)1.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (من جاء مسجدنا هذا يتعلم خيراً أو يعلمه فهو كالمجاهد في سبيل الله، ومن جاء بغير هذا كان كالرجل يري الشي يعجبه وليس له)2.
(من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً أو يعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله، ومن دخله بغير ذلك كان كالناظر إلي ما ليس له)3.

من خلال الأحاديث السابقة أن النظر إلي متاع الغير أو النظر الي ما ليس لك هو الاعجاب بما ليس لك. النظر المقصود بالنظر هنا ليس النظر العابر انما نظر التعلق والاعجاب وذلك واضح من خلال شرح الاحاديث بعضها البعض. ومتاع غيرك ليس الذي يملكه غيرك فقط ولكن حتي ان كنت تملكه ولكنه ليس لك هو متاع غيرك. ابي سعيد الخدري والصحابة الذين معه رضي الله عنهم. قال : بينما نحن في سفر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا جاءه رجل على راحلة فجعل يضرب يميننا وشمالا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) قال : فذكر من أصناف المال حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل)4 فمنطوق الحديث إنه ليس لأحد حق في فضل إلا إذا كان لديه حاجة لهذا الفضل والصحابة مجمعين علي ذلك. وقال الإمام ابن حزم الظاهري عن هذا الحديث في كلامه عن مسألة فرض علي الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم: (وهذا إجماع الصحابة رضي الله عنهم يخبر بذلك أبو سعيد، وبكل ما في هذا الخبر نقول)5.

1 صحيح ابن ماجه، حديث رقم (187).
2 مستدرك الحاكم، كتاب العلم حديث رقم (309). قال الحاكم هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين فقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ولا أعلم له علة وافقه الذهبي.
3 مستدرك الحاكم، كتاب العلم حديث رقم (310). قال الحاكم ذا حديث صحيح علي شرط الشيخين فقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ولا أعلم له علة وافقه الذهبي.
4 صحيح مسلم، حديث رقم (1728)/صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (1663).
5 المُحلي المجلد الثالث، الجزء السادس ص158.

الزينة الشرعية نوعان: المحمودة منهما الإيمان:-

قال تعالى: { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ } (7 الحجرات). هذا حقيقة التوحيد وجوهره.

الزينة الشرعية المذمومة:-

قال تعالى: { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } (الحجر: 39). وهذا التزيين أي التزيين الشرعي الديني المذموم يقوم به الشيطان أي هو فعل الشيطان وأعوانه والمقصد من هذا التزيين هو الإغواء والإضلال. من الزينة الشرعية كذلك ما وردت في سور هود والقصص والاحزاب والحديد هي زينة شرعية لأنها يمكن ردها وعدم التعلق بها.

قال تعالى: { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } (الكهف: 28).

قال تعالى: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوْفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُؤْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ } (هود: 15-16).

قال تعالى: { وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ } (القصص 60).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعَكُنَّ وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ } (الاحزاب: 28-29).

والزينة المذكورة في هود والقصص والاحزاب هي زينة شرعية لأنه يترتب عليها عقاب وهي مقابلة لما عند الله وإرادتها مقابلة لإرادة الله والدار الآخرة لذلك هي زينة شرعية وهي موضحة لحقيقة الحياة الدنيا.

الزينة الشرعية المذمومة هي المال والبنون:-

قال تعالى: { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } (الكهف: ٤٦).

وفي قوله تعالى: { اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ } (الحديد: 20).

التفاخر نقيض التواضع:-

التفاخر ضد التواضع. عن عياض بن حمار، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) 1. عن عياض بن حمار، عن النبي أنه، خطبهم فقال: (إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) 2.

جزاء التواضع وجزاء الترفع:-

عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) 3. عن أنس رضي الله عنه قال: كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق، أو لا تكاد تسبق، فجاء أعرابي علي قعود له، فسبقها، فشق ذلك علي المسلمين حتي عرفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (حق علي الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا الا وضعه) 4.

الغاية الشركية النهائية هي التفاخر أي العلو في الأرض:-

1 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4895).

2 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3387).

3 صحيح مسلم، حديث رقم (2588).

4 صحيح البخاري، حديث رقم (2872).

الأصل في هذه صفات الحياة الدنيا أي الأصل في اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر هما الزينة والتفاخر.

والزينة والفخر متلازمان إذ وجد الفخر وجدت الزينة إذ وجدت الزينة وجد الفخر. ولكن التوحيد هو التعلق بالله سبحانه وتعالى أي محبة الله سبحانه وتعالى لذاته أي إن الله غاية نهائية، في المقابل الشرك هو محبة غير الله سبحانه وتعالى لذاته أي أنها غاية نهائية وأعظم ما يراد لذاته من دون الله أي أعظم غاية نهائية من دون الله هو الحياة الدنيا وحقيقة الحياة الدنيا التفاخر أي العلو في الأرض. **تعريف آخر للشرك: تشبيهه للمخلوق بالخالق في العلو المطلق:-**

قال تعالى: { تَمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } (الأنعام:1).

قال تعالى: { وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } (الأنعام:150).

قال تعالى: { إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } (الشعراء:98).

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية)1.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ: (لأن الشرك تشبيهه للمخلوق بالخالق ومشاركة في خصائص الإلهية)2.

قال الشيخ محمد سعيد رسلان: (والشرك هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله)3.

أخص خصائص الألوهية التفرد بالعلو المطلق أي بالكمال المطلق فحقيقة الشرك هو مشاركة الله سبحانه وتعالى في العلو.

الشرك بالله هو تسوية المخلوق بالخالق في أخص خصائص الخالق وأخص خصائص الخالق هو العلو المطلق أي الكمال المطلق فيقدر علو المخلوق وخروجه عن حد العبودية لله يكون الشرك بالله.

بعض الآيات عن إرادة العلو في الأرض:-

من هم المشركين هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا.

قال تعالى: { لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا } (الروم: 31-32).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } (الأنعام: 159).

وفرعون جعل أهل الارض شيعا.

قال تعالى: { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا } (القصص: 4).

والعلة في تشييعه لأهل الأرض هو العلو فيها، هذا دليل آخر علي أن الشرك هو العلو في الأرض.

قال تعالى: { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ } (القصص: 83).

النفس أمارة بالسوء:-

قال تعالى: { وَمَا أْبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي } (يوسف: 53).

قال تعالى: { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ } (النازعات: 40). السوء هو الهوى

أي إرادة العلو المطلق لأن النصوص تفسر بعضها البعض.

السوء هو العلو في الأرض:-

السوء هو العلو في الأرض لأن الشيطان يأمر به. قال تعالى: { كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ } (البقرة: 168-169). وسنة الشيطان

هي الكبر والعلو في الأرض.

1 الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص 146.

2 فتح المجيد ص 91.

3 "لا إله إلا الله" معناها- شروطها - نواقضها - فضلها ص 53.

والدليل الآخر علي أن السوء هو العلو في الأرض هو أن السوء ضد عبادة الله أي أن السوء هو الشرك بالله. والشرك بالله هو العلو في الأرض.

عن أبي سعيد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أن نبي الله قال: (كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل علي راهب علي راهب، فأثاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل علي رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ إنطلق إلي أرض كذا وكذا، فإن بها أنساً يعبدون الله تعالي فأعبد الله معهم، ولا ترجع إلي أرضك فإنها أرض سوء)1.

فالنفس أمار بالسوء أي أمارة بالعلو في الأرض لأن النفس لا تأمر إلا بشي تحبه.

كمال الخالق وكمال الإنسان:-

الكمال الحقيقي نوعان كمال الخالق أي كمال الإله الحق الموجود وحقيقة ذلك الكمال هو الكمال المطلق الذي ليس معه أي نقص أو عيب أو ذم بأي وجه من الوجوه وهو العلو المطلق أما النوع الثاني من أنواع الكمال الحقيقي هو كمال الإنسان.

كمال الإنسان نوعان حقيقي ووهمي:-

كمال الإنسان نوعان كمال حقيقي وكمال وهمي: الكمال الحقيقي هو تحقيق العبودية للإله الحق الموجود أي تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى أي أن يجعل الإنسان لقاء الله والنظر إلي وجهه الكريم غاية له أي أن يكون عبداً لله والوسيلة للكمال الحقيقي هي طاعة الله والتذلل له أما الكمال الوهمي هو أن يجعل الإنسان نفسه أي علو نفسه غاية له ومن ثمة يسعى لتحقيق تلك الغاية ووسيلة الكمال الوهمي هو طاعة النفس أي التذلل لها لأن حقيقة محبة الله سبحانه وتعالى لذاته هو أن تطيعه فيما يأمر به أي التذلل له وحقيقة محبة النفس لذاتها هو أن تطيعها فيما تأمر به كذلك أي التذلل لها. والسبب أن من أهم الفروق بين محبة الشيء لذاته ومحبة الشيء لغيره هي طاعته فيما يأمر به أي التذلل له لأن محبة الشيء لذاته تقود إلي طاعة المحبوب أي التذلل له، ومحبة الشيء لغيره لا تقود إلي طاعة المحبوب والتذلل له. والكمال همي هو الذي يُسمى في القرآن الكريم بالضلال وحقيقة ذلك هو تعلق الإنسان بالعلو أي إرادة العلو في الأرض وهذا مشاركة للإله الحق الموجود فيما يختص به أي مشاركته في العلو وهذا حقيقة الشرك بالله وأساسه ولكن الإنسان يعتقد أن الحرص علي هذا العلو هو الكمال، وهذا أساس الضلال والوهم والتهيه لأن هذا الإعتقاد الباطل يحقق للإنسان النقص والعيب والذم والعذاب في الدنيا والآخرة فالعلو المطلق خاص بالإله الحق الموجود أي خاص بالله سبحانه وتعالى أما الكمال الخاص بالإنسان هو العبودية لله.

قال الإمام أبي حامد الغزالي: (فالخلق أكثرهم هالكون في غمرة هذا الجهل، فإنهم يظنون أن القدرة علي الأجساد بقهر الحشمة، وعلي أعيان الأموال بسعة الغني وعلي تعظيم القلوب بسعة الجاه، كمال، فلما أعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهاكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالي ومن ملائكته)2.

1 صحيح البخاري، حديث رقم (3470) // صحيح مسلم، حديث رقم (2766).

2 إحياء علوم الدين، الجزء الثالث ص 259.

قال الإمام ابن القيم: (اللذة الوهمية الخيالية: فلذة الرئاسة والتعظيم علي الخلق والفخر والإستطالة عليهم)1.

العلاقة بين الكمال الالهي والكمال الانساني الحقيقي:-

الانسان يحب نفسه ويحب كمال نفسه "كمال حياته" فالقلوب مجبولة مفطورة علي حب الكمال فبقدر كمال الإرادة يكون كمال الحياة أي تكون الحياة الكاملة وهي الحياة العُلّيا المقلبة للحياة الدنيا ولكن هنا مقدمات وهي أن الإرادة والحياة متلازمتان مترابطتان. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الإرادة والحركة الإرادية من لوازم الحياة)2. وقال كذلك: (فكل حي له شعور وإرادة وعمل إختياري بقدره، وكل ما له علم وإرادة وعمل إختياري فهو حي)3.

قال الإمام ابن القيم: (قوة الارادة دليل علي قوة الحياة، وضعفها دليل علي ضعفها)4. قال الدكتور محمد عبد القرني: (وإذا ثبت إتصاف الله تعالي بالقدرة والإرادة والعلم فإن هذه الصفات مشروطة بالحياة. إذ لا يعقل أن يتصف بها إلا من هو حي)5. قال الدكتور عبد الله الدعجاني: (نظرا للترباط الضروري بين حياة الإنسان والإرادة، فإنه يستحيل إنفكاك الإرادة عن حياة الإنسان)6.

المقدمة الثانية: كمال الإرادة بكمال المراد:-

كمال الارادة بكمال المراد بقدر كمال المراد يكون كمال ارادة الإنسان. قال الإمام ابن القيم: (كمال المحبة تابع لكمال المحبوب في نفسه)7. وقال كذلك: (أن الإرادة إنما تكون ناقصة بحسب نقصان المراد، فإذا كان مرادها أشرف مراد فأرادته أشرف الإرادات)8.

قال الدكتور محمد اسماعيل المقدم: (كمال الارادة بكمال المراد)9.

المقدمة الثالثة: بكمال الإرادة أي بالعبودية لله تكون الحياة الكاملة:-

الله له الكمال المطلق الذي ليس معه نقص أو عيب باي وجه من الوجوه هذا يعني لا يتحقق كمال الحياة "الحياة الكاملة" وهي الحياة العُلّيا أي الكمال الإنساني إلا بالتعلق التام بالله سبحانه وتعالى أي تأليه الله سبحانه وتعالى وعبادته هنا فقط يكون كمال الإنسان الحقيقي. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فالكمال المطلق للإنسان هو تكميل العبودية لله علماً وقصداً)10. وقال كذلك: (فكمال المخلوق: في تحقيق عبوديته لله؛ وكلما إزداد العبد تحقيقاً للعبودية إزداد كماله وعلت درجته)11.

1 روضة المحبين ونزهة المُشتاقين ص150.

2 الحسنة والسينة ص 77.

3 مجموع الفتاوى، المجلد العاشر ص109.

4 مدارج السالكين، المجلد الثاني ص 401.

5 المعرفة في الإسلام ص539.

6 منهج ابن تيمية المعرفي ص 224.

7 مفتاح دار السعادة، الجزء الثاني ص 506.

8 طريق الهجرتين ص483.

9 علو الهمة ص 64.

10 مجموع الفتاوى المجلد العاشر ص (545).

11 العبودية ص 75.

وقال كذلك: (النفس كما تقدم الإرادة والحركة من لوازمها فإنها حية حياة طبيعية، لكن سعادتها ونجاتها إنما تتحقق بأن تحيا الحياة النافعة الكاملة)1.

قال الإمام ابن القيم: (علو المهمة، وصدق الإرادة، والطلب من كمال الحياة: فهو سبب إلي حصول أكمل الحياة وأطيبها)2.

وقال كذلك: (قوة الإرادة دليل علي قوة الحياة، وضعفها دليل علي ضعفها)3.

لذلك أكمل الناس حياة هم الانبياء لانهم حققوا العبودية التامة لله.

قال الإمام ابن القيم: (لما كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أكمل الناس حياة حتي أن قوة حياتهم تمنع الارض أن تبلي أجسامهم)4.

(أكثرُوا علي من الصلاة يوم الجمعة، فإن صلاتكم معروضة علي. قالوا: كيف تعرض عليك وقد أرمت؟ قال: إن الله تعالى حرم علي الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)5.

فهنا تظهر العلاقة بين كمال الخالق والكمال الانساني الحقيقي او بالاصح بين عبادة الله والكمال الانساني الحقيقي بقدر عبادة الله يكون الكمال الانساني الحقيقي أي الحياة الكاملة وهي الحياة العُلْيَا.

المقدمة الرابعة: في الحياة الكاملة سعادة الإنسان ونجاته:-

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (النفس كما تقدم الإرادة والحركة من لوازمها فإنها حية حياة طبيعية، لكن سعادتها ونجاتها إنما تتحقق بأن تحيا الحياة النافعة الكاملة)6.

سؤال؟

قد يقول قائل لقد ذكرتم أن المعني الأول للإله الحق الموجود هو العلو المطلق والمعني الثاني للإله هو المعبود إي المراد لذاته أي الغاية النهائية ولكن بعد الحديث عن العلاقة بين كمال العبد والكمال الإلهي إتضح أن الحياة الكاملة هي الغاية النهائية للإنسان أليس هذا يتناقض؟ للإجابة علي ذلك نقول الحياة الكاملة ليست غاية نهائية فالإنسان بعد وصوله مرحلة الحياة الكاملة كمال المطلق " كمال إنساني مطلق " مع ذلك يزداد تعلقاً وحباً لله فيسبح الله ويمجده وذلك عندما يري الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} (يونس: 26).

عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي صلي قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلي ربهم عزوجل). مسلم 181. عن أبي هريرة رضي الله عن قال: قال رسول الله: (إن الله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عزوجل، تنادوا: هلموا إلي حاجتكم، فيخفونهم بأجنحتهم إلي السماء الدنيا، فيسألهم ربهم- وهو أعلم - ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يُسبحونك ويُكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك،

1 الحسنة والسيئة ص80.

2 مدارج السالكين، المجلد الثاني ص 401.

3 مدارج السالكين، المجلد الثاني ص 401.

4 مدارج السالكين المجلد الثاني ص 403.

5 السلسلة الصحيحة، حديث رقم (1527).

6 الحسنة والسيئة ص80.

فيقول هل رواني؟ فيقولون: لا واللهما رأوك، فيقول: كيف لو رأوني؟! قال: يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادةً، وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً¹.

فالزيادة هي رؤية الله سبحانه وتعالى وهي أعظم من كل أنواع النعيم الآخرة. فأصل العذاب وحقيقته في الدار الآخرة هو حجاب رؤية الله. قال تعالى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ* ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ} (المطففين: 15-16). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قال الله تعالى في حق الكفار " كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ* ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ " فعذاب الحجاب أعظم أنواع العذاب. ولذة النظر إلي وجهه أعلي اللذات)². قال الامام ابن رجب الحنبلي: (أعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عز و جل إبعادهم عنه و إعراضه عنهم و سخطه عليهم كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم الجنة و تجليه لهم و رؤيتهم إياه أعظم من جميع أنواع نعيم الجنة)³.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (كمال النعيم في الدار الآخرة أيضا به سبحانه وتعالى: برويته وسماع كلامه وقربه ورضوانه، لا كما يزعم من يزعم أنه لا لذة في الآخرة إلا بالمخلوق من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح، بل اللذة والنعيم التام في حظهم من الخالق تعالى أعظم وأعظم ما يخطر بالبال او يدور في الخيال، وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "واسالك لذة النظر الي وجهك الكريم، والشوق الي لقائك؛ في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة"⁴ ولهذا قال تعالى في حق "كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ* ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ" "المطففين: 15 – 16". فعذاب الحجاب أعظم أنواع العذاب الذي يعذب به أعداءه، ولذة النظر إلي وجهه الله الكريم أعظم أنواع اللذات التي ينعم بها أوليائه)⁵.

قال الشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالى: (أما أهل السنة والجماعة فيعتقدون أن أعظم نعيم الجنة هو رؤية الله تعالى، كما صح في الحديث، وأعظم شقاء لأهل النار الحجاب بينهم وبينه تعالى)⁶. الدليل الآخر علي أن التعلق بالله سبحانه وتعالى هو الأصل لأنه متفرد بالكمال المطلق هو فكرة الجهاد بالنفس وهي أن الإنسان يمكن أن يقتل نفسه في سبيل الله وأضف الي ذلك أن الإنسان اثنا تحقيق العبادة يتجرد من كل التعلقات الا الحد الكفاية وهو الذي يسمح بظهور حكمة العبادة.

هل كل من جعل ند لله هو مشرك شرك اكبر؟

ليس كل من جعل ندأ لله أي أحب غير الله لذاته هو مشرك شرك اكبر. قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم ، حدثنا أبي عمرو ، حدثنا أبي الضحاك بن مخلد أبو عاصم ، حدثنا شبيب بن بشر ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس، في قول الله عز وجل (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) قال : (الأنداد هو الشرك، أخفي من دبيب النمل علي صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبية هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتي

1 صحيح البخاري، حديث رقم (6408) // صحيح مسلم، حديث رقم (2689).

2 مجموعة الفتاوي، المجلد الأول ص 27.

3 التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ص 276.

4 صحيح سنن ابي داود، حديث رقم (1304).

5 طريق الهجرتين وباب السعادتين ص 60.

6 ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ص 98.

الصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شا الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعلوا فيها فلاناً، هذا كله به شرك¹

وفي شرح باب قوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة:22). في كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (ان الصحابة يفسرون الآية النازلة في الشرك الاكبر انها تعم الأصغر؛ لان قوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} نازلة في الأكبر؛ لان المخاطب بها هم المشركون، وابن عباس فسرهما بما يقتضي الشرك الاصغر؛ لان الند يشمل النظير المساوي علي سبيل الاطلاق، او في بعض الامور)2.

قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ: (قوله جلا وعلا: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة:22). هذا عام يشمل إتخاذ الأنداد بالشرك الاكبر، ويشمل أيضا إتخاذ الأنداد بأنواع الإشراك دون الشرك الأكبر؛ لأن قوله: "أندادا". نكرة في سياق النهي، فتعم جميع أنواع التنديد، والتنديد منه ما هو مخرج من الملة، ومنه ما لا يخرج من الملة؛ لهذا ساق عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "الأنداد: هو الشرك، اخفي من ديبب النمل" فجعل ما يدخل في هذه الآية: الشرك الخفي او

3

شرك الالفاظ التي تخفي علي كثير من الناس).

التكاثر بالأموال والأولاد هو التعالي بالأموال والأولاد:-

التكاثر بالأموال والأولاد هو التفاخر بالأموال والأولاد.

قال تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} (الحديد:20). عطف التكاثر علي التفاخر من باب عطف الخاص علي العام لأن التكاثر نوع من أنواع التفاخر فالإنسان يتفاخر بأشياء كثيرة ومن هذه الأشياء التكاثر بالمال والأولاد وهذا النوع العطف يفيد الاهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} (المنافقون: 9). والذي يشغل عن ذكر الله وطاعته ليست كل المال إنما الذي يتكاثر به. قال تعالى: {أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ} (التكاثر: 1).

التكاثر بالمال هو حب المال لذاته:-

حد التكاثر بالمال هو حب المال لذاته فكل مال مراد لذاته هو متكاثر به، التكاثر بالمال هو حبه لذاته، ويعرف هذا من الاحاديث التي تحدثت عن حب المال وتحدثت عن كثرة المال و إذا جمعت بينها وجدتها تفسر بعضها البعض.

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: (قلب الشيخ شاب علي حب اثنتين: طول الحياة، وحب المال)4.

عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: (قلب الشيخ شاب علي حب اثنتين: حب العيش وحب المال)5.

1 أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (62/1). إسناده حسن؛ رجاله ثقات سوي شبيب بن بشر؛ فإنه مختلف فيه، ولخص الحافظ بن حجر الأقوال في شبيب في (تقريب التهذيب، ص 263): (صدوق يخطئ). نقلاً من كتاب التمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص471 .

2 القول المفيد علي كتاب التوحيد ص513.

3 التمهيد في شرح كتاب التوحيد ص431.

4 صحيح مسلم، حديث رقم(1046).

5 صحيح مسلم، حديث رقم(1046).

عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: (قلب الشيخ شاب علي حب اثنتين: طول الحياة، وكثرة المال)1. عن انس قال: قال رسول الله ﷺ: (يهرم ابن ادم وتثب منه اثنتان. الحرص علي المال، والحرص علي العمر)2.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين: حب الدنيا، وطول الأمل)3.

عن انس رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: (يكبر ابن ادم ويكبر معه اثنتان. حب المال، وطول العمر)4. المقصد من ذكر الروايات المختلفة لأحاديث حب المال وحب الحياة هو توضيح المعاني التي تتضمنها هذه الاحاديث لأن الاحاديث تفسر بعضها البعض فإن حقيقة كثرة المال هي الحرص علي المال أو حب المال وهي حب الدنيا وحقيقة ذلك هو حب المال لذاته.

حد المال المراد لذاته:-

متي يعرف أن هذا المال مراد لذاته أو غير مراد لذاته؟ كل ما سوي حد الكفاية فهو مال مراد لذاته أي متكاثر به وهو الفضل.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما طلعت شمس قط إلا بعث بجنبتها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى)5. والكفاف ضد الفضل. محمد بن بشار حدثنا عمر بن يونس هو اليمامي حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا شداد بن عبد الله قال سمعت أبا أمامة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى)6.

حد الكفاية أي حد الغنى:-

عن أبي معبد مولي ابن عباس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: لمعاذ بن جبل حين بعثه إلي اليمن: (انك ستاتي قوما اهل كتاب، فاذا جئتهم فأدعهم إلي أن يشهدوا ان لا اله الا الله، وأن محمدا رسول الله، فان هم اطاعوا لك بذلك، فاخبرهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فان هم اطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد الي فقرائهم)7.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (الزكاة لا تجب علي الفقير، لقوله: "من أغنياهم فترد الي فقرائهم" ولكن من هو الغني؟ اهو الذي يملك الملايين؟ الغني في هذا الباب هو الذي يملك نصابا،

1 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3430)/صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2338).
2 صحيح مسلم، حديث رقم(1047)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3431)/صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2339).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (6420).

4 صحيح البخاري، حديث رقم (6421).

5 المستدرک علي الصحيحين، كتاب التفسير، حديث رقم (3662). وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (443).

6 صحيح مسلم، حديث رقم (1036)/صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2343).

7 صحيح البخاري، حديث رقم (1496)/صحيح مسلم، كتاب الإيمان (1)، حديث رقم (19).

إذا ملك النصاب فهو غني تجب عليه الزكاة، وإن كان يكون فقير من وجه آخر، لكنه غني من حيث وجوب الزكاة عليه)1.

فالحد الغني أي حد الكفاية هو أن لا يأخذ الزكاة أي أن يكون عنده نصاب لمدة حول كامل والنصاب هو 85 جرام من الذهب الخالص والذي لا يمتلك النصاب لمدة حول كامل هو فقير.

التكاثر بالأولاد هو العز بالنفر أي الحرص على الشرف:-

قال تعالى: {فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا*} ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا* وما أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رَدَدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا* قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكْفَرْت بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّيْتُكَ رَجُلًا* لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا* ولو لا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا*} (الكهف: 34 – 39).

عن كعب بن مالك الأنصاري، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: (ما ذنبان جائعان أرسلنا في غنم؛ بافسد لها من حرص المرء علي المال، والشرف لدينه)2.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما ذنبان ضاربان جائعان باتا في زريبة غنم، أغفلها أهلها، يفترسان ويأكلان؛ بأسرع فيها فسادا من حب المال والشرف في دين المرء المسلم)3.

يوجد تلازم بين العزة والكثرة فإذا وجدت الكثرة وجدت العزة (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، وهم أعز وأكثر ممن يعملهم، ثم لم يغيروه، إلا أعمهم الله تعالى منه بعقاب)4.

حب الدنيا سبب لكل أنواع الشرك:-

قد يقول قائل إذا كان توحيد العبادة هو ترك إرادة العلو في الأرض الذي يعني عدم التكاثر بالأموال والأولاد، فما بال الذين يركعون ويسجدون لغير الله للشمس وللقمر والذين بغير بيت الله أي يطوفون بالقبور؟ نقول أن أسباب الضلال نوعان لا ثالث لهم إما معرفة الحق وعدم العمل به أي العناد والإصرار، وإما الإعراض وهو العمل بدون معرفة الحق أي هو الجهل الذي لا يعذر به. عن أبي الدرداء- رضي الله عنه - قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، ونحن نذكر الفقر و نتخوفه، فقال: (آل فقر تخافون؟ والذي نفسي بيده لتصبن عليكم الدنيا صبا، حتى لا يزيغ قلب أحدكم إزاغة إلا هيه)5. فالنفي والإثبات من أقوى أنواع الحصر، وهذا يفيد أن كل أنواع الزيغ والضلال والانحراف في الدين سببه الشرك في الإرادة أي حب الدنيا والتعلق بها. لذلك المراد هو كسر الأوثان التي في القلب أولا قبل الأصنام المجسدة وأوثان التي في القلب هي حب الدنيا أي عبادة النفس قال الإمام ابن القيم الجوزية: (وبالجملة فأساس الشرك وقاعدته التي بني عليها: التعلق بغير الله)6. قال الشيخ صديق حسن القنوجي: (وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبد الصنم، إنما عبد هواه، وهو ميل نفسه إلي دين آبائه فيتبع ذلك الميل. وميل النفس إلي المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوي)1.

1 شرح رياض الصالحين، المجلد الأول ص560.

2 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2376)/سنن الدارمي، حديث رقم (2936)/صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم (3250).

3 صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم (3251).

4 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (5749).

5 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (5).

6 مدارج السالكين، المجلد الأول ص374.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: (ولم يدرى المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشي من الأعدار كما قال تعالى: { اِسْتَرْوَا بِآيَاتِ اللّٰهِ تَمَنَّا قَلِيْلًا } "سورة التوبة: 9" . وغير ذلك من الآيات، كقوله: { يَعْرِفُوْنَهُ كَمَا يَعْرِفُوْنَ اَبْنَاءَهُمْ } "البقرة: 146")².

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: (قال تعالى: { مَنْ كَفَرَ بِاللّٰهِ مِنْ بَعْدِ اِيْمَانِهٖ اِلَّا مَنْ اُكْرِهَ وَقَلْبُهٗ مُطْمَئِنٌّ بِاَلِاِيْمَانِ } (سورة النحل: 106). فلم يعذر الله من هولاء الا من اكراه مع كون قلبه مطمئنا بالايمان واما غير هذا فقد كفر بعد ايمانه سواء فعله خوفا، او مداراة، او مشحة بوطنه او أهله او عشيرته أو ماله، او فعله علي وجه المزح او لغير ذلك من الإغراض إلا المكره. فالآية تدل على هذا من جهتين: الأولى: قوله: { اِلَّا مَنْ اُكْرِهَ } ، فلم يستثن الله تعالى إلا المكره، ومعلوم ان الإنسان لا يكره الا على العمل او الكلام، وأما عقيدة القلب فلا يكره عليها احد. والثاني، قوله تعالى: { ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيٰةَ الدُّنْيَا عَلٰى الْآخِرَةِ } ، فصرح ان هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد او الجهل، او بغض الدين، او محبة الكفر، وانما سببه ان له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين)³.

قال الشيخ صالح عبد العزيز آل الشيخ: (قال رحمه الله: "فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد، أو الجهل، أو البغض للدين، أو محبة للكفر" هذا ظاهر بين، وإنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا، فآثره على الدين" وهذا الذي ذكره حاصل وواقع، بل أن الذين استحبوا الكفر على الإيمان وكفروا بعد إيمانهم سبب ذلك محبة الدنيا، محبة المال، محبة الجاه، لا بد فيه حظ من حظوظ الدنيا، وإلا لو قام الإيمان بالآخرة في النفس لما أثر المرء عليه شيئا من الدنيا. ولهذا جاء في الحديث الصحيح. أن النبي ﷺ قال: (بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا)⁴. وهذا حاصل في أن من فتن عن الدين إنما هو بسبب من الدنيا بشهواته، شهوة المال، أو شهوة الجاه، أو شهوة المنصب، أو شهوة النساء، أو شهوة الأمر والنهي، أو إلي آخر ذلك من الشهوات الفانيات. فما ذكره هنا الإمام رحمه الله هذا ينبغي أن ينتبه إليه كل موحد، فيحذر أشد الحذر من الكفر ومن وسائله)⁵.

قال الدكتور ياسر برهامي: (وقد تصل عبادة المال وعبادة الجاه إلي الشرك الأكبر، إذا كان يبيع دينه بعرض الدنيا كما قال: "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا"⁶، وهذه العبادة شرك أكبر)⁷.

1 الدين الخالص، الجزء الأول ص 66.

2 كشف الشبهات ص 26.

3 المصدر السابق ص 27.

4 صحيح مسلم، حديث رقم (118).

5 شرح كشف الشبهات ص 427.

6 صحيح مسلم، حديث رقم (118).

7 الكواشف المضيئة عن لآلى رسالة العبودية ص 65.

الفصل الرابع
أنواع الشرك في العبادة
(الرياء والفتنة في الدين)

في هذا الفصل سوف نتحدث عن أنواع شرك العبادة وهما الرياء والفتنة في الدين والفرق بينهما، ثم يكون الحديث بشئ من التفصيل عن الفتنة في الدين ولكن قبل ذلك سوف نتحدث عن أنواع الإخلاص في الدين أي عن توحيد العبادة كمقدمة للحديث عن الفتنة في الدين.

أنواع الإخلاص:-

الإخلاص نوعان الإخلاص بالمعني العام والإخلاص بالمعني الخاص. النوع الأول: وهو الإخلاص بالمعني العام يكون في الإيمان أي في الدين ، أما الإخلاص المعنى الخاص هو احتساب الأجر عند الله سبحانه وتعالى ويكون في الطاعة.

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: (من أتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً)1.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (من قام ليلة القدر إيماناً و احتساباً، من صام رمضان إيمان و احتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه)2.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من صام رمضان إيمان و احتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه)3.

قال أبو السعود في الإرشاد: ("قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ "أي من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك)4.

قال الإمام العيني في العمدة: (الإخلاص في الإيمان ترك الشرك وفي الطاعة ترك الرياء)5.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (وكذلك الشرك شركان شرك في التوحيد ينقل عن الملة، وشرك في العمل لا ينقل عن الملة، وهو الرياء)6.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: (إن حقيقة دين الإسلام وزبدة ما جاءت به الرسل الكرام، هو إفراد الله بالقصد والعبادة)7.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (إشارة إلي كلمتي التوحيد؛ وهما شهادة إن لا اله إلا الله، وان محمدا رسول الله؛ لكن شهادة ان لا اله الا الله: توحيد قصد؛ والثاني: توحيد المتابعة؛ فكلاهما توحيد؛ لكن الاول توحيد القصد بان يكون العمل خالصا لله؛ والثاني توحيد المتابعة بان يتابع في عبادته رسول الله ﷺ)8.

الفرق بين الإخلاص العام والإخلاص الخاص:-

حقيقة الإخلاص بالمعني الأول أي الإخلاص بالمعني العام هو محبة الله والتعلق به وهذا النوع من الإخلاص لا يتحقق إلا بوجود الأعمال أي لا يتحقق إلا بالقيام بعمل الجوارح. فبقدر وجود عمل الجوارح بقدر وجود الإيمان تكون محبة الله والتعلق به وبقدر عدم وجود عمل الجوارح تنتفي محبة الله سبحانه وتعالى لأن محبة الله والتعلق به هي أصل الإيمان وحقيقته. عن انس، عن النبي ﷺ قال:

1 صحيح البخاري، حديث رقم (47).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (1901).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (38).

4 إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم، الجزء السابع ص 246.

5 عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، الجزء الثاني ص 193.

6 كتاب الإيمان ص 253.

7 منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات ابن جرجيس ص 10.

8 تفسير ابن عثيمين، المجلد الأول، ص 101.

(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وإن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وإن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يقذف في النار)1.

الإخلاص الخاص هو احتساب الأجر عند الله:-

النوع الثاني من أنواع الإخلاص أي الإخلاص بالمعني الخاص هو النية الصالحة وهي إحتساب الأجر عند الله سبحانه وتعالى. عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمرئ ما نوي، فمن كانت هجرته إلي الله ورسوله، فهجرته إلي الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلي ما هاجر إليه)2.

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أوأمهم المبيت إلي غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم.

قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغيق أهلا ولا مالا، فنأي بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتي ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن اوقظهما وأن أغيق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح علي يدي أنتظر استيقاظهما حتي برق الفجر، والصبية يتضاعون عند قدمي، فأستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك إبتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إلي - وفي رواية: كنت أحبهما كأشد ما يحب الرجال النساء - فأردت علي نفسها فامتنعت مني، حتي أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار علي أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتي إذا قدرت عليها - وفي رواية: فلما قعدت بين رجليها - قالت: أتقي الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فأنصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك إبتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: إني أستاجرت أجرا وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتي كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله إدي إلي أجري، فقلت: كل ما تري من أجرك: من الأبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت لا أستهزي بك، فأخذته كله فأستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم إن كنت فعلت ذلك إبتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون)3. الملاحظ في هذا الحديث وجود أعمال الجوارح مع ذلك الاشخاص الثلاثة دعوا بالدعاء "اللهم إن كنت فعلت ذلك إبتغاء وجهك" أي إحتساب الأجر عند الله الذي يمثل أحد شرطي العمل الصالح. و ضد النوع الثاني من أنواع الإخلاص أي ضد احتساب الأجر عند الله سبحانه وتعالى الرياء وهو عدم احتساب الأجر عند الله سبحانه وتعالى. عن سليمان بن يسار قال: تفرق الناس عن أبي هريرة. فقال له نائل أهل الشام: أيها الشيخ! حدثنا حديث سمعته من رسول الله ﷺ قال: نعم. سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ

1 سبق تخريجه.

2 صحيح البخاري، رقم حديث (1)/صحيح مسلم، حديث رقم (1907).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (2215)/صحيح مسلم، حديث رقم (2743).

استشهد. فأُتي به، فعرفه نعمة، فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدت، قال: كذبت. ولكِنَّكَ قاتلتَ لأن يُقال: جريءٌ. فقد قيل. ثمَّ أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النَّار. ورجلٌ تعلمُ العلم وعلمه. وقرأ القرآن. فأُتي به فعرفه نعمة، فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلمته. وقرأتُ فيك القرآن. قال: كذبت. ولكِنَّكَ تعلمتُ العلم ليُقال: عالمٌ. وقرأتُ القرآن ليُقال: هو قارئٌ، فقد قيل. ثمَّ أمر به، فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النَّار. ورجلٌ وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلَّه. فأُتي به فعرفه نعمة، فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تحبُّ أن ينفق فيها إلاَّ أنفقت فيها لك. قال: كذبت. ولكِنَّكَ فعلتَ ليُقال: هو جوادٌ. فقد قيل. ثمَّ أمر به فسُحب على وجهه ثمَّ أُلقي في النَّار) 1. الملاحظ في هذا الحديث وجود أعمال الجوارح ولكن النية التي في هذه الأعمال المقصود منها ليس الله والدار الآخرة إنما المراد بها غير الله هذا هو الرياء وهو أن يوجد عمل الجوارح ولكن لا يوجد معه احتساب الأجر عند الله.

الإخلاص العام هو إتباع النبي أي الحنيفية السمحة:-

أصل الإيمان بالله هو محبته والتعلق به. ولا تتحقق محبة الله إلا بوجود عمل الجوارح وحقيقة العمل هو إتباع النبي ρ . قال تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } (آل عمران: 31). الحكم إذا عُلق بشرط يكون هذا الشرط علة للحكم والحكم كما هو معلوم يدور مع علته وجوداً وعدمًا، وقوةً وضعفًا، وزيادةً ونقصان. بقدر إتباع النبي ρ تكون محبة الله سبحانه وتعالى وبقدر عدم إتباع النبي ρ يكون عدم محبة الله سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (و أما المحبة الشركية، فليس فيها متابعة للرسول، ولا بغض لعدوه ومجاهدة له، كما يوجد في اليهود والنصارى والمشركين يدعون محبة الله، ولا يتابعون، ولا يجاهدون عدوه)2.

قال الإمام ابن القيم: (فجعل إتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم لله، وشرطاً لمحبة الله لهم. ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه وتحققه بتحقيقه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة)3.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي: (وهذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال "قل إن كنتم تحبون الله" أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لا بد من الصدق فيها، وعلامة الصدق إتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم - في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن)4.

. فهذا النوع من الإخلاص أساسه إتباع النبي ρ لذلك كلما زاد إتباع النبي ρ زاد الإيمان والعبادة وكلما قل إتباع النبي ρ قل الإيمان وقلت العبادة لان الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان. مع العلم أن النبي ρ مأمور بأتباع الملة إبراهيم عليه السلام الحنيفية السمحة.

1 صحيح مسلم، حديث رقم (1905).

2 مجموعة الفتاوى، الجزء الثامن، ص 365.

3 مدارج السالكين، المجلد الأول ص 88.

4 تفسير السعدي ص 128.

قال تعالى: { تَمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا } (النحل: 123).
والرسول مأمور باتباع شريعة من الامر كذلك وهي الشريعة الحنيفية. قال تعالى: { تَمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (الجنات: 18).
عن الآية الأولى قال الإمام القرطبي: (قوله تعالى: ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين قال ابن عمر: أمر باتباعه في التبرؤ من الأوثان والتزير بالإسلام. وقيل: أمر باتباعه في جميع ملته إلا ما أمر بتركه)1.

في حديثه عن إقتضاء النبي صلي بالأنبياء من قبله قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي: (لما كانت دعوتهم في أكمل صورها تتمثل في دعوة إبراهيم- عليه الصلاة والسلام-، زاد الأمر تأكيداً، فأمر نبينا محمد - صلي - باتباع منهجه فقال: { تَمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (النحل: 123) وزاد الله الأمر تأكيداً- أيضاً- فأمر أمة محمد- صلي- باتباع ملة هذا النبي الحنيف، فقال: { قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (آل عمران: 95). أذن: فأمة الإسلامية مأمورة باتباع ملته)2.

وحقيقة إتباع النبي p هي إتباع الشريعة الحنيفية أي إتباع ملة إبراهيم عليه السلام الحنيفية السمحة. ولكن ما هي الحنيفية السمحة؟ هي مخالفة اليهود والنصاري مخالفة تامة.
قال تعالى: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (آل عمران: 67). عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله p: (إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن). فقرا: { لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين }، وقرا فيها: "وإن الدين عند الله الحنيفية المسلمة، لا اليهودية، ولا النصرانية)3.

عن أبي بن كعب رضي الله عنه: أن النبي p: قراء عليه: { لم يكن } وقرا فيها: "إن ذات الدين عند الله الحنيفية لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية)4.
يهوديا نكرة في سياق النفي تفيد العموم ونصرانيا نكرة في سياق النفي تفيد العموم أيضاً. فإذا كان القراء الكريم وصف سيدنا إبراهيم عليه السلام بأنه حنيفا مسلما أي وصفه بالحنيفية وفي مقابل ذلك نفا عنه تماماً الإلتناء إلي اليهود أو الإلتناء إلي النصاري. السؤال ما هو حقيقة الإلتناء إلي اليهود أو الإلتناء إلي النصاري أو الإلتناء إلي غيرهم؟ الإلتناء إلي اقوام والأمم يكون بالتشبه بهم فيقدر التشبه بالآخرين يكون الإلتناء إليهم. عن ابن عمر، قال: قال النبي p: (من تشبه بقوم فهو

منهم)5. وحقيقة مخالفة اليهود والنصاري هي مخالفة أهوائهم. قال تعالى: { وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } (البقرة: 120). وهي أهواء الذين لا يعلمون. قال تعالى: { تَمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (الجنات: 18).

1 تفسير القرطبي، المجلد الخامس ص 198.

2 منهج الأنبياء في الدعوة إلي الله ص127.

3 مستدرک الحاكم، كتاب التفسير حديث رقم (2889). قال الحاكم حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني السلسلة الصحيحة حديث رقم (2908).

4 المستدرک الحاكم، كتاب التفسير حديث رقم (3962) قال الحاكم حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

5 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4031).

وحقيقة عدم إتباع الأهواء هو عدم الإستئناس بها.
 عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. عن النبي ρ أنه قال: "التبتعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً
 وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لتبتعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال:
 فمن؟" 1.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ρ أنه قال: (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون
 قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع. فقيل: يا رسول الله كفارس والروم، فقال: ومن الناس إلا أولئك؟) 2.

الإخلاص العام أي الحنيفية هو إخلاص الدين لله:-

حقيقة الإخلاص بالمعنى العام أي حقيقة إتباع النبي ρ أي الحنيفية السمحة هو الذي يسمى في
 القرآن إخلاص الدين لله.

قال تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } (البينة:5). حنفاء حال كاشفة
 مبينة لحقيقة إخلاص الدين. قال تعالى: { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ
 لِلَّهِ } (النساء:145).

قال تعالى: { دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } (يونس: 22).

قال تعالى: { فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } (العنكبوت:65).

قال تعالى: { وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلِّ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } (لقمان:32).

قال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ } (الزمر:2).

قال تعالى: { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ } (الزمر:3).

قال تعالى: { قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ } (الزمر:11).

قال تعالى: { قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي } (الزمر:14).

قال تعالى: { فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } (غافر:14).

قال تعالى: { هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } (غافر:65).

فيقدر التشبه بالكفار يكون ضعف إتباع النبي ρ أي ضعف الإخلاص بالمعنى العام وحقيقة ذلك هو
 ضعف محبة الله سبحانه وتعالى وإرادته لذاته أي تكون محبة غيره لذاته وهذا هو الشرك بالله
 فيقدر التشبه بالكفار يكون الشرك بالله. وبقدر مخالفة الكفار تكون إتباع الملة الحنيفية.

الحنيفية وإنتفاء الشرك متلازمان:-

الحنيفية وإنتفاء الشرك متلازمان لأن القاعدة التفسيرية تقول القرينان متلازمان عند السلامة
 والصحة من المعارض.

قال تعالى: { قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (البقرة: 135).

قال تعالى: { وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (آل عمران: 67).

قال تعالى: { قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (آل عمران: 95).

قال تعالى: { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }
 (الأنعام: 79).

قال تعالى: { دِينًا قَبِيماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (الأنعام: 161).

1 صحيح البخاري، حديث رقم (7320).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (7319).

قال تعالى: { وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (يونس: 105).
 قال تعالى: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (النحل: 120).
 قال تعالى: { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (النحل: 123).

إتباع النبي وإتباع الهوى نقيضان:-

قال تعالى: { فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا إِنَّمَا تَبْتَغُونَ أَهْوَاءَهُمْ } (القصص: 50).
 وقال تعالى: { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }
 (الجنات: 18). إتباع النبي وإتباع الهوى ضدان، إذا وجد إتباع النبي إنتفاء إتباع الهوى والعكس صحيح.

التشبه بالكفار اي إتباع الهوى منهي عنه:-

التشبه بالكفار أي إتباع سنن الجاهلية منهي عنه.
 قال شيخ الإسلام بن تيمية: (قال رسول الله p: "من تشبه بقوم فهو منهم" وهذا الحديث اقل احواله: ان يقضي تحريم التشبه بهم، وان كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله: "من يتولهم منكم فانه منهم" "المائدة: 51" وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو: أنه قال: "من بني بأرض المشركين، وصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبه بهم حتي يموت: حشر معهم يوم القيامة" فقد يحمل هذا علي التشبه المطلق. فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل علي أنه في القدر المشترك الذي شابهم فيه)1.

وقال الإمام ابن القيم الجوزية: (جاءت الشريعة بالمنع من التشبه بالكفار والحيوانات والشياطين والنساء والأعراب وكل ناقص. حتي نهي في الصلاة عن التشبه بشبه أنواع من الحيوان يفعلها - أو كثير منها - الجهال، نهي عن نقر كنقر الغراب، والتفات كالتفات الثعلب، وإقعاء كإقعاء الكلب، واقتراش كاقتراش السبع، وبروك كبروك الجمل، ورفع الأيدي يميناً وشمالاً عند السلام كأذنان الخيل. ونهي عن التشبه بالشياطين في الأكل والشرب بالشمال. ونهي عن التشبه بالكفار في زيهم وكلامهم وهدبهم، حتي نهي عن الصلاة بعد العصر والصبح، فإن الكفار يسجدون للشمس في هذين الوقتين. ونهي عن التشبه بالأعراب وهم أهل الجفاء والبدو، فقال: "لا تغلبنكم الأعراب علي اسم صلاتكم العتمة، وإنها العشاء في كتاب الله")2.

قال الإمام ابن كثير: ("من تشبه بقوم فهو منهم". ففيه دلالة علي النهي الشديد والتهديد والوعيد علي التشبه بالكفار في أفعالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من الأمور التي تشرع لنا ولا نقر عليها)3.

نُقل عن الشيخ أحمد شاكر أنه قال: (هذا الحديث يدل بالنص الصريح علي حرمة التشبه بالكفار في الملبس، وفي الحياة والمظهر، ولم يختلف أهل العلم منذ الصدر الأول في هذا)4.
 قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (فالمؤمن الحق لا يمكن أن يتابع أعداء الله، ولا أن يأخذ بأرائهم، وأفكارهم، وإتجاهاتهم؛ وقد حمي النبي p ذلك غاية الحماية، حيث قال: "من تشبه بقوم فهو

1 اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ص95.

2 الفروسية ص 30.

3 تفسير ابن كثير، الجزء الأول، ص377.

4 التشبه المنهي في الفقه الإسلامي لجميل بن حبيب المطيري ص 32.

منهم"، حتى نحذر ونبعد عن التشبه باعداء الله، والتقليد لهم سواء في أمور العبادة، او في أمور العادة؛ فإن التشبه باعداء الله حرام: وقد يؤدي الي الكفر، والشرك والعياذ بالله)1. وقال كذلك: (تحريم التشبه بالكفار؛ لأن أعمال الكفار من خطوات الشيطان؛ لأن الشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر)2.

قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ: (قوله: "من امر الجاهلية" هذا دليل علي نذرها وأنها من شعب الجاهلية، ومن المعلوم أن شعب الجاهلية جميعا يجب الابتعاد عنها؛ لأن خصال أهل الجاهلية مذمومة، كما جا في "صحيح البخاري" من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (ابغض الرجال الي الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومطلب دم امري بغير حق ليهرق دمه، ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية) 3. فكل شعبة من شعب اهل الجاهلية إذا ظهر من يعيدها إلي اهل الاسلام بعد أن أنقذهم الله من ذلك ببعثة النبي عليه الصلاة والسلام وظهور القرآن والسنة بيان الأحكام، فإنه مبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، وهو من ابغض الرجال الي الله جل وعلا)4.

السبب في إتباع الهوى هو الفتنة:-

قال تعالى: { وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ } (المائدة:49). قال تعالى: { وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ } (الإسراء: 73). الحكم بما أنزل الله وعدم إتباع الهوى متلازمان إذا وجد الحكم بما أنزل الله فهذا دليل علي عدم إتباع هوي النفس، وإذا لم وجد إتباع هوي النفس وجد الحكم بما أنزل الله. فالفتنة في الدين هي السبب في ترك بعض ما أنزل الله فتكون الفتنة في الدين هي السبب في إتباع هوي النفس.

الفتنة تكون في الدين:-

ضد توحيد العبادة أي ضد الإخلاص الشرك بالله، و الشرك بالله نوعان: النوع الأول من أنواع الشرك بالله هو الفتنة وهي تكون في الدين أو هذا النوع من أنواع الشرك بالله هو الفتنة في الدين 5. وحقيقة ذلك هو الانشغال عن إتباع النبي ﷺ أي عدم إخلاص الدين لله وهذا النوع من أنواع الشرك يسمى بالفتنة أي الفتنة في الدين.

قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } (البقرة:193).

قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (الأنفال: 39).

الفتنة في هذه الآيات فسرت بالشرك قال بذلك ابن عباس وقتادة ومجاهد ومقاتل والسدي والحسن وزيد بن أسلم وأبو العالية والربيع.

قال الإمام ابن الجوزي: (قوله تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً } (البقرة: 193). قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة في آخرين الفتنة ها هنا: الشرك)6.

قال الشيخ عبدالله أبابطين: (قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً } (الأنفال: 39). أي الشرك قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية ومجاهد والحسن والربيع ومقاتل والسدي وزيد بن أسلم. أنظر

تفسير الطبري 2- 194، والدر المنثور للسيوطي 1-495، وأبن كثير 1-227)1.

1 تفسير العثيمين، الجزء الأول، ص 405.

2 تفسير العثيمين، الجزء الثاني، ص 6.

3 صحيح البخاري، حديث رقم (6882).

4 التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص338.

5 النوع الثاني من أنواع الشرك بالله هو الرياء.

6 تفسير ابن الجوزي ص 112.

وقال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي في تفسيره آية سورة البقرة السابقة: (قال ابن جرير في تفسيره: يقول تعالى ذكره لنبيه صلي الله عليه وسلم: قاتلوا المشركين الذين يقاتلوكم حتي لا تكون فتنة، يعني حتي لا يكون شرك بالله، . . . وساق أسانيده بهذا التفسير إلي قتادة ومجاهد والسدي وأبن عباس . . . ثم ساق إسناده إلي الربيع) 2.

هناك تناقض بين "ان تكون فتنة" و"ان يكون الدين كله لله" أي إذا وجدت الفتنة ولا يكون الدين كله لله.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (فأمر بالجهاد حتي لا تكون فتنة وحتى يكون الدين كله لله، فجعل المقصود عدم كون الفتنة، ووجود كون الدين كله لله، وناقض بينهما، فكون الفتنة ينافي كون الدين كله، وكون الدين كله ينافي كون الفتنة) 3.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (أن الأمر بقتالهم مقيد بغابتين؛ غاية: " حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً " أي حتي لا توجد فتنة؛ و "الفتنة" هي الشرك، والصد عن سبيل الله؛ والغاية الثانية إيجابية: " وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ " 4. وجود الفتنة أي التشبه بأهل الجاهلية وهي الأهواء نقيض أن يكون الدين كله لله أي نقيض للدين الخالص. قال تعالى: { يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ } (الحديد: 13-14).

إذا المنافقين فتنوا أنفسهم فالذين آمنوا لم يفتنوا انفسهم. عن ابي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن) 5. إن علي بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل علي فاطمة عليها السلام، فسمعت رسول الله ﷺ يخطب الناس في ذلك علي منبره هذا – وأنا يومئذ المحتلم – فقال: (إن فاطمة مني وإني أتخوف أن تفتن في دينها) 6. نقصان الأعمال الصالحة والإنشغال عنها الذي سببه هو التشبه بالكفار وأهل الجاهلية تسمي بالفتنة في الدين لان هناك تلازم بين نقص العمل وظهور الفتن بل أساس نقصان العمل الصالح أي أساس نقصان العلم النافع "معرفة الحق والعمل به" هو الفتن. عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال: "يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقي الشح، وتظهر الفتن ويكثر الهرج. قالوا: يا رسول الله ايما هو؟ قال: القتل القتل" 7. عن أبي هريرة، يرفعه قال: (يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويلقي الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج) قالوا: يا رسول الله! وما الهرج؟ قال: (القتل) 8.

الفتنة في الدين هي التكاثر بالأموال والأولاد أي التعالى بالأموال والأولاد:-

قال تعالى: { وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } (الأنفال: 28).

- 1 دحض شبهات علي التوحيد ص 46.
- 2 منهج الأنبياء في الدعوة إلي الله ص 87.
- 3 قاعدة في المحبة ص 158.
- 4 تفسير ابن عثيمين، المجلد الأول ص 585.
- 5 صحيح البخاري، حديث رقم (19).
- 6 صحيح البخاري، حديث رقم (3110)/صحيح مسلم، حديث رقم (2449).
- 7 صحيح البخاري، حديث رقم (7061)/صحيح مسلم، حديث رقم (2672).
- 8 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3292).

قال تعالى: { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } (التغابن:15).

الفتنة في هاتين الآيتين عند بعض المفسرين فسرت بالابتلاء والاختبار فقط، وعند مفسرين آخرين فسرت بمعنيين الإبتلاء والاختبار، والشغل عن الآخرة والصد عنها وهذا حقيقة الشرك بالله في العبادة. من العلماء الذين فسروا بالمعنيين الإمام الرازي قال في قوله تعالى: { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } (فتنة أي بلاء وشغل عن الآخرة)1.

قال أيضاً عن الفتنة: (لأنها تشغل القلب بالدنيا، وتصير حجاباً عن خدمة المولى)2.

ومنهم الإمام البغوي قال: ("إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ" بلاء واختبار وشغل عن الآخرة)3.

ومنهم علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي حيث قال: ("وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ" محنة من الله لبيلوكم، هل تقعون بهما في الخيانة، أو تتركون لهما الإستجابة لله ولرسوله، أو تلهون بهما عن ذكره، ولانتعاضون بهما منه. فسموا "الفتنة" إعتباراً بما ينال الانسان من الإختبار بهم. ويجوز أن يراد "بالفتنة" الإثم والعذاب، فإنهم سبب الوقوع في ذلك)4.

و قال أيضاً: ("إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ" أي: تفتنن بهما النفس، ويجري عليهما البلاء بهما إذا أوثرا علي محبة الحق)5.

والإمام البيضاوي قال: ("وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ" لأنهم سبب الوقوع في الإثم أو العقاب، أو محنة من الله تعالى لبيلوكم فيهم)6.

والعلامة أبي السعود قال: ("وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ" لأنها سبب الوقوع في الأثم والعقاب أو محنة من الله لبيلوكم في ذلك فلا يحملنكم حبهما علي الخيانة)7.

والإمام جلال الدين السيوطي: ("وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ" لكم صادة عن أمور الآخرة)8.

والإمام جلال الدين المحلي: ("إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ" لكم، شاعلة عن أمور الآخرة)9.

والإمام الشوكاني قال: (ثم قال: "وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ" لأنهم سبب الوقوع في كثير من الذنوب، فصاروا من هذه الحثيثة محنة يختبر بها الله عباده، وإن كانوا من حثيثة أخري زينة الحياة الدنيا)10.

أما الأدلة علي أن لفظة الفتنة في الآية 28 من سورة الأنفال والآية 15 من سورة التغابن يمكن أن تفسر بالابتلاء والاختبار و يمكن أن تفسر بالشرك بالله في العبادة هي:

الدليل الأول هو أن هناك قاعدة تفسيرية تقول: "أن اللفظ إذا احتمل معنيين لا يتنافيان ولا مرجح لأحدهما علي الآخر؛ حمل عليهما جميعاً". فلفظة الفتنة يمكن أن تفسر بالإبتلاء والاختبار، ويمكن أن تفسر بالشرك ولكن مع تخصيص الأموال والأولاد في الحالة الثانية فيكون الأموال والأولاد

1 تفسير الفخر الرازي، الجزء الثلاثون ص 27.

2 تفسير الفخر الرازي، الجزء الخامس عشر ص 157.

3 معالم التنزيل ص 143.

4 محاسن التأويل ص 2980.

5 محاسن التأويل ص 5825.

6 أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الجزء الثالث ص 56.

7 تفسير أبي السعود، الجزء الثاني ص 483.

8 تفسير الجلالين ص 180.

9 تفسير الجلالين ص 557.

10 تفسير الشوكاني ص 535.

المتكاثر به وليست كل الأموال والأولاد أي أن الأموال والأولاد عام من وجه وخاص من وجه، ولفظة الفتنة هي أيضاً عامة من وجه أي الإبتلاء والإختبار وخاصة من وجه أي الشرك. الدليل الثاني علي أن تفسير لفظة الفتنة في الآية 28 من سورة الأنفال والآية 15 من سورة التغابن بالشرك: هو أن أغلب الآيات التي قرن فيها بين الأموال والأولاد كانت بصيغة العام ولكن يراد بها الخاص أي المتكاثر به من الأموال والأولاد وهذا هو الشرك والقاعدة التفسيرية تقول النظير له حكم نظيره 1.

أولاً: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (المنافقون: 9).

قال تعالى: { شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا } (الفتح: 11). السؤال هل جميع الأموال والأولاد سبب للإشغال عن ذكر الله؟ الإجابة لا انما المتكاثر به هو الذي يشغل عن ذكر الله. قال تعالى: { أَلْهَاكُمْ النَّكَاثَرُ } (التكاثر: 1). ثانياً: قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ } (آل عمران: 10).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (آل عمران: 116).

قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِمَّا هُمْ مِّنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (المجادلة: 14). إلي قوله تعالى: { لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (المجادلة: 17).

الذين كفروا والمنافقين لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أي لا تدفع عنهم عذاب الله، هل كل اموال وأولاد الذين كفروا والمنافقين لا تدفع عنهم عذاب الله؟ الإجابة النفي الدليل قوله تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 262).

1 أما بقية الآيات هي عامة ولكن توجد قرينة علي ذلك العموم وهم مجموعتان: المجموعة الأولى منهم عامة الغرض منها تبين فقه التكاثر مثل قوله تعالى: { وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ } (سبأ: 35). وقوله تعالى: { اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ } (الحديد: 20). وقوله تعالى: { كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا } (التوبة: 69). وقوله تعالى: { فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا } (الكهف: 34). وقوله تعالى: { إِنَّ تَرَنَّا أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا } (الكهف: 39).

أما المجموعة الثانية فهي عامة أي للإبتلاء والإختبار ولكن توجد قرينة علي ذلك مثل قوله تعالى: { وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلْيَتَمِمْ وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلْيَتَمِمْ وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلْيَتَمِمْ } (الإسراء: 6-7). فهي عامة للإبتلاء والإختبار القرينة المانعة الخصوص إما الإحسان وإما الإساءة. ومثل قوله تعالى: { وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَاFٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٌ مَّشَاءٌ بِنَمِيمٍ * مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَتِيمٍ * عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } (القلم: 14). فهي عامة القرينة المانعة من الخصوص عندما يذكروا بآيات الله حتى ينفقوا بوصفوا آيات الله بأساطير الأولين.

ومثل قوله تعالى: { أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا } (مريم: 77-78). فهي عامة وتتحدث التمني الكاذب وبما أنه كفر بآيات الله هذه القرينة علي أنها عامة. ومثل قوله تعالى: { وَيُؤْمِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ } إلي قوله تعالى: { مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا } (نوح: 12-13). فهي عامة والقرينة إستتكر عليهم عدم رجاءهم لله وقارا.

قال تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 274).

قال تعالى: { وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَحَنَّةً عَرَضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (133 آل عمران- 134). التي لا تدفع عن أصحابها العذاب هي المرادة لذاتها أي المتكاثر بها أما إنفاق المرادة لذاتها في سبيل الله هو أعظم ما يدفع عن أصحابه عذاب الله لأنه تحقيق للتوحيد. ثالثاً: قال تعالى: { فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } (التوبة: 55).

قال تعالى: { وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } (التوبة: 85).

هل الله سبحانه وتعالى يعذب بكل الأموال؟ لا انما يعذب بالمتكاثر به لأنه نوع من أنواع الشرك قال تعالى: { وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا } (سبا: 35- 37).

رابعاً: قال تعالى: { وَشَارِكُكُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا } (الأسراء: 64). فمشاركة الشيطان للانسان تكون في سوي حد الكفاية عن جابر بن عبدالله، قال: ذكر رسول الله ﷺ الفرش فقال: (فرش للرجل، وفرش للمرأة، وفرش للضيف، والرابع للشيطان) 1.

خامساً: قال تعالى: { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } (الكهف: 46).

هل جميع المال والبنون زينة الحياة الدنيا؟ ليس ذلك إنما المتكاثر به.

سادساً: قال تعالى: { وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا } (سبا: 35- 37). الذين كفروا تكاثروا وتعالوا بالأموال والأولاد واعتقدوا أن التكاثر يدفع عنهم العذاب ففقدوا بينه وبين إنتفاء العذاب فقالوا: { نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ } فكان الرد عليهم إن أموالكم وأولادكم المتكاثر به لا تدفع عنكم العذاب أي لا تقربكم إلي الله زلفي، إنما الذي يدفع عنكم العذاب الإيمان أي العمل الصالح. فالأموال والأولاد التي لا تقرب إلي الله المذكورة في الآية هي عام يراد به الخاص أي المتكاثر به.

سابعاً: قال تعالى: { رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا } (نوح: 21). هل كل الأموال والاولاد سبب للخسارة؟ الاجابة في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُكُمُ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المنافقون: 9). السؤال هل كل الاموال والاولاد سبب للإلهاء عن ذكر الله. قال تعالى: { أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ } (التكاثر: 1). فالسبب في الإلهاء عن ذكر الله أي السبب في الخسارة هو التكاثر بالاموال والاولاد وليست كل الاموال والاولاد. ثامناً: قال تعالى: { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } (الشعراء: 88- 89).

1 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4142).

السؤال هل كل المال والبنون لا ينفع؟ الإجابة علي هذا السؤال تكون من خلال معرفة سلامة القلب، فحقيقة القلب السليم هو القلب الخالي من الفتن. قال تعالى: { وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۗ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۗ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (المائدة: 41). الفتن من المال والبنون هو الذي لا ينفع هنا جأت الفتن مباشرة.

فهذه الآيات التي قرن فيها الأموال والأولاد عامة يراد بها الخصوص فالنظير له حكم النظير. والدليل عن أبي الدرداء، قال: خرج علينا رسول الله صلي ونحن نذكر الفقر ونتخوفه، فقال: (الفقر تخافون؟ والذي نفسي بيده لتصبن عليكم الدنيا صبا حتى لا يزيغ قلب أحدكم إزاغة إلا هيه) 1. النفي والإثبات من أقوي صور الحصر. أصل الدنيا وحقيقتها التكاثر بالأموال والأولاد.

الدليل الثالث علي أن تفسير لفظة الفتنة في الآية 28 من سورة الأنفال والآية 15 من سورة التغابن بالشرك: هو لو أخذنا بالتفسير الذي يقول أن الفتنة المذكورة في في الآية 28 من سورة الأنفال والآية 15 من سورة التغابن هو الإبتلاء والإختبار، فإن فتنة الإبتلاء والإختبار إما تقود إلي الصدق أو إلي الكذب. قال تعالى: { أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ } (العنكبوت: 2، 3). فتنة الإبتلاء والإختبار أي الأموال والأولاد تنتج أشخاص إما الصادقين أو كاذبين. والكاذبين هم المنافقين. قال تعالى: { لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ } (الاحزاب: 24). وقال تعالى: { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يُشْهَدُ إِنْ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } (المنافقون: 1). نفاق المنافقين وكذبهم هو سقوطهم في الفتنة التي بمعنى الشرك.

قال تعالى: { يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ } (الحديد: 14-13).

والفتنة هنا بمعنى الشرك لأنها سبب للعذاب أي منع نور الله.

فتنة الإبتلاء والإختبار أي الأموال والأولاد تقود إما إلي الصدق وإما إلي الكذب. في حالة المنافقين يسمى فتنة التي هي الشرك بالله، لكن السؤال متي تكون الأموال والأولاد شرك بالله أي فتنة الشرك؟ تكون الأموال والأولاد شرك بالله في حالة التكاثر بها أي التكاثر بالأموال والأولاد. قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (المجادلة: 14). إلي قوله تعالى: { لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ * اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (المجادلة: 17). فحصر فيهم الخسران والذي سببه التكاثر بالأموال والأولاد.

من جانب آخر في قوله تعالى: { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } (الشعراء: 88-89).

ما هي حقيقة سلامة القلب؟ فحقيقة القلب السليم هو القلب الخالي من الفتن.

1 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (5). السلسلة الصحيحة (688).

قال تعالى: { وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۗ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۗ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (المائدة: 41).

السؤال متي يكون المال والبنون سبب لعدم سلامة القلب أي سبب للفتنة القلب؟ إذا كان متكاثراً به هذا يعني الفتنة الشرك التي سبب لعدم سلامة القلب من المال والبنين هو المتكاثراً به. عن أبي الدرداء، قال: خرج علينا رسول الله صلى ونحن نذكر الفقر ونتخوفه، فقال: (الفقر تخافون؟ والذي نفسي بيده لتصين عليكم الدنيا صباً حتى لا يزيغ قلب أحدكم إزاعة إلا هيه) 1. النفي والإثبات من أقوى صور الحصر. أصل الدنيا وحقيقتها التكاثراً بالأموال والأولاد.

أما الدليل الأوضح علي أن الفتنة بمعنى الشرك هي التكاثراً بالأموال والأولاد هو التناقض بين "أن لا تكون فتنة" و"أن يكون الدين لله".

قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } (البقرة: 193).

قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (الأنفال: 39).

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (فأمر بالجهاد حتى لا تكون فتنة وحتى يكون الدين كله لله، فجعل المقصود عدم كون الفتنة، ووجود كون الدين كله لله، وناقض بينهما، فكون الفتنة ينافي كون الدين لله، وكون الدين لله ينافي كون الفتنة) 2. فإذا كانت هناك فتنة لم يكن الدين لله.

مع العلم أن السبب في فساد الدين هو الحرص علي المال والشرف أي التكاثراً بالأموال والأولاد. عن كعب بن مالك الأنصاري، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: (ما ذنبان جائعان أرسلا في غم؛ بافسد لها من حرص المرء علي المال، والشرف لدينه) 3.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما ذنبان ضاربان جائعان باتا في زريبة غم، أغفلها أهلها، يفترسان ويأكلان؛ بأسرع فيها فساداً من حب المال والشرف في دين المرء المسلم) 4. هذا يفسر أن الفتنة في الدين والتي بمعنى الشرك هي الحرص علي المال والشرف أي التكاثراً بالأموال والأولاد.

التكاثراً بالمال هو حب المال لذاته:-

التكاثراً بالمال هو حب المال لذاته وإرادته لذاته.

التكاثراً بالأولاد هو العز بالنفر: والعزة نوعان:-

السبب الثاني للفتنة في الدين هو الحرص علي العزة والشرف، ولكن العزة نوعان عزة مضمومة وهو سبب للفتنة في الدين وعزة محمودة.

العزة المحمودة هي المكانة عند الله:-

العزة المحمودة هي المكانة عند الله وهي متعلقة بالإصلاح بين الناس أي منع الفتن بينهم فبقدر قيام الإنسان بمنع الفتن بين الناس والإصلاح بينهم وتخليصهم من العذاب يكون شرفه و سيادته. عن أبي بكر رضي الله عنه، أخرج النبي ذات يوم الحسن، فصعد به علي المنبر فقال: (أبني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) 5. عن هذا الحديث قال المهلب كما ذكر ابن حجر في فتح

1 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (5). السلسلة الصحيحة (688).

2 قاعدة في المحبة ص 158.

3 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2376)/سنن الدارمي، حديث رقم (2936)/صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم (3250).

4صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم (3251).

5 صحيح البخاري، حديث رقم (3629).

الباري: (الحديث دالٌّ على أنَّ السَّيَادَةَ إِنَّمَا يَسْتَحَقُّهَا مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ، لكونه علق السيادة بالإصلاح) 1. وغاية كل الأنبياء واحدة وهي الإصلاح بين الناس أي منع الفتن بينهم. قال تعالى: { قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ^ط إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَنْطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ } (هود: 87 - 88). لذلك الأنبياء اشرف الناس علي الإطلاق. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ) 2.

والنبي صلى الله عليه وسلم اشرف الأنبياء علي الإطلاق أي أشرف الناس علي الإطلاق لذلك هو سيد ولد آدم.

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) 3. لان الأنبياء بعثوا لأقوامهم خاصة والنبي صلى الله عليه وسلم بعث للناس كافة لذلك هو سيد ولد آدم. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَيْتًا : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ) 4.

قال تعالى: { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ } (النساء: 114).

والنبي صلى الله عليه وسلم سيد الناس يوم القيامة لأنه يخلصهم من العذاب. عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بلحم فرُفع إليه الذراع، وكانت تُعجبُه، فنهش منها نهشةً، ثم قال: (أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممّ ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يُسمِعهم الداعي وَيَنْفُذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يُطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمّك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عزّ وجلّ قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوئها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبيُّ الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنتُ كذبتُ ثلاث كذبات - فذكرهنَّ أبو حيان في الحديث - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى

1 فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الثالث عشر ص 72.

2 صحيح البخاري، حديث رقم (4688).

3 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3496)/صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4673).

4 صحيح مسلم، حديث رقم (523).

غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّي قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ابن مريم، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبياً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمداً فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يُقال: يا محمد، ارفع رأسك، سلّ ثعابه، واشفع تُشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحِمير - أو كما بين مكة وبُصرى)1.

العزة المذمومة هي المكانة عند الناس:-

قال تعالى: { بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَبْتِغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ } (النساء: 138 – 139).
قال الإمام أبي حامد الغزالي: (أن الجاه والمال رُكنا الدنيا، ومعني المال ملك الأعيان المنتفع بها، ومعني الجاه ملك القلوب المطلوب تعيمها وطاعتها، وكما إن الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير، . . فذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس)2.

وسائل العزة المحمودة:-

الوسيلة الوحيدة للعزة المحمودة أي الوسيلة الوحيدة للسيادة هو العلم الكامل أي علم الوحي أي التوحيد وهو العلم الذي أنزل على الأنبياء عليهم السلام. قال تعالى: { وَبِاللَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (المنافقون: 8). الحكم إذا علق بوصف يدور مع ذلك الوصف قوة وضعفاً وزيادة ونقصان ووجوداً وعدمًا. الوصف هنا الإيمان فالعزة تدور مع وجود الإيمان قوة وضعفاً وزيادة و نقصان ووجوداً وعدمًا.
وحقيقة الإيمان هو العلم الكامل.
قال تعالى: { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } (المجادلة: 11). عطف العلم على الإيمان من باب عطف الخاص على العام وهو يفيد الاهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام فالرفعة للذين أُوتوا العلم.
فحتي تفضيل الانبياء عليهم السلام بالعلم.
قال تعالى: { وَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ } (النمل: 15).
ولكن أي علم؟ العلم الذي يصلح بين الناس الذي يمنع أي الفتن وهو العلم الكامل.

1 صحيح البخاري، حديث رقم (4712).

2 إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، ص251.

وسائل ابتغاء العزة المذمومة:-

وسائل الشرف المذموم هي إنفاق المال رياء الناس.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدْيِ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } (البقرة:264).

قال تعالى: { وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا } (النساء: 38 – 39).

العزة المذمومة أحد أنواع الرياء لأن الرياء نوعان:-

الرياء نوعان رياء يوثر في كمية العمل أي في وجوده ويكون سبب في نقصان العمل وعدمه وجوده، ورياء لا يوثر في كمية العمل. وحقيقة الرياء الذي يوثر في كمية العمل هو الشرف المذموم وهو الرياء بإنفاق المال أي إنفاق المال المراد لذاته في غير مكانه الصحيح أي إنفاقه في المكان الذي يحبه الناس أما النوع الآخر من الرياء يكون بالأعمال الاخرى الدليل علي هذا التقسيم للرياء الحديث النبوي الشريف الذي رواه كعب بن عياض رضي الله عنه فقال: اني سمعت رسول الله ﷺ يقول:(أن لكل امة فتنه، وفتنة أمتي: المال)1.

فتنة مفرد مضاف وامتى مضاف إليه فهذا يفيد العموم أي كل الفتن لأن المفرد المضاف يفيد العموم. وهناك قاعدة عند أهل البلاغة تقول إذا كان المبتداء والخبر معرفتين فهما دالان علي الحصر فالمال مبتداء موخر معرفة بالألف واللام و"فتنة أمتي" خبر مقدم معرف بالإضافة هذا يفيد حصر الصفة في الموصوف أي أن كل فتن الأمة في المال. ومع العلم أن كل شيء يسبب نقص العمل الصالح يعتبر من أسباب فساد الدين أي أسباب الفتنة في الدين والحرص علي الشرف من أسباب الفساد في الدين أي من أسباب الفتنة في الدين ومع العلم أن فتن الأمة كلها في المال فيكون الحرص علي الشرف هو الرياء بإنفاق المال.

العزة المذمومة تقود إلى الإسراف:-

قال تعالى: { وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } (الأنعام: 141).

قال تعالى: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } (الأعراف: 31).

قال تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } (الفرقان:67).

قال ابن عباس: (كل ما شئت وألبس ما شئت، ما أخطأتك إثنان: سرف ومخيلة)2.

قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد وغيرهما: (من انفق مائة الف في حق ليس بسرف، ومن انفق درهما في غير حقه فهو سرف)3.

قال الحسن البصري: (ليس في النفقة في سبيل الله سرف)4.

وقال إياس ابن معاوية: (ما جاوزت به امر الله تعالى فهو سرف)5.

1 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2336)/المستدرک علي الصحيحين، كتاب الرقاق، حديث رقم (7896). قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

2 صحيح البخاري، حديث رقم (5781).

3 تفسير القرطبي ، المجلد السابع، ص 369.

4 تفسير ابن كثير، الجزء السادس، ص 124.

5 تفسير ابن كثير، الجزء السادس، ص 124.

وقال غيره: (السرف النفقة في معصية الله عز وجل)1. قال الإمام ابن القيم: (والفرق بين الجود والسرف، أن الجواد حكيم يضع العطاء مواضعه، والمسرف مبذر وقد يصادف عطاؤه موضعه، وكثيرا لا يصادفه)2. قال يحيى بن معاذ: (الدرهم عقرب، فإن لم تحسن رقيته فلا تاخذه، فإنه إن لدغك قتلك سمه. قيل: ما رقيته؟ قال: أخذه من حله ووضعها في حقه) 3. والسبب في وجود الإسراف هو الحرص على الشرف والجاه والسمعة أي التعلق بما عند الغير أي التعلق بغير الله. فالحرص على الشرف أي الجاه والتعلق به يقود الي إنفاق المال المراد لذاته في غير سبيل الله أي إنزال الإنفاق في غير مكانه الصحيح وهذا هو الإسراف فاذا كان التعلق بالمال نتاج الاعجاب بالنفس والارجاع الفضل اليها فالاسراف نتاج الاعجاب بما عند الناس من الذكر والسمعة والثناء الحسن.

الإسراف العام:-

إذا كان الإسراف هو إنفاق المال في غير سبيل الله فهذا هو الإسراف الخاص أما الإسراف العام يشمل الإسراف الخاص ويشمل إمساك المال لأن إمساك المال أيضاً وضع المال في غير مكانه الصحيح.

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ } (غافر: 28).
 قال تعالى: { كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ } (غافر: 35).
 قال تعالى: { وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ } (غافر: 43).
 قال تعالى: { وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ } (الشعراء: 150-152).
 قال تعالى: { وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَعَدَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى } (طه: 127).

الإسراف الخاص هو قسيم الخيلاء الخاص "الفخر الخاص":-

الإسراف الخاص هو قسيم الخيلاء أي قسيم الفخر الذي يقود إلي البخل "التكاثر بالمال".
 عن ابن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلوا وتصدقوا وألبسوا؛ في غير إسراف ولا مخيلة)4.

قال ابن عباس: (كل ما شئت وألبس ما شئت، ما أخطأتك إثنان: سرف ومخيلة)5.

الفخر نوعان: عام وخاص:-

الفخر نوعان فخر عام وفخر خاص.

الفخر العام هو التكاثر بالأموال والأولاد:-

الفخر العام يشمل التكاثر بالأموال والأولاد.

قال تعالى: { اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ } (الحديد: 20).

1 تفسير ابن كثير، الجزء السادس ص 124.

2 الروح ص 263.

3 مختصر منهاج القاصدين ص 214.

4 صحيح سنن النسائي، حديث رقم (2558).

5 صحيح البخاري، حديث رقم (5781).

الفخر الخاص:-

الفخر الخاص هو الخِيلاء أي البخل وأمر الناس بالبخل أي التكاثر بالأموال فقط.
قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا * الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ }
(النساء: 36-37). قال تعالى: { وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ
بِالْبُخْلِ } (الحديد: 23-34).

الإسراف الخاص يناظر العزة:-

العزة تقابل الإسراف في. عن ابن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلوا وتصدقوا
وألبسوا؛ في غير إسراف ولا مخيلة)1.

قال ابن عباس: (كل ما شئت وألبس ما شئت، ما أخطأتك إثنان: سرف ومخيلة)2.
أما الكبر الخاص هو الكبرياء وهو قسيم العزة. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: (قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري؛ فمن نازعني واحدا منهما قذفته في
النار)3. عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالاً: قال رسول الله ﷺ: (العزُّ إزاره والكبرياء رداءه فمن
نازعني عذبه)4.

عن أبي هريرة، قال: قال الله عز وجل: (الكبرياء ردائي والعزة إزاري فمن نازعني واحداً ألقيه
في النار)5.

فتنة الابتلاء والاختبار "الفتنة الكونية":-

قال تعالى: { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً } (الأنبياء: 35).
قال تعالى: { إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَاصْطَبِرْ } (القمر: 27).
قال تعالى: { أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ } (العنكبوت: 2 ، 3).

فتنة المال تقود إلى فتنى الغنى والفقير:-

الفتنة في المال وهي الحرص على المال والشرف تقود نوعان آخران من الفتن وهما فتنة الغنى
وفتنة الفقر. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ
وَالْهَرَمِ ، وَ الْمَأْتَمِ وَالْمَعْرَمِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ ، وَ شَرِّ فِتْنَةٍ
الْغِنَى وَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ)6.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ ، وَالْمَعْرَمِ
وَ الْمَأْتَمِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَ فِتْنَةِ النَّارِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَ شَرِّ فِتْنَةٍ
الْغِنَى وَ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ)7

عَنْ هِشَامِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِيهِ عَنْ خَالَتِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ ، وَمِنْ عَذَابِ
النَّارِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْغِنَى وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ
فِتْنَةِ الْفَقْرِ)1.

1 صحيح سنن النسائي، حديث رقم (2558).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (5781).

3 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4090)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3383).

4 صحيح مسلم، حديث رقم (2620).

5 مسند الإمام احمد، إسناده صحيح حديث رقم (7376).

6 صحيح البخاري، حديث رقم (6368).

7 صحيح البخاري، حديث رقم (6375).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ) 2.

الفتنة العامة والفتنة الخاصة:-

فتنة المال فتنة لكل البشر الرجال والنساء لذلك هي فتنة عامة أما فتنة النساء هي فتنة خاصة للرجال فقط وليست فتنة للنساء. عن كعب بن عياض رضي الله عنه قال: اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أن لكل امة فتنة، وفتنة أمتي: المال) 3.

عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: (ما تركت بعدي في الناس فتنة اضر علي الرجال من النساء) 4.

فتنة الامة هي فتنة المال. عن كعب بن عياض رضي الله عنه قال: اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أن لكل امة فتنة وإن فتنة أمتي المال) 5.

الفتنة مفرد مضاف وامتى مضاف اليه والمفرد المضاف يفيد العموم أي كل فتن الامة في المال.

الفتنة تطلق على الأسباب والنتائج:-

الفتن تطلق على الأسباب أي علي الشرك وهو سبب الضلال.
(واسالك لذة النظر إلي وجهك الكريم، والشوق إلي لقائك؛ في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة) 6.

وتطلق علي النتائج أي علي التفرق والاختلاف. عن أبي سفيان، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: (أن إبليس يضع عرشه علي الماء، ثم يبعث سراياه. فادناهم منه منزلة أعظمهم فتنة. ثم يجي احدهم فيقول. فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شي. قال: ثم يجي احدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت) 7. وهذا النوع من الإخلاص هو حقيقة توحيد الإرادة أي توحيد العبادة. وهناك تلازم بين الشرك والتفرق والاختلاف.

الفتنة سبب للضلال:-

قال تعالى: {إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ} (الأعراف: 155).

قال تعالى: {وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} (الأنعام: 119).

قال تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ} (القصص: 50).

قال تعالى: {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} (ص: 26).

قال تعالى: {وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} (المائدة: 49). الحكم بما أنزل الله وعدم إتباع الهوي متلازمان إذا وجد الحكم بما أنزل الله

1 صحيح البخاري، حديث رقم (6376).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (6377).

3 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2336)/المستدرک علي الصحيحين، كتاب الرقاق، حديث رقم (7896). قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

4 صحيح البخاري، حديث رقم (2741).

5 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2336)/المستدرک علي الصحيحين، كتاب الرقاق، حديث رقم (7896). قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

6 صحيح سنن النسائي، حديث رقم (1304).

7 صحيح مسلم، حديث رقم (2813).

وجد عدم إتباع الهوي وإذا وجد عدم إتباع الهوي وجد الحكم بما أنزل الله. والفتنة هي ترك بعض ما أنزل الله فتكون الفتنة سبب في إتباع هوي النفس.

التي تضر هي الفتن أما الذي ينفع هو الصدق والإيمان وسلامة القلب:-

قال تعالى: { قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (المائدة:119).
قال تعالى: { فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً أَمْنَتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَآبَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ } (يونس:98).

قال تعالى: { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } (الشعراء: 88-89).
عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تعرض الفتن علي القلوب كالحصير عودا عودا، فأبي قلب اشربها نكت فيه نكتة سودا، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير قلبين: علي ابيض مثل الصفاء، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والأخر اسود مربادا، كالكوز مجخيا، لا يعرف معروف، ولا ينكر منكرا، إلا ما اشرب من هواه)1.
عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: (ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر علي الرجال من النساء)2.

والتي تضر هي الفتنة (واسالك لذة النظر الي وجهك الكريم، والشوق الي لقائك؛ في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة)3. الفتنة ضد الإيمان واصل الإيمان هو حب الله لذاته أي عبادته إذن الفتنة هي حب غير الله لذاته أي أن الفتنة هي فساد في الإرادة.

سلامة القلب تكون من الفتن:-

لقد ذكر أن الذي ينفع هو الإيمان والصدق والذي يضر هو الفتن ولكن هناك شي آخر ينفع الإنسان وهو سلامة القلب أو القلب السليم.

قال تعالى: { وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } (الشعراء: 87-89).

قال تعالى: { وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } (الصافات: 83-84). ما هي حقيقة سلامة القلب؟ فحقيقة القلب السليم هو القلب الخالي من الفتن.

قال تعالى: { وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ } (المائدة:41).

أما سلامة القلب هي سلامته من الفتن لان من فتنه الله هو الذي لم يرد الله أن يطهر قلبه. والفتن تعرض علي القلب. عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تعرض الفتن علي القلوب كالحصير عودا عودا، فأبي قلب اشربها نكت فيه نكتة سودا، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير قلبين: علي ابيض مثل الصفاء، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والأخر اسود مربادا، كالكوز مجخيا، لا يعرف معروف، ولا ينكر منكرا، إلا ما اشرب من هواه)4.

الفتنة في الدين هي الفحشاء:-

- 1 صحيح مسلم، حديث رقم(644).
- 2 صحيح البخاري، حديث رقم (2741).
- 3 صحيح سنن ابي النسائي، حديث رقم (1304).
- 4 صحيح مسلم، حديث رقم(644).

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (النحل:90).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } النور (21)

قال تعالى: { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ } (العنكبوت:45).

عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تعرض الفتن علي القلوب كالحصير عودا عودا، فأی قلب اشربها نكت فيه نكتة سودا، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير قلبين: علي ابيض مثل الصفاء، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والأخر اسود مربادا، كالكوز مجخيا، لا يعرف معروف، ولا ينكر منكر، إلا ما اشرب من هواه)1.

الفحشاء والمنكر في القران الكريم قرينان متلازمان فوجود الفحشاء يعني وجود المنكر، ووجود المنكر دليل علي وجود الفحشاء. وبعد الجمع الآيات بالحديث الشريف وتفسير الآيات بالحديث تكون الفحشاء هي الفتنة في الدين أي الفحشاء هي جمع المال المراد لذاته ومنعه أو هي إنفاق المال المراد لذاته في غير سبيل الله لأن في الحديث يوجد تلازم بين الفتنة في الدين ووجود المنكر.

الدليل الآخر علي إن الفتنة في الدين هي الفحشاء:-

قوله تعالى: { كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (البقرة: 169).

وقوله تعالى: { الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ } (البقرة: 268).

وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } (النور: 21).

فالشیطان هو الذي يأمر بالفحشاء والشیطان هو الذي يفتن.

قال تعالى: { يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ } (الأعراف: 27). هذا يعني أن الفحشاء هي الفتنة في الدين.

العمل الصالح والفتنة في الدين نقيضان:-

العمل الصالح² والفتن نقيضان. عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال: "يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقي الشح، وتظهر الفتن ويكثر الهرج. قالوا: يا رسول الله ايما هو؟ قال: القتل القتل"¹.

1 صحيح مسلم، حديث رقم(644).

2 العمل الصالح هو إنفاق المال في سبيل الله

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 62).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 277).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (المائدة: 69).

قال تعالى: { فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الأنعام: 48).

قال تعالى: { فَمَنْ آتَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الأعراف: 35). في الآيات السابقة الإيمان والعمل الصالح سبب، والنتيجة إنتفاء الخوف والحزن فالخوف نكرة في سياق النفي يفيد العموم والحزن نكرة في سياق النفي يفيد العموم كذلك.

عن أبي هريرة، يرفعه قال: (يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويلقي الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج) قالوا: يا رسول الله! وما الهرج؟ قال: (القتل)2.

قال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُبْتَغُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة:262).

قال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة:274). في الآيات السابقة إنفاق المال في سبيل الله سبب، والنتيجة إنتفاء الخوف والحزن. فالخوف نكرة في سياق النفي يفيد العموم والحزن نكرة في سياق النفي يفيد العموم كذلك.

هناك قاعدة منطقية تقول أن الأسباب المتماثلة تقود إلي نتائج متماثلة وبما إن النتائج متماثلة هذا يعني أن الأسباب متماثلة أي أن حقيقة العمل الصالح هو إنفاق الأموال المرادة لذاتها أي الفضل في سبيل الله.

1 صحيح البخاري، حديث رقم (7061)/صحيح مسلم، حديث رقم (2672).

2 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3292).

الباب الثاني
الربا و الميسر
(الصور التفصيلية للفتنة في الدين)

في هذا الباب نحاول ضبط مفهوميين من أهم المفاهيم في الفقه الإسلامي هما الربا والميسر، والجديد في هذا هو ربط هذين المفهوميين بقضية الشرك في العبادة ففي السابق كانت تدرس هذه المفاهيم بصورة منعزلة عن قضية الشرك في العبادة ، لذلك كان هناك خلل في ضبطهما، أما تخصيص هذين مفهوميين بالمناقشة والدراسة من دون عدد كبير من المفاهيم الأخرى في الفقه الإسلامي له سببه فهذين المفهوميين لهما إرتباط وثيق بمفهوم الفتنة في الدين أي لهما إرتباط وثيق بقضية نقص عمل الجوارح الذي هو المفهوم المضاد لمفهوم إخلاص الدين، فالربا بأنواعه المختلفة والميسر هما الصور التفصيلية للفتنة في الدين أي هما الصور التفصيلية لنقص عمل الجوارح.

الفصل الأول
الربا وعلاقته بالفتنة في الدين وفساد الفكرة
الأساسية للبنوك

في هذا الفصل نحاول توضيح علاقة الربا بأنواعه المختلفة بقضية الفتنة في الدين ثم أثر تلك العلاقة في ضبط مفهومي الربا وهما ربا الصدقات و ربا البيوع لأن الإشكالية الأساسية في دراسة الربا هي أنه يُدرس بدون ربطه بقضية توحيد العبادة والتصوير الصحيح لها. مثلما يقع ذلك عند دراسة كثير من المفاهيم القرآنية وهذا يقود إلي وقوع الخلل والاضطراب في تصور المفاهيم القرآنية. أما النقطة الأخيرة هي بيان أثر ذلك الضبط لمفاهيم الربا في بيان فساد فكرة الأساسية للبنوك وفساد المعاملات المالية التي تتم بين الناس التي تشبه عمل البنوك.

الربا في اللغة:-

¹ الربا في اللغة النماء والزيادة. (ربا رُبوا كعلو؛ ورباء: زاد ونما).

تقوى الله وترك الربا متلازمان:-

تقوى الله وترك الربا أي عدم أكل الربا متلازمان.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (البقرة: 278).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ } (آل عمران: 130).

الربا سبعون باباً:-

² عن عبدالله عن النبي قال: (الربا ثلاثة سبعون باباً، وإن أربي الربا عرض الرجل المسلم).

³ (الربا سبعون باباً، والشرك مثل ذلك).

الربا نوعان: ربا ببيع و ربا قروض:-

الربا نوعان النوع الأول: ربا القروض وهو المقابل للصدقات. قال تعالى: { يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي

الصَّدَقَاتِ } (البقرة: 276). والنوع الثاني ربا البيوع وهو المقابل للبيع. قال تعالى: { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ

الرِّبَا لَا يَفُومُونَ إِلَّا كَمَا يَفُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا

وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } (البقرة: 275).

قاعدة الربا والبيع والصدقة:-

قبل الحديث عن أنواع الربا هناك قاعدة مهمة لا بد من ذكرها وهي أن المعاملات المالية بين الناس لا تخرج من ثلاثة صور فإما أن تكون بيع وله أنواع مختلفة وإما أن يكون ربا وله أنواع مختلفة وإما تكون صدقة وأعظم صوره القرض الحسن فهذا يعني أن المعاملات المالية بيع أو ربا أو صدقة.

قال الإمام ابن القيم: (وذكر الله سبحانه أحكام الناس في الأموال في آخر سورة البقرة، وهي ثلاث:

عدل، وظلم، وفضل، فالعدل في البيع، والظلم الربا، والفضل الصدقة؛ فمدح المتصدقين وذكر

⁴

ثوابهم، وذم المرابين وذكر عقابهم، وأباح البيع والتداين الي أجل مسمي).

ضبط مفهوم الصدقات:-

هناك صفتان مميزتان للصدقات عن غيرها من التعاملات المالية الصفة الأولى هي إنفاق المال

المراد لذاته والصفة الثانية خلوها من الرياء أي إنفاق هذا المال في المكان الصحيح المخصص لها

أي في سبيل الله. الدليل الأول علي أن مفهوم الصدقات مطابق لمفهوم الإنفاق في سبيل الله.

قوله تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ

رَبِّهِمْ } (البقرة: 262).

¹ القاسم المحيط ص488.

² مستدرک الحاكم، كتاب البيوع حديث رقم (2259). قال الحاكم هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. صححه الألباني صحيح الجامع الصغير حديث رقم (3539).

³ صحيح الجامع الصغير حديث رقم (3540).

⁴ أعلام الموقعين المجلد الثالث ص 220.

وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ { (البقرة:264). فالصدقات يفسدها المن والأذى والإنفاق في سبيل الله يفسده المن والأذى كذلك، فإذا إنتفاء المن والأذى تكون هذه الأعمال خالصة لله وهذه الأعمال خالصة لله، مع العلم أن إنفاق المال في سبيل الله فيه صفتان الأولى إنفاق المال المراد لذاته والصفة الثانية أن يكون هذا الإنفاق في سبيل الله هذا يعني أن الصدقات هي الإنفاق في سبيل الله. أما الدليل الثاني علي إن مفهوم الصدقات مطابق لمفهوم الإنفاق في سبيل الله، هو من السنة. عن أبي هريرة قال: ضرب رسول الله: (مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ)1.

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد أن عبد الرحمن حدثه أنه سمع أبو هريرة أنه سمع رسول الله: (مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ)2. وهذا التطابق يظهر بصورة واضحة في الجمع بين روايات الحديث السابقة فالمتصدق هو المنفق في سبيل الله. والدليل علي الصفة الثانية أي الخلو من الرياء إن الله يأخذ الصدقات. قال تعالى: { أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ { (التوبة:104). والله سبحانه وتعالى لا يأخذ العمل لو كان فيه شرك. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: (من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه)3. فالصدقات هي إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله وهي ضد الربا.

ضبط مفهوم ربا القروض:-

الصدقات ضد البخل.

قال تعالى: { وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ نَقُولَ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِقَافًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ { (التوبة:75-77).

والبخل ضد الإنفاق في سبيل الله. بما أن ربا القروض ضد الصدقات أي ضد الإنفاق في سبيل الله أي ضد إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله قال تعالى: { يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ { (البقرة : 276). هذا يعني أن ربا القروض أنواع. النوع الأول إمساك المال المراد لذاته عن الإنفاق أي إمساك الفضل وهذا هو حقيقة إرادة المال لذاته⁴ والنوع الثاني من أنواع الربا، ربا القروض هو أن يكون إنفاق المال المراد لذاته أي الفضل في غير سبيل الله أي رياء الناس⁵.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ { (البقرة:264).

قال تعالى: { وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ { (النساء: 38-39).

النوع الثالث والنوع الرابع من ربا القروض هما إتباع الإنفاق المن والأذى. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ { (البقرة:264).

1 صحيح مسلم حديث رقم (1021).

2 صحيح البخاري حديث رقم (1443).

3 صحيح مسلم حديث رقم (2985).

4 قد يقول قائل الربا هو إرادة الشيء لذاته والند إرادة الشيء لذاته فما الفرق بينهما؟ الفرق هو عند يكون المراد لذاته من دون الله هو النفس أي علو النفس أي كمالها الوهمي يُسمى في هذه الحالة المراد لذاته نداءً وعندما يكون المراد لذاته من دون الله مالا يُسمى في هذه الحالة رباً الثاني أحد أنواع الاول.

5 هناك تسعة محددات أي تسعة ضوابط حتي يكون الإنفاق في سبيل الله، أضداد هذه محددات والضوابط هي من أنواع الربا، سوف يكون الحديث عن هذه الأضداد في فصل جهاد النفس.

فربا القروض هو أمساك الفضل أو إنفاق الفضل في غير سبيل الله أي رياء الناس أو إتباع الإنفاق المن والأذي. هناك صفات أخرى غير هذه الصفات تحدد ربا الصدقات وهي مستنبطة من قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ * وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ } (البقرة: 288-290). النوع الخامس من أنواع ربا القروض هو الظلم أي الزيادة "الفائدة" والسادس عدم إنظار المعسر. أما النوع السابع من أنواع ربا القروض هو الظلم من جانب أخذ المال وهو مطل الغني أي لي الواجد. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: (مطل الغني ظلم، وإذا أتبع أحدكم علي ملئ فليتب) 1. عن الشريد، عن رسول الله قال: (لي الوجد يحل عرضه وعقوبته) 2.

قد يقول قائل كيف يكون مطل الغني أي لي الوجد رباً؟ الإجابة أربي الربا عرض الرجل المسلم. عن عبدالله عن النبي قال: (الربا ثلاثة سبعون باباً، وإن أربي الربا عرض الرجل المسلم) 3. عرض المسلم ربا ولكن هذا العرض يستحل إذا ماطل وهو غني أو لي وهو واجد والقاعدة القرآنية تقول الجزاء من جنس العمل هذا يعني مطل الغني ربا.

ربا البيوع:-

بعد الحديث عن حقيقة القرض الحسن وهو الإنفاق في سبيل الله بمعناه العام وأن ربا القروض ضد وأنه ضد الإنفاق في سبيل الله بالمعنى العام نتحدث الآن عن ربا البيوع وهو نوعان ربا الفضل وربا النسيئة.

ربا الفضل:-

هو الربا الذي يكون سببه التفاضل وهو مبادلة مال ربوي بمال ربوي متفاضلاً بشرط أن يكون من جنس واحد 4. حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والتمر بالتمر، والبر بالبر، والملح بالملح، والشعير بالشعير، مثلاً بمثل، سواء بسواء، يداً بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد) 5.

ربا النسيئة:-

هو الربا الذي يكون سببه تأخير القبض.

تعريفه: هو مبادلة مال الربوي بمال ربوي يتفق معه في العلة مع تأخير القبض أي مع عدم القبض في الحال.

عن ابن شهاب عن مالك بن أوس أخبره أنه ألتمس صرفاً بمائة دينار، فدعاني طلحة بن عبيد الله فتراوينا حتى إصطرف مني، فأخذ الذهب بقلبيها في يده ثم قال: حتي يأتي خاني من الغابة وعمر يسمع ذلك، فقال: والله لا تفارقه حتي تأخذ منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الذهب بالذهب

1 صحيح البخاري، حديث رقم (2287) // صحيح مسلم، حديث رقم (1564).

2 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3628) // صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (1985).

3 مستدرک الحاكم، كتاب البيوع حديث رقم (2259). قال الحاكم هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. صححه الألباني صحيح الجامع الصغير حديث رقم (3533).

4 بجنسه: أي جنس المال الربوي. فالذهب بأنواعه جنس، والفضة بأنواعها جنس والتمر بأنواعه جنس. الخ. صحيح مسلم، حديث (1587).

ربا إلا هاء وهاء، والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء، والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء، والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء)1.

فهذا الحديث يدل على وجوب التقابض في مبادلة الربوي بجنسه. وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عبادة المتقدم: (فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد) يدل على وجوب التقابض في مبادلة الربوي بغير جنسه إذا كان متفقاً معه في العلة الربوية.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (إن ربا الفضل هو التفاضل في بيع كل جنس بجنسه مما يجري فيه الربا، وربا النسيئة تأخير القبض فيما يجري فيه الربا..... وربا النسيئة: هو أن أبيع عليك شيئاً ربوياً بشيء ربوي مع تأخير القبض فيها)2.

قال الشيخ محمد سعيد رسلان: (القاعدة الفقهية في هذا النوع من التعامل هي أنه: إذا اتحد الجنسان حرم الزيادة والنساء – أي التأجيل -، وإذا اختلف الجنسان حل التفاضل دون النساء)3.

الفرق بين القرض الحسن وربا النسيئة:-

إن من أكثر قضايا الفقه الإسلامي إشكالاً قضية التفريق بين القرض الحسن وربا النسيئة "بيع الدراهم بالدراهم إلي أجل" وهذه القضية شغلت عقول الفقهاء فترة من الزمن لان القرض الحسن وربا النسيئة صورتها واحدة.

قال الإمام ابن القيم: (كذلك صورة القرض وبيع الدرهم بالدرهم إلي أجل صورتها واحدة وهذه قرينة صحيحة وهذه معصية باطلة)4.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (ولهذا جاز القرض الحسن مع أن صورته ربا، فإنه إذا باع درهما بدرهما ولم يحصل بينهما تقابض كان ربا، وإذا أقرضه درهما وبعد شهراً أعطاه أياه لم يكن ربا، مع أن الصورة صورة ربا ولا يختلف إلا القصد، ولما كان المقصود بالقرض الإرفاق والإحسان صار جائزاً)5.

وقال أيضاً: (القرض إنما يقصد به الإرفاق، ودفع حاجة المقترض، فإذا تعدي إلي أن يشتمل علي منفعة للمقرض مشروطة، أو متواطئاً عليها، فإنه يخرج عن موضوعه الذي من أجله شرع، وإلا في الحقيقة لولا أنه من أجل الإرفاق لكان يحرم أن تُعطي شخصاً درهماً، ثم يعطيك بعد مدة عوضه درهماً آخر، لأن هذا في الحقيقة ربا نسيئة، إذ هو مبادلة نقد بنقد، مع تأخير القبض، لكن لما تضمن الإرفاق والإحسان، ودفع الحاجة أبيع بهذا الغرض)6.

ولكن وجود الاختلاف في الحكم دليل علي وجود اختلاف حقيقي بين الصورتين.

ربا النسيئة وحال أخذ المال:-

الشي الذي يحدد الفرق بين القرض الحسن وربا النسيئة (بيع الدراهم بالدراهم إلي أجل) هو حال أخذ المال، إذا كان الشخص الذي أخذ المال من المُعطي، مستحق للزكاة أي كان فقيراً أو مسكيناً أو

1 صحيح البخاري، حديث رقم (2174)/صحيح مسلم، حديث رقم (1586).

2 الشرح الممتع علي زاد المستقنع، الجزء الرابع ص3-4.

3 الترهيب من الربا ص 55.

4 أعلام الموقعين، المجلد الرابع ص 520.

5 الشرح الممتع في زاد المستقنع، الجزء الرابع ص 89.

6 فتاوي نور علي الدرب للشيخ العثيمين، المجلد التاسع ص 12 السؤال رقم 4620.

غارماً او غيرها من أصناف الزكاة فهذا المال المأخوذ هو قرض حسن أما إذا كان الشخص الذي أخذ المال من المُعطي هو أحد الناس الذين يدفعون الزكاة أي كان غني فهذا المال المأخوذ هو ربا في البيوع. فإذا كان المال المأخوذ عليه فائدة وتأخير القبض يكون في هذه المعاملة ربا فضل وربا نسيئة، أما إذا كان المال المأخوذ ليس عليه فائدة ولكن يوجد تأخير في القبض يكون في هذه المعاملة ربا نسيئة فقط وللاستدلال علي هذا القول هناك مقدمات لا بد منها.

المقدمة الأولى: القرض الحسن أعظم أنواع الصدقات:-

قال تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ } (البقرة:245).

قال تعالى: { وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } (سورة المائدة: 12).

قال تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ } (الحديد:11).
قال تعالى: { إِنَّ الْمُسَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ } (الحديد:18).
قراءة بتشديد الصاد من التصدق وأصل الكلام: المتصدقين والمتصدقات عطف القرض علي الصدقات من باب عطف الخاص علي العام يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام.

قال تعالى: { إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ } (التغابن:17).
قال تعالى: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } (المزمل:20). (كل قرض صدقة) 1. فكل قرض حسن صدقة وليست كل صدقة قرض حسن.

المقدمة الثانية: الصدقات الواجبة لها مستحقين معينين:-

والصدقات المالية الواجبة أي الفضل أي إئفاق المال المراد لذاته لا تجوز إلا للأصناف الثمانية المذكورين في آية الزكاة في سورة التوبة وهذا الأمر مجمع ومتفق عليه بين المسلمين.
قال تعالى: { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (التوبة: 60).
الصدقات الواجبة هي الزكاة ذات النصاب والحوال، والصدقات المقابلة للربا. الالف واللام في الصدقات للإستغراق أي كل الصدقات وإنما تفيد الحصر أي كل الصدقات للفقراء والمساكين . الخ.

قال الإمام النسفي: (قصر جنس الصدقات علي الأصناف المعودة، أي هي مختصة بهم لا تتجاوز إلي غيرهم، كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم)2.

قال الإمام ابن الجوزي: (ثم بين المستحقين للصدقات بقوله "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ")3.
قال الإمام الشوكاني: ("إِنَّمَا" من صيغ القصر، تعريف الصدقات للجنس: أي جنس هذه الصدقات مقصور علي هذه الأصناف المذكورة لا يتجاوزها، بل هي لهم لا لغيرهم)4.

1 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (4542).

2 تفسير النسفي المجلد الأول ص 475.

3 تفسير ابن الجوزي ص 589.

4 تفسير الشوكاني ص 579.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (أن قوله: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ" للحصر، وإنما يثبت المذكور ويبقى ما عداه، والمعنى: ليست الصدقة لغير هؤلاء بل لهؤلاء، فالمثبت من جنس المنفي، ومعلوم أنه لم يقصد تبين الملك، بل قصد تبين الحل، أي لا تحل الصدقة لغير هؤلاء، فتكون المعنى بل تحل لهم)1.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي: (ثم بين تعالى كيفية قسمة الصدقات الواجبة فقال: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (التوبة: 60). يقول تعالى: " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ " أي الصدقات الواجبة، بدليل أن الصدقة المستحبة لكل أحد، لا يخص بها أحد دون أحد، أي إنما الصدقات لهؤلاء المذكورين دون من عداهم، لأنه حصرهم فيهم)2.

قال الدكتور وهبة الزحيلي: (" إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ " الزكوات المفروضة مصروفة لهؤلاء الثمانية، وأفادت اللام وجوب إعطائها لهم، وإنما مختصة بهم لا تتجاوزها إلي غيرهم)3.

الإجماع:-

وهناك إجماع علي عدم صرف الصدقات الواجبة لغير هذه الأصناف الثمانية. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد أتفق المسلمون علي أنه لا يجوز أن يخرج بالصدقات عن الأصناف الثمانية المذكورين في هذه الآية، كما دل علي ذلك القران. فإذا تبين هذا الأصل)4. قال الفخر الرازي: (قوله " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ " الآية تدل علي أنه لا حق في الصدقات لأحد إلا لهذه الأصناف الثمانية، وذلك مجمع عليه)5. والربا منهي عنه والنهي عن شي أمر بضده.

المقدمة الثالثة: حد الصدقات الواجب إنفاقها هو المال المراد لذاته:-

حد الصدقات الواجبة إنفاقها أي التي يجب إنفاقها هو المال المراد لذاته هو الصدقات الواجبة. هي الفضل كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : بينما نحن في سفر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا جاءه رجل على راحلة فجعل يضرب يميناً وشمالاً ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) قال : فذكر من أصناف المال حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل)6. فمنطوق الحديث إنه ليس لأحد حق في فضل إلا إذا كان لديه حاجة لهذا الفضل والصحابة مجمعين علي ذلك. قال الإمام ابن حزم الظاهري عن هذا الحديث في كلامه عن مسألة فرض علي الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم: (وهذا إجماع الصحابة رضي الله عنهم يخبر بذلك أبو سعيد، وبكل ما في هذا الخبر نقول)7. لا يستحقها إنسان غير محتاج.

المقدمة الرابعة: طلب القرض من الغير سؤال وطلب:-

من جانب آخر أن طلب القرض هو سؤال. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ (يقول الله عز وجل: استقرضت عبيد فلم يقرضني)8.

1 مجموع الفتاوي، المجلد الخامس والعشرون ص77.

2 تفسير السعدي ص 341.

3 التفسير المنير الجزء 10 ص 258.

4 مجموع الفتاوي، المجلد الثامن والعشرون ص568.

5 تفسير الفخر الرازي الجزء 16 ص 84.

6 صحيح مسلم، حديث رقم (1728)/صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (1663).

7 المُحلي المجلد الثالث، الجزء السادس ص158.

8 مستدرک الحاكم، كتاب الزكاة، حديث رقم (1526). قال الحاكم صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (3477).

الالف والسين والتاء للطلب والسؤال. سؤال وطلب المال من الغير في الأصل منهي عنه إلا حاجة أو ضرورة. أن طلب القرض من الغير هو مساءلة لان الإستفراض هو طلب النقود من الغير وهو نوع من أنواع سؤال الناس وهو منهي عنه إلا لضرورة أو حاجة.

المقدمة الخامسة: المسألة لا تحل إلا لثلاثة:-

في الحديث (استقرضت عبدي) وحقيقة القرض إنه يطلب من الغير وهو نوع من أنواع السؤال، والمسألة لا تحل إلا لثلاثة ومن سأل مال غيره وهو ليس من هؤلاء الثلاثة فالمال الذي يأخذه سحت. عن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة. فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها. فقال: (أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها) قال: ثم قال: (يا قبيصة! إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك . ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال "سدادا من عيش". ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ فَمَا سِوَاهُ مِنْ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةَ ! سَحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سَحْتًا)1.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (فهؤلاء الثلاثة هم الذين تحل لهم المسألة وما سوي ذلك فإن الرسول ρ قال: "وما سواهن من المسألة يا قبيصة، سحت يأكلها صاحبها سحتا". والسحت هو الحرام وسمي سحتا؛ لأنه يسحت بركة المال، وربما يسحت المال كله)²

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (المسألة في الأصل حرام. وإنما إبيحت للحاجة والضرورة)³
قال شيخ الإسلام بن تيمية: (وأحاديث النهي عن مسألة الناس الأموال كثيرة كقوله: "لا تحل المسألة إلا لثلاثة" وقوله: "لأن يأخذ أحدكم حبله" الحديث، وقوله: "لا تزال المسألة بأحدكم . . ." وقوله: "من سأل الناس وله ما يغنيه . . ." وأمثال ذلك)⁴.
قال الإمام أبي حامد الغزالي: (أن السؤال حرام في الأصل، إنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة)⁵.

قال الإمام النووي: (مقصود الباب وأحاديثه: النهي عن السؤال، وأتفق العلماء عليه إذا لم تكن ضرورة، وأختلف أصحابنا في مسألة القادر علي الكسب علي وجهين أصحهما: أنها حرام؛ لظاهر الأحاديث. والثاني: حلال مع الكراهة بثلاث شروط: ألا يذل نفسه، ولا يلح في السؤال، ولا يؤدي المسئول، فإن فقد أحد هذه الشروط فهي حرام بالاتفاق)⁶.

ما سوي الثلاثة من سأل تكثرأ:-

عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ρ : (من سأل الناس أموالهم تكثرأ، فإنما يسأل جمرا جهنم.

⁷ فليستقل منه أو ليكثر) (من سأل من غير فقر فكأنما يأكل الجمر).⁸

1 صحيح مسلم، حديث رقم (1044)/صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (1640).

2 شرح رياض الصالحين، المجلد الثاني ص213.

3 مدارج السالكين، المجلد الأول ص 624.

4 مجموع الفتاوي، المجلد الأول ص 78.

5 إحياء علوم الدين، المجلد الرابع ص 147.

6 شرح صحيح مسلم المجلد الرابع ص 138.

7 صحيح مسلم، حديث رقم (1041)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (1500).

8 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (6281).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (يعني من سأل الناس أموالهم ليكثر بها ماله، فإنما يسأل جمرًا فليستقل أو ليكثر، إن أستكثر زاد الجمر عليه، وإن أستقل قل الجمر عليه، وإن ترك سلم من الجمر. ففي هذا: دليل أن سؤال الناس بلا حاجة من كبائر الذنوب)1.

وقال كذلك: (وهذا وعيد شديد يدل على تحريم كثرة السؤال، ولهذا قال العلماء: لا يحل لأحد أن يسأل شيئًا إلا عند الضرورة، إذا أضطر الإنسان فلا بأس أن يسأل، أما أن يسأل للأموال الكمالية لأجل أن يسابق الناس فيما يجعله في بيته، فإن هذا لا شك في تحريمه، ولا يحل له أن يأخذ شيئًا، حتى الزكاة لو أعطيتها فلا يأخذها لإنفاقها في الأمور الكمالية التي لا يريد منها إلا أن يسابق الناس ويماريهم)2.

معاني السحت:-

كل شخص يسأل الناس أموالهم وغير الثلاثة المذكورين في الحديث فهذا المال يأخذه سحت. والسحت فيه ثلاثة أقوال أحدهما الرشوة في الدين والثاني الرشوة في الحكم والثالث الربا. قال الإمام ابن الجوزي: (وفي السحت ثلاثة أقوال:

أحدها: الرشوة في الحكم.

والثاني: الرشوة في الدين.

والثالث: الربا)3.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (والسحت كل مال حرام، يدخل فيه الرشوة وهي شائعة عند اليهود ويدخل فيه الربا وهو أيضا شائع في اليهود ويدخل فيه العش والخيانة والقاعدة أن السحت كل مال حرام)4.

القاعدة " أن كل مال حرام هو سحت " والربا يدخل في السحت دخول أولي. و صورة سؤال الناس أموالهم بغرض التكاثر بعيدة كل البعد أن تكون من صورة الرشوة وبما أنها ليست رشوة فهي ربا. هذا يعني أن حقيقة ربا النسئئة هو سؤال الناس أموالهم بغرض التكاثر أي تكثرًا. فحقيقة ربا النسئئة هو أن يسأل تكثرًا أي بغرض التكاثر وجمع المال وحقيقة أن يسأل الناس أموالهم أي يطلبها منهم وهو لديه حد الكفاية أي حد الغني فهذا الطلب وهذا السؤال يعتبر ربا نسئئة وليست قرض حسن لأن الأصل في القرض هو الرحمة والإحسان إلي المقترض.

المقدمة السادسة: الأيادي إثنان إما معطية "منفقة" وإما سائلة:-

فالأيادي اثنان إما سائلة وإما منفقة لا ثالث لهم أي إما معطية وإما آخذة. عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال، وهو علي المنبر، وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة: (اليد العليا خير من اليد السفلي، واليد العليا هي المنفقة، والسفلي هي السائلة) 5. عن مالك بن نضلة، قال: قال رسول الله ﷺ: (الأيدي ثلاثة: فيد الله العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل السفلي؛ فأعط الفضل، ولا تعجز عن نفسك)6.

المقدمة السابعة: المتعاملين في ربا البيوع إما آخذ وإما معطية:-

1 شرح رياض الصالحين، المجلد الثاني ص212.

2 شرح رياض الصالحين، المجلد الثاني ص211.

3 تفسير ابن الجوزي ص 395.

4 تفسير ابن عثيمين، المجلد الخامس ص349.

5 صحيح البخاري، حديث رقم (1429)/صحيح مسلم، حديث رقم (1033)/صحيح سنن أبي داود حديث رقم (1648).

6 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (1649).

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله: (الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثل بمثل يدا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه سواء)1.

المنافشة:-

لقد ذُكر أن الشيء الذي يحدد الفرق بين القرض الحسن وربما النسيئة هو حال آخذ المال. فإذا كان آخذ المال من الذين يستحقون الزكاة أي كان فقيراً أو مسكيناً أو غارماً. الخ، فهذا المال المأخوذ يعتبر صدقة. أما إذا كان الشخص الذي آخذ المال من الغير هو شخص يدفع الزكاة أي كان غني فهذا المال المأخوذ هو ربا في البيوع. فإذا كان المال المأخوذ عليه فائدة أي يوجد تفاضل ويوجد تأخير في القبض يكون في هذه المعاملة ربا فضل وربما نسيئة. أما إذا كان المال المأخوذ ليس عليه فائدة أي ليس فيه تفاضل ولكن عليه تأخير في القبض يكون في هذه المعاملة ربا نسيئة فقط. والسبب في ذلك أن الصدقات لا تحل إلا للأصناف الثمانية فلا يستحقها إلا الثمانية المذكورين في أية الصدقات في سورة التوبة فإعطاء أموال الصدقات للأغنياء لا تعتبر ولا تُسمى قرض حسن فماذا تُسمى؟ تُسمى وتعتبر ربا ببيع الدليل على ذلك هو أن المعاملات المالية بين الناس لها ثلاثة صور إما بيع وإما صدقة وإما ربا، فالبيع عدل وهو مبادلة ومعاوضة أي مبادلة ومعاوضة، والصدقة "القرض أحد أنواع الصدقة" فيها آخذ ومعطي أي فضل وإحسان لكن لمن يستحق الصدقة، أما ربا البيوع فيه معطي و آخذ أيضاً والفرق بينه وبين الصدقات أن المعطي في حالة ربا البيوع يعطي الصدقات أي فضل المال لمن لا يستحق أن يعطي الصدقات "الآخذ" لأنه أي الآخذ ليس من الأصناف الثمانية المستحقة للصدقات وبالأخص ليس فقير ولا مسكين.. فالآخذ والمعطي في ربا البيوع سواء. قد يقول قائل عرفنا أن المعطي مقيد بالأصناف الثمانية التي في أية الصدقات فما بال الآخذ؟ الآخذ لا يحق له أن يسأل ويطلب المال من الغير إذا كان غني، لأن طلب المال من الغير يُعتبر مسألة. والمسألة منهي عنها إلا لضرورة أو حاجة. وسؤال الغني أموال الغير وأخذها هذا ليس قرض لأن المسألة لا تحل له. فسؤال الغني أموال الغير يعتبر من باب السحت والسحت فيه ثلاثة أقوال إما رشوة في الدين وإما رشوة في الحكم وإما ربا ولكن صورة سؤال الغني أموال الغير لا تشبه صورة الرشوة في الدين أو الرشوة في الحكم هذا يعني أنها ربا. فسؤال الغني أموال الناس بغرض الاستثمار وزيادة المال أي ما يسمى بالتمويل هو ربا ببيع وليس قرض لأن ربا القروض هو " كل قرض جر فائد فهو ربا" والغني ابتداءً لا يستحق القرض إذا كان بفائدة أو بدون فائدة. فكثير من الناس يأخذون الأموال من الغير ويسمونهم قروض حسنة وتجد هؤلاء الآخذين ليسوا بفقراء ولا مساكين ولديهم حد الغني الذي يخرجهم من دائرة آخذ الصدقة فهذه الأموال التي يأخذونها من غيرهم لا تسمى قروض وأسمها الحقيقي هي بيع نقد بنقد مع تأخير القبض لأن صورة القرض الحسن وصورة ربا النسيئة واحدة فان لم تكن المعاملة قرض حسن فهي ربا نسيئة. فكثير من المعاملات المالية التي تتم اليوم بين الناس معاملات بنكية كانت أو غير بنكية ويطلق عليها قروض حسنة هي في الحقيقة ليست بقروض إنما هي مبادلة نقد بنقد مع تأخير القبض أي بيع نقد بنقد مع تأجيل القبض أي هي ربا نسيئة2.

الحكمة من تحريم ربا النسيئة:-

1 صحيح مسلم رقم (1584).

2 لقد تم ذكر علاقة الربا بالتكاثر بالمال هناك نوع من الربا نتاج الجاه. عن أبي أمامة إن النبي قال: (من شفع لأخيه شفاعاً فأهدي له عليها هدية فقبلها فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا) سنن أبي داود، حديث رقم (3541).

الحكمة من تحريم ربا البيوع بصورة عامة وربما النسيئة بصورة خاصة أي الحكمة من تحريم سؤال الناس أموالهم من غير حاجة أو ضرورة هو أن هذا النوع من الربا أعظم وسيلة للتكاثر أي أعظم وسيلة للسيطرة والنفوذ والتسلط علي الناس وقهرهم.

قال الدكتور محمد عمر شابرا: (إن إمتياز تعبئة موارد هائلة من خلال الودائع يؤمن للمصارف التقليدية والاسر المهيمنة عليها الوصول إلي رؤوس أموال الآخرين ومن ثم القدرة علي إمتلاك نفوذ قوي في إقتصاد وسياسة بلدانهم والبلدان المضيفة لهم. لهذا السبب الأساسي، أصبحت المصارف مراكز السيطرة في النظام الراسمالي فإن أكثر الراسماليين ثراءً وقوةً يعملون من خلال

¹ المصارف. وهذه هي سلطة المصارف في كلفة البلدان، سواء كانت بلداناً متقدمة أو نامية) . قال البروفسير محمد الحسن بريمة: (المشكلة الثالثة المتعلقة بضمان تحويل المال المدخر إلي إستثمار حقيقي ينفع الناس فليست هناك آلية تضمن هذا في ظل الإقتصاد الراسمالي، وذلك أن البنوك الضامنة لودائع المدخرين مع دفع الفائدة لا تستطيع أن تخاطر بتلك الأموال فماذا تصنع؟ تقرضها بفائدة أعلي لمن لديه الملاءة اللازمة لسداد الدين ودفع الفائدة، بغض النظر عن مجال إستخدامه للقرض، مما يعني تركيز الأموال الإستثمارية في أيدي الشركات الضخمة والبيوتات

² الثرية، وأن تتحكم هذه بدورها في نوع الإستثمار والسلع المنتجة وذوق المستهلك . الخ) . لأنها أفضل وسيلة لجمع النقود وكنزها، وهذا يقود إلي توسيع دائرة منع الإنفاق في سبيل الله مما يوسع دائرة فتنة الغني وفتنة الفقر معاً. لان الإنسان الذي يأخذ أموالا الناس بقصد التكاثر يجمع ماله الذي عمل فيه بيده ويجمع مال غيره الذي أخذه من الناس. فالإنسان الذي يعمل بيده طاقته

³ محدودة أما الذي يأخذ أموال الناس يستطيع ان يجمع أكبر كمية من النقود من أشخاص مختلفين في لحظة واحدة ويستثمرها ويأخذ أرباحها ويسميها قروض حسنة أو تمويلاً كما هو حاصل اليوم

⁴ في النظام البنكي اليوم والشرط الأساسي في الحصول علي الأموال من البنك هو وجود الضمان فقط.

ربا النسيئة وفساد فلسفة البنوك:-

الفكرة الاساسية التي تقوم عليها فلسفة البنوك هي الإتجار في النقود فإن كان قصد المشتري للأشياء العينية هو الانتفاع بالسلعة إذا كان مستهلك أو بيعها بسعر أعلي إذا كان تاجراً فان قصد المشتري للنقود وهو البنك فقصد من شراء النقود بفائدة من المقرضين، هو بيع تلك النقود للمقرضين بفائدة ثانية تكون أعلي وأكبر من الفائدة أولي التي اشترى بها البنك النقود من المقرضين.

1 نحو نظام نقدي عادل ص 122.

2 الأذخار الشخصي للدخل النقدي: ودوره في الأزمات المالية للنظام الراسمالي ص45.

3 لأنه توجد في النقود خاصية لا توجد في غيرها من الأشياء وهي أن الذي يملكها كمالك جميع الأشياء.

4 وحتى في الحياة العامة في تعامل العادي بين الناس تجد شخص ثري وثروته تجاوزت حد الكفاية وتكون لديه معاملة تجارية فتجده يأخذ من أحد أقربائه أو جيرانه أو أصدقائه مالاً ليُتَمَّ به هذه المعاملة التجارية ولا يدري أن هذه المعاملة من ربا البيوع ومع العلم أن هذا النوع من المعاملات ليست في النظام البنكي الرسمي فقط حتي في الحياة العادية بين الناس.

قال الأستاذ محمود محمد طه¹: (يعمل النظام الحالي للبنوك التجارية، علي أساس جذب أموال المودعين من أصحاب الودائع، والمقرضين، علي أساس الفائدة المقررة، والمحددة سلفاً . . ثم يقوم

1 محمود محمد طه مفكر سوداني عاش في القرن العشرين (1909-1985). هو مؤسس الحزب الجمهوري السوداني وهو عراب الفكر الجمهوري وزعيم الجمهوريين في السودان. الفكرة الأساسية التي كان يدعوا إليه محمود محمد طه ثم الجمهوريين من بعده هي "الرسالة الثانية من الإسلام"، فهو يقول بوجود رسالتين في الإسلام، الرسالة الأولى في القرن السابع الهجري وهي قائمة علي فروع الدين، والرسالة الثانية في القرن العشرين الميلادي وهي قائمة علي أصول الدين. ويقول أن نبي الرسالتين النبي محمد صلي. في الرسالة الأولى أجملت الأصول إجمالاً وفي الرسالة الثانية فصلت الأصول تفصيلاً فالرسالة الثانية هي عبارة عن تفصيل الأصول، وأن الرسالة الأولى من الإسلام أي رسالة الفروع لا تصلح لإنسانية القرن العشرين، و استند في ذلك إلي فكرة تقسيم التشريع الإسلامي إلي تشريع مكّي وتشريع مدني والفصل بينهما تماماً. أما أشهر العقائد عند محمود محمد طه أو العقيدة الأساسية عنده هي عقيدة الجهمية في الأسماء والصفات بل محمود محمد طه يعتقد بعقيدة غلاة الجهمية المعطلة في أسماء الله وصفاته وهي نفي كل أسماء الله وصفاته ويقولون أن الذات العلية واجبة الوجود لا تسمي ولا توصف ولا تعرف. قال محمود محمد طه: (أن "الله" إنما هو علم علي الذات الحادثة، وهي الإنسان الكامل .. وما هو، في حق الذات القديم، إلا مجرد إشارة، لأن هذه الذات، قبل أن تنزل من صرافتها، إنما فوق الاسم، وفوق الصفة، وفوق الإشارة) (القران ومصطفي محمود والفهم العصري ص 164). وقال كذلك: (مرتبة الذات الصرفة، أو الذات الساذج ... فهي لا تعرف، ولا تسمي، ولا توصف) (رسائل ومقالات الكتاب الثاني ص 45). وقال كذلك: (فذاًت الله، في صرافتها، لا سبيل إلي فهمها، علي الإطلاق، لأنها لا تسمي، ولا تعرف، ولا يشار إليها .. فهي لا تطبق الإشارة ولا العبارة) (رسائل ومقالات الكتاب الأول ص 53). فحتي اسم الجلالة "الله" فيقول له معنيين الأول هو إشارة قاصرة مبهمة للذات العلية الواجبة الوجود وليس اسماً لها. قال محمود محمد طه: (أن إسم الله، تبارك وتعالى يطلق علي معنيين أيضاً: معني بعيد، وهو ذات الله الصرفة – في صرافتها – وهي أمر فوق الإدراك، وفوق الأسماء، وفوق الإشارات، ولو لا أنها تنزلت ما عرفت .. ومعني قريب وهو مرتبة البشر الكامل الذي أقامه الله خليفة عنه في جميع العوالم، وأسبغ عليه صفاته، وأسماءه، - حتي إسم الجلالة – فكلمة الله حيث قيلت، تشير إلي هذين المعنيين، وفي نفس الوقت .. هي تشير إلي "صرافة الذات" وتشير إلي "التعين الأول" الذي ليس بينه وبين صرافة الذات أحد من الخلق، وإنما هو بين جميع الخلق والذات .. وإنما تقوم جميع الأسماء، والصفات، بالتعين الأول أولاً، ثم هي تشير إشارة مبهمة، قاصرة إلي الذات الصرفة التي هي فوق أن تسمي، أو توصف، أو تعرف) (رسائل ومقالات الكتاب الثاني ص 26). فهذه عقيدة غلاة الجهمية المعطلة وهي العقيدة الأصل عند محمود محمد طه ويلزم من هذه العقيدة في الأسماء والصفات أن أسماء الله وصفاته مخلوقة لأن كل ما هو غير الله فهو مخلوق. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عن قاعدة الإسم والمسمي: (هل هو هو، أما غيره؟ أو لا يقال هو هو، ولا يقال هو غيره؟ أو هو له؟ أو يفصل في ذلك؟ فإن الناس قد تنازعوا في ذلك، والنزاع إشتهر في ذلك بعد الأئمة، بعد أحمد وغيره، والذي كان معروفاً عند "أئمة السنة" أحمد وغيره: الإنكار علي "الجهمية" الذين يقولون: أسماء الله مخلوقة. فيقولون: الإسم غير المسمي، وأسماء الله غيره وما كان غيره فهو مخلوق؛ وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلطوا فيهم القول لأن أسماء الله من كلامه وكلام الله غير مخلوق) (مجموع الفتاوي، المجلد السادس ص 185). أما المعني الثاني لاسم الجلالة "الله" عند محمود محمد طه هو اسم للإنسان الكامل. فنظرية الإنسان الكامل أو الفرد الكامل من البشر عند محمود محمد طه هي فرع من عقيدة نفي الأسماء والصفات وليست هي الأصل فيقول أن الاسماء الحسني في القران خاصة بالإنسان الكامل وذلك بعد نفيها عن الذات العلية الواجبة الوجود. قال محمود محمد طه: (ومقام الذات المحمدية هو مقام الإنسان الكامل .. ويجب أن يكون معروفاً فإن أسماء الله الحسني هي في حق الإنسان الكامل في المكان الأول، وهي لا تكون في حق الذات الصرفة، المطلقة، إلا عند التناهي، عندما تعجز العبارة، وتنقطع الإشارة، ذلك بأن الذات المطلقة فوق الإسم، وفوق الصفة) (القران ومصطفي محمود والفهم العصري ص 39). قال محمود محمد طه: (أن القران في المقام الأول صفات الإنسان الكامل الذي هو "الله" في مرتبة "التعين" الأول، ولا يكون القران صفات لصرافة الذات إلا عند التناهي، حيث ينقطع التعبير وينبهم الكلام، وينتهي الأمر إلي ما وراء الحروف التي تفتتح بها السور .. "الم" .. "كهيعص") (رسائل ومقالات الكتاب الأول ص 54). أما أشهر الأخطاء العملية عند محمود محمد طه صلاة الأصاله فهو يقول أن للصلاة معنيين: معني قريب وهي الصلاة المعروفة الصلاة ذات الحركات أي ذات القيام والركوع والسجود. قال الأستاذ محمود محمد طه: (الصلاة بالمعني القريب ذات الحركات المعروفة. ولقد فرضت في مقام "قاب قوسين أو أدني" وهو مقام الشهود الأسمائي) (رسالة الصلاة ص 74). أما الصلاة بالمعني البعيد هي التي فرضت في مقام الشهود الذاتي. قال محمود محمد طه: (في مقام الشهود الذاتي فرضت الصلاة بالمعني البعيد: وهي صلة مع الله بلا واسطة، حيث تطمس من العبد ذاته المحدثه وتبقي ذاته القديمة في صلة

البنك بدوره باقراض هذه الأموال لآخرين علي أساس الفائدة أيضا . . ويتم الأقرض بفوائد أعلي وأكبر، من الفوائد التي أقترض بها البنك، والتي يدفعها لأصحاب الودائع والمقرضين، مما يضمن له ممارسات مربحة وذلك للحصول الفرق بين الفائدتين . . وهنا يتضح أن الأرباح الناتجة عن

مع القديم(رسالة الصلاة ص 75). أما الفرق بين الصلاة ذات الحركات وصلاة الأصالة هو أن الصلاة ذات الحركات هي تقليد للنبي أما صلاة الأصالة هي تقليد لله وإتباع له وتقريب صفات العبد من صفات الله أي المشي خلف الله هذه البدعة نتاج التصور الفاسد لحقيقة الألوهية وهو أن هذه الحقيقة لا تسمى ولا توصف فقالوا الأسماء والصفات ليس للذات العلية واجبة الوجود. أما في المفاهيم الإسلامية محمود محمد طه لديه تصور خاطئ لبعض المفاهيم الإسلامية مثل مفهومي العبادة والعبودية فهو يفرق بينهما فيقول العبادة وسيلة والعبودية غاية، ولديه خلل في تصور مفهوم الشوري يقول عنه أنه قائم علي الوصاية بينما الديمقراطية قائمة علي الحرية لذلك الديمقراطية هي أصل.

ويصف إتباع النبي صل الله عليه وسلم بالتقليد، مع العلم إتباع النبي صلي علم وليس جهل. والتقليد ليس علم. أما فهم محمود محمد طه للمشكلة الاجتماعية جيد ولا غبار عليه، وبالتحديد في جانب القيم فهو يقول أن المجتمع الإنساني يحتاج إلي الفكرة "التصور الوجودي" التي توفق بين القيم الإنسانية المعيارية أي توفق بين حاجة الفرد وحاجة الجماعة وهما الحرية الفردية الخارجية المطلقة والعدالة الاجتماعية الشاملة لذلك هو يدعو إلي التوفيق بينهما، مع العلم لقد انقسم عدد ليس بقليل من المفكرين الإسلاميين حول ما هي القيمة المعيارية في النظام الإسلامي أي القيمة التي تمثل الخير الأعلى للمسلمين فأنقسموا، بعضهم تطرف في جانب وجعل القيمة المعيارية هي العدالة الاجتماعية الشاملة. والبعض الآخر تطرف في جانب آخر وجعل القيمة المعيارية هي الحرية الفردية. والصواب هو التوفيق بينهما. ويقول محمود محمد طه أن السلام الصحيح في العالم أي السلام الأخلاقي "وليس السياسي القائم التفاوض" لا يتحقق الا بوجود تلك الفكرة ويقول أن تلك الفكرة هي الإسلام. ويقول محمود محمد طه في أحدي تسجيلاته أن لا اله إلا الله هي دستور الإسلام ودستور القرآن. وكثيراً ما يتحدث عن الدستور العالمي وفي مواضع أخرى يسميه الدستور الإنساني ويقول عنه إنه هو الذي له المقدره علي التوفيق بين حاجة الفرد وحاجة الجماعة أي أنه يوفق بين الحرية الفردية المطلقة والعدالة الاجتماعية الشاملة. وينفرع من هذا التوفيق المنهج العملي عند محمود طه وهو عبارة عن ثلاثة أنواع من العدالة: العدالة السياسية، والعدالة الاجتماعية، والعدالة الاقتصادية. ومع هذا الفهم الجيد للمشكلة الاجتماعية الإنسانية عند محمود محمد طه توجد عدة التناقضات في فكره.

التناقض الأول يقع بين العقيدة عند محمود محمد طه أي العقيدة عن الذات العلية الواجبة الوجود وبين المنهج القيمي الذي يدعو إليه. فالعقيدة عنده قائم نفي كل الأسماء والصفات عن الذات العلية الواجبة الوجود ويقول أن الذات العلية الواجبة الوجود لا تسمى ولا توصف أما الأسماء الحسنی الموجودة في القرآن هي خاصة بالإنسان الكامل وهذه أخطر قضية عند محمود محمد طه لأنها تفتح باب علي مصرعيه للعنف والإرهاب والتطرف والعنصرية، والظلم والقهر الاجتماعيين بأسم الإنسان الكامل. يوجد في التاريخ الإسلامي عدد من الفرق المنحرفة التي تنفي كل الاسماء والصفات عن الذات العلية الواجبة الوجود من غلاة الجهمية في التاريخ القديم إلي البهائية في التاريخ الحديث، ولكن الشيء الجديد والخطير هو إثبات تلك الأسماء والصفات لأحد البشر وهو الإنسان الكامل أي الفرد الكامل من البشر. مع العلم أن الأسماء التي في القرآن فيها أسماء هي كمال في حق الخالق وهي كمال في حق المخلوق أيضاً مثل الحكيم والرشيد الرؤوف الرحيم الحليم العزيز القوي الفرق عند وصف الخالق بها يكون الوصف يليق بجلاله وعند وصف العبد بها تليق به كمخلوق. وتوجد أسماء من الأسماء التي في القرآن هي كمال في حق الخالق وخاصة به و هي نقص في حق العبد مثل المتكبر والعلي والجبار والقهار والقدوس والمهيمن. وإثبات الأسماء الخاصة بالخالق لأحد البشر يقود مشاكل وتناقض في الواقع الإنساني لا يعلم خطورتها إلا الله سبحانه وتعالى من عنف وغلو وتطرف وعنصرية وظلم وقهر أي نفس للقيم الإنسانية المعيارية وكل ذلك بأسم الفرد الكامل أي الإنسان الكامل من البشر كما وقع عدد من المسلمين في هذه المنكرات بسبب التصورات البدعية لبعض المفاهيم مثل مفهوم "الحاكمية"، "الجهاد العالمي"، "دولة الخلافة" وغيرها من المفاهيم والتصورات. أما التناقض الثاني يقع بين المنهج القيمي عند محمود محمد طه وبين فكرة تقسيم التشريع الإسلامي إلي تشريع مدني وتشريع مكي، يبين هذا التناقض فساد فكرة التقسيم هذه أهم التناقضات في فكر محمود محمد طه. قد يقول قائل لماذا تحدثت عن محمود محمد طه ولم تتحدث عن غيره من المفكرين الإسلاميين؟ الإجابة اغلب المفكرين الإسلاميين الذين تم النقل عنهم تمت مناقشة فكرهم وتم الرد عليهم تبيين أخطاؤهم وإنحرافاتهم وتم التعليق علي من رد عليهم أيضاً فكان هناك جدال ونقاش في فكرهم، وأشهر هؤلاء المفكرين آل قطب "سيد ومحمد" والمودودي ومحمد عمارة وحسن الترابي .. الخ. ولكن محمود محمد طه لم يكن فكره منتشراً خارج السودان في العقود السابقة حتي يجد النقاش والنقد من علماء ومفكرين كبار ومشهود لهم بالعلم والموضوعية والأمانة العلمية، لذلك عندما تستشهد بكلامه وتقتبس منه يجب أن تبيين الأخطاء والإنحرافات التي وقع فيها.

أسعار الفائدة، هي الحافز، والمحرك الأساسي، للأنظمة المصرفية، حتي أنه ليصح القول بأن نظام

الفائدة هو المحرك الرئيسي وراء تجميع الموارد لدي البنوك¹.
قال الأستاذ محمد باقر الصدر: (لابد للبنك اللاربوي أن يكون قادراً ضمن تلك الصيغة علي النجاح بوصفه بنكاً، أي أن يودي في الحياة الإقتصادية نفس الدور الذي تقوم به البنوك فعلاً، من تجميع رؤوس الأموال العاطلة ودفعها إلي مجال الإستثمار والتوظيف علي أيدي الأكفاء من رجال الأعمال)².

فإذا كان التاجر العادي حريص علي الربح الناتج من الرأسمال الأساسي فمن باب أولي الحرص علي رأسمال نفسه الذي هو سبب حركته وبقاؤه في سوق السلع والأعيان فكذلك البنك هو حريص علي الربح الناتج من التجارة في النقود فمن باب أولي أن يكون حريص علي رأسماله الذي هو سبب بقاؤه في سوق النقود لأن البنك لا يساهم في المخاطر فالوسيلة لذلك هو الضمان أو الرهن فشرط الأساسي لبيع النقود للجمهور "المقترضين" هو وجود الضمان أو الرهن فالبنك لا ينظر إلي العميل إذا كان لديه حد الكفاية أم لا إنما ينظر ألدیه ضمان كافي أم لا وعلي هذا الأساس تقوم فلسفة البنوك وفكرتها.

قال الأستاذ محمد عثمان خليفة: (نشأت البنوك في محيط الإقتصاد الرأسمالي حيث الموجه الأساسي هو تعظيم الربح باعتبار النقود سلعة يتم الإتجار فيها، قد أدى ذلك لإرتباط التمويل في تلك البنوك بفئات وقطاعات محددة من العملاء لديهم المقدرة علي تقديم الضمانات العقارية الكافية كشرط

أساسي للحصول علي التمويل مما قصر التمويل علي قطاع الأثرياء الذين يملكون أهلية التمويل)³.
قال الدكتور محمد عمر شابر: (تتيح المصارف التقليدية التمويل أساساً لرجال الأعمال ذوي الملاة، وهم إلي حد كبير رجال الأعمال المالكون لثروات شخصية كبيرة والقادرون علي تقديم رهن، تفوق قيمته مبلغ التمويل الذي يسعون إليه. فلما كان المصرف لا يسهم في المخاطر، وكان دخله من القرض محدد سلفاً، فإن مصلحته الأساسية تكمن في أن يضمن لنفسه إسترداد أصل

القرض والفائدة، وهو ما يستطيع تحقيقه من طريق الرهن أو الضمان)⁴.
قال البروفسير محمد الحسن بريمة: (المشكلة الثالثة المتعلقة بضمان تحويل المال المدخر إلي إستثمار حقيقي ينفع الناس فليست هناك آلية تضمن هذا في ظل الإقتصاد الرأسمالي، وذلك أن البنوك الضامنة لودائع المدخرين مع دفع الفائدة لا تستطيع أن تخاطر بتلك الأموال فماذا تصنع؟ تقرضها بفائدة أعلي لمن لديه الملاة اللازمة لسداد الدين ودفع الفائدة، بغض النظر عن مجال إستخدامه للقرض، مما يعني تركيز الأموال الإستثمارية في أيدي الشركات الضخمة والبيوتات

الثرية، وأن تتحكم هذه بدورها في نوع الإستثمار والسلع المنتجة وذوق المستهلك)⁵.

1 بنك فيصل ص 5.

2 البنك اللاربوي ص 23.

3 ملامح من تجربة التأصيل الإقتصادي في السودان ص 71.

4 نحو نظام نقدي عادل ص 220.

5 الأذخار الشخصي للدخل النقدي: ودوره في الأزمات المالية للنظام الرأسمالي ص 45.

فبقدر ما يكون للعميل من ضمان يستطيع أن يأخذ أموال من البنوك وتسمى هذه العملية بالتمويل وهي في الحقيقة ربا ببيع فاذا كان الشخص أخذ المال غني أي مُخرج للزكاة وأخذ المال بفائدة مع تأخير القبض يكون في هذه المعاملة نوعي ربا البيوع ربا فضل و ربا نسيئة وإذا كان لا توجد في المعاملة فائدة تكون المعاملة ربا نسيئة فقط. والغاية من ذلك كله هو التعلق بالمال السعي لجمعه أي أن يكون جمعه هو الغاية فالفرق بين القرض الحسن و ربا النسيئة أو ربا البيوع بصورة عامة هو إن الفقير يأخذ أموال الناس ويستثمرها حتي يخرج بها من فتنة الفقر فيسمى أخذ هذه الأموال في هذه الحالة بالقرض الحسن أما الغني يأخذ أموال الناس أي يسأل الناس أموالهم وليست لديه حاجة أو ضرورة لذلك إنما يأخذها ليستثمرها وغايتها من هذا الاستثمار هو الزيادة والكثرة 1. وتجميع المال فقط وإلا لماذا يسأل الناس وهو لديه ما يكفيه أي لديه حد الغني أي هو خارج دائرة الفقر فيُسمى أخذ الأموال في هذه الحالة بربا البيوع أو ربا النسيئة.

ربا النسيئة هو طريق الطغيان أي طريق لتجاوز حد عبودية بل هو أعظم طريق للطغيان فإذا كان عمل الإنسان بيده ولكن غايته التكاثر هو طريق الطغيان فمن باب أولي أن يكون طريق الطغيان التكاثر الناتج من سؤال أموال الناس لان في حالة عمل الإنسان بيده مجهوده لا يتجاوز الشئ اليسير أما في حالة تجميع اموال الناس يمكن أن يجمع كمية أكبر من الأموال من عدد كبير من البشر، فيزداد الغني غناً ويزداد الفقير فقراً فهذا يقود إلي تعبيد وإذلال ملايين البشر فالنظام البنوك السائد اليوم أو بصورة أدق ربا البيوع هو السبب الأعظم والأول في وجود فتنتي الفقر والغني.

النقود و الكنز:-

الأموال الربوبية ستة أما الأموال التي تكنز هي النقدين الذهب والفضة. قال تعالى: { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } (التوبة:34).

الكنز في اللغة هو الجمع والضم.

حد الكنز أو الكنز في الإصطلاح الشرعي:-

اختلف العلماء في حد مفهوم الكنز إلي عدة أقسام ولكن هذه الأقسام ترجع إلي قسمين. القسم الأول: أن الكنز هو تجميع الذهب والفضة وعدم إخراج الزكاة منه والقسم الثاني: أن الكنز هو ما زاد عن الحاجة أي المال الذي يجب ان ينفق في سبيل الله أي المال المراد لذاته. قال الإمام الشوكاني: (واختلف أهل العلم في المال الذي أدت زكاته هل يُسمى كنزاً أم لا؟ فقال قوم: هو كنز، وقال آخرون: ليس بكنز. ومن القائلين بالقول الأول: أبوذر. وقيده بما فضل عن الحاجة. ومن القائلين بالقول الثاني: عمر بن الخطاب، وابن عمر، وأبن عباس: وجابر، وابوهريرة، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهم)2.

وقال الدكتور عبد الحمن حُللي في حديث عن أقوال العلماء في تعريف الكنز: (ولدي التأمل في هذه الأقوال نجدها ترجع إلي قولين رئيسيين هما مدار البحث: الأول: أن الكنز هو ما فضل عن الحاجة. الثاني: أن الكنز ما لم تؤد منه الزكاة)3.

المناقشة:-

1 قد يقول قائل الربا هو إرادة الشئ لذاته والند إرادة الشئ لذاته فما الفرق بينهما؟ الفرق هو عند يكون المراد لذاته من دون الله هو النفس أي علو النفس أي كمالها الوهمي يُسمى في هذه الحالة المراد لذاته ندأً وعندما يكون المراد لذاته من دون الله مالا يُسمى في هذه الحالة ربا.

2 تفسير الشوكاني ص 569.

3 مفهوم الكنز في الإسلام ص24.

ولكن بالنظر الي مفهوم الكنز من خلال التصور الصحيح للتوحيد يزول هذا الخلاف فتوحيد الله هو محبة الله سبحانه وتعالى لذاته والشرك بالله هو محبة غير الله لذاته.

قال تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ دَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } (آل عمران: 14-15). تزيين الدنيا نوعان: النوع الأول: تزيين كوني قدرني وفي هذا النوع المزين هو الله سبحانه وتعالى وهذا النوع للإبتلاء و الإختبار. والنوع الثاني: تزيين شرعي ديني وهذا النوع للغواية والإضلال والمزين هنا هم شياطين الانس والجن. في الآية السابقة التزيين شرعي ديني لأنه في مقابله ما عند الله سبحانه وتعالى وفي مقابل الذين تعلقوا بشهوات الدنيا الذين اتقوا. هذا يعني أن هذه الشهوات هي إرادة الأشياء لذاتها. والذهب والفضة من الشهوات أي المحبوبات لذاتهما فبغض النظر عن معرفة المقصود بالفنطار فالتوحيد كنظام يضبط التعامل مع الأشياء ومع البشر فالذهب او الفضة المرادة لذاتها أي الفضل أي ما سوي حد الكفاية يجب إنفاقها في سبيل الله فإمسك أية كمية مرادة لذاتها من الذهب والفضة عن الإنفاق في سبيل الله يُعتبر شركٌ بالله اذا سمي ذلك كنز او لم يسمى كنز ومن المعلوم ان ارادة المال لذاته اي عبادته وانفاقه في سبيل الله ضدان اذا وجد الاول انتفا الثاني واذا وجد الثاني انتفا الاول. وفي قوله تعالى: { وَالَّذِينَ يُكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } (التوبة:34). هناك تلازم بين كنز الذهب و الفضة من جانب وعدم انفاقهما في سبيل الله هذا يعني أن الكنز هو إرادة الذهب والفضة لذاتهما وعدم الإنفاق في سبيل الله هذا هو حقيقة الكنز.

وظيفة النقود الاقتصادية والتدفق الدائم-

النقود حتي تقوم بوظيفتها الاقتصادية بصورة سليمة لأبد أن تكون في حالة تدفق دائم. قال البروفسير محمد الحسن بريمة: (أما النقد فإن مهمته الاقتصادية منوطة ببقائه الدائم في التدفق

1

الدائري لأنه كالدّم بالنسبة للجسم الحي). قال الأستاذ كمال توفيق خطاب: (لقد أصبح العالم قرية صغيرة، تمثل البنوك فيه أنابيب المياه،

2

وتمثل النقود الماء والهواء).

لماذا النقود فقط؟

إذا كان الشرك بالله هو إرادة الشئ لذاته وضده الإنفاق في سبيل الله لماذا تم تخصيص الذهب والفضة "النقود" بالكنز؟ لأنه توجد في النقود خاصية لا توجد في بقية الأشياء وهذه الخاصية هي أن النقود هي الوكيل العام عن كل السلع والأشياء أي مالك النقود كالمالك جميع الأشياء. قال الإمام أبي حامد الغزالي في حديثه عن الدراهم والدنانير: (خلقهما الله تعالى لتتداولهما الأيدي وَيَكُونَا حَاكِمَيْنِ بَيْنَ الْأَمْوَالِ بِالْعَدْلِ وَلِحِكْمَةِ أُخْرَى وَهِيَ التَّوَسُّلُ بِهِمَا إِلَى سَائِرِ الْأَشْيَاءِ لِأَنَّهُمَا عَزِيزَانِ فِي أَنْفُسِهِمَا وَلَا غَرَضَ فِي أَعْيَانِهِمَا وَنَسَبْتُهُمَا إِلَى سَائِرِ الْأَحْوَالِ نَسْبَةً وَاحِدَةً فَمَنْ مَلَكَهُمَا فَكَأَنَّهُ مَلَكَ كُلَّ شَيْءٍ لَا كَمَنْ مَلَكَ ثَوْبًا فَإِنَّهُ لَمْ يَمْلِكْ إِلَّا الثَّوْبَ فَلَوْ احتاج إلى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لأن غرضه في دابة مثلاً)3.

1 الأدخار الشخصي للدخل النقدي: ودوره في الأزمات المالية للنظام الرأسمالي ص49.

2 رؤية اسلامية نحو العولمة، مجلة اسلامية المعرفة العدد35.

3 إحياء علوم الدين، الجزء الرابع ص35.

قال الفخر الرازي: (الذهب والفضة إنما كانا محبوبين لأنهما جعلتا ثمن جميع الأشياء ، فمالكهما كالمالك لجميع الأشياء)¹

قال النيسابوري: (الذهب والفضة ثمن جميع الأشياء، فمالكهما كالمالك لجميع الأشياء)².
قال الأستاذ محمد باقر الصدر في حديثه عن النقود: (وعلي عكس من ذلك كله النقد، فإنه قابل للبقاء والإدخار، ولا يكلف إكتنازه شيئاً من النفقات، كما أنه بوصفه الوكيل العام عن السلع يضمن لمكتنزه قدرته علي شراء أي سلعة شاء، في كل وقت)³
قال الدكتور عبد الكريم زيدان: (الذهب والفضة محبوبين؛ لأنهما جعلتا ثمن جميع الأشياء، وبهما يحصل الإنسان علي ما يشتهي من هذه الأشياء، فالمالك لهما كالمالك لجميع الأشياء) ⁴. فالصفة المميزة للنقود عن بقية الأشياء أن مالكيها كالمالك لجميع الأشياء أي أنها الوكيل العام عن السلع وعن هذه الصفة تتفرع وظائف النقود الأخرى.

علاقة الربا بالتكاثر:-

قد يقول قائل ما علاقة الربا بالتكاثر؟ الربا بصورة عامة إذا كان ربا القروض أو ربا البيوع الغاية منه الكثرة والزيادة وهذه هي حقيقة الربا اللغوية والشرعية. عن ابن مسعود، عن النبي μ قال: (ما

⁵

أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبته أمره إلي قلة) .
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي μ قال: (ما أكثر أحد من الربا إلا عاقبه أمره إلي قلة)⁶.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي μ قال: (الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلي قلة)⁷.
الدافع الأساسي للربا بنوعيه أي ربا البيوع و ربا القروض هو حب المال لذاته والتعلق به أي جمع المال وتكثيره. قد يقول قائل الربا هو إرادة الشيء لذاته والند إرادة الشيء لذاته فما الفرق بينهما؟
الفرق هو عند يكون المراد لذاته من دون الله هو النفس أي علو النفس أي كمالها الوهمي يُسمى في هذه الحالة المراد لذاته نداءً وعندما يكون المراد لذاته من دون الله مالا يُسمى في هذه الحالة رباً.

جعل لله أنداد وأكل الربا متلازمان:-

قد يقول قائل لقد ذكرت أن الشرك نوعان جعل الأنداد وأكل الربا ولكن الآيات بينت أن جعل الأنداد هو سبب للضلال عن سبيل الله.

قال تعالي: { وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ } (ابراهيم:30).

قال تعالي: { وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ } (الزمر:8). هل هذا يعني أن أكل الربا ليس سبب للضلال؟

نقول ليس كذلك ولكن هناك تلازم بين جعل الأنداد وأكل الربا فكل من من جعل لله ند هو آكل للربا وكل آكل للربا هو جاعل لله ند.

1 التفسير الكبير او مفاتيح الغيب، الجزء السابع ص 171.

2 نقلاً من كتاب النقود في الاقتصاد الاسلامي لرفيق المصري ص 7.

3 اقتصادنا ص350.

4 المستفاد من قصص القران الكريم ص38.

5 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (1862).

6 مستدرک الحاكم، كتاب الرقاق حديث رقم (7892). صححه الحاكم ووافقه الذهبي. وصححه الألباني صحيح

الترغيب والترهيب حديث رقم (1863).

7 مستدرک الحاكم، كتاب البيوع حديث رقم (2262) صححه الحاكم ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في السلسلة

الصحيحة حديث رقم (647)، (2767).

قال تعالى: {إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا} (سبا:33).
قال تعالى: {قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ عُقُوبٌ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا
فالكفر هو إستحباب الحياة الدنيا أي التكاثر وهو الربا.

{ (فصلت:9).

الفصل الثاني الميسر و علاقته بالفتنة في الدين

الميسر نوع من أنواع الفتنة:-

قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} (البقرة:219).

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} (المائدة: 90 - 91).

الميسر نوع من أنواع الفتنة لأنه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة1.

الميسر في اللغة:-

للميسر في اللغة عدة معاني منها الجزور

قال الأزهري في التهذيب: (الميسر الجزور نفسه؛ سمي ميسراً لأنه جزءاً أجزاء؛ فكانه موضع التجزئة، فكل شيء جزاته فقد يسرته، والياسر: الجازر، لأنه يجزئ لحم الجزور وهذا الأصل في الياسر، ثم يقال للضاربين بالقداح، والمغامرين علي الجزور: ياسرون، لأنهم جازرون: إذ كانوا سبياً لذلك)2.

ومن هذه المعاني السهولة

قال الجوهري في الصحاح: (ياسره: ساهله. والياسر اللاعب بالقداح)3.

ومن هذه المعاني الغني والسعة

قال الأزهري: (والياسر من الغني والسعة ولا يقال يسار)4.

قال أبو بكر الرازي في المختار: (والميسرة: بفتح السين وضمها السعة والغني)5.

ومن هذه المعاني القمار

قال الجوهري في الصحاح: (الميسر قمار العرب بالأزلام)6.

ومن هذه المعاني اللعب بالقداح

قال الفيروز أبادي في القاموس: (والميسر: اللعب بالقداح)7.

الميسر في الإصطلاح:-

هناك خلاف بين العلماء حول تعريف الميسر أو حول ما هي العلة الأساسية للميسر، البعض يقول أن علة الميسر هي أكل أموال الناس بالباطل الناتج من المغالبات والبعض آخر يقول غير ذلك. موضوع البحث في هذا الفصل هو إظهار علة الميسر بعد ربط الميسر بموضوع الشرك بالله أي إرادة العلو في الأرض.

نقل عن الإمام مالك أنه قال: (الميسر ميسران: ميسر اللهو، وميسر القمار، فمن ميسر اللهو النرد والشطرنج والملاهي كلها. وميسر القمار. ما يتخاطر الناس عليه)1.

1 قد يقول قائل في قوله تعالى: { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } (التغابن:15). يوجد حصر وهو أن الفتنة تكون في الاموال والأولاد فقط والآن ذكرتم أن الميسر نوع من أنواع الفتنة في الدين ليس هذا تناقض؟ الإجابة الفتنة في الدين نوعان: فتنة في الدين مستقلة وهي تكون في الاموال والأولاد، وفتنة في الدين تابعة للفتنة المستقلة وهي الميسر.

2 تهذيب اللغة، الجزء الثالث عشر ص 60.

3 الصحاح ص 1279.

4 تهذيب اللغة، الجزء الثالث عشر ص 58.

5 مختار الصحاح ص 310.

6 الصحاح ص 1278.

7 القاموس المحيط ص 1792

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قول القائل: إن الميسر إنما حرم لمجرد المقامرة دعوي مجردة، وظاهر القرآن والسنة والإعتبار يدل علي فسادها. وذلك إن الله تعالى قال: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} (المائدة: 91). فنبه علي علة التحريم، وهي ما في ذلك من حصول المفسدة، وزوال المصلحة الواجبة والمستحبة، فإن وقوع العداوة والبغضاء من أعظم الفساد. وصدود القلب عن ذكر الله وعن الصلاة اللذين كل منهما إما واجب وإما مستحب من أعظم الفساد. ومن المعلوم أن هذا يحصل في اللعب بالشطرنج والنرد ونحوهما، أن لم يكن فيه عوض، وهو في الشطرنج أقوى؛ فإن أحدهم يستعرق قلبه وعقله وفكره فيما فعل خصمه، وفيما يريد أن يفعل هو، وفي لوازم ذلك، ولوازم لوازمه، حتي لا يحس بجوعه ولا عطشه، ولا بمن يسلم عليه، ولا بحال أهله، ولا بغير ذلك من ضرورات نفسه وماله، فضلاً أن يذكر ربه أو الصلاة. وهذا كما يحصل لشارب الخمر؛ بل كثير من الشراب يكون عقله أصح من كثير من أهل الشطرنج والنرد).²

وقال كذلك: (ومما يبين أن الميسر لم يحرم لمجرد أكل المال بالباطل وإن كان الأكل المال بالباطل محرماً، ولو تجرد عن الميسر، فكيف إذا كان في الميسر؟! بل في الميسر علة أخري غير أكل المال بالباطل، كما في الخمر: أن الله قرن بين الخمر والميسر، وجعل العلة في تحريم هذا هي العلة في تحريم هذا، ومعلوم أن الخمر لم تحرم لمجرد أكل المال بالباطل، وإن كان أكل ثمنها من أكل المال بالباطل، فكذلك الميسر. يبين ذلك أن الناس أول ما سألوا رسول الله عن الخمر والميسر أنزل الله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا" (البقرة: 219)، و"المنافع" التي كانت، قيل: هي المال وقيل: وهي اللذة. ومعلوم أن الخمر كان فيها كلا هذين؛ فإنهم كانوا ينتفعون بثمنها والتجارة فيها، كما كانوا ينتفعون باللذة التي في شربها، ثم إنه لما حرم الخمر "لعن الخمر وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، ومشتريها، وحاملها، والمحمولة اليه، وساقها، وشاربها، وأكل ثمنها". وكذلك الميسر كانت النفوس تنتفع بما تحصله به من المال، وما يحصل به من لذة اللعب. ثم قال تعالى: "وأثمها أكبر نفعها" "البقرة: 219؛ لان الخسارة في المقامرة أكثر، والألم والمضرة في الملاعبة أكثر. ولعل المقصود الأول لأكثر الناس بالميسر إنما هو الانتشاح بالملاعبة والمغالبة. وأن المقصود الأول لأكثر الناس بالخمر إنما هو ما فيها من لذة الشرب، وإنما حرم العوض فيها؛ لأنه أخذ مال بلا منفعة فيه، فهو أكل مال بالباطل، كما حرم ثمن الخمر والميتة والخنزير والأصنام، فكيف تجعل المفسدة المالية هي حكمة النهي فقط، وهي تابعة، وتترك المفسدة الأصلية التي هي فساد العقل والقلب؟!)³

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (وسر المسألة وفقهها: أن الله سبحانه لماذا حرم الميسر هل هو لأجل ما فيه من المخاطرة المتضمنة لأكل المال بالباطل؟ فعلى هذا إذا خلا عن العوض لم يكن حراماً فلهذا طرد من طرد ذلك هذا الأصل، وقال: إذا خلا النرد والشطرنج عن العوض لم يكونا حراماً. ولكن هذا القول خلاف النص والقياس كما سنذكره أو حرمه لما يشتمل عليه في نفسه من المفسدة وإن خلا عن العوض فتحريمه من جنس تحريم الخمر فإنه يوقع العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة وأكل المال فيه عون وذريعة إلى الإقبال عليه واشتغال النفوس به فإن الداعي حينئذ يقوى من وجهين من جهة المغالبة ومن جهة أكل المال فيكون حراماً من الوجهين وهذا المأخذ

1 الجامع لأحكام القرآن المجلد الثاني ص 178.

2 مجموع الفتاوى، المجلد 32 ص 227.

3 مجموع الفتاوى، المجلد 32 ص 230.

أصح نصاباً وقياساً نعم وأصول الشريعة وتصرفاتها تشهد له بالإعتبار فإن الله سبحانه قال في كتابه "يا أيها الذين آمنوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَتْلَحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا"

أما على رسولنا البلاغ المبين" (المائدة: 90 – 91). فقرن الميسر بالأنصاب والأزلام والخمر وأخبر أن الأربعة رجس وأنّها من عمل الشيطان ثم أمر باجتنابها وعلق الفلاح باجتنابها ثم نبه على وجوه المفسدة المفترضة للتحرّيم فيها وهي ما يوقعه الشيطان بين أهلها من العداوة والبغضاء ومن الصد عن ذكر الله وعن الصلاة وكل أحد يعلم أن هذه المفاسد ناشئة من نفس العمل لا من مجرد أكل المال به فتعليل التحريم بأنّه متضمن لأكل المال بالباطل تعليل بغير الوصف المذكور في النص وإلغاء للوصف الذي نبه النص عليه وأرشد إليه وهذا فاسد من الوجهين يوضحه أن السلف الذين نزل القرآن بلغتهم سموا نفس الفعل ميسراً لا أكل المال به فقال غير واحد من السلف الشطرنج ميسر العجم وصنف أبو محمّد بن قتيبة كتاباً في الميسر وذكر فيه أنواعه وأصنافه وعداها. ومعلوم أن أكل المال بالميسر قد زاد على كونه ميسراً ولهذا كان أكل المال به اكلاً به بالباطل لأنّه أكل بعمل محرم في نفسه فالأعمال حرام والعمل حرام بخلاف أكله بالنوع الأول فإنّه كل بحق فهو حلال والعمل طاعة)1.

قال الدكتور سليمان الملحم: (لا يكفي في الحكم على المغالبة النظر إلى جنسها فقط، بل ينظر إلى القصد الباعث عليها ومآلها وما أشتملت عليه وإلي وقتها وجنس اللاعب ونحو ذلك من المؤثرات. وعليه فلربما كان جنس المغالبة مشروعاً أو مباحاً فتقع مع الغرض الفاسد فتكون ممنوعة بالمسابقة على الخيل والإبل والمناضلة في الرمي مشروعاً في جنسها لكنها تكون مذمومة إذا وقعت بقصد المباهاة والمفاخرة والرياء و مناوأة أهل الإسلام)2.

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: (أهل الجاهلية كان الميسر فيهم على نوعين:

1. ميسر في المغالبات والرهان والمسابقات.

2. والنوع الثاني ميسر في المعاملات. ولهذا قال علماؤنا إن الميسر الذي حرّمته الشريعة في نوعين: ميسر في المغالبات والرهان، وميسر في المعاملات)3.

قال الدكتور خالد المصلح: (مما تجدر الإشارة إليه؛ أن جماعة من أهل العلم ذهبوا إلى أن الميسر الذي نهى عنه الله تعالى أوسع من مجرد المغالبات والمخاطرات التي تكون سبباً لأكل المال بالباطل، فأدخلوا في الميسر كل ما يصد عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة وكل ما يوقع في العداوة والبغضاء، ولو لم يكن ذلك علي عوض مالي)4.

العلة الأصلية في الميسر:-

لقد ذكر أن العلة الأصلية في الميسر ليست هي أكل أموال الناس بالباطل السؤال ما هي العلة الأصلية في الميسر؟ هنا مقدمات

1 الفروسية ص 131.
2 القمار وحقيقته وأحكامه ص 289.
3 القمار وصوره المحرمة ص 19.
4 الحوافز التجارية التسويقية ص 52.

المقدمة الأولى: حد الخمر هو كل مسكر:-

حد الخمر أو تعريف الخمر هو كل مسكر أي كل مسكر هو خمر أو كل مخمر هو خمر. عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: (كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام)1.

عن ابن عمر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (كل مسكر خمر، وكل خمر حرام)2.

عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: (كل مخمر خمر، وكل مسكر حرام)3.

المقدمة الثانية: حد السكر:-

حد السكر هو أن لا يعلم الإنسان ما يقول أي لا يميز. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ } (النساء: 43). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ } (النساء: 43).

فجعل الغاية التي يزول بها حكم السكران أن يعلم ما يقول، فمتي كان لا يعلم ما يقول فهو في السكر، وإذا علم ما يقول خرج عن حكمه. فهذا أصلٌ يجب اعتماده، وهذا هو حد السكران عند جمهور العلماء. وقال احمد بن حنبل بما نقله عن سعيد بن جبير أنه قال "إذا لم يعلم بثيابه من ثياب غيره ولا نعله من نعال غيره" فجعل عدم التمييز بين ثوبه وثوب غيره. ويروي عن الشافعي أنه قال: "إذا أختلط كلامه المنظوم، وأفشي سره المكتوم" فالسكر يجمع معنيين: وجود اللذة وعدم التمييز)4.

قال أيضاً: (فإذا تبين أن السكر مؤلف من أمرين: وجودي، وهو اللذة. وعدمي، وهو عدم العقل والتمييز)5.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (السكر لذة يغيب معها العقل الذي يعلم به القول ويحصل معه التمييز، قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ } (النساء: 43). فجعل الغاية التي يزول بها حكم السكران أن يعلم ما يقول، فمتي لم يعلم ما يقول فهو في السكر، وإذا علم ما يقول خرج عن حكمه، وهذا هو حد السكر عند جمهور أهل العلم. . فالسكر يجمع معنيين: وجود لذة وعدم التمييز)6
قال الإمام الشوكاني: (فإن السكران لا يعلم ما يقوله)7
قال العلامة عبدالرحمن السعدي: (لا يجوز للسكران صلاة ولا عبادة، لإختلاط عقله، وعدم علمه بما يقول، ولهذا حدد تعالى ذلك وغياه الي وجود العلم، بما يقول السكران)1

1 صحيح مسلم، حديث رقم (2003)/صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3679)/صحيح سنن النسائي، حديث رقم (5601).

2 صحيح مسلم، حديث رقم (2003)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (2751).

3 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3680).

4 الاستقامة ص331.

5 الإستقامة ص 338.

6 روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص 139.

7 تفسير الشوكاني ص 300.

1 تفسير السعدي ص179.

المقدمة الثالثة: المسكرات أنواع:-

والمسكرات أنواع كثيرة أي الخمر أنواع كثيرة.
قال تعالى: { وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ } (الحج: 2).
قال تعالى: { لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ } (الحجر: 72).
قال شيخ الإسلام بن تيمية: (وقد يكون سبب السكر من الألم كما يكون من اللذة كما قال تعالى " وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ " "سورة الحج 2" فأخبر انهم يرون سكارى وما هم بسكارى فإذا عرف ذلك فسبب السكر ما يوجب اللذة ويمنع العلم فمنه السكر بالأطعمة والاشربة المسكرة فإن طاعمها يحصل له بذلك لذة وسرور وهو الحامل لأكثر الناس على شربها ويغيب عقله فتغيب عنه الهموم والاحزان تلك الساعة ومن السكر ما يكون بحب الصور اما النساء واما الصبيان فإنه اذا استحکم الحب وحصل للمحب اتصال فقد يسكر كما قال بعضهم ... سكران سكر هوى وسكر مدامة ... فمتى إفاقة من به سكران ...
ووقت الجماع ينقص تمييز اكثر الناس ايضا وهو مبدأ سكر ومن السكر ايضا ما يكون بحب الرياضة والمال او شفاء الغيظ فإنه اذا قوى ذلك اوجب سكرًا وانما كانت هذه الاشياء قد توجب سكرًا لأن السكر شبيه ما يوجب اللذة القاهرة التي تغمر العقل ومن أقوى الأسباب المقتضية للسكر سماع الأصوات المرعبة)1.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (مثاله تقصير طائفة من الفقهاء في معرفة حد الخمر حيث خصوه بنوع خاص من المسكرات فلما احتاجوا إلى تقرير تحريم كل مسكر سلكوا طريق القياس وقاسوا ما عدا ذلك النوع في التحريم عليه فجازعهم الآخرون في هذا القياس وقالوا لا يجري في الأسباب وطال النزاع بينهم وكثر السؤال والجواب وكل هذا من تقصيرهم في معرفة حد الخمر فإن صاحب الشرع قد حده بحد يتناول كل فرد من أفراد المسكر فقال: "كل مسكر خمر" فأغنانا هذا الحد عن باب طويل عريض كثير التعب من القياس وأثبتنا التحريم بنصه لا بالرأي والقياس) 2. فالخمر أي المسكرات انواع كثيرة ولكن المذكورة في القران والسنة سكرة الخمر التي تشرب وسكرة الطغيان كما سيأتي. والخمر اسم جنس يشمل أنواع كثيرة من هذه الأنواع الخمر التي تُشرب.

المقدمة الرابعة: الشرك أحد أنواع المسكرات:-

قال تعالى: { لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ } (الحجر: 72).
قال تعالى: { اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } (البقرة: 15).
قال تعالى: { وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } (الأنعام: 110).
قال تعالى: { مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } (الاعراف: 186).
قال تعالى: { فَتَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } (يونس: 11).
قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ } (النمل: 4). هناك قاعد منطقية تقول أن الأسباب المتماثلة تقود إلى نتائج متماثلة. السكر سبب للعمه والطغيان سبب للعمه بما إن النتائج متماثلة فإن الأسباب متماثلة أي إن السكر الذي يسبب العمه هو الطغيان هذا يعني أن الطغيان أي الشرك بالله أحد أنواع المسكرات.

المقدمة الخامسة: الطغيان هو ارادة العلو في الأرض:-

1 الإستقامة الجزء الثاني ص 145.
2 أعلام الموقعين، المجلد الاول ص 486.

السؤال متي يطغي الإنسان؟ إذا أتبع الهوي أي إذا أراد العلو في الأرض.
الدليل علي ذلك أن الطغيان سبب للضلال.

قال تعالى: { مَنْ يُضَلِّ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } (الاعراف: 186).
وإتباع الهوي سبب للضلال.

قال تعالى: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ } (القصص: 50).

قال تعالى: { وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا } (المائدة: 77).

قال تعالى: { قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } (الأنعام: 56).

قال تعالى: { وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } (الأنعام: 119). وإتباع الهوي هو ارادة العلو في الارض كما مر بنا.

الدليل الثاني علي أن الطغيان هو إتباع للهوي أي إرادة العلو في الأرض هو أن الذين لا يرجون لقاء الله في طغيان.

قال تعالى: { فَتَنْذِرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } (يونس: 11).

مع العلم الذي لا يرجوا لقاء ربه هو المشرك.

قال تعالى: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } (الكهف: 110).

هذا يعني أن حقيقة الطغيان هو الشرك بالله أي إرادة العلو في الارض.

المقدمة السادسة: أعظم أنواع المسكرات عبادة الوثن أي الشرك:-

شارب الخمر كعابد الوثن. عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ (مدمن الخمر كعابد الوثن)1.

(شارب الخمر كعابد الوثن، وشارب الخمر كعابد اللات والعزى)2.

هناك تشبيه بين مدمن الخمر وعابد الوثن، المشبه به عابد الوثن والمشبه بمدمن الخمر وأداة التشبيه الكاف ومن قواعد البلاغة أن الصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به هي في المشبه به أقوى وأوضح منه في المشبه أي أن هذه الصفة المشتركة بين مدمن الخمر وعابد الوثن، في عابد الوثن أقوى وأوضح منه في مدمن الخمر. السؤال ما هي الصفة المشتركة بين مدمن الخمر وعابد الوثن أو ما هو وجه الشبه بين مدمن الخمر وعابد الوثن؟ وجه الشبه بين مدمن الخمر وعابد الوثن أي الصفة المشتركة بينهما هو السكر لأن الشرك بالله أي عبادة الوثن أحد المسكرات كما مر بنا وإدمان الخمر سكر.

الميسر هو الشرك بالله أي إرادة العلو في الارض:-

1 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (2736).

2 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (3701).

الإيمان بالله وحده هو سبب لإنتفاء العداوة والبغضاء بين الناس . قال تعالى: { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ } (الممتحنة:4).

وعدم ترك حظاً من العمل الصالح هو سبب لإنتفاء العداوة والبغضاء بين الناس أيضاً. قال تعالى: { وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ } (المائدة:14). هناك قاعدة منطقية تقول إن الأسباب المتماثلة تقود إلى نتائج متماثلة في الآيتين السابقتين بما أن النتائج متماثلة هذا يعني أن الأسباب متماثلة أي أن الإيمان بالله وحده هو عدم ترك شئ من العمل الصالح أي أن الإيمان بالله وحده هو القيام بالعمل الصالح وهذا ثابت وفق قاعدة جنس العمل. مع العلم ترك العمل الصالح في المنهج الإسلامي هو ذهاب العلم، لأنه بقدر ترك العمل الصالح يكون ذهاب العلم. عن زياد بن ليبيد؛ قال: ذكر النبي ﷺ شيئاً، فقال: "ذاك عند أوان ذهاب العلم" قلت: يا رسول الله! وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناءنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: "تكلتك أمك، زياد! إن كنت لأراك من أفاقه رجل بالمدينة، أو ليست اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل، ولا يعملون بشي مما فيهما" 1. فوجود العمل الصالح هو وجود العلم الكامل أي وجود الإيمان لأن الإيمان هو العلم الكامل.

أما سبب وجود العداوة والبغضاء بين الناس هو الخمر والميسر . قال الله تعالى: { إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي 2 الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ } (المائدة: 91). فالخمر والميسر أضداد للإيمان والعمل الصالح أي أضداد للعلم الكامل وكل شي سبب لغياب العلم والتميز والعقل أو سبب لضعف هذه الأشياء هو مسكر أي هو خمر هذا يعني أن الميسر مسكر أي أن الميسر أحد أنواع الخمر لأن كل مسكر خمر. ولكن الخمر اسم جنس تحتها أنواع كثيرة فيكون عطف الميسر علي الخمر في الآيات التي ورد فيها ذكر الخمر والميسر من باب عطف الخاص علي العام يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام. ولكن السؤال ما هو الميسر وما هو علته الأصلية؟ بما أن الميسر أميز وأقوي أنواع المسكرات وذلك بسبب قاعدة عطف الخاص علي العام هذا يعني أن الميسر هو الشرك بالله أي إرادة العلو في الأرض لأن مدمن الخمر كعابد الوثن. عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (مدمن الخمر كعابد الوثن) 3.

(شارب الخمر كعابد الوثن، وشارب الخمر كعابد اللات والعزى) 4.

إرادة العلو في الارض والتنافس على الدنيا:-

نعمة الله سبب لئن يكون الناس إخواناً. قال تعالى: { وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } (آل عمران:103).

1 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3288).

2 في للسببية أي بسبب الخمر والميسر.

3 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (2736).

4 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (3701).

الإيمان سبب لسيادة الحالة الإخوانية بين الناس وهناك أشياء هي سبب لإنتفاء الحالة الإخوانية بين الناس أي هي أصدقاء للإيمان وهذه الأشياء هي التحسس والتجسس والتنافس والتحاسد والتدابير والتباغض. عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) 1. غياب هذه الأشياء سبب لوجود الأخوة بين الناس، هذا يعني وجود هذه الأشياء سبب لغياب الأخوة بين الناس ووجود الإيمان سبب لوجود الأخوة بين الناس، هذا يعني هذه الأشياء هي نقيض للإيمان. والأصل في كل الأشياء المنهي عنها المنافية للإخوانية هو التنافس أي أن التنافس هو السبب الأول . عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسَ وَالرُّومَ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَتَنَاطَلُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ) 2 فالتنافس أصل لأنه سبب لكل الأشياء الباقية والدليل على ذلك حرف العطف "ثم" الذي يفيد الترتيب مع التراخي. هذا يعني أن الشيء الأساسي الذي ينفي الإخوانية هو التنافس. لذلك التنافس سبب للإلهاء وسبب للهلاك . قال رسول الله: (فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم) 3. والسبب في وجود الإخوانية وانتفاء العداوة هو الإيمان والسبب في وجود العداوة وإنتفاء الأخوة هو التنافس على العلو في الأرض أي إرادة العلو في الأرض.

تعريف التنافس:-

التنافس في اللغة:-

قال الإمام الشوكاني: (واصل التنافس التشاجر على الشيء، والتنازع فيه، بأن يحب كل واحد أن يتفرد به دون صاحبه، ويقال نفست الشيء عليه أنفسه نفاسة أي: ضننت به، ولم يحب أن يصير إليه) 4.

قال الإمام ابن الجوزي: (والتنافس: كالتشاح على الشيء، والتنازع فيه) 5.
قال الإمام الفخر الرازي: (قال الواحدي: يقال نفست عليه الشيء أنفسه نفاسة إذا ضننت به ولم تحب أن يصير إليه، والتنافس تفاعل منه كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به،) 6.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي: (توجيه إلي ما ينبغي أن تكون فيه المنافسة، وهي بمعنى الرغبة في الشيء. قال أبو حيان: نافس في الشيء رغب فيه، ونفست عليه أنفس نفاسة، إذا بخلت به عليه ولم تحب أن يصير إليه) 1.

التنافس نوعان محمود، ومذموم منه:-

- 1 صحيح مسلم، حديث رقم (2563).
- 2 صحيح مسلم، حديث رقم (2962)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3245).
- 3 صحيح البخاري، حديث رقم (6425)/صحيح مسلم، حديث رقم (2961).
- 4 تفسير الشوكاني ص 1598.
- 5 تفسير ابن الجوزي ص 1527.
- 6 تفسير الفخر الرازي، المجلد السادس عشر ص 91.
- 1 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الجزء الثامن ص 463.

التنافس نوعان تنافس محمود وتنافس مذموم. والتنافس المحمود هو التنافس في درجات الجنة والقرب من الله سبحانه و تعالي. كما في قوله تعالي: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكَ} (المطففين: 22-26). وهذا الدرجة يجب أن التنافس من أجلها. أما التنافس المذموم هو الناتج من الحرص علي العلو في الأرض فإرادة العلو في الأرض تقود إلي التنافس علي.

أما حكم التنافس علي الدنيا أي إذا كان الغاية من التنافس العلو في الأرض منهي عنه. عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)1.

كما أنه سبب للحسد والتباغض والتدابير وكل هذه الأشياء منهي عنها. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فِارِسَ وَالرُّومِ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْتَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ)2.

لقد بَوَّبَ الإمام مسلم باب بعنوان باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش 3. والتنافس سبب للتحاسد والتدابير والتباغض لوجود ثم.

علة الميسر الأصلية هي التنافس على الدنيا أي السكرة هي الفتن:-

الخمير نقيض للإيمان والميسر نقيض للإيمان كذلك والإيمان نقيض للشرك أي نقيض العلو في الأرض وهو الطغيان. والعلو في الأرض من المسكرات لأنه نقيض للإيمان أي نقيض للعلم الكامل لأن كل شيء يغيب العلم هو مسكر وسكرة الطغيان أي سكرة العلو في الأرض هي التنافس علي الدنيا لأن حقيقة التنافس هو الصراع علي العلو في الأرض. الخمير مسكر والميسر مسكر ولكن الخمير اسم جنس تحته أنواع كثيرة من المسكرات فيكون عطف الميسر علي الخمير من باب عطف الخاص علي العام لأن الميسر واحد من أنواع المسكرات أي واحد من أنواع الخمير هذا النوع من العطف يفيد الاهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام حتي يظهر الخاص كأنه ليس من أفراد العام. والخمر اسم جنس يشمل كل مسكر ولكن المسكرات المذكورة في القرآن والسنة إثتان الخمر التي تشرب والطغيان أي العلو في الأرض، وسكرة الطغيان أقوى وأعظم بل هي أعظم المسكرات إطلاقاً لأنها سكرة الشرك بالله. فيكون الميسر هو إرادة العلو في الأرض أي التنافس علي الدنيا لأن الميزة التي توجد في سكرة الطغيان أي سكرة الشرك بالله لا توجد في بقية المسكرات. فالعلة الأصلية في الميسر هي إرادة العلو في الأرض أي التنافس علي الدنيا. فسكرة التنافس أي سكرة الميسر تمنع العلم الكامل أي تمنع الإيمان. وحقيقة تلك السكرة هي الفتن التي تنزع وتذهب العقول.

1 صحيح مسلم، حديث رقم (2563).

2 صحيح مسلم، حديث رقم (2962)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3245).

3 صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (45)، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش (9).

عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: (ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر علي الرجال من النساء)1.

عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله في أضحى - أو في فطر - إلي المصلي فمر علي النساء فقال: (ما رايت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحدانكم)2. فالنساء هم أضر الفتن للرجال أي أنهم فتن، والنساء هم أذهب للب الرجل الحازم فتكون الفتنة سبب لذهاب لب الرجل الحازم. في آخر زمان الفتن تنزع عقول أكثر اهل ذلك الزمان.

عن أبي موسى: حدثنا رسول الله ﷺ: "أن بين يدي الساعة لهرجاء" قال: قلت: يا رسول الله! ما الهرج؟ قال: "القتل" فقال بعض المسلمين: يا رسول الله! إنا نقتل الآن في العام الواحد، من المشركين كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: "ليس بقتل المشركين ولكن قتل بعضكم بعضاً، حتى يقتل الرجل جاره و أبن عمه وذا قرابته" فقال بعض القوم: يا رسول الله! ومعنا عقولنا، ذلك اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: " لا، تُنزع عقول أكثر ذلك الزمان ويخلف له هبا من الناس لا عقول لهم"3. في زمان الفتن تنزع عقول أكثر اهل ذلك الزمان بل حقيقة الفتن هي نزع العقول والتمييز.

حَدَّثَنَا حَفْصٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ زَيْدٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَا الْخَمْرُ صِرْفًا بِأَذْهَبَ لِعُقُولِ الرِّجَالِ مِنَ الْفِتَنِ)4.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (كذلك العلم مستلزم للعقل، فكل عالم عاقل، والعقل شرط في العلم)5. الفتن مقدمات ونتائج. المقدمات هي الشرك بالله والنتائج التفرق والاختلاف وهما متلازمان لا يوجد التفرق واختلاف إلا بوجود شرك بالله وإذا وجد التفرق والاختلاف هذا دليل علي وجود الشرك بالله. وحقيقة الشرك بالله هو إرادة العلو في الارض.

التكاثر طريق الطغيان:-

اعظم انواع التنافس هو التكاثر بالمال والأولاد. قال تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ } (الحديد:20). العطف بين التفاخر والتكاثر من باب عطف الخاص علي العام فالإنسان يتفاخر بأشياء عديدة ومن هذه الأشياء التكاثر بالمال وهذا العطف يفيد الاهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام. بل التكاثر هو طريق الطغيان. عن أبي هريرة - رضي الله عنه- ،قال: بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا شاب من الثنية فلما رايناه (وفي رواية: رميناه) بايصارنا، قلنا: لوان هذا الشاب جعل شبابه ونشاطه وقوته في سبيل الله! فسمع رسول الله ﷺ مقالتنا فقال: (وما سبيل الله إلا من قتل؟! من سعى علي والديه، ففي سبيل الله، ومن سعى علي عياله، ففي سبيل الله، ومن سعى علي نفسه ليعفها، ففي سبيل الله، ومن سعى علي التكاثر، ففي سبيل الشيطان. وفي رواية: الطاغوت)1.

التنافس والرياء:-

وقمة التكاثر هو الربا لان أعظم أنواع العذاب للذين ياكلون الربا.

1 صحيح البخاري، حديث رقم (2741).

2 صحيح البخاري حديث رقم (304).

3 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3213).

4 مصنف أبو شيبة حديث رقم (38341).

5 الإيمان ص307.

1 السلسلة الصحيحة حديث رقم (3248).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ } (البقرة: 278 - 279).

والذي يأكل الربا يصل إلي حد الجنون. قال تعالى: { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ } (البقرة: 275). قد يقول قائل التخبط من المس هذا يكون يوم القيامة فكيف الاستدلال به علي سكرة الدنيا؟ نقول كل عبد يبعث علي ما كان عليه في الدنيا. عن جابر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (يبعث كل عبد علي ما مات عليه) 1.

والجنون هو حال أكل الربا والجنون اسواء من السكر.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (مع أن الخمر إذا سكر به الشارب كان سكره يوما أو قريبا من يوم أو بعض يوم. وأما سكر الشهوة والمحبة الفاسدة من العشق ونحوه فسكره قوي ودائم. قال تعالى في قوم لوط: "لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ" "سورة الحجر: 72" فكيف إذا خرج عن حد السكر إلي حد الجنون) 2. ولكن لماذا سكرة الدنيا أي سكرة الطغيان أي سكرة ارادة العلو في الارض او التنافس عليه هي أعظم المسكرات؟ لأنها هي أصل الشرك بالله وأساسه وهو قضية البشرية جمعاء واعظم انواع هذه السكرة الربا أي حب المال لذاته. فلا توجد مقارنة بين سكرة الدنيا التي اساسها حب المال أي التكاثر به وأعظم صورته الربا وسكرة الخمر التي يشربها شخص ويفيق منها بعد ساعات من شربها. من جانب آخر التكاثر هو احد انواع الميسر أي احد انواع التنافس واحد أنواع ارادة العلو ولكنه ليست كل التنافس هو التكاثر هناك أنواع أخرى من التنافس علي العلو في الارض أي علي الدنيا بين الناس وهذه الأنواع تقود الي المغالبة والصراع.

المغالبات:-

إذا كان الجهاد هو المغالبة أي بذل الوسع والطاقة في سبيل الله أي في سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (فالجهاد في سبيل الله تعالى من الجُهد، وهو المغالبة في سبيل الله بكمال القدرة والطاقة) 3.

فإن الميسر هو المغالبة أي بذل الوسع والطاقة في سبيل النفس وفي سبيل علوها علي الآخرين وهو العلو في الارض أي سبيل الطاغوت أي وهو التنافس علي الدنيا. والله له العلو المطلق علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر ومشاركة الله تكون في علو القهر. والقهر هو الغلبة عن طريق التذليل. قال الفيروز آبادي: (القهر: الاستيلاء والغلبة عن طريق التذليل) 4_ والغلبة هي القهر ولها معاني أخرى في القرآن.

وقال في موضع آخر: (الغلبة: القهر. وقد ورد في القرآن علي أربعة أوجه: الأول: بمعنى الظهور والاستيلاء: "قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ" "الكهف: 21".

والثاني: بمعنى الهزيمة: "غَلَبَتِ الرُّومُ* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ""الروم 2-3. سيهزمون.

والثالث: بمعنى القتل: "قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ لَّيْسَ لَهُمْ صَوْلَةٌ وَلَا هُمْ يُعْرَضُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ" "آل عمران: 12".

1 صحيح مسلم، حديث رقم (2878).

2 قاعدة في المحبة ص153.

3 قاعدة في المحبة ص 168.

4 بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الجزء الرابع ص314.

الرابع: بمعنى القهر: " وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ " **يُوسُفُ: 21**. أي قاهر، " وَإِنَّ جُنُدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ " **الصفات: 173**. " أي القاهرون) 1.

والمغالبة من المفاعلة أي هي أن كل واحد من المتغالبين يُريد قهر الآخر أي التنافس والصراع علي العلو في الارض لذلك المغالبات منهي عنها إلا ما أباحتها الشريعة.

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: (القاعدة: أن أنواع المغالبات والرهان محرم إلا ما كان فيه نصره لدين الله جل وعلا . . . فقاعدة الميسر و المغالبات يستثني منها ما كان فيه نصره لدين الله جل وعلا) 2.

وقال كذلك: (ولهذا نهت الشريعة عن كل أنواع المسابقة والمغالبة والرهان إلا ما كان فيه نصره للدين وفيه جهاد، لهذا صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: " لا سبق إلا في خوف أو نصل أو حافر ") 3.

القهر والمغالبة والقوة:-

الوسيلة الأساسية للمغالبة والنصر و الفوز هي القوة. فالغلبة والقوة مترابطان أي أن القهر والقوة مترابطان. قال تعالى: { كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } (المجادلة: 21). "إن الله قوي عزيز" تعليل لجملة "لا غلبن أنا ورُسُلِي". فلا وجود للغلبة إلا بوجود القوة أي لا وجود للقهر إلا بوجود قوة. ولكن السؤال ما هي القوة وما هي أنواعها؟

تعريف القوة:-

القوة ضد الضعف. القوة هي القدرة علي التأثير علي الآخرين وفي المقابل الضعف هو الإبتاع والتقليد للخير.

قال الأستاذ جُوزيف ناي: (القوة هي القدرة علي التأثير في سلوك الآخرين للحصول علي النتائج التي يتوخاها المرء) 4.

قال اللواء ركن أحمد شيخ طويل: (القوة هي ببساطة القدرة علي التأثير علي الآخرين و إخضاعهم لإرادة القوي الفاعل) 5.

قال الدكتور جاسم سلطان: (أما القوة فنعني بها: قدرة الطرف "أ" علي فرض إرادته علي طرف "ب". ولذلك القوة التي لا تتمكن من فرض إرادة ليست إلا قوة متوهمة) 6.

وقال أيضاً: (القوة هي قدرة طرف من الأطراف علي فرض إرادته علي بقية الأطراف) 7.

القوة نوعان: قوة محمودة وقوة مذمومة:-

القوة نوعان قوة خُلُقِيَّة وقوة مادية، أو قوة ناعمة وقوة صلبة، قوة محمودة وقوة مذمومة القوة المحمودة هي التي قرنت بالأمانة.

قال تعالى: { أَنَا أَنبِئُكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ } (النمل: ٣٩).

قال تعالى: { إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } (القصص: ٢٦).

أما القوة المذمومة هي التي قرنت بالتكاثر والجمع.

1 المصدر السابق الجزء الرابع ص142.

2 القمار وصوره المحرمة ص20.

3 القمار وصوره المحرمة ص19.

4 القوة الناعمة وسيلة النجاح في العلاقات الدولية ص 20.

5 مفهوم القوة في الفكر الاستراتيجي (1 - 2)، صحيفة العاصمة السودانية العدد 153.

6 قواعد في ممارسة السياسة ص45.

7 قواعد في ممارسة السياسة ص57.

قال تعالي: { كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا } (التوبة: ٦٩).
قال تعالي: { أَوْلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا } (القصص: 78).

قال تعالي: { كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا } (الروم: 9).
قال تعالي: { كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ } (غافر: 21).
قال تعالي: { كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (غافر: 82).

قال الأستاذ محمود محمد طه: (حين تنفصل القوة عن العنف يفتح الباب للبشرية لتفهم معني جديد من معاني القوة، وتلك هي القوة التي تقوم علي وحدة الفكر، ووحدة الشعور بين الناس، بعد أن لبثت البشرية في طوال حقب لاتعرف من القوة إلا ما يقوم علي الساعد وقوة البأس.. ومفهوم القوة بهذا المعني الأخير، هو تراث البشرية من عهد الغاية.. عهد الأنبياء الزرق.. والمخالب الحمر.. وهذا المفهوم هو الذي ضلل كارل ماركس، فأعتقد أن مستقبل البشرية سيكون صورة لإمتداد ماضيها، وغاب عنه أن العنف سيفارق القوة بالضرورة، في مستقبل تطور الإنسان، حين يصبح الحق هو القوة)1.

قال الأستاذ جوزيف ناي: (القوة الصلبة والقوة الناعمة تتصل كلٌ منهما بالأخري ويمكن أن تقويها. فلكلثاهما من جوانب القدرة علي تحقيق أغراضنا بالتاثير علي سلوك الآخرين)2.
وقال كذلك: (فأشرت إلي أن امريكا هي أقوى أمة، ليس في القوة العسكرية والإقتصادية فحسب، بل كذلك في بعد ثالث اسميته القوة الناعمة)3.

المصدر الاساسي للقوة هو العلم:-

المصدر الأساسي للقوة هو العلم.

قال المفكر الأمريكي فرانسيس فوكو ياما: (التكنولوجيا تمنح من يمتلكها تفوقاً عسكرياً حاسماً)4.

وقال كذلك: (العلم الحديث سمح بصنع أسلحة ذات قوة مدمرة لم يسبق لها مثيل)5.
وقال في موضع آخر: (فعلم الفيزياء الحديث يمنح تفوقاً عسكرياً حاسماً للمجتمعات التي تستطيع تطوير وإنتاج وإستخدام تكنولوجياتها بالطريقة الأكثر فاعلية فرماح شعب الزولو لم تستطع منافسة بنادق الإنكليز بالرغم من الشجاعة التي يتمتع بها محاربوه فردياً: وإمتلاك التكنولوجيا كان السبب الذي مكّن أوروبا من غزو القسم الأكبر مما يشكل العالم الثالث)6.
وقال ايضاً: (فالذين لم يندحروا بالتقنية العسكرية المتفوقة جري إغراؤهم بالبريق المادي الذي خلقتة الفيزياء الحديثة)1. والعلم نوعان علم كامل وعلم ناقص بقدر كمال العلم وتماهه يكون كمال القوة وبقدر نقصان العلم يكون نقصان القوة.

1 الثورة الثقافية ص9.

2 مفارقة القوة الأمريكية ص 39.

3 القوة الناعمة وسيلة النجاح في العلاقات الدولية ص 14.

4 نهاية التاريخ والإنسان الأخير ص 26.

5 المصدر السابق ص 39.

6 المصدر السابق ص 94.

1 المصدر السابق ص 137.

القوة الصلبة "القوة المادية":-

القوة الصلبة القوة المادية هي القدرة علي التأثير علي الآخرين عن طريق الإرغام "الفهر" والإغراء أي عن طريق القوة الإقتصادية و القوة العسكرية. قال الأستاذ جُوزيف نايف: (الناس جميعاً يعرفون القوة الصلبة. وكلنا نعلم أن الجبروت العسكري والإقتصادي غالباً ما يجعل الآخرين يغيرون مواقفهم) 1. وقال كذلك: (إن القوة العسكرية والقوة الإقتصادية معاً مثالان علي القوة الصلبة الأمرة التي يمكن إستخدامها لإقناع الآخرين بتغيير موقفهم) 2.

القوة الناعمة:-

القوة الناعمة هي القدرة علي التأثير علي الآخرين عن طريق الجاذبية بدلاً من الإرغام والإغراء أي عن طرق القيم. قال الأستاذ جُوزيف نايف: (فما هي القوة الناعمة؟ إنها القدرة علي الحصول ما تريد عن طريق الجاذبية بدلاً من الإرغام أو دفع الأموال. وهي تنشأ من جاذبية ثقافة بلد ما) 3. وقال في موضع آخر: (فالقوة الناعمة بحسب تعريفها هي جعل الآخرين يريدون ما تريد) 4. وقال كذلك: (إن القوة الناعمة أكثر من مجرد الإقناع أو القدرة علي إستمالة الناس بالحُجة، ولو أن ذلك جزء منها. بل هي أيضاً القدرة علي الجذب) 5. وقال كذلك: (أن القوة الناعمة الطرية أكثر من الإقناع أو القدرة علي التأثير علي الناس بالحُجة. إنها القدرة علي الإغراء والجذب) 6.

المصدر الأساسي للقوة الناعمة هو عالمية القيم:-

المصدر الأساسي للقوة الناعمة هو عالمية القيم والفكر والثقافة أي أن تكون هناك قيم مطلقة ومقدسة.

قال الدكتور جوزيف نايف: (فعندما تحتوي ثقافة بلد ما علي قيم عالمية، وتروّج سياساته قيماً ومصالح يشاركه فيها الآخرون، فإنه يزيد إمكانية حصوله علي النتائج المرغوبة بسبب علاقاته التي يخلقها من الجاذبية والواجب. فالقيم الضيقة والثقافات المحدودة يقل احتمال إنتاجها للقوة الناعمة) 7.

وقال في موضع آخر: (الإمتداد العالمي للثقافة الأمريكية يساعد علي توسيع قوتنا الطرية الناعمة- وجاذبيتنا الثقافية والعقائدية والأيدولوجية) 8.

المصدر الاساسي للقوة الناعمة هو عالمية القيم والثقافة أي ان تكون هناك القيم مطلقة بقدر ما تكون القيم عالمية تكون نعومتها.

القيم نوعان قيم إيمانية و قيم طُغيانية:-

في التصور الاسلامي القيم نوعان لا ثالث لهما إما قيم إيمانية توحيدية وهي سبيل الله أي سبيل الرشد وقيم طُغيانية شيطانية وهي سبيل الطاغوت أي سبيل الغي. قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ

1 القوة الناعمة وسيلة النجاح في العلاقات الدولية ص 24.

2 مفارقة القوة الأمريكية ص 38.

3 القوة الناعمة وسيلة النجاح في العلاقات الدولية ص 12.

4 المصدر السابق ص 165.

5 المصدر السابق ص 26.

6 مفارقة القوة الأمريكية ص 39.

7 القوة الناعمة وسيلة النجاح في العلاقات الدولية ص 32.

8 مفارقة القوة الامريكية ص 12.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا { (النساء:76).

قال تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا} (الأعراف:146). حقيقة الصراع القيمي أو حرب القيم في المنهج الإسلامي هو الصراع بين أولياء الله وأولياء الشيطان "أتباع الشيطان" أي هي صراع بين القيم الطغيانية الشيطانية والقيم الإيمانية التوحيدية وحقيقة القيم الشيطانية الطغيانية هي "إرادة العلو في الارض" وهي سنة الشيطان فكل من أرادة العلو في الارض هو متبع للشيطان. وأما حقيقة القيم الإيمانية التوحيدية هي "ان لا تكون فتنة" أي "أن تكون كلمة الله هي العليا" والفتنة هي الشرك بالله وهو إرادة غير الله لذاته وأعظم ما يراد لذاته هو العلو في الارض أي علو النفس في الارض وحقيقة ذلك هو عبادة الإنسان نفسه أما حقيقة القيم الإيمانية هي أن يكون العلو كله لله.

القيم الطغيانية أي القوة الطغيانية الناعمة تقود إلي إستعمال القوة الصلبة لأنه في حال سيادة القيم الطغيانية الشيطانية الأصل هو إستعمال القوة الصلبة الخشنة لأن طبيعة القيم الطغيانية هي "إرادة العلو في الأرض" فحرص كل أحد علي العلو علي أساس الوطن او القوم او القبيلة او المذهب او الطبقة او الطائفة . الخ. هذا يقود إلي الصراع والتنافس والإختلاف والقتال بين الناس لأن الكل يسعى ويتنافس علي أن يكون هو الأعلى فلا توجد موازين أو معايير تنظم العلاقات بينهم. أما القيم الإيمانية أي القوة الإيمانية الناعمة تقود إلي عدم إستعمال القوة الصلبة بينهم وحتى إذا تم إستعماله يكون إستثناء ليس أصل. لأن طبيعة القيم الإيمانية "أن تكون كلمة الله هي العليا" تجعل كل الناس يسعون لئن يكون "العلو كله لله فقط" فلا احد يسعى لأن يكون له العلو أو لقومه أو لوطنه او لقبيلته . الخ. ففي حالة سيادة القيم الإيمانية ينتهي الصراع بين البشر فلا توجد حاجة لإستعمال القوة الصلبة الخشنة وهذا يكون فقط في حالة سيادة القيم الإيمانية لأنه تنتفي كل الإنتماءات الضيقة ويكون الإنتماء فقط للحنيفية السمحة وهي "أن كلمة الله هي العليا" وهذا يقود إلي الإصلاح بين الناس أي تنمية الخير. قال تعالى: { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ } (النساء:114). وعنه صلي الله عليه وسلم قال: (ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس فينمي خيراً)1. لذلك لا توجد قيم او ثقافة تتميز بالجاذبية المطلقة مثل القيم الإسلامية لأنها قيم مطلقة مقدسة أي كاملة لكل الناس، ليست لفئة معينة من الناس.

الأصل في الدعوة الإسلامية الجاذبية أي قوة القيم والثقافة لأن القيم الإسلامية قيم كاملة مطلقة. قال تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْعُغْيِ } (البقرة: 256). فالإنسان لا يكره إلا علي شيء ناقص فلا إكراه في الدين الإسلامي لأنه كامل. فالإسلام دين عالمي لكل البشر فلا يتقيد بزمان أو مكان أو عرق أو طبقة. وحقيقة الرشد هو الحكمة وهي العلم والعمل.

القيم الإيمانية قيم مطلق "مقدسة":-

1 صحيح البخاري، حديث رقم (2692)/ صحيح مسلم، حديث رقم (2605).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّهُ لَا تُقَدَّسُ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ) 1.

عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (كَيْفَ يُقَدَّسُ اللَّهُ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِضَعْفِهِمْ مِنْ شِدِيدِهِمْ) 2.
عَنْ مُعَاوِيَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لَا تُقَدَّسُ أُمَّةٌ لَا يُقْضَى فِيهَا بِالْحَقِّ وَيَأْخُذُ الضَّعِيفُ حَقَّهُ مِنْ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ) 3.

(إن الله تعالى: لا يُقَدَّسُ أُمَّةٌ لَا يُعْطُونَ الضَّعِيفَ مِنْهُمْ حَقَّهُ) 4.
مفهوم المخالفة يقتضي المغايرة أي تُقَدَّسُ الأُمَّةُ التي يُقْضَى فِيهَا بِالْحَقِّ وَتُؤْخَذُ الضَّعِيفُ حَقَّهُ مِنْ الْقَوِيِّ وَهُوَ لَيْسَ مُتَعَتِّعٌ.

التقديس هو التنزيه عن النقص والعيب أي هو الكمال فالأمة المقدسة هي الأمة الكاملة أي الحياة الكاملة هي الحياة التي يُقْضَى فِيهَا بِالْحَقِّ وَتُؤْخَذُ الضَّعِيفُ مِنْ الْقَوِيِّ وَهُوَ لَيْسَ مُتَعَتِّعٌ .
الاصل في مصادر القوة هو العلم فالمصدر الاساسي للقوة إذا كانت ناعمة أو صلبة هو العلم. والقيم الإسلامية هي "ان لا تكون فتنة" والفتن تشمل الشبهات والشهوات والشبهة هي نقص في العلم والنفي التام للفتن هو نفي تام للشبهات والشهوات أي نفي تام للعلم الناقص والارادة الناقصة والنفي التام يفيد إثبات كمال الضد وضد العلم الناقص والارادة الناقصة العلم الكامل والارادة الكاملة النفي التام للفتنة يفيد إثبات العلم الكامل أي القوة الكاملة فالقيم الإسلامية هي القوة الكاملة المطلقة.
التنافس على الدنيا "الميسر" هي القاعدة التي تقوم عليها الرياضة المعاصرة:-

هناك عدة صور للعلو في الارض وأغلبها لها علاقة بالمال أي بالتكاثر، من صور الحرص علي العلو في الارض أي من صور التنافس علي الدنيا الرياضة المعاصرة اي الرياضة التنافسية، تسمى بالرياضة التنافسية لأن القاعدة الأساسية التي تقوم عليه هذه الرياضة هي التنافس والمغالبة والفوز.
قال الدكتور أمين أنور الخولي: (تعالت الأصوات في الآونة الأخيرة المطالبة بالحد من التركيز علي الفوز في المسابقات الرياضية، حتي أن بعض الباحثين طالبوا بإعادة النظر في الطبيعة التنافسية للرياضة، بعد أن تحولت أغلب المنافسات الرياضية إلي صراع مرير، وربما إلي تخطي حدود القيم البشرية، وإستعانت بألوان وأساليب هي أبعد ما يكون عن قيم الرياضة الأصيلة كالعنف والغش وتعاطي المنشطات، ووصل الأمر بالرياضة المعاصرة إلي تقديم رشا مباشرة أو غير مباشرة للمسؤولين والرسمين، الأمر الذي ينذر بتقشي الفساد في المجال الرياضي، بل تقويض نظام الرياضة ذاته. والإتجاه المطالب بالتخفيف من حدة التركيز علي الفوز في المنافسات الرياضية كان من أهم المقومات التي دعت إلي ظهور فكرة الرياضة للجميع، حيث يمارس الناس الرياضة بمختلف أعمارهم وقدراتهم لا بهدف الفوز" كما يحدث في الرياضة التنافسية" إنما بهدف اللياقة البدنية والصحة والترويح. وبالرغم مما وجه من نقد للمنافسة يبقى أنها جوهر الرياضة وأحد مقوماتها الإجتماعية، فقط يجب أن يحاط بإطار من القيم الإجتماعية المقبولة مثل التنافس بنبل وشرف ونزاهة . . الخ. وبذلك نبتعد بالمنافسة عن الصراع ومساوئه) 1.

قال رائد التربية البدنية محمد محمد فضالي: (أنه مع كل النقد الموجه للمنافسة مازالت تعتبر الأساس المتين الذي تقوم عليه الرياضة، والتي تبوات مكانة كبرى في حياة الشعوب في عصرنا

1 صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم (1984).

2 صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم (3255).

3 صحيح الترهيب والترغيب، حديث رقم (2191).

4 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (1858).

1 الرياضة والمجتمع ص 173.

هذا، فهي تستخدم لرفع صحة الأفراد، ولإضفاء الروح المعنوية العالية، كما تستغلها بعض الدول من أجل الإعتزاز القومي والفخر بقدرات أبنائها)1.

قال الخبير الرياضي الدكتور كمال حامد شداد: (إن الطبيعة التنافسية للرياضة هي ذات جوهر للرياضة، وهي الأساس الذي تركز عليه، والطبيعة التنافسية حتمت أو الآن في عالمنا اليوم أصبحت تركز أو يركز كثيراً على النصر، أصبح الانتصار أمر مهم جداً في الرياضة)2.
قال الأستاذ فرانسيس فوكو ياما: (إذ ليس للمنافسة الرياضية هدف أو موضوع آخر إلا أن تجعل من البعض فائزين ومن الآخرين خاسرين بكلمة أخرى، إنها إرضاء رغبة الاعتراف بالتفوق علي الآخرين)3.

أي الغاية الأساسية للرياضة المعاصرة هي التنافس أي إرادة العلو في الارض أي إرضاء رغبة الاعتراف بالتفوق علي الآخرين هذا يعني أن الرياضة التنافسية مغالبة في غير سبيل الله.

قال تعالى: { قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيِينَ } (الأعراف:113).

قال تعالى: { أَلَيْسَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيِينَ } (الشعراء:41).

والمغالبات أنواع.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (قد تقدم أن المغالبات ثلاثة أقسام:

قسم محبوب، مرضي لله ورسوله، معين علي تحصيل محابه، كالسباق بالخيل والإبل والرمي بالنشاب.

وقسم مبغوض، مسخوط لله ورسوله، موصل إلي ما يكرهه الله ورسوله، كسائر المغالبات التي توقع العداوة والبغضاء وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، كالنرد والشطرنج وما أشبههما.

وقسم ليس بمحبوب لله ولا مسخوط له بل هو مباح، لعدم المضرة الراجحة، كالسباق علي الأقدام، والسباحة، وشيل الاحجار، والصراع)4.

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: (ولهذا نهت الشريعة عن كل أنواع المسابقة والمغالبة والرهان إلا ما كان فيه نصرة للدين وفيه جهاد، لهذا صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: " لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر")5.

وقال كذلك: (القاعدة: أن أنواع المغالبات والرهان محرم إلا ما كان فيه نصرة لدين الله جل وعلا إذا فقاعة الميسر والمغالبات يستثني منها ما كان فيه نصرة لدين الله جل وعلا)6.

الرياضة في النظام الإسلامي:-

المقصد الأساسي من الرياضة في النظام الإسلامي هي العافية وما تتضمن العافية من القوة ومن المعلوم أن القوة واجب إعدادها في النظام الإسلامي كل أنواع القوة إعدادها واجب. هذا يعني أن ممارسة الرياضة في الإسلام واجبة وجوب تعيين ولكن هناك فرق بين طبيعة القوة المقصودة من الرياضة التنافسية الميسرية وطبيعة القوة المقصودة من الرياضة التي في النظام الإسلامي وهذا الفرق يظهر بعد معرفة غايات كل من نوعي الرياضة. الغاية الأساسية من ممارسة الرياضة في

1 الرياضة والمجتمع ص 173.

2 موقع قناة الجزيرة، برنامج حوار في الرياضة، حلقة بعنوان "العنف الرياضي".

<http://www.aljazeera.net/programs/sportsdialogue/2005/1/10>

3 نهاية التاريخ والإنسان الأخير ص 294.

4 الفروسية ص 129.

5 القمار وصوره المحرمة ص19.

6 المصدر السابق ص20.

النظام الإسلامي هي "أن تكون كلمة الله هي العليا" أي "أن لا تكون فتنة في الأرض" أي الوصول لمرحلة العافية¹ أي صحة الإنسان بصورة عامة. وتعتبر اللياقة البدنية من المكونات الأساسية للعافية وصحة الإنسان. أما الرياضة التنافسية الميسرية فغايتها الأساسية التنافس أي إرادة العلو في الأرض. وهذا الفرق في الغايات يقود إلي فروقات في منهج الرياضة أي إلي فروقات في منهج التربية البدنية. من الفروقات بين الرياضة التي غايتها التنافس والغلبة والفخر والرياضة التي غايتها العافية وصحة الإنسان.

الفرق الأول المستهدفون بالرياضة التنافسية: أن الرياضة التنافسية لا تستهدف كل البشر أي لا تستهدف كل الأعمار إنما تستهدف أعمار معينة وهي الأعمار التي تحقق لها النصر والغلبة لأن هذا النوع من الرياضة غايته الغلبة والتفوق علي الآخر. أما الرياضة التي في النظام الإسلامي تستهدف كل أفراد الأمة أي تستهدف كل الأعمار لأن غايتها صحة الإنسان وعافيته كل الإنسان.

الفرق الثاني هو الإلزام: الجهات المنظم للرياضة التنافسية لا تلزم جميع الناس بممارسة الرياضة لأن ممارسة الرياضة في هذه المنظمات من المنوبات وليست من الواجبات أما الرياضة التي في النظام الإسلامي تلزم جميع الناس بممارسة الرياضة لعد أسباب أولها أن إعداد القوة في النظام الإسلامي واجب وجوب تعيين وممارسة الرياضة نوع من أنواع القوة. ثانياً أن ممارسة الرياضة في النظام الإسلامي غايتها النهائية هي رحمة من في الأرض أي دفع الضر عنهم لأن الضر ضد الرحمة والضر هو الجوع والفقر والمرض والخوف، ومن أعظم الأشياء المسببة للأمراض عدم ممارسة الرياضة بل كثير من الأمراض التي لم تكن في الاسلاف سببها عدم ممارسة الرياضة أو ممارستها بطريقة غير صحيحة وبما إن عدم ممارسة الرياضة تسبب الضر هذا يعني أنها أحد المنكرات لذلك يجب النهي عنها وممارستها من المعروف لذلك يجب الأمر به.

الفرق الثالث: أن الرياضة التي في النظام الإسلامي لها معايير معينة للجسد الإنسان تريد الوصول إليه هذه المعايير والشروط وضعها العلماء والمختصين في علم الرياضة والتربية البدنية وتسمى هذه المعايير بعناصر اللياقة البدنية وهي: الجلد الدوري التنفسي "اللياقة التنفسية"، والجلد العضلي، والقوة العضلية أي زيادة حجم الكتلة العضلية، والنسبة المئوية للدهون في الجسم، والمرونة "مرونة المفاصل"، والسرعة، والرشاقة، التوافق العضلي العصبي: والقوام السليم. الخ. أما الرياضة التنافسية ليست لها معايير معينة إنما هدفها الأوحده هو الفوز والغلبة فالشرط أو المعيار الذي يحقق لها النصر تاخذ به أما الشروط التي لا حاجة في التنافس لا تاخذ به وإن كان مهم لصحة الإنسان.

الفرق الرابع: أن مؤسسات الرياضة في نظام الرياضة التي في النظام الإسلامي هي الأندية الصحية أي أندية التربية البدنية وليست الأندية التنافسية ويجب أن تكون هناك هيئة عليا مستقلة تقوم بتنظيم عمل هذه الأندية الصحية أي أندية اللياقة البدنية وذلك بوضع الضوابط والمعايير والشروط التي تنظم عمل هذا النوع من الأندية. وهذه الهيئة هي أحدى هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي أحدى أجهزة الحسبة كما سيأتي الحديث عن وسائل التنمية في الإسلام.

الغاية من الميسر والتنافس والخمر:-

الغاية من الخمر والميسر أي الغاية من التنافس هو الوصول إلي اللذة أي إلي التخلص من الهم والغم.

1 العافية كمقصد سيكون الحديث عنه في فصل غايات التنمية في الإسلام.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (اللذة الحاصلة بذكر الله والصلاة عاجلا وأجلا أعظم وأبقى وأدفع للهموم و الغموم والأحزان)1.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (فاذا عرف ذلك، فسبب السكر ما يوجب اللذة ويمنع العلم، فمنه السكر بالأطعمة والأشربة المسكرة، فإن طاعمها يحصل له بذلك لذة وسرور، وهو الحامل لأكثر الناس علي شربها، ويغيب عقله فتغيب عنه الهموم والأحزان تلك الساعة)2.

فلذة الخمر كل أنواع الخمر إذا خمرة التنافس أو الخمر التي تشرب أنه تغمر العقل فتمنعه من حصول علي العلم والتميز وهذا حقيقة السكر وهي أحدي لذات الدنيا بل التنافس والحرص علي العلو هو حقيقة لذة الدنيا.

حلاوة الدنيا ولذتها:-

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون. فأتقوا الدنيا وأتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)3.

حلاوة الإيمان ولذته:-

كما ان للدنيا حلاوة ولذة فكذلك للإيمان حلاوة ولذة.

عن انس رضي الله عنه انه ﷺ قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وان يحب المرء لا يحبه إلا لله، وان يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يقذف في النار)4.

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ؛ انه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا)5.

فالفرق بين لذة الإيمان ولذة الدنيا أن لذة الإيمان لذة كاملة ونهائية.

اللذة الكاملة:-

اللذة الكاملة هي التي تكون نتاج كمال المحبوب.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (أن كمال اللذة والفرح والسرور ونعيم القلب وابتهاج الروح تابع للأمرين:

أحدهما: كمال المحبوب في نفسه وجماله، وأنه أولي بإيثار المحبة من كل ما سواه.

والأمر الثاني: كمال محبته، وإستفراغ الوسع في حبه، وإيثار قربه والوصول إليه علي كل شيء)6.

اللذة الايمانية:-

وحقيقة اللذة والحلاوة الايمانية هي التخلص التام من الهم والغم أي التخلص التام من الخوف والقلق والحزن.

قال تعالي: { فَمَنْ تَبِعْ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة:38).

قال تعالي: { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 112).

قال تعالي: { مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (المائدة:69).

1 روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص 140.

2 الاستقامة المجلد الثاني ص145.

3 صحيح مسلم، حديث رقم (2742)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3248).

4 صحيح البخاري، حديث رقم (16)/صحيح مسلم، حديث رقم (43).

5 صحيح مسلم، حديث رقم (34).

6 الداء والدواء ص 285.

قال تعالى: { فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الأنعام:48).
قال تعالى: { فَمَنْ آتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الأعراف: 35).
قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (الاحقاف: 13).
قال تعالى: { الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ * يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ } (الاحقاف: 67- 68).

اللذة الحقيقية الكاملة هي التخلص التام من الهم والغم أي التخلص التام من الخوف والحزن.

اللياقة البدنية أي تقوية الجسد هل هي غاية أم وسيلة:-

اللياقة البدنية في النظام الإسلامي هي غاية ووسيلة هي غاية لأن غاية التنمية في النظام الإسلامي هي العافية والعافية نوعان عافية في واقع الناس وعافية في الجسد واللياقة البدنية مكون أساسي من مكونات الصحة والعافية. ومن جانب آخر أن اللياقة البدنية هي وسيلة لأن تعريف اللياقة البدنية هي مقدرة البدن للقيام بالواجب دون أن يشعر بالتعب أو فقدان الطاقة. والواجب الأساسي في النظام الإسلامي هو تحقيق التوحيد وهذا الواجب تتفرع منه بقية الواجبات الأخرى والوسيلة للتحقيق التوحيد هو الجهاد إذا كان بالمال أو بالنفس والجهاد هو إفراغ الطاقة والقدرة في سبيل "أن لا تكون فتنة في الأرض" لذلك الشريعة أمرت بإعداد القوة.

الباب الثالث
الذين فتنوا أنفسهم
(الضعفاء والذين استكبروا)

في هذا الباب سوف يكون الحديث عن أهل النار وهم المتكبرين والضعفاء قال تعالى: {وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ } (إبراهيم: 21).

قال تعالى: {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْحُنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا } (سبا: 31-33).

قال تعالى: {وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيْبًا مِنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ } (غافر: 47 - 48). الكبر والمتكبرين أنواع اعظمهم أهل الكبرياء أي الذين يريدون السيطرة علي خزائن الأرض، في الفصل الأول سوف يكون الحديث عن هذه الفئة أي أهل الكبرياء. في الفصل الثاني سيكون الحديث عن الضعفاء هم أتباع المتكبرين ولكن تحدثنا عن مفهوم أشمل يشمل كل أنواع الضعف وهو الحسد فتحدثنا عنه وعن أنواعه ثم كان الحديث عن النفاق والمنافقين هم الذين يبتغون العزة عند الذين كفروا.

الفصل الأول
الكبرياء في الأرض
(السيطرة علي خزائن الأرض)

قال تعالى: { إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ } (النحل:23).
 قال تعالى: { فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ } (النحل: 29).
 قال تعالى: { أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ } (الزمر:60).
 قال تعالى: { قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ } (الزمر:72).
 قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } (غافر:60).
 قال تعالى: { ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ } (غافر:76).
 قال تعالى: { فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ } (الأحقاف:20).

قال تعالى: { أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ } (البقرة:87).
 قال تعالى: { فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنْكَرَةٌ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ } (النحل:22) 1.
 قال تعالى: { إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ } (الصفوات:35).
 عن علقمة، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يدخل النار احد في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان ولا يدخل الجنة احد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء) 2.
 عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان) 3.

تعريف الكبر:-

الكبر هو سفه الحق و غمط الناس. عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال: (إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق و غمط الناس) 4.
 (إن الله جميل يحب الجمال، الكبر سفه الحق، و غمص الناس) 5.
 التكبر هو رد الحق و غمط الناس فالمتكبر هو الذي يعرف الحق ولا يعمل به أي يرد الحق وسبب ذلك أي السبب في رد للحق ان الحق جاءه من انسان وضيع او ضعيف او فقير فلا يقبل الحق ولا ينقاد له.

قال تعالى: { قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ } (الأعراف:12-13).
 قال تعالى: { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ۗ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لُعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } (ص: 71 - 78).

1 ضمير الفصل يفيد الحصر والتوكيد حصر الصفة في موصوف أي حصر صفة الاستكبار في الذين لا يؤمنون بالآخرة.

2 صحيح مسلم، حديث رقم(91)/صحيح سنن الترمذى، حديث رقم (1998).

3 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم(3382)/ صحيح سنن ابي داود، حديث رقم (4091).

4 صحيح مسلم، حديث رقم (91)/ صحيح سنن ابي داود، حديث رقم (4092).

5 السلسلة الصحيحة حديث رقم (1626).

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (من تكبر عن الانقياد للحق - ولو جاءه علي يد صغير، او من يبغضه او يعاديه - فانما تكبره علي الله. فان الله هو الحق. وكلامه حق. ودينه حق. والحق صفة. ومنه وله. فاذا رده العبد وتكبر عن قبوله: فإنما رد علي الله، وتكبر عليه ف"بطر الحق". رده وجده، والدفع في صدره. كدفع الصائل. و"غمص الناس" احتقارهم: وازدراؤهم، ومتي احتقرهم وازدراهم: دفع حقوقهم. وجدها، واستهان بها)1.

وقال كذلك: ("التواضع للدين": هو الانقياد لما جاء به الرسول p ، والاستسلام له، والاذعان . . . لا تصح لك درجة "التواضع" حتي تقبل الحق ممن تحب وممن تبغض فتقبله من عدوك كما تقبله من وليك)2.

قال الإمام ابن قدامة المقدسي: (ومن شر أنواع الكبر ما يمنع من إستفادة العلم، وقبول الحق، والإنقياد له. قد تحصل المعرفة للمتكبر، ولكن لا تطاوعه نفسه علي الإنقياد للحق، كما قال تعالى: "وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا" "النمل: 14". "فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلَنَا" "المؤمنون:47". "إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا" "ابراهيم:10" وهذا تكبر علي الله ورسوله)3.

رد الحق و احتقار الناس متلازمان:-

احتقار الناس ورد الحق متلازمان لا ينفكان عن بعضهما البعض لان المتكبر ينظر الي نفسه بعين الكمال وينظر الي غيره بعين النقص. والمتكبرين وكبيرهم ابليس ومن تبعه مثل فرعون والنمرود وغيرهم يوقنون بان الله حق ودينه حق وباليوم الآخر حق بل ابليس كان يُسم بعزة الله. قال تعالى: { قَالَ فِعْزَتِكَ لِأَعْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ } (ص:82). ولكن سبب كفرهم وردهم للحق هو الاعتراض علي مساواتهم بالضعفاء الذين يوصفونهم بالاراذل فالمتكبرين أي الملاء اعداء الرسل والانبياء قضيتهم الاساسية هي المساواة مع الضعفاء الذين ليس لهم جاه ولا مال ولا سلطان. فمنهج التفكير عند المتكبرين قائم علي احتقار الناس والاستغناء عنهم أي الزهد فيهم. فالذي منع ابليس من السجود لله هو انه رأي نفسه افضل من ادم فالاصل في تكبر هو احتقار الغير ثم يكون رد الحق.

قال تعالى: { قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا فَأَخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ } (الأعراف:12-13).

قال تعالى: { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَأَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لعَنْتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } (ص: 72 – 78).

قال تعالى: { إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا } (الإسراء: 61).

قال تعالى: { قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَأَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لعَنْتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } (الحجر: 33 – 35).

1 مدارج السالكين، المجلد الثاني، ص74.

2 مدارج السالكين، المجلد الثاني، ص 75 - 77.

3 مختصر منهاج القاصدين ص249.

قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ } (البقرة:13). الاستفهام هنا للنفي والتحقير.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (وقوله تعالى: { قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ } ؛ الاستفهام هنا للنفي والتحقير؛ والمعني: لا نؤمن كما آمن السفهاء؛ وربما يكون أيضا مضمنا معني الإنكار. أي أنهم ينكرون علي من قال { آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ } ؛ وهذا ابلغ من النفي المحض)1.

قال تعالى: { وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } (البقرة:89).

قال تعالى: { وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا } (الأنعام:53).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (في قوله { أهؤلاء من الله عليهم من بيننا } (أنعام:53). الاستفهام هنا للتحقير قال الله - عز وجل - ردا عليهم { أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ } (أنعام:53)2.

قال تعالى: { وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِئِيًّا } (مريم 73-74).

قال تعالى: { أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ } (الشعراء: 111).

قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ: (الاردلون جمع أرذل وهم الضعفاء، هم الدون ذلك ان هذه المادة رذل أصلها في اللغة الشئ الادون، يعني اذا كان ثم شينان عال ودون، فالدون هو الاردل من الامرين؛ يعني انهم قسموا الناس فريقين: اشراف وسادة وملا، وآخرون ضعفاء هم الأردل)3.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (فقالوا رد لدعوته، ومعارضة له بما ليس يصلح للمعارضة: { أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ } أي: كيف نتبعك ونحن لا نري اتباعك الا اسافل الناس واراذهم وسقطهم. وبهذ يعرف تكبرهم عن الحق . . . فبنوا علي هذا الاصل، الذي كل احد يعرف فساده رد دعوته)4.

قال تعالى: { أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ } (الزخرف:52).

سبب احتقار الناس هو الإعجاب بالنفس:-

قال تعالى: { قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ } (الأعراف:12-13).

قال تعالى: { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } (ص: 71-77). سبب الكبر أي سبب احتقار الناس ورد الحق هو إعجاب

1 تفسير ابن عثيمين، المجلد الأول ص 80.

2 تفسير ابن عثيمين، المجلد السادس ص 177.

3 شرح مسائل الجاهلية ص 28.

4 تفسير السعدي ص 594.

الإنسان بنفسه لان كل معجب بنفسه هو متكبر أي كل معجب بنفسه صفته التكبر أي صفته احتقار الناس الذي يقود الي رد الحق.

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } (النساء:36).

قال تعالى: { وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (لقمان: 18).

قال تعالى: { وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } (الحديد: 23).

قال ابن قدامة المقدسي: (وأفة الكبر عظيمة، وفيه يهلك الخواص، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء واعلم ان العجب يدعو الي الكبر؛ لانه احد اسبابه، فيتولد من العجب الكبر، ومن الكبر الافات الكثيرة)1.

قال ابي حامد الغزالي: (فإن العجب يدعو الي الكبر لأنه أحد أسبابه – كما ذكرنا – فيتولد من العجب الكبر)2.

قال ابن حبان: (إنه لا يتكبر علي احد حتى يعجب بنفسه، ويرى لها علي غيرها الفضل)3.

قال الإمام ابن القيم: (وأما الكبر: فآثر من آثار العجب والبغي)4.

قال الدكتور ياسر برهامي: (مرض الإعجاب بالنفس ، ورؤية كمالات موهومة لها ، وخيرية على غيرها بلا استحقاق ، وهذا من أعظم الأمراض خطراً على المخلوق ، وهو منبع مرض الكبر والعلو الذي هو من أعظم أسباب الكفر والعياذ بالله ، فيعمى العبد عن نقصه وعجزه وضعفه وجهله ، ويتوهم نفسه في أعلى درجات الكمال)5.

خطر الإعجاب بالنفس:-

يعتبر الإعجاب بالنفس من اخطر الامراض علي النفس ويحتاج الي مجاهدة عظيمة . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجَّلٌ جُمَّتُهُ؛ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)6.

عن ابي هريرة، عن النبي قال: (بينما رجل يمشي قد اعجبته جمته وبرداه، إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل في الارض حتي تقوم الساعة)7.

عن يونس بن القاسم اليمامي حدثني أبي إن عكرمة بن خالد بن سعيد بن العاص المخزومي أنه لقي عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال له: يا أبا عبد الرحمن إنا بنو المغيرة قوم فينا نخوة فهل سمعت

1 مختصر منهاج القاصدين 249 – 254.

2 إحياء علوم الدين، الجزء الثالث ص 371.

3 روضة العقلاء ص 35.

4 الروح ص 264.

5 قصة ادم عليه السلام ص 38 – 39.

6 صحيح البخاري، حديث رقم (5789).

7 صحيح مسلم، حديث رقم (2088).

رسول الله ﷺ يقول في ذلك شيئاً؟ فقال عبد الله بن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من رجل يتعاطم في نفسه ويختال في مشيته إلا لقي الله وهو عليه غضبان)1. وخطورة العُجب ان الإنسان يعجب بكل شي يميزه عن الناس حتي الطاعة والعبادة الانسان يعجب بها.

(إن فيكم قوما يتعبدون حتى يعجبوا الناس، ويعجبهم أنفسهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)2.

(لو لم تذبون؛ خشيت عليكم أكثر من ذلك العجب)3.

(لو لم تكونوا تذبون، لخفت عليكم ما هو اكبر من ذلك؛ العجب العجب)4.

قال رسول الله ﷺ: (ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، فقال: ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوي متبع، واعجاب المرء بنفسه)5.

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: (بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مر رجل جمته اذ خسف الله به الارض، فهو يتجلجل فيها الي يوم القيامة)6.

الاعجاب هو ارجاع الفضل الي النفس وضده ارجاع الفضل الي الله:-

حقيقة إعجاب الإنسان بنفسه يكون بوجود واحد من ثلاثة أشياء هي من صور الكمال أي هي سبب للتفاخر أي سبب للخِيلاء والإعجاب بالنفس. عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، ولواء الحمد بيدي ولا فخر) 7. فالأشياء التي سبب للتفاخر هي الشئ الأول هو السيادة والشئ الثاني الذي هو سبب للفخر أي سبب للخِيلاء والإعجاب بالنفس الأولية والتقدم في كل شي والشئ الثالث الذي هو سبب للفخر أي سبب للخِيلاء التمييز بالأشياء والانفراد به.

الفرق بين المومن وغيره أن المومن يرجع هذه الأشياء إلي الله أما المعجب بنفسه يرجع الفضل والكمال الي النفس أي ينظر الي النفس بعين الكمال ونسيان فضل الله وإنكاره.

قال تعالى: { قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا } (القصص: 78).

قال تعالى: { فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (الزمر: 49). حقيقة إعجاب الإنسان بنفسه هو إرجاع الفضل أي وصف الكمال الذي يميزه عن غيره الي النفس اي ارجاع فضل النعمة الي نفسه.

قال الإمام أبي حامد الغزالي: (اعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كمال لا محالة، والعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان:

أحدهما: أن يكون خائفاً عن زواله ومشفقاً علي تكدره أو سلبه من أصله فهذا ليس معجب.

1 مستدرك الحاكم، كتاب الإيمان (1)، حديث رقم (201). صححه الحاكم ووافقه الذهبي. صححه الألباني السلسلة الصحيحة حديث رقم (2272).

2 السلسلة الصحيحة حديث رقم 1895.

3 السلسلة الصحيحة حديث رقم (658).

4 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (5303).

5 السلسلة الصحيحة حديث رقم (1802).

6 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (2875).

7 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3496).

والاخرى: ان يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث إضافته الي نفسه، وهذا ليس بمعجب.

وله حالة ثالثة: هي العجب وهي ان يكون غير خائف عليه، بل يكون فرحا به من حيث أنه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة منه، فيكون فرحه من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له لا من حيث إنه منسوب الي الله تعالى(1).

وقال كذلك: (العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلي المنعم إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع الجزاء عليه) 2. والصحيح والحق هو إرجاع الفضل الي الله.

قال تعالى: { وَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ } (النمل: 15).

قال تعالى: { فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ } (النمل: 40).

الإعجاب يكون بالعلم بظواهر الحياة الدنيا:-

إعجاب الإنسان بنفسه يكون بأشياء كثيرة ولكن أكثر الإعجاب بالنفس يكون بالإعجاب والفرح بالعلم³ والقوة .

قال تعالى: { قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا } (القصص: 78).

قال تعالى: { فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (الزمر: 49).

قال تعالى: { أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَرًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (غافر: 82-83).

قال تعالى: { فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً } (فصلت: 15).

قال تعالى: { وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا } (التوبة: 25).

قال تعالى: { وَظَنُّوا أَنَّهُم مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا } (سورة الحشر: 2).

قال تعالى: { أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا } (الكهف: 34).

قال تعالى: { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (يونس: 12). وكل اعجاب يقود الي

كبر يكون بالعلم والقوة لان هذه الاشياء هي أساس صفات الكمال وكل صفات الكمال الأخرى ترجع إليها.

1 إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، ص372.

2 إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، ص 372.

3 فابليس كان يعلم أنه خلق من نار وأدم خلق من طين وكان يعلم أن الله خلقه وكان يعلم أن العزة لله ولكن كل هذا العلم يدخل في دائرة العلم بظواهر الحياة الدنيا لأنه ترك العلم الأساسي وهو طاعة أمر الله.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: (صفات الكمال ترجع الي ثلاثة: العلم والقدرة، والغني، وإن شئت أن تقول: العلم والقدرة، والقدرة إما علي الفعل وهو التأثير، وإما علي الترك وهو الغني، والأول أجود)1.

قال الإمام أبي حامد الغزالي: (محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة، والمال والجاه من أسباب القدرة)2.

والمصدر الأساسي للقوة هو العلم 3 فيكون الإعجاب كله بالعلم فهو الصفة الأساسية للكمال. فإرجاع هذه الأشياء إلي النفس يقود الي عبادة النفس لان ارجاعها إليها هو إرجاع الكمال إلي النفس والكمال مراد لذاته فكل من قامت به هذه الصفات هو مراد لذاته أي عابد نفسه فكل متكبر عابد لنفسه لانه أرجع الكمال اليها وهذا أساس عبادة النفس وتقديسها ولكن العلم نوعان.

العلم نوعان علم كامل و علم ناقص:-

العلم نوعان علم كامل و علم ناقص. الفرق بين العلم الكامل والعلم الناقص أن العلم الكامل هو العلم بالحياة الدنيا وبالآخرة وأساس ذلك هو العلم بالله أما العلم الناقص هو العلم بظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة. العلم الناقص سبب للإعجاب بالنفس والتكبر علي الخلق. والعلم بالله هو العلم الكامل لأن الله هو الحق الكامل لذلك هو أساس العلم الكامل وهو يشمل العلم بظاهر الحياة الدنيا والعلم بالدار الآخرة وهذا العلم من الله لان العلم بالآخرة وبحقيقة الدنيا وليس ظاهرها جميعه غيب لا يكون إلا بوحى.

قال تعالى: {وَلَمَّا اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} (البقرة:120).

قال تعالى: {وَلَمَّا اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} (البقر:145).

قال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} (العمران:19).

قال تعالى: {يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ} (مريم:43).

قال تعالى: {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} (الشوري:14).

قال تعالى: {فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} (الجاثية:17).

في كل هذه الآيات أتى بالعلم معرف بالالف واللام المفيد للكمال.

عن مسروق قالت عائشة: صنع النبي ﷺ شيئاً فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال : (ما بال اقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه؟ فوالله اني لاعلمكم بالله واشدهم له خشية)4.

اما علم المتكبرين هو العلم الناقص لانه علم بظاهر الحياة الدنيا وغافل علي الدار الآخرة لذلك هو علم ناقص والعلم بالآخرة هو الذي يوضح حقيقة الحياة الدنيا. والعلم الناقص هو علم المعجبين بأنفسهم أي علم المتكبرين هو علم قائم علي معرفة ظاهرة الحياة الدنيا مع الغفلة عن الدار الآخرة.

قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ} (غافر:83)

1 المعجزات والكرامات أنواع خوارق العادات ص 9.

2 إحياء علوم الدين، الجزء الثالث ص 257.

3 كما سيأتي عند الحديث عن القوة في الباب الثالث.

4 صحيح البخاري، حديث رقم (6101)// صحيح مسلم، حديث رقم (2356).

قال تعالى: { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ } (الروم: 6-7).

قال تعالى: { فَأَعْرِضْ عَنْ مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَامْ بِرِدِّ إِلَّا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلُغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّٰ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن اهْتَدَىٰ } (النجم: 29-30).

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: (ان الله تعالى يبيغض كل عالم بالدنيا جاهل بالآخرة)1.
عن ابي هريرة : عن النبي p قال: "يتقارب الزمان، وينقص العلم" 2. بما إن العلم هنا علم ناقص هذا يعني أن هناك علم كامل.

التواضع في الإصطلاح الشرعي هو قبول الحق من أي إنسان:-

لقد ذكرنا أن التواضع في الإصطلاح الشرعي هو العلم الكامل وحقيقة ذلك قبول الحق والإنقياد إذا أتى من أي إنسان.

قال ابن عطاء: (هو قبول الحق ممن كان)3.

سئل الفضيل بن عياض عن التواضع؟ فقال: (يخضع للحق وينقاد له. ويقبله ممن قاله)4.

قال الإمام ابن القيم: ("التواضع للدين": هو الانقياد لما جاء به الرسول p ، والاستسلام له، والاذعان . . . لا تصح لك درجة "التواضع" حتي تقبل الحق ممن تحب وممن تبغض فتقبله من عدوك كما تقبله من وليك)5.

العلم الكامل والتواضع لله:-

هو العلم الكامل أي العلم بالدنيا والآخرة أي هو العلم بالله. فالمتواضعين الله يرفعهم الله سبحانه وتعالى. عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)6. والحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا، قوةً وضعفًا، زيادةً ونقصاناً فيقدر التواضع تكون الرفعة الربانية. من جانب آخر إن الله سبحانه وتعالى يرفع الذين آمنوا والذين آمنوا الذين أوثوا العلمَ دَرَجَاتٍ.

قال تعالى: { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } (المجادلة: 11). هنا عطف وهو

عطف الذين أوثوا العلمَ علي الذين آمنوا وهو من باب عطف الخاص علي العام يفيد الإهتمام

بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام. هذا يعني أن حقيقة العلم النافع الكامل

أي اليقين بلقاء الله هو التواضع لله سبحانه وتعالى لأن هناك قاعدة منطقية تقول الأسباب المتماثلة

تقود إلي نتائج متماثلة وبما أن النتائج متماثلة وهي الرفعة الربانية هذا يعني أن الأسباب متماثلة

فالعلم الكامل هو التواضع لله سبحانه وتعالى. قال تعالى: { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ

مِنْهَا * فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ } (الأعراف: 175-176).

والرفعة الربانية أي رفعة الذين أوثوا العلم ضد الخلود إلي الأرض وإتباع الهوي.

قال تعالى: { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۖ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ } (البقرة: 120).

قال تعالى: { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۖ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ } (البقر: 145).

1 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (1879).

2 صحيح مسلم، حديث رقم (2672)/ صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3292).

3 مدارج السالكين المجلد الثاني ص71.

4 مدارج السالكين المجلد الثاني ص71.

5 مدارج السالكين، المجلد الثاني، ص 75 - 77.

6 صحيح مسلم، حديث رقم (2588).

الكبر نوعان:-

الكبر نوعان: كبر عام وكبر خاص.

الكبر العام هو المضاد للإيمان:-

الكبر العام هو ضد الإيمان وتوحيد العبادة.

قال تعالى: { إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ } (الأحزاب:15).

قال تعالى: { لِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ } (النحل:49).

قال تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } (النساء: 173).

قال تعالى: { فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ } (النحل:22).

عن علقمة، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يدخل النار احد في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان ولا يدخل الجنة احد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء)1.

عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان)2.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: (وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: "ان الجنة لا يدخلها من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر". كما ان النار لا يدخل فيها من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان، فجعل الكبر مقابلا للإيمان؛ فان الكبر ينافي حقيقة العبودية، كما ثبت في الصحيح)3.

في هذه الأحاديث الإيمان مقابل الكبر أي الايمان ضد الكبر، ما هو حد الإيمان.

الكبر الخاص هو قسيم العزة وهو الكبرياء:-

أما الكبر الخاص هو الكبرياء وهو قسيم العزة، وهو في الحقيقة منازعة لله سبحانه وتعالى في كبريائه.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل: الكبرياء

ردائي، والعظمة إزاري؛ فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار) 4. عن أبي سعيد الخدري وأبي

هريرة قالاً: قال رسول الله ﷺ: (العزُّ إزارُهُ والكبرياءُ رداءُهُ فمن نازعني عذبتُهُ)5.

عن أبي هريرة، قال: قال الله عز وجل: (الكبرياءُ ردائي والعِزُّ إزاري فمن نازعني واحداً ألقني في النار)6.

الكبرياء هو الملك المطلق:-

قال تعالى: { وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ } (يونس:78).

قال الإمام ابن الجوزي: (وفي المراد بالكبرياء ثلاثة أقوال: أحدهما: الملك والشرف، قاله ابن

عباس. والثاني: الطاعة، قاله الضحاك. والثالث: العلو، قاله ابن زيد)1.

1 صحيح مسلم، حديث رقم(91)/صحيح سنن الترمذى، حديث رقم (1998).

2 صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم(3382)/صحيح سنن ابي داود، حديث رقم (4091).

3 كتاب العبودية ص99.

4 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4090)/صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم (3383).

5 صحيح مسلم، حديث رقم (2620).

6 مسند الإمام احمد، إسناده صحيح حديث رقم (7376).

1 لا تعارض بين هذه المعاني الثلاثة فالملك أعظم أنواع العلو، وهناك تلازم بين الكبرياء أي الملك والعزة وبالتحديد عزة وضع القيم والمعايير للناس أي أن يلتزموا الناس بهذه القيم والمعايير وهذه هي حقيقة الطاعة.

قال مجاهد: (في قوله " وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْكَبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ " قال: العظمة والملك والسلطان)2.

قال الزجاج: (سمي الملك كبرياء لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا)3.

قال الإمام الشوكاني: (المراد بالكبرياء الملك)4. الكبرياء هو الملك المطلق لأنه متعين لله.

الكبرياء متعين لله:-

الكبرياء متعين لله سبحانه وتعالى قال تعالى: {وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الجاثية:37). لذلك لا يجوز منازعته. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري؛ فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار)5. عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: (العز إزاره والكبرياء رداءه فمن نازعني عذبتة)6.

عن أبي هريرة، قال: قال الله عز وجل: (الكبرياء ردائي والعزة إزاري فمن نازعني واحدا ألقيه في النار)7.

كبرياء الله سبحانه وتعالى على المخلوقات نوعان: كبرياء كوني وكبرياء شرعي "وهو الكبرياء

الشرعي المحمود":-

قال تعالى: {وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الجاثية:37). كبرياء الله سبحانه وتعالى نوعان: في كل العوالم غير عالم البشر اضطراري، أما كبرياء الله سبحانه وتعالى في عالم البشر هو اختياري لذلك تحصل فيه المنازعة لله سبحانه وتعالى. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري؛ فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار)8. عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: (العز إزاره والكبرياء رداءه فمن نازعني عذبتة)9.

عن أبي هريرة، قال: قال الله عز وجل: (الكبرياء ردائي والعزة إزاري فمن نازعني واحدا ألقيه في النار)10. وكل من نازع الله في الكبرياء فهو ساعي للكبرياء.

الكبرياء الشرعي نوعان: كبرياء شرعي محمود "رباني" و كبرياء شرعي مذموم "طغياني":-

كل من لا يخضع لكبرياء الله سبحانه وتعالى هو منازع لله في الكبرياء فيكون الكبرياء الشرعي نوعان: كبرياء شرعي رباني و كبرياء شرعي طغياني أو كبرياء شرعي محمود وكبرياء شرعي مذموم.

الكبرياء الشرعي الطغياني هو منازعة الله سبحانه وتعالى في كبريائه. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري؛ فمن نازعني

1 تفسير ابن الجوزي ص 633.

2 تفسير الشوكاني ص 638.

3 تفسير الشوكاني ص 637.

4 تفسير الشوكاني ص 637.

5 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4090)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3383).

6 صحيح مسلم، حديث رقم (2620).

7 مسند الإمام احمد، إسناده صحيح حديث رقم (7376).

8 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4090)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3383).

9 صحيح مسلم، حديث رقم (2620).

10 مسند الإمام احمد، إسناده صحيح حديث رقم (7376).

واحدا منهما قذفته في النار) 1. عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالاً: قال رسول الله ﷺ: (العزُّ إزاره والكبرياءُ رداه فمن نازعني عذبتُه) 2. عن أبي هريرة، قال: قال الله عز وجل: (الكبرياءُ ردائي والعزَّةُ إزاري فمن نازعني واحداً ألقيه في النار) 3. فما هو الكبرياءُ الشرعي الرباني؟

الكبرياءُ الشرعي الطغياني هو المُلكُ المطلق المذموم:-

الكبرياءُ الشرعي المذموم في الأرض هو الملك المطلق المذموم. عن عبدالله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: (يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم ياخذهن بيده اليمني، ثم يقول: انا الملك اين الجبارون؟ اين المتكبرون؟ ثم يطوي الارضين بشماله، ثم يقول: انا الملك اين الجبارون؟ اين المتكبرون؟) 4. قد يقول قائل كيف يتم الاستدلال بحديث "اين الجبارون؟ اين المتكبرون؟" علي الكبرياء؟ الاجابة في الحديث مُلكُ الله مقابل الجبارون والمتكبرون. لكن مُلكُ الله مطلق هذا يعني أن ما يدعيه "الجبارون و المتكبرون" هو المُلكُ المطلق لأن الخطاب للتحدي. ولكن المتكبرين نوعان: أهل الكبرياء أي الذين يسعون إلي الكبرياء في الأرض أي الكبرياء غايتهم، وأهل العزة الذين يسعون إلي العزة عند الغير أي العزة عند الغير غايتهم، هم المنافقون، ولكن السؤال هل المنافقون مستكبرون؟ نعم والدليل علي تكبرهم. قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرُوا لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ } (المنافقون: 5). فالصفة الأساسية للمنافقين أنهم يسعون الي العزة أي يبتغون العزة عند الكفار فغاية المنافقون العزة وهم لا يسعون الي الملك المطلق. هذا يعني أن "الجبارون و المتكبرون" عام مخصص بأهل الكبرياء أي الذين ييبدون الكبرياء في الأرض. هناك قرينة أخرى تدل علي أن المتكبرون في الحديث السابق يراد به الكبرياء أي الكبر المطلق والقربين هي إقتران بالتكبر بالجبار لأن الجبار كاسم يدل علي المطلق إذا كان في الحق أو في الباطل. من خصائص الجبار من البشر العناد في الضلال. قال تعالى: { وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ } (هود: ٥٩). قال تعالى: { وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ } (ابراهيم: ١٥). فيكون الحرص علي الكبرياء هو الحرص الملك المطلق أي الكبرياء هو الملك المطلق.

الكبرياءُ الشرعي الرباني هو سيادة المعايير والموازين الربانية أي سيادة المعايير والموازين المطلقة:-

قال تعالى: { اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ } (الشورى: ١٧).

قال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ } (الحديد: ٢٥). الدليل علي إن الموازين هنا مطلقة هو أنها وسيلة لتقويم الناس كافة. قال تعالى: { فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا } (الأعراف: 85).

1 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4090)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3383).

2 صحيح مسلم، حديث رقم (2620).

3 مسند الإمام احمد، إسناده صحيح حديث رقم (7376).

4 صحيح مسلم، حديث رقم (2788).

قال تعالى: { وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } (الشعراء: 183). الدليل الآخر علي إن الموازين مطلقه، أنهاء إذا أوفيت إنتفاء الفساد عن الأرض لأن هناك تلازم بين وفاء الكيل والميزان وإنتفاء الفساد من الأرض .

إستفهام؟-

قد يقول قائل لقد ذكرتم أن الكبرياء الشرعي الرباني نقيض الكبرياء الشرعي الطغياني، ولكن ذكرتم أن الكبرياء الشرعي الرباني هو سيادة المعايير والموازين الربانية أي سيادة المعايير والموازين المطلقة، والكبرياء الشرعي الطغياني هو المُلْك المطلق المذموم السؤال كيف الجمع بين هذابين التعريفين؟ للإجابة علي هذا السؤال لابد من مقدمات تفصيلية.

المقدمة الأولى: الملك المطلق المحمود "الرباني" هو تمكين الدين:-

الملك المطلق المحمود هو التمكين للدين. قال تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا } (النور: 55).

قال تعالى: { وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُكِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ } (القصص: 5- 6).

عن ثوبان، قال: قال رسول الله p: (الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها)1.

عن تميم الداري، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ p يَقُولُ: (لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَبْلَغَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَلَا يَبْرُكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزُّ يُعِزُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْإِسْلَامَ، أَوْ ذُلٌّ يُذِلُّ بِهِ الْكُفْرَ)2.

عن ابي بن كعب رضي الله عنه: ان رسول الله p قال: (بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والنصرة والتمكين في الارض)3.

المقدمة الثانية: تمكين الدين هو حفظ خزائن الأرض:-

التمكين يكون بحفظ خزائن الأرض. قال تعالى: { قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ } (يوسف: 55- 56).

المقدمة الثالثة: حفظ خزائن الأرض هو وفاء المكاييل والموازين:-

قال تعالى: { قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } (يوسف: 55- 56). قال تعالى: { أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ } (يوسف: 59). الكيل في الآية معرف بالالف واللام يفيد العموم. يوسف عليه السلام في الآية الاولى عرف نفسه بأنه حفيظ عليم، وفي الآية الثانية عرف نفسه بأنه يوفي الكيل وأنه خير المنزلين. وفي آية الثالثة ذكر أن الله آتاه الملك. قال تعالى: { رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ } (يوسف: 101). والايات تفسر بعضها هذا يعني أن حقيقة حفظ خزائن الأرض هو وفاء الكيل والميزان إذا كانت مطلقه أو نسبية لأن الكيل في

1 صحيح مسلم، حديث رقم (2889)/صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4252).

2 مستدرک الحاكم، كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم (8326). قال الحاكم هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه وافقه الذهبي.

3 مستدرک الحاكم، كتاب الرقاق، حديث رقم (7862). قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه وافقه الذهبي.

الآية للعموم وهذا هو حقيقة الملك المطلق المحمود، فيكون الكبرياء الشرعي الرباني هو وفاء الكيل والميزان.

الموازين نوعان: مطلقة ونسبية:-

الموازين نوعان: مطلقة وفرعية نسبية.

السؤال ما هي الموازين المطلقة؟ ما هي المعايير المطلقة؟

السؤال ما هي الموازين المطلقة؟ الإجابة على السؤال في نقاط.

أولاً: المنكر هو الميزان "المعيار" المنهى عنه والإحسان هو الميزان "المعيار" المأمور به:-

الفحشاء والمنكر متلازمان مترابطان.

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ } (النحل:90).

قال تعالى: { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ } (العنكبوت:45).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } (النور:21).

السؤال ما هو المنكر وما هو المعروف؟

المنكر هو الشيء مجمع على النهي عنه والمعروف هو الشيء مجمع على الأمر به.

قال الإمام النووي: (ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه)1.

قال الإمام ابن دقيق العيد: (والعلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه)2.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي: (والمنكر الذي يجب إنكاره: ما كان مجمعا عليه، فأما المختلف فيه، فمن أصحابنا من قال: لا يجب إنكاره علي من فعله مجتهدا فيه، أو مقلدا لمجتهد تقليدا سائغا.

وأستثني القاضي في "الأحكام السلطانية" ما ضعف فيه الخلاف وكان ذريعة الي محذور متفق عليه، كربا النقد فالخلاف فيه ضعيف)3.

قال الدكتور عبد الكريم زيدان: (ويشترط في المنكر أن يكون مما أتفق الفقهاء علي إعتباره منكرا حتي لا يحتج المحتسب عليه بأن ما يفعله جائز)4.

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: (المنكر المراد هنا هو ما علم نكارته بالشرعية، وهذا يدخل في صورتين: الأولى: ما كان مجمع عليه.

الثاني: ما كان مختلف فيه ولكن الخلاف فيه ضعيف، فهذا ينكر. فما اجمع عليه واضح، مثل الزنا والسرقه والرشوة. إلي آخره، فهذا ينكر، وما اختلف فيه ولكن الخلاف فيه ضعيف أيضا ينكره،

وما اختلف فيه والخلاف فيه قوي هذا لا ينكر، بل لا يجوز إنكاره، ولكن يناظر فيه ويجادل فيه ويبحث فيه..... وقال بعض أهل العلم: لا إنكار في مسائل الخلاف. وهذا القول يحتاج إلي تفصيل،

فقد تبين لنا - بما سبق - أن هذا القول علي إطلاقه غلط، بل الصواب فيه تفصيل القول في مسائل الخلاف؛ وذلك أن القول: مسائل الخلاف تنقسم إلي قسمين:

1 شرح صحيح مسلم، ص30.

2 شرح الأربعين النووية لإبن دقيق العيد ص265.

3 جامع العلوم والحكم ص341.

4 أصول الدعوة ص191.

مسائل الخلاف فيها ضعيف، فهذه ينكر فيها ومسائل الخلاف فيها قوي، فهذه لا إنكار فيها بل يناظر ويناقش المخالف. ولهذا قيد طائفة من أهل العلم هذا القول، فقالوا: لا إنكار في مسائل الخلاف إذا كان الخلاف قوياً، أما ما كان الخلاف فيه ضعيفاً فإنه ينكر(1).
قال الأستاذ محمد كمال الدين إمام: (المسائل المختلف فيها لا يجب الإحتساب علي فاعلمها. فلا بد أن يلتصق وصف المنكر به)2.

مع العلم أن كل أمر مجمع عليه عليه هو معيار وميزان وقيمة هذا يعني أن المنكرات هي قيم وموازن ومعايير منهي عنها والمعروف هو موازين وقيم ومعايير مأمور بها.

ثانياً: الإحسان نوعان:-

في كثير من آيات القرآن يكون المنكر ضد المعروف الا في اية سورة النحل الاحسان ضد المنكر. قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (النحل:90).

الإحسان نوعان: احسان سبب واحسان نتيجة، الإحسان السبب أن تعبد الله كأنك تراه.

عن أبي هريرة قال: كان النبي بارزاً يوماً للناس، فأتاه رجل فقال: ما الإحسان؟ قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، وأن لم تكن تراه فإنه يراك)3. عن ابي هريرة قال: كان النبي

. أما الإحسان النتيجة هو المقابل للمنكر وهو الذي ذكر في الحديث.

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِئِجْدًا أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِخْ دَبِيحَتَهُ)4.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي: (وهذا الحديث يدل علي وجوب الإحسان في كل شئ من الأعمال، لكن إحسان كل شئ بحسبه)5.

الإحسان النتيجة ه و تجويد ادوات العمل كما في نص الحديث مع العلم أن الإحسان النتيجة هو المقابل للمنكر، هذا يعني أن المنكر في هذا السياق ه و عدم تجويد ادوات العمل و في المقابل يوجد المعروف والجمع بين تعريف المعروف وتعريف الاحسان هو أنه في كل مهنة أو صناعة هناك معايير محددة مجمع ومتفق عليها يجب أن تتوفر في الادوات العمل حتي تكون صالحة للعمل.

ثالثاً: البغي أعظم انواع المنكر "البغي هو المعيار المطلق المنهي عنه":-

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ } (النحل:90). عطف البغي علي المنكر في آية سورة النحل من باب عطف الخاص علي العام وهذا النوع من العطف يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام. مع العلم أن كل أمر مجمع عليه عليه هو معيار وميزان وقيمة هذا يعني أن المنكرات هي قيم وموازن منهي عنها والمعروف هو موازين وقيم ومعايير مأمور بها هذا يعني أن البغي هو معيار وميزان المطلق المنهي عنه بل هو المعيار والميزان الاساسي المنهي عنه أي أنه المنكر المطلق المنهي عنه لذلك تم تمييزه وتخصيصه عن غيره.

1 شرح الأربعين النووية ص 463.

2 أصول الحسبة في الإسلام دراسة تأصيلية مقارنة ص 93.

3 صحيح البخاري، حديث رقم (50).

4 صحيح مسلم، حديث رقم (1955).

5 جامع العلوم والحكم ص162.

رابعاً: البغي في آية سورة النحل هو وجود نقود أساس للتجارة لكل الناس (عملة عالمية) ولكنها غير معيارية:-

ما هو حقيقة البغي وفي أي مهنة يوجد، أي ما هو المعيار و الميزان الأساسي المنهي عنه وفي أي مهنة يوجد؟ وفي المقابل ما هو المعيار والميزان الأساسي الذي يقابل البغي وفي أي مهنة يوجد؟ المهنة الأساسية هي التجارة وأداتها هي النقود هذا يعني أن الميزان والمعيار الأساسي هو النقود. إذا كانت النقود جيدة أي معيارية هي المعيار والميزان الأساسي المأمور به وإذا كانت النقود غير جيدة أي غير معيارية هي المعيار والميزان الأساسي المنهي عنه. السؤال لماذا التجارة؟ ولماذا النقود؟ أو ما هو الدليل علي هذا؟ التجارة ام المهن أي هي المهنة الأساسية، والدليل علي ذلك قوله تعالى: { قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ } (الجمعة: ١١). في هذه الآية عطف التجارة علي اللهو هذا من باب عطف الخاص علي العام وهذا النوع من العطف يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام. السؤال ما علاقة اللهو بالمهن والصنائع؟ ما هو الدليل علي ذلك؟ الدليل علي ذلك أن التجارة من الملهيات. قال تعالى: { رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ } (النور: ٣٧).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه-، قال: بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا شاب من الثنية فلما رايناه (وفي رواية: رميناه) بإبصارنا، قلنا: لوان هذا الشاب جعل شبابه ونشاطه وقوته في سبيل الله! فسمع رسول الله ﷺ مقالتنا فقال: (وما سبيل الله إلا من قتل؟! من سعى علي والديه، ففي سبيل الله، ومن سعى علي عياله، ففي سبيل الله، ومن سعى علي نفسه ليعفها، ففي سبيل الله، ومن سعى علي التكاثر، ففي سبيل الشيطان. وفي رواية: الطاغوت) 1. (ان كان خرج يسعي علي ولده صغاراً فهو في سبيل الله، ان كان خرج يسعي علي أبوين شيخين كبيرين، فهو في سبيل الله، ان كان خرج يسعي علي نفسه يعفها فهو في سبيل الله، ان كان خرج يسعي رياً ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان) 2. الدليل علي أن المهن لها علاقة باللهو هو أن السعي إما أن يكون في سبيل الله وذلك اذا كان في حدود الكفاية وإما أن يكون في سبيل الشيطان والطاغوت وذلك اذا كان الغاية منه التكاثر. والسعي يكون بالمهن والصنائع والحرف أي يكون باحدي المهن أو الصنائع مثل التجارة، الهندسة، الطبابة، النجارة، الجزارة. الخ. وله حالتين إما أن يكون في سبيل الله وذلك اذا كان في حدود الكفاية وإما أن يكون في سبيل الشيطان والطاغوت وذلك اذا كان الغاية من هذه المهن التكاثر. فللمهن والصنائع في احدي حالتها سبب أساسي للتكاثر أي سبب للهو عن ذكر الله لأن التكاثر سبب للهو فالتجارة في أحدي حالتها نوع من الملهيات. من خلال سورة الجمعة في قوله تعالى: { قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ } (الجمعة: ١١). وضع ما عند الله مقابل للهو وللتجارة هذا يعني أن اللهو والتجارة في هذه الحالة وسيلة للتكاثر. التجارة ام المهن ماهي ادوات التجارة التي بها يكون الاحسان في التجارة؟ ادوات التجارة ووسائلها هي النقود.

قال الشيخ فيصل مولوي: (ان النقود وسيط للتبادل وهذه الوظيفة الأساسية لها. وان نجاح النقود في القيام بهذه الوظيفة يتطلب ان تكون مقبولة من جميع الناس، أي ان تمثل قوة شرائية عامة. وأننا نؤكد انه حتى تزداد ثقة الجمهور في النقود، يجب ان تكون قوتها الشرائية ثابتة، او علي الأقل تتقلب في حدود ضيقة) 3. فيكون البغي هو فساد النقود أي نقود غير معيارية وبما أننا نتحدث عن

1 السلسلة الصحيحة حديث رقم(3248).

2 صحيح الجامع الصغير، حديث رقم (1428).

3 اثر انهيار قيمة الأوراق النقدية علي المهور ص39.

الملك المطلق أي الملك العالمي، فيكون البغي في الآية 90 من سورة النحل هو وجود نقود دولية أي عملة دولية غير معيارية في العالم.

شروط النقود المعيارية هـ والثبات:-

الشروط التي يجب ان تتوفر في النقود حتى تقوم بوظائفها هي ثبات قيمتها أي قيمة النقود لان النقود أثمان والتمن معيار والمعيار لا بد أن يكون ثابت.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (فَإِنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْأَثْمَانِ أَنْ تَكُونَ مَعْيَارًا لِلْأَمْوَالِ يَتَوَسَّلَ بِهَا إِلَى مَعْرِفَةِ مَقَادِيرِ الْأَمْوَالِ وَلَا يَقْصِدُ الْإِنْتِفَاعَ بِعَيْنِهَا . فَمَتَى بَاعَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ إِلَى أَجَلٍ قُصِدَ بِهَا التَّجَارَةُ الَّتِي تُنَاقِضُ مَقْصُودَ الثَّمَنِ) 1.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكذلك انزل الله – سبحانه – الميزان في القلوب؛ لما بينت الرسل العدل وما يوزن به عرفت القلوب ذلك؛ فانزل الله علي القلوب من العلم ما تزن به الأمور حتى تعرف التماثل والاختلاف، وتضع من الآلات الحسية ما تحتاج إليه في ذلك، كما وضعت موازين النقدين وغير ذلك)2.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (ويمنع من إفساد نقود الناس وتغييرها، ويمنع من جعل النقود متجرًا، فإنه يدخل على الناس من الفساد ما لا يعلمه إلا الله، بل الواجب أن تكون النقود رؤوس أموال يتجر بها ولا يتجر فيها) 3.

وقال كذلك : (فإن الدراهم والدنانير أثمان للمبيعات، والتمن هو المعيار الذي به يعرف تقويم الأموال، فيجب أن يكون محدودا مضبوطا لا يرتفع ولا ينخفض؛ إذ لو كان الثمن يرتفع وينخفض كالسلع لم يكن لنا ثمن نعتبر به المبيعات، بل الجميع سلع، وحاجة الناس إلي ثمن يعتبرون به المبيعات حاجة ضرورية)4.

قال الدكتور محمد عمر شابرا: (أن إستقرار قيمة النقود هدف لا غني عنه في الإطار الإسلامي، وذلك بسبب تأكيد الإسلام الواضح علي الأمانة والعدالة في كافة المعاملات الإنسانية. ألا تري أن القران يبين بجلاء أهمية الأمانة والعدالة في كل مقاييس القيمة:

{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ} (الأنعام:152).

{ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا (الأعراف: 85). هذه المعايير لا تنطبق فقط علي الأفراد، إنما تنطبق أيضا علي المجتمع والدولة، ولا تقتصر فقط علي الموازين والمكاييل التقليدية، بل لا بد أن تضم كل مقاييس القيمة. ولما كانت

1 مجموعة الفتاوي، الجزء 29 ص271.

2 الرد علي المنطقيين ص428.

3 الطرق الحكمية المجلد الثاني ص 628.

4 إعلام الموقعين عن رب العالمين، المجلد الثالث، ص401.

النقود أيضا مقياسا للقيمة، فإن أي تآكل مستمر ومهم في قيمتها الفعلية، يمكن تفسيره في ضوء القرآن علي أنه إفساد للعالم، لما لهذا التآكل من أثر سئ علي العدالة الاجتماعية والصالح العام(1).

قال الدكتور شوقي أحمد دنيا: (من الأهمية بمكان أن تتسم النقود بأكبر قدر ممكن من الثبات في قيمتها، لما في ذلك من تأثير جوهري في استقرار الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للفرد والمجتمع، بحيث يمكن القول مع خبراء الاقتصاد الوضعي ان النقود لا تؤدي وظائفها بفعالية واقتدار في غياب الثبات النسبي في قيمتها..... أن خاصية النقود تتوقف على هذا الثبات وبزواله تكف النقود عن قيامها بوظائفها وتدخل في عداد السلع وتفسد أوضاع المجتمع(2).

قال الدكتور حمزة السالم: (مما يخالف شرط شيخ الإسلام ابن تيمية ومن تبعه من العلماء والعقلاء والاقتصاديين بأن الشيء لا يكون ثمناً إلا بشرط ثباته النسبي في القيمة بحيث يكون مستودعاً للثروة. قال شيخ الإسلام - رحمه الله "ولكن الدراهم والدنانير هي أثمان المبيعات والثلث هو المعيار الذي يعرف به تقويم الأموال فيجب أن يكون محدوداً مضبوطاً لا ترتفع قيمته ولا تنخفض.. وذلك إنما يكون إذا كان ذلك الثمن باقياً على حال واحدة لا تزداد فيه القيمة ولا تنقص"(3).

قال الدكتور حمزة السالم في موضع آخر: (ولذا نص شيخ الإسلام على شرط ثبات القيمة للثمن في إطلاق علة الثمنية عليه، لأن الشيء إذا كان متغير القيمة أصبح موضعاً للتجارة وخرج عن كونه ثمناً وهذا باتفاق العقلاء(4).

النقود المعيارية أي النقود الثابتة هي الذهب:-

النقود المعيارية هي النقود الثابتة، والذهب كنفد قيمته ثابتة من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بل علي مر التاريخ كما ذكر ذلك الدكتور محمد سليمان الأشقر.

قال الدكتور حمزة السالم: (فأما من ناحية الأدلة الشرعية فقد تتبع الدكتور الشيخ محمد سليمان الأشقر الأحاديث و الآثار التي ذكرت فيها قيم بعض السلع في بحث رائع بعنوان النقود وتقلب القيمة، قدم لعدد من المجامع الفقهية، أظهر فيه ثبات قيمة الذهب منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا، خاتماً بحثه بفساد وبطلان قياس الأوراق النقدية على الذهب مطالباً بالتراجع عن فتوى إلحاق الأوراق بالذهب و معاملتها أي الأوراق معاملة السلع التي لا يجري فيها لا ربا الفضل ولا ربا النسبة(5).

قال الأستاذ أنور محمد السباعي: (ويقول الدكتور محمد سليمان الأشقر رحمه الله إن قياس الورق النقدي على الذهب في إثبات حكم الربا فيها قياس باطل وبيان وجه البطلان يتبين واضحا اذا علمنا ما بينه الاقتصاديون من أن الذهب فيه ثلاث خصال تجعله - كما يقول علماء الحنفية ثمناً خلقه - ويخالفه فيها الورق النقدي في اثنين منها:

1 نحو نظام نقدي عادل ص 51.

2 مجلة المسلم المعاصر العدد (41).

3 مقال بعنوان "أقول: قال الله والرسول .. يقولون: قالت قرارات المجمع الفقهي " صحيفة الاقتصادية السعودية العدد 5539. 10/12/2008م.

4 مقال بعنوان " لا ربا ولا زكاة اليوم في الذهب والفضة هو لازم الفتوى المعتمدة الآن " صحيفة الاقتصادية السعودية العدد (5721). ت6/10/2009م.

5 مقال بعنوان "تناقض قيمة الأوراق النقدية أصل فيها لا طاري" صحيفة الاقتصادية السعودية العدد 5333. ت 18/5/2008م.

الأول: انه مقياس للقيم فهو ثابت القيمة على مدار التاريخ وأما الورق النقدي فلا يصلح مقياساً إلا في المبيعات الفورية.

الثاني: ان الذهب مخزن للقيم لثبات قوته على مدار التاريخ، أما الورق النقدي فهو مخزن للقيم ولكنه مخزن مهترئ مخزوق القاع يتسرب مخزونه باستمرار.

الثالث: انه اداة للتبادل)1.

قال الدكتور حمزة السالم: (فإلغاء الغطاء الذهبي للعملات الورقية من بعد عام 1971 أدى إلى انتفاء صفة حفظ القيمة عن الأوراق النقدية وأصبح التناقص في قوتها الشرائية أصلاً في طبيعتها وليس طارئاً عليها، كما نوقش في المجمعات الفقهية من قبل في الليرة اللبنانية ونحوها)2.

بل هناك إجماع من خبراء الصيرفة بان الذهب ثابت القيمة (ويجمع خبراء الصيرفة في العالم على أن الذهب استخدم قديماً في البيع والشراء وأن إعادة استخدامه كعملة في التجارة الدولية أفضل من التعامل بالعملات الورقية لأن الذهب يحتفظ بقيمته وثمرته ك معدن ثمين على العكس من العملات الورقية التي تتذبذب أسعارها باستمرار)3.

ميزان الذهب وميزان التقوي ميزانان مطلقان متلازمان:-

حقيقة سيادة نظام الذهب هو الملك المطلق المحمود أي سيادة المعايير والموازن المطلقة . والوسيلة للملك المطلق المحمود هو العلم الكامل.

قال تعالى: { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ { (البقرة:247). العلم معرف بالألف واللام للعموم.

التقوي والعلم الكامل متلازمان. قال تعالى: { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ } (البقرة:282).

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا } (الأنفال:29).

فاذا وجدت التقوي وجد العلم الكامل أي الفرقان بين الحق والباطل. واذا وجد العلم الكامل أي الفرقان بين الحق والباطل دليل علي وجود التقوي. هذا يعني أن السبب والوسيلة في وجود الملك المطلق المحمود أي سيادة المعايير والموازن المطلقة أي سيادة نظام الذهب هو التقوي الوسيلة4. والتقوي النتيجة هي معيار وميزان وقيمة للتفاضل بين الناس.

1 الضوابط الاقتصادية للإصدار النقدي بين النظام الإسلامي والنظام الرأسمالي ص29.

2 مقال بعنوان " أقول: قال الله والرسول .. يقولون: قالت قرارات المجمع الفقهي " . صحيفة الاقتصادية السعودية العدد5539. ت2008 /12/10م.

3 مقال بعنوان "مهاتير محمد يعيد تأكيد دعوته السابقة

الدينار الذهبي لمواجهة أزمت الدولار" صحيفة الاقتصادية السعودية العدد5774.

http://www.aleqt.com/2009/09/28/article_259648.html

4 التقوي نوعان : وسيلة ونتيجة التقوي الوسيلة هي التي ذكرت في قوله تعالى: { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ } (البقرة:282). وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا } (الأنفال:29). أما التقوي النتيجة هي التي ضد العدوان. قال تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } (المائدة: 2).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } (الحجرات: 13).

قال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ } (الروم: 22). التقوي كقيمة للتفاضل بين الناس هي ميزان ومعيار مطلق لانها لكل الناس، ويقابلها التفاضل والتعالي بالقبائل والشعوب والألسن والألوان. وبما أنها أي التقوي ميزان ومعيار مطلق هذا يعني أنها هي مرحلة الإصلاح بين الناس، كل الناس لأنها ميزان ومعيار مطلق أي ميزان لكل الناس. والوسيلة للإصلاح بين الناس أي لسيادة التقوي النتيجة هي التقوي الوسيلة. قال تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ } (الأنفال: 1). فالتقوي السبب أي العلم الكامل تقود إلى الإصلاح بين الناس أي الي التقوي النتيجة. هذا يعني إذا ساد معيار الذهب ساد معيار التقوي لأن السبب لهما واحد. من جانب آخر لا يمكن أن يسود ميزان مطلق مع غياب ميزان مطلق آخر هذا يعني أنهما متلازمان.

العلم الكامل والفتن نقيضان:-

عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال: (يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقي الشح، وتظهر الفتن ويكثر الهرج. قالوا: يا رسول الله ايما هو؟ قال: القتل القتل)¹. عن ابي هريرة، يرفعه قال: (يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويلقي الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج) قالوا: يا رسول الله! وما الهرج؟ قال: (القتل)². عن انس رضي الله عنه قال: لحدثتكم حديثا سمعت رسول الله ﷺ لا يحدثكم به احداً غيري، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن من اشراط الساعة ان يرفع العلم، ويكثر الجهل)³. عن انس بن مالك قال: لحدثتكم حديثا لا يحدثكم احد بعدي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من اشراط الساعة ان يقل العلم ويظهر الجهل)⁴. العلم معرف بالألف واللام للعموم أي العلم الكامل.

المُلك نوعان: محمود و مذموم:-

المُلك نوعان: مُلك محمود ومُلك مذموم، الفرق بينهما أن المُلك المذموم الوسيلة له المال المراد لذاته وأما المُلك المحمود الوسيلة له العلم الكامل. قال تعالى: { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ } قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ { (البقرة: 247). العلم معرفة بالألف واللام تفيد الاستغراق الكمال. من صور الملك المحمود

قال تعالى: { وَأَنآءَ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ } (البقرة: 251).

قال تعالى: { فَفَدَّا آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا } (النساء: 54).

قال تعالى: { اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا } (المائدة: 20).

أما الملك المذموم هو الملازم للخلود

قال تعالى: { فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ } (الأعراف: 20).

قال تعالى: { قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ } (طه: 120).

1 صحيح البخاري، حديث رقم (7061)/صحيح مسلم، حديث رقم (2672).

2 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3292).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (5231)/صحيح مسلم، حديث رقم (2671).

4 صحيح البخاري، حديث رقم (81)/صحيح مسلم، حديث رقم (2671)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم

وحقيقة الملك المذموم هو جمع المال. قال تعالى: { الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ { (الهمزة: 2-3). قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (البقرة: 258).

الملك المذموم أي حب المال لذاته نوعان: بغي ونفاق:-

قال تعالى: { إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (القصص: 76 - 77).

قال تعالى: { وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ } (التوبة: 75 - 77).

البغي نوعان: كنز وسيطرة على الخزائن الأرض:-

البغي يكون مع الكنز. قال تعالى: { إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (القصص: 76 - 77). كنز الذهب والفضة هو عدم انفاقهما في سبيل الله هو ملك لكن غير مطلق. قال تعالى: { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ } (التوبة: 34 - 35).

أما البغي الذي هو سيطرة علي الخزائن الأرض أي النقيض لحفظ خزائن الأرض هو وجود نقود دولية أي عملة دولية غير معيارية في العالم غير معيارية أي لا تتوفر فيها صفة المعيار والميزان. قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ } (النحل: 90).

السيطرة على الخزائن الأرض هو الملك المطلق المذموم أي الكبرياء الطغياني:-

أما الملك المطلق المذموم هو السيطرة علي الخزائن الأرض. قال تعالى: { أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ } (الطور: 37). قال تعالى: { أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ * أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا } (ص: 9-10).

الأدلة علي الملك المطلق مذموم هو السيطرة علي الخزائن 1. أولاً: أن الخزائن تمتلك. قال تعالى: { قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ } (الإسراء: 100).

الدليل الأول: أن الذي له السيطرة علي الخلق هو من يعذب ويغفر أو أن السيطرة هي التعذيب والمغفرة.

قال تعالى: { فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ } (الغاشية: 21-24).

وأن من له المُلْك المطلق هو من يعذب ويغفر أيضاً.

قال تعالى: { وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (آل عمران: 129).

قال تعالى: { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (المائدة: 40).

قال تعالى: { وَبِاللَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (الفتح: 14).

هذا يعني أن الملك المطلق هو السيطرة علي الخزائن.

الدليل الثاني: هناك تلازم بين الملك المطلق وبين السيطرة أي القهر المطلق والهيمنة.

قال تعالى: { لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } (غافر: 16).

قال تعالى: { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ } (الحشر: 23).

قد يقول قائل لقد استدليتم بايات خاصة بالربوبية علي الملك المطلق المذموم؟ الإجابة الحديث عن الملك المطلق المذموم أي الحديث عن الكبرياء هو الحديث عن ملك سبحانه وتعالى لأن حقيقة الملك المطلق المذموم اي الكبرياء هو منازعة الله سبحانه وتعالى في ملكه أي في كبريائه. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري؛ فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار) 1. عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالاً: قال رسول الله ﷺ (العزُّ إزارُهُ والكبرياءُ رداهُ فمن نازعني عذبتهُ) 2.

عن أبي هريرة، قال: قال الله عز وجل: (الكبرياءُ ردائي والعِزَّةُ إزاري فمن نازعني واحداً ألقيه في النار) 3. فالحديث عن ملك الله هو الحديث عن غاية أهل الكبرياء.

السيطرة على خزائن الأرض يكون بجعل نقود غير معيارية أساس للنظام النقدي الدولي أي عملة احتياطي دولية:-

السيطرة علي خزائن الأرض يكون بجعل عملة دولة ما غير مغطية بالذهب أي ليس لها قيمة ذاتية في نفسها أي عملة غير معيارية أساس النظام النقدي الدولي.

قال الأستاذ عمران نزار حسين: (نظام النقود الذي صنعه التحالف الأوربي اليهودي النصراني صمم خصيصاً لإزالة النقود ذات القيمة الذاتية من نظام النقد العالمي وإستبدالها بنقود ليس لها قيمة في ذاتها. وهذه العملات الورقية لا يمكن إسترداد قيمتها يمكن إذاً أن تخفض قيمتها. وعندما تخفض قيمتها فإن ذلك يشكل ظلماً وسرقة جعلت قانونية) 4.

وقال كذلك: (لقد إختفت اليوم النقود التي لها قيمة ذاتية من نظام النقود المستعمل حول العالم) 5.

1 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4090)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3383).

2 صحيح مُسلم، حديث رقم (2620).

3 مسند الإمام احمد، إسناده صحيح حديث رقم (7376).

4 الدينار الذهبي والدرهم الفضي: الإسلام ومستقبل النقود ص12.

5 المصدر السابق ص29.

قال الأستاذ فتحي محمد سليم: (إن الأصل أن لا يتحكم نقد ورقي محلي لدولة ما في نظام النقد الدولي؛ لأن هذا يؤدي إلي هيمنة الدولة التي تصدره علي باقي الدولة المتعاملة به)1. وقال كذلك: (لن تنتهي أزمات النظام النقد الدولي إلا بإزاحة النقد الورقي لأية دولة عن كونه أساس النظام النقدي الدولي)2.

عملة الاحتياطي الدولية غير مغطية بالذهب "الدولار نموذجاً":-

النموذج المعاصر لعدم حفظ خزائن الأرض والسيطرة عليها وسرقتها هو الدولار لأنه عملة إحتياطي دولية غير مغطية بالذهب أي لا يوجد نقود المعيارية والميزان من هنا أنت أعظم عملية سرقة ونهب وسطو عرفها التاريخ البشري وكل ذلك نتاج التحكم في خزائن الأرض والسيطرة عليها بنقود غير معيارية وهو الدولار.

قال الدكتور عبد الحي زلوم: (أثناء إجتماعات المسماة دراسات الحرب والسلم الفائقة السرية بين الحكومة الأمريكية وأصحاب روكس الأموال العالميين . . كان من أهم القرارات هو أن الولايات المتحدة ستكون وريثة الأمبراطورية البريطانية، وتم اعتماد العولمة كخيار الأمبراطورية الجديدة وهي إستعمار بإسم جديد وأدوات جديدة، جاء في إحدى القرارات أن من متطلبات إمبراطورية العصر أن تكون عملتها عملة الإحتياطي العالمية لذلك تم اعتماد الدولار بدل الإسترليني كعملة إحتياط وتم التوصية بإنشاء صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والأمم المتحدة ومنظمة التجارة الحرة)3.

قال الدكتور عبد الحي زلوم: (ما فعله نيكسون كان بدل تغطية الدولار بالذهب ليصبح تغطيته بالبترول وفرض العملة الأمريكية علي العالم كأمر واقع. وكان هذا بمثابة الانتقال من نظام السعر الثابت إلي السعر العائم. الذي لا يستند إلي أي نظام سوي المصالح الأمريكية. وكما إتضح لاحقاً كان القرار الأمريكي في نظر الكثيرين ممارسة لأكبر سرقة في التاريخ! وأخيراً وليست أخراً تم فرض الدولار علي العالم بإعتباره العملة الوحيدة المستعملة لتجارة النفط. هكذا أصبح لزاماً علي جميع الدول شراء الدولارات لدفع ثمن البترول ماذا يعني هذا؟ تم خلق أوضاع تملي إقبالاً عظيماً علي الدولار وبشكل إجباري بما يسمح لمطابع العملة الورقية الأمريكية بمواصلة العمل علي طبع ما تشاء من الأوراق النقدية طالما بقي النفط المصدر الرئيسي للطاقة في العالم)4.

قال الدكتور عبد الحي زلوم: (تأتي قوة الولايات المتحدة عن طريق إصدار دولارات "مزيفة" لأنها خالفت الإتفاقات الدولية من إصدار الدولار بمقدار ما لديها من ذهب، فقررت بشكل أحادي إلغاء ذلك الإتفاق وأن تطبع دولارات كيفما تشاء وبدون غطاء . . كانت سياسة الولايات المتحدة التوسعية وحروبها في كل مكان من كوريا وحتى فيتنام سبباً في حاجتها إلي دولارات فوق قدرتها الإقتصادية الحقيقية. وزاد الطين بلة إنها أصبحت سنة 1970م مستوردة للنفط بدلاً من مصدره له مما زاد عجوزاتها التجارية. ولقد أجبرت العالم علي شراء النفط بالدولار فقط. . . نشاء نظام مالي إمتصاصي طفيلي يعتمد علي "الدولارات المزيفة" منفصلة عن الإقتصاد المنتج بل متطفل عليه، وكان هذه النظام يعتمد علي إرهاب الدول بالديون خصوصاً الدولة النامية التي تستدين لشراء النفط والبضائع الأخرى بالدولارات المزيفة ولكن عليها أن تبيع إنتاجها من السلع بالدولار وهي سلع

1 نظام النقد الدولي ص96.

2 المصدر السابق ص 97.

3 حروب العملات حروب دمار شامل، صحيفة رأي اليوم 2 اغسطس 2018. www.raialyoum.com.

4 أكبر سرقة في التاريخ تمارسها أمريكا. صحيفة المعلومة 3 أكتوبر 2017. www.almaalomah.com.

حقيقية وإعادة هذه الدولارات إلى النظام المالي الذي يتحكم فيه شارع المال في نيويورك "وول ستريت". أليست هذه عملية نهب وسطو وسرق؟!1. قال الدكتور طارق ليساوي: (قوة أمريكا مستمدة أساساً من هيمنة الدولار الأمريكي، والذي يعد العملة الأكثر استخداماً في المعاملات التجارية الدولية، وتشكل أكبر احتياطي نقدي في العالم، والعديد من البلدان تستخدم الدولار الأمريكي كعملة رسمية لها، وفي الكثير من البلدان الأخرى تعتبره هو عملتها بحكم الأمر الواقع، ومن ضمنها بلدان الخليج العربي التي لا زالت متمسكة بقاعدة "البنزودلار" .. وهو ما يضمن استمرار هيمنة الدولار، وبالتالي تمكين أمريكا من آلية قوية للضغط وتحقيق مكاسب اقتصادية مجانية. فالصين تدرك الدور الذي يلعبه الدولار في العالم، وإن كسر هيمنة الدولار يؤدي بالتبعية إلى إسقاط الهيمنة الأمريكية على العالم، كما إن الصين تدرك المكاسب العالية التي تجنيها أمريكا من هذه الهيمنة)2.

ضبط مفهوم البغي وعلاقته بقيم العنصرية:-

العامل الأول في تحديد مفهوم البغي: هو أن البغي والفخر أضداد للتواضع أي أضداد للعلم الكامل. عن عياض بن حمار، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)3. عن عياض بن حمار، . عن النبي أنه، خطبهم فقال: (إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) 4. هذا يعني أن البغي والفخر تعالي وترفع علي الغير.

العامل الثاني في تحديد مفهوم البغي: هو أن البغي نوع من أنواع المنكر أي أنه قيمة ومعياري منهى عنه.

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبُغْيِ } (النحل:90).

عطف البغي علي المنكر من باب عطف الخاص علي العام وهذا النوع من العطف يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام هذا يعني أن البغي هو أصل المنكر وأعظمه. في المقابل عطف الإصلاح بين الناس علي المعروف في قوله تعالى: { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ } (النساء:114). هو من باب عطف الخاص علي العام أيضاً، وهذا النوع من العطف يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام هذا يعني أن الإصلاح بين الناس هو أصل المعروف وأعظمه، هذا يعني أن البغي والإصلاح بين الناس نقيضان لتوضيح ذلك بصورة أوضح:

1 كيف يمكن لأحد أن يصدق أن أكبر قوة عسكرية وإقتصادية في التاريخ أوهي من بيت العنكيوت ، صحيفة رأي اليوم 20 يوليو 2020م. www.raialyoum.com.

2 لماذا نعتقد أن مصالح الصين وأمريكا ستتوحد في ضرورة دعم وحماية نظام "بريتون وودز" من الإنهيار، صحيفة رأي اليوم 7 أبريل 2020م. www.raialyoum.com.

3 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4895).

4 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3387).

المنكر هو الشيء مجمع علي النهي عنه والمعروف هو الشيء مجمع علي الأمر به. مع العلم أن كل أمر مجمع عليه هو معيار وميزان وقيمة هذا يعني أن المنكرات هي قيم وموازن منهي عنها والمعروف هو موازين وقيم ومعايير مأمور بها هذا يعني أن البغي هو قيمة وميزان منهي عنه لكنه ميزان ومعيار اساسي لذلك تم تخصيصه وتمييزه، وكذلك الإصلاح بين الناس هو ميزان ومعيار اساسي لذلك تم تخصيصه وتمييزه. فالبغي والإصلاح بين الناس نقيضان.

أما العامل الثالث في تحديد مفهوم البغي: هو إن البغي سبب للتفرق و الإختلاف.

قال تعالى: { وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } (البقرة:213).

قال تعالى: { وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } (العمران:19).

قال تعالى: { وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } (الشوري:14).

قال تعالى: { فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } (الجاثية:17).

العامل الرابع في تحديد مفهوم البغي: هو أن التقوي والإصلاح بين الناس قرينان متلازمان مترابطان.

قال تعالى: { فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الأعراف:35).

قال تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ } (الأنفال:1).

لأن القاعدة التفسيرية تقول القرينان متلازمان عند السلامة والصحة من المعارض، فاذا وجد التقوي وجد إصلاح ذات البين، واذا وجد إصلاح ذات البين دليل علي وجود التقوي هذا يعني أن التقوي والبغي نقيضان. والتقوي هي القيمة والمعيار للتفاضل والتمايز بين الناس وحقيقتها أنها ضد التفاضل بالشعوب والقبائل والالوان والالسن. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } (الحجرات: 13). قال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ } (الروم:22). فالتقوي هي قيم الإصلاح بين الناس هذا يعني أن البغي هو قيم ومعايير التفرق والإختلاف أي قيم ومعايير التفاضل والتعالي والتمايز بالقبائل والشعوب والألسن والالوان أي أن حقيقة البغي هو سيادة القيم العنصرية.

العامل الخامس في تحديد مفهوم البغي: هو أن البغي ضد الانفاق في سبيل الله قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ } (النحل:90).

والبغي نوعان: كنز وسيطرة علي الخزائن الأرض والسيطرة علي خزائن الأرض يكون جعل عملة دولة ما غير مغطية بالذهب أي عملة غير معيارية أساس النظام النقدي الدولي وبهذا يكون الصراع للوصول للسيطرة علي خزائن الارض وهذا حقيقة منازعة الله في الكبرياء لان حقيقة أن الكبرياء الرباني هو سيادة القيم المطلقة فالبغي هو سيادة القيم النسبية أي التفاضل والتميز بالقبائل والشعوب والألسن والالوان. لذلك كل أمة من الأمم تسعى للسيطرة علي بقية الأمم بواسطة القوة المطلقة وهي السيطرة علي خزائن الارض وتتفضل علي الأمم الأخرى وهذه هي حقيقة الإستعلاء العنصري والعنصرية. هذا يعني كما أن هناك تلازم بين سيادة معياري الذهب والتقوي كذلك هناك تلازم بين معياري البغي الاقتصادي والبغي الإجتماعي.

العلم الناقد هو الإستعلاء العنصري:-

الكبر هو رد الحق وإحتقار الناس والمستكبرون هم الذين لا يؤمنون بالآخرة. قال تعالى: { فَأَلْذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ } (النحل : 22). ضمير الفصل يفيد الحصر

والتوكيد حصر الصفة في موصوف أي حصر صفة الإستكبار في الذين لا يؤمنون بالآخرة. مع العلم أن الإيمان بالآخرة هو العلم الكامل هذا يعني أن الكبر هو العلم الناقص وهو نتاج الفخر. والناس رجالان إما تقي وفاجر.

قال تعالى: { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } (ص:28). عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة فقال: (يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاضمها بأبائها فالناس رجالان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب) قال الله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) 1.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالأباء؛ مؤمن تقي، وفاجر شقي؛ أنتم بنو آدم وآدم، من تراب) 2. من سياق الحديث الفاجر هو الفخور والفجور ضد التقوي والتقوي في الأصل هي قيمة وميزان للتفاضل بين الناس. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } (الحجرات: 13).

قال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ } (الروم: 22). التقوي كقيمة وميزان للتفاضل بين الناس يقابلها التفاضل والتميز بالقبائل والشعوب والألسن والألوان فالتفاضل بين الناس إما يكون بالتقوي وإما يكون بالفجور وهو التفاضل بالقبائل والشعوب والألوان والألسن وهذه هي العنصرية فالتقوي هي العلم الكامل والعنصرية أي الفجور هي العلم الناقص وهي اول سبب لمعصية الله سبحانه وتعالى هو إعجاب إبليس بعنصره الذي خلق منه الذي قاده إلي الكبر والرد الحق.

قال تعالى: { قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ } (الأعراف: 12-13). قال تعالى: { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي * اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ } (ص: 71-77).

الإستعلاء العنصري في عالم البشر نوعان: مطلق ونسبي:-

الإستعلاء العنصري أو العنصرية في المجتمع البشري نوعان عنصرية مطلقة وهي عنصرية اليهود لانهم قالوا نحن ابناء الله وأحبأوه.

قال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ } (المائدة: 18).

قال تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (الجمعة: 6-8).

1 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (3270).

2 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (5116).

قال الأستاذ محمود محمد طه: (ما عرف التاريخ عنصرية كعنصرية اليهود في تماسكها، وإستعصائها علي التطور، وإكتفائها بنفسها، ولعل أهم أسباب صلابة هذه العنصرية قيامها علي عوامل دينية)1.

وقال أيضاً: (وفي الحق أن الناس ما عرفوا عنصرية كعنصرية اليهود في شدة تماسكها، وفي تعصبها، ويرجع السبب في ذلك إلي عدة عوامل أهمها الدين)2. أما العنصرية النسبية هي عنصرية المنافقين فهم عنصريون لأنهم يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

قال تعالى: { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ } (التوبة: 67). والمنكر كل شئ مجمع علي النهي عنه وفي المقابل المعروف هو كل شئ مجمع علي الأمر به. وكل شئ مجمع عليه يعتبر معيار وميزان أي قيمة، أصل المنكر وأعظمه هو البغي والدليل علي ذلك قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ } (النحل: 90). عطف البغي علي المنكر هو من باب عطف الخاص علي العام وهذا النوع من العطف يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام هذا يعني أن البغي هو قيم ومعايير وموازن. في مقابل البغي الإصلاح بين الناس قال تعالى: { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ } (النساء: 114). عطف الإصلاح بين الناس علي المعروف من باب عطف الخاص علي العام ، وهذا النوع من العطف يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام هذا يعني أن الإصلاح بين الناس هو أصل المعروف وأعظمه فالإصلاح بين الناس والبغي نقيضان ولكن الإصلاح والتقوي متلازمان لأنهم قرينان . قال تعالى: { فَمَنْ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الأعراف: 35).

قال تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ } (الأنفال: 1). ولكن تقديم التقوي لها ميزة أنها هي الأصل فاذا وجدت التقوي وجد الإصلاح وإذا وجد الإصلاح دليل علي وجود التقوي. فيكون البغي والتقوي نقيضان، فإذا كانت التقوي هي عدم التفاضل والتعالي بالشعب والقبيلة واللون واللسان قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } (الحجرات: 13). قال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ } (الروم: 22). فلن البغي كقيمة ومعيار هو التفاضل والتعالي بالقبائل والشعوب والألسن والألوان.

1 مشكلة الشرق الأوسط ص 79.

2 مشكلة الشرق الأوسط ص 101.

الفصل الثاني
الحسد
(البغي والعدوان)

لقد مر بنا أن أهل النار فنتين هم الضعفاء والمتكبرين ولقد تم الحديث عن المتكبرين والكبير، سوف يكون الحديث في هذا الفصل عن الضعفاء ولكن قبل الحديث عن ضعفاء النار أي الضعفاء الناريين نتحدث عن أنواع الضعف المختلفة حتى لا يحدث خلط.

الضعف نوعان:-

ضعف كوني قدري وهو بالخفة ولا يمكن رده، و لا يترتب علي وجوده عقاب أو ثواب. أما النوع الثاني من أنواع الضعف هو الضعف الشرعي الديني يمكن رده، و يترتب علي وجوده عقاب و ثواب وهو احد السببين لدخول النار.

الضعف القدري الكوني:-

هو الضعف الذي لا يترتب عليه عذاب أو عقاب أو ضعف في محبة الله للعبد وهو الضعف الكوني القدري.

عن ابي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "احتجت النار والجنة فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون. وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله عز وجل: انت عذابي اعذب بك من اشاء – ربما قال اصيب بك من اشاء – وقال لهذه انت رحمتي ارحم بك من شاء، ولكل واحدة منكما ملوها"1.

فهو لاء ضعفاء مع ذلك دخلوا الجنة فهذا يعني أن ضعفهم ليست ضعف شرعي إنما هو كوني. عن أبي الدرداء، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أبغوني في الضعفاء؛ فإنما ترزقون وتتصرون بضعفانكم)2. عن سراقه بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم بأهل الجنة؟ المغلوبون الضعفاء، وأهل النار كل جعظري جواز مستكبر)3.

(ألا أنبئكم بأهل الجنة؟ الضعفاء المظلومون، ألا أنبئكم بأهل النار؟ كل شديد جعظري)4. عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ قال: (ان أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر، جماع مناع. وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون) 5. ففي هذه الأحاديث ذكر أهل الجنة ووصفوا بأنهم ضعفاء فيما أنهم من أهل الجنة هذا يعني أنهم أقوىاء شرعياً أي أن ضعفهم هو ضعف كوني قدري وليس ضعف شرعي ديني.

الضعف الشرعي الديني:-

هو الضعف الذي يترتب عليه عذاب وعقاب أي ضعف في محبة الله للعبد وهو الضعف الشرعي الديني وحقيقة ذلك الضعف هو الإتياع والتقليد أي إتياع الآخرين6 وتقليدهم. قال تعالى: { وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سِوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ } (إبراهيم: 21).

1 صحيح مسلم، حديث رقم (2846)/صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2076).

2 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (2594).

3 مستدرک الحاكم، كتاب الإيمان (1)، حديث رقم (202) قال الحاكم هذا حديث صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. السلسلة الصحيحة حديث رقم (931).

4 السلسلة الصحيحة 932ى.

5 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (1741).

6 إتياع من لا يجب إتياعه لان هناك من يجب إتياعه وهو الرسول ﷺ وإتياعه هو التوحيد العملي أو توحيد الإتياع.

قال تعالى: { قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا أَنْحُنْ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا } (سبا: 31-33).

قال تعالى: { وَإِذْ يَتَحَاوَرْنَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ } (غافر: 47 - 48).
عن عياض بن حمار المجاشعي؛ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: (وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعاً لا يبتغون أهلاً ولا مالاً)1.

الضعف ضد القوة وهو الإتياع والتقليد، فالضعيف إرادته غير مستقلة لأنه تابع ومقلد.
قال الإمام ابن الجوزي: (إجتمع التابع والمتبوع: "فَقَالَ الضُّعَفَاءُ" وهم الأتباع "الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا" وهم المتبعون)2.

قال الإمام الشوكاني: ("فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا" أي قال: الأتباع الضعفاء للرؤساء الأقوياء المتكبرين)3.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي: (فيقول "الضُّعَفَاءُ" أي: التابعون المقلدون "الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا" وهم المتبوعون)4.

اقسام الناس:-

بعد عرفنا الفرق بين الضعف الشرع الديني والضعف الكوني فيكون الناس أربعة أقسام :

النوع الأول: قوي كونياً وقوي شرعياً أي يأخذ بالاسباب الكونية والاسباب الشرعية وهؤلاء هم اقويا المسلمين أي القوي الأمين.

قال تعالى: { أَنَا أَنِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ } (النمل: ٣٩).

قال تعالى: { إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } (القصص: ٢٦).

النوع الثاني: قوي كونياً وضعيف شرعياً أي يأخذ بالاسباب الكونية ولا يأخذ بالاسباب الشرعية وهو قوي لكنه ليس أمين أي يقوم بالتكاثر وجمع المال.

قال تعالى: { كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا } (التوبة: ٦٩).

قال تعالى: { أَوْلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا } (القصص: 78).

قال تعالى: { كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا } (الروم: 9).

قال تعالى: { كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا فِي الْأَرْضِ فَاخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ } (غافر: 21).

قال تعالى: { كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَنَارُوا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (غافر: 82).

النوع الثالث: ضعيف كونياً وقوي شرعياً أي لا يأخذ بالاسباب الكونية ويأخذ بالاسباب الشرعية وهؤلاء هم ضعفاء المسلمين (كان يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنازتهم)1.

1 صحيح مسلم، حديث رقم (2865).

2 تفسير ابن الجوزي ص(744).

3 تفسير الشوكاني ص (744).

4 تفسير السعدي ص(424).

النوع الرابع: ضعيف كونيا وضعيف شرعيا أي لا يأخذ بالاسباب الكونية ولا يأخذ بالاسباب الشرعية وهؤلاء هم ضعفاء النار أي الضعفاء الناريين أي هم أهل التمني المطلق. عن عياض بن حمار المجاشعي؛ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: (وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعاً لا يبيغون أهلاً ولا مالاً)2.

الضعف الشرعي الديني نوعان:-

ضعف شرعي ديني بالمعنى العام وهو كل من عجز عن الدعا فهو ضعيف (اعجز الناس من عجز عن الدعا)3.

فكل من عجز عن عبادة الله سبحانه وتعالى هو ضعيف أي كل من تعلق بغير الله فهو ضعيف. لأن الإنسان مخلوق ضعيف يحتاج إلى قوة يستعين بها فهذا النوع من الضعف يشمل حتي المتكبرين. قال تعالى: { وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا } (الضعيف:28).

قال تعالى: { وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ } (الكهف:39). عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (أنا خلف دابة رسول الله ﷺ، فسمعتني وأنا أقول: لا حول ولا قوة الا بالله. فقال لي: يا عبد الله بن قيس. قلت: لبيك رسول الله. قال: ألا أدلك علي كلمة من كنز من كنوز الجنة؟ قلت: بلي يا رسول الله، فذاك أبي وأمي. قال: لا حول ولا قوة الا بالله)4.

القوة نكرة تعرضت للنفي تفيد العموم أي ليست هناك قوة إلا بالله أي إلا بالإيمان بالله. وضعف شرعي ديني بالمعنى الخاص هو الضعف الذي يقابل الكبر، أي الضعفاء الذين يقابلون المتكبرين. فالضعف الشرعي بالمعنى العام يشمل الضعف الشرعي بالمعنى الخاص ويشمل المتكبرين. أما الضعف بالمعنى الخاص الذي سوف يكون الحديث عنه لا يشمل المتكبرين بل هم المنافقين وأتباع المتكبرين وغيرهم.

أنواع الضعف الشرعي الخاص:-

قبل ذكر أصناف الضعف الشرعي الخاص يوجد صنفين لا بد من ذكرهم حتي نعرف أصناف الضعف الشرعي الخاص. الصنف الأول هو المومن هو العالم بالدنيا والآخرة أي العلم الكامل ولديه إرادة صالحة ومستقلة أي غير تابعة أي غير ناظر الي غيره لأنه ناظر إلي ما عند الله أي لديه غاية، وهذه الغاية قيمة مطلقة. الصنف الثاني هو المتكبر "صاحب الكبرياء" هو عالم بالدنيا والآخرة ولكن إرادته فاسدة ولكنه مستقلة 5 أي غير تابعة أي لديه غاية أي غير ناظر إلي ما عند الغير وهذه الغاية قيمة مطلقة.

أما أنواع الضعف الشرعي الخاص هي: المعرض هو جاهل بالآخرة ولكن هذا الجهل لا يعذر به. أما إرادته فهي فاسدة وغير مستقلة أي تابعة أي ناظر إلي ما عند الغير. ثم المنافق هو عالم بالدنيا والآخرة ولكن لديه تردد في الارادة بين الارادة الصالحة والارادة الفاسدة ومع العلم في حالة الارادة الفاسدة إرادتهم غير مستقلة نسبيا أي أنها تابعة نسبيا أي ناظر إلي ما عند الغير إبتغاء للعزة عنده فالغاية عندهم هي قيمة نسبيا.

ثم الضعيف الذي لا زبر له هو جاهل بالدنيا والآخرة وليست لديه ارادة إذا كانت صالحة أو فاسدة.

1 السلسلة الصحيحة حديث رقم (2112).

2 صحيح مسلم، حديث رقم (2865).

3 السلسلة الصحيحة حديث رقم (601).

4 صحيح البخاري، حديث رقم (4205).

5 المتكبرين في حالة عدم ظهور الدين ارادتهم مستقلة أما في ظهور الدين تصبح هذه الارادة نوع من الحسد وهو البغي.

النظر إلى ما عند الغير والحسد:-

كل صاحب نعمة محسود. (استعينوا علي إ نجاح الحوائج بالكتمان؛ فان كل ذي نعمة محسود)1.

تعريف الحسد:-

حقيقة الحسد هو النظر إلي عند الغير بإعجاب أي الإعجاب بما عند الغير وليس النظر العابر.

الحسد أربعة أنواع:-

النوع الأول من أنواع الحسد هو تمني أو العمل أو الحرص علي زوال النعمة التي عند الغير: قال تعالى: { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مَّنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ } (البقرة:109).

قال تعالى: { وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ يَقَاتِلُوكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا } (البقرة:217).

قال تعالى: { وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاء } (النساء:89).

قال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا } (الفرقان:31).

قال تعالى: { وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مَلَّتَهُمْ }

(البقرة: ١٢٠).

النوع الثاني من أنواع الحسد هو تمني النعمة التي عند الغير: عن أبي هريرة أن رسول الله قال: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: لييتني أوتيت مثلما أوتى فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: لييتني أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل)2.

النوع الثالث من أنواع الحسد هو الاعجاب بالغير: عن ابي نضرة، عن ابي سعيد، أن جبريل أتى النبي فقال: يا محمد! إشتكيت؟ فقال: "نعم" قال بسم الله أرقبك. من كل شي يوذيك. من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك)3. عن عائشة زوج النبي p؛ أنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله p رقا جبريل. قال: (باسم الله يبريك. ومن كل داء يشفيك. ومن شر حاسد اذا حسد. ومن شر كل ذي عين)4.

عن أبي أمامه بن سهل بن حنيف، قال: مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال: لم أر كالיום، ولا جلد مخبأة، فما لبث أن لبط به فاتي النبي فقيل له: أدرك سهيلا صريعا، قال: (من تتهمون به؟) قالوا: عامر بن ربيعة، قال: (علام يقتل أحدكم أخاه؟ إذا رأي أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة)5. عن أبي سعيد قال: كان رسول الله يتعوذ من عين الجان، ثم اعين الأنس، فلما نزلت المعوذتان أخذهما وترك ما سوي ذلك6.

فكل عائن حاسد.

قال الإمام بن القيم: (فكل عائن حاسد، وليس كل حاسد عائن، فلما كان الحاسد اعم من العائن، كانت الإستعاذة منه إستعاذة من العائن)7.

1 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (943).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (5026)/صحيح مسلم، حديث رقم (815).

3 صحيح مسلم، حديث رقم (2186).

4 صحيح مسلم، حديث رقم (2185).

5 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (2844).

6 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (2846).

7 زاد المعاد في هدي خير العباد، المجلد 4، ص 154.

النوع الرابع من أنواع الحسد ابتغاء العزة عند الغير: هذا النوع من الحسد نتاج الاعجاب بما عند الغير من النعم والفضل لذلك يبتغي العزة والمكانة عنده. قال تعالى: { بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيَّتُهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ } (النساء: 138 - 139).

تعريف الحسد من خلال هذه النصوص هو إن أصل الحسد وحيقيقته هو الاعجاب بما عند الغير من النعم والفضل وهذا الاعجاب يقود الي تمني النعمة التي عند الغير او يقود الي تمني زوال النعمة التي عند الغير أو يقود الي ابتغاء العزة عند الغير أو يقود الي العين وهي عدم الدعاء بالبركة اذا راي ما يعجبه أو يقود الي إتباع الغير فجميعها تسمى حسد وحيققة هذا النظر نتاج الاعجاب والتعلق بما عند الغير والأصل أن يتعلق الإنسان بما عند الله فلا ينظر الي ما عند الناس اذا كان ما عندهم نعم محمودة او نعم مذمومة أي لا ينظر الي زينة الحياة الدنيا نظرة اعجاب بل ينظر اليها نظرة التفكر واعتبار.

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: (اما من أحب أن ينعم الله عليه مع عدم التفاته الي أحوال الناس، فهذا ليس عنده من الحسد شي)1.

النظر إلى ما عند الغير والتمني:-

قال تعالى: { يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ } (الحديد: 13-15).

قال تعالى: { لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ } (النساء : 123).
قال تعالى: { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (البقرة: 111).

عن أبو هريرة، عن النبي قال: (كتب علي ابن آدم نصيبه من الزنا. مدرك ذلك لا محالة. فالعينان زناهما النظر. والاذنان زناهما الاستماع. واللسان زناه الكلام. واليد زناها البطش. والرجل زناه الخطا. والقلب يهوي ويتمني، يصدق ذلك الفرج و يكذبه)2.

(ليوشكن رجل ان يتمني انه خر من الثريا ولم يل من امر الناس شيئا)3.
عن انس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فان كان لابد متمنيا للموت فليقل: اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي)4.

تعريف التمني:-

التمني هو طلب أمر محبوب ومراد مع عدم الأخذ بالأسباب المؤصلة اليه، اذا كان عدم الأخذ بالأسباب ناتج من عدم معرفة بالأسباب المؤصلة اليه أي نتاج غياب التفكير السببي أي العقلية

1 مجموع الفتاوي، الجزء العاشر، ص 113.

2 صحيح مسلم، حديث رقم (2657)/صحيح البخاري، حديث رقم (6243).

3 السلسلة الصحيحة حديث رقم (2620).

4 صحيح البخاري، حديث رقم 6351.

السببية. أو من أن هذا الأمر يستحيل الوصول اليه. أي أن التمني نوعان تمني ممكن وتمني مستحيل¹.

قال الجرجاني: (التمني طلب حصول الشيء سواء كان ممكنا أو ممتنعا)².

قال الشيخ عبد السلام بن برجس: (والتمني: حديث النفس بما يكون وبما لا يكون، أي: بما يمكن وقوعه وما يكون وقوعه مستحيلا والتمني: حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الأسباب)³. قال الإمام ابن القيم الجوزية: (الفرق بين الرجاء والتمني، أن الرجاء: يكون مع بذل الجهد واستقراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز، والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الاسباب الموصلة اليه)⁴.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ("أمانهم" جمع امنية؛ وهي ما يتمناه الإنسان بدون سبب يصل به اليه)⁵.

التمني بالمعنى الخاص:-

إذا كان التمني بالمعنى هو التمني الممكن والتمني المستحيل، فإن التمني بالمعنى الخاص هو التمني الممكن أي عدم الأخذ بالأسباب فالتمني الممكن والأخذ بالأسباب ضدان أي التمني والتفكير السببي ضدان. ومعرفة الأسباب والسنن والقوانين التي تتحكم في الظواهر والأخذ بها هي العلم أما التمني هو التعلق بالأشياء التي عند الغير دون معرفة السنن والقوانين التي تحكمها أي دون معرفة السنن التي يمكن من خلالها الوصول إلي تلك الأشياء اي النظر إلي الظاهر فقط.

قال الدكتور فؤاد زكريا: (لا يكون النشاط العقلي للإنسان علما، بالمعنى الصحيح، الا اذا استهدف فهم الظواهر وتعليلها، ولا تكون الظاهرة مفهومة، بالمعنى العلمي لهذه الكلمة، الا اذا توصلنا الي معرفة اسبابها . . . معرفة أسباب الظواهر هي التي تمكنا من ان نتحكم فيها علي نحو أفضل)⁶.

قال الأستاذ محمد باقر الصدر: (فعلم الإقتصاد هو: العلم الذي يتناول تفسير الحياة الإقتصادية وأحداثها وظواهرها، وربط تلك الأحداث والظواهر بالأسباب والعوامل العامة التي تتحكم فيها)⁷. قال الدكتور عبد الرحمن الزبيدي: (فالخطوة الأولى في العلم هي التساؤل عن الأسباب التي باكتشافها تفهم الظواهر ويمكن التحكم فيها، وبإنكار الأسباب يقع الإنسان في الخرافة، فيصبح غير علمي في تفكيره)⁸.

التمني الممكن أي التمني الخاص نوعان:-

التمني الممكن هو التعلق بشي لا يرجي حصوله لعدم الأخذ بالأسباب المؤصلة اليه هذا النوع من أنواع التمني أي عدم الأخذ بالاسباب قسمان تمني محمود وتمني مذموم.

التمني الممكن المحمود:-

التمني الممكن المحمود هو سؤال العبد ربه أي دعاه دعاء مسألة.
(إذا تمني أحدكم فليستكثر، فإنما يسأل ربه عز وجل)¹.

1 والذي نقوم بدراسته في هذا البحث هو النوع الثاني من أنواع التمني وهو الذي ضد الأخذ بالاسباب أي ضد التفكير السببي أما المستحيل لا يهمنا.

2 التعريفات ص 49.

3 التمني ص 8 – 35.

4 الروح ص 274.

5 تفسير ابن عثيمين، المجلد الاول، ص 303.

6 التفكير العلمي ص 31.

7 إقتصادنا ص 26.

8 السلفية وقضايا العصر ص 261.

(إذا سأل أحدكم فليكثر ، فإنما يسأل ربه)2.

عن سَهْلَ بْنِ أَبِي أَمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ بْنِ حُنَيْفٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ النَّبِيِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: (مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ مِنْ قَلْبِهِ صَادِقًا بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)3. التمني الممكن المحمود هو في الحقيقة ليست التمني الذي هو عدم الأخذ بالأسباب أي الذي يعني غياب التفكير السببي لان الدعاء وهو سؤال الله هو من أعظم الأسباب علي الإطلاق.

التمني الممكن المذموم:-

إذا كان التمني الممكن المحمود هو سؤال الله سبحانه وتعالى. فالتمني الممكن المذموم هو عدم الأخذ بالأسباب التي عن طريقها يتم الوصول إلي المقاصد والغايات أي هو في الحقيقة غياب التفكير السببي أي غياب العقلية السببية. وهو نتاج النظر إلي ما عند الغير أي النظر إلي الظاهر فقط مع عدم الأخذ بالأسباب الموصلة إلي تلك الأشياء كما فعل الآخرين. والتمني الممكن المذموم نوعان، تمني ممكن مذموم بالمعني العام و تمني ممكن مذموم بالمعني الخاص. النوع الأول هو التمني المذموم بالمعني العام هو كل من طلب الجنة وتعلق بها أو تمني الحياة الكاملة النافعة في الحياة الدنيا ولكن لم يعمل لهما أي لم يأخذ بالأسباب والسنن والقوانين الموصلة لهما أي لم يأخذ بالعلم الموصلة لهما فهذه هي الأمانى. قال تعالى: { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى⁴ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ⁵ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ⁶ } (البقرة: 111).

والاسباب والقوانين المؤصلة الي الجنة والحياة الكاملة⁴ في الحياة الدنيا هي التعلق التام بالله أي عدم التعلق بغير الله أي عدم التعلق بالحياة الدنيا وكل من تعلق بغير الله وهو من أصحاب الأمانى إذا كان ضعيف أو متكبر.

اما النوع الثاني من أنواع التمني هو التمني بالمعني الخاص هو النظر إلي عند الناس من غير معرفة الأسباب والقوانين والسنن التي من خلالها يتم الوصول الغايات مثل ما وصل الناس اليها أي النظر الي الظاهر فقط .

والتمني بالمعني الخاص وهو النظر الي ما عند الغير من الزينة والمتاع وهذا النظر يشغل عن التفكير السببي المادي الذي من خلاله يتم الحصول علي ذلك المتاع والزينة. حقيقة التمني العام والخاص هو عدم الاخذ بالأسباب والقوانين والسنن المؤصلة الي ما يريده الانسان إذا كانت غايات اخروية محمودة وهي لقاء الله والنظر الي وجهه الكريم ويلزم من الوصول الي الحياة الكريمة السعيدة في الحياة الدنيا او كانت غايات دنيوية أي غايات مذمومة وهي زينة الحياة الدنيا.

التمني الممكن المذموم الخاص نوعان:-

التمني الممكن المذموم الخاص هو نوعان أيضا، تمني زوال النعمة التي عند الغير هو النوع الأول من أنواع التمني¹ وتمني النعمة التي عند الغير وهو النوع الثاني من أنواع التمني. فالأول

1 السلسلة الصحيحة حديث رقم (1266).

2 السلسلة الصحيحة حديث رقم (1325).

3 صحيح مسلم، حديث رقم (1909).

4 وهذا التقسيم للتمني ناتج من أنواع الأسباب فالاسباب نوعان اسباب شرعية دينية وأسباب كونية قدرية فأساس الاسباب الشرعية هو توحيد الله، الغاية من الأخذ بالأسباب الشرعية الفوز بالجنة أي لقاء الله والنظر الي وجهه الكريم ويتفرع من ذلك الأصل الوصول إلي الحياة الكاملة النافعة الطيبة في الحياة الدنيا وهي الفرع أما الغاية من الأسباب الكونية هي الوصول إلي تجميع المال وتكثيره أي الحصول علي الحياة الدنيا فكل من لم يأخذ بالأسباب الشرعية لم يفوز بقاء الله وما يتفرع عنه وكل من لم يأخذ بالأسباب الكونية لم يحصل علي الدنيا. 1 الحسد ثلاثة أنواع لقد تم ذكر الأول والثاني أما الثالث هو الإعجاب الذي يقود الي العين.

هو إن يتمني الإنسان زوال ما عند غيره من النعم والثاني هو ان يتمني الإنسان ما عند غيره من النعم.

قال الإمام ابن الجوزي: (وللتمني وجوه: أحدها: أن يتمني الإنسان أن يحصل له مال غيره، ويزول عن غيره، فهذا الحسد. والثاني: أن يتمني مثل مال غيره، ولا يحب زواله عن الغير، فهذا الغبطة. . الثالث: أن تتمني المرأة أن تكون رجلا ونحو هذا مما لا يقع، فليعلم العبد أن الله أعلم بالمصالح، فليرضي بقضاء الله، ولتكن أمانيه الزيادة من عمل الآخرة)1.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (والتحقق ان الحسد هو البغض والكره لما يراه من حسن حال المحسود وهو نوعان: احدهما: كراهة للنعمة عليه مطلقا، فهذا هو الحسد المذموم، واذا ابغض ذلك فإنه يتألم ويتأذي بوجود ما يبغضه، فيكون مرضا في قلبه، ويلتذ بزوال النعمة عنه، وان لم يحصل له نفع بزوالها، لكن نفعه زوال الألم الذي كان في نفسه. . . والحاسد ليس له غرض في شئ معين، لكن نفسه تكره ما أنعم به علي النوع؛ ولهذا قال من قال: إنه تمني زوال النعمة، فإن من كره النعمة علي غيره تمني زوالها بقلبه.

النوع الثاني: ان يكره فضل ذلك الشخص عليه، فيحب ان يكون مثله او افضل منه، فهذا حسد وهو الذي سموه الغبطة، وقد سماه النبي حسدا في الحديث المتفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة؛ فهو يقضى بها ويعلمها"2.

النعم نوعان:-

نعم محمودة ونعم مذمومة النعم المحمودة هي نعمة التوحيد والإيمان. قال تعالى: {وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ أَصْبَحْتُمْ مِبْرَةً فَبِعِزَّتِهِ إِخْوَانًا} (آل عمران: 103). والنعم المذمومة هي زينة الدنيا وهي الشرك أي حصول الدنيا والتعلق بها.

إعادة ترتيب:-

التمني المذموم الخاص بأربعة أنواع:
تمني النعمة المحمودة التي عند الغير.
تمني النعمة المذمومة التي عند الغير.
تمني زوال نعمة محمودة التي عند الغير.
تمني زوال نعمة مذمومة التي عند الغير.

النعم المحمودة والمذمومة نوعان:-

والنعم المحمودة والمذمومة نوعان نعم محققة ونعم مقدره.
قال الإمام ابن القيم: (بخلاف ما إذا حقق ذلك وحسد، ورتب علي حسده مقتضاه من الأذي بالقلب واللسان والجوارح، فهذا الحسد المذموم، هذا كله من حسد تمني زوال إحداها: هذه.

الثانية: تمني استصحاب عدم النعمة، فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، بل يحب أن يبقي علي حاله؛ من جهله او فقره او ضعفه او شتات قلبه عن الله او قلة دينه، فهو يتمني دوام ما هو فيه من نقص وعيب، فهذا حسد علي شي مقدر، والاول حسد علي شي محقق)1.

1 تفسير ابن الجوزي ص 277.

2 مجموع الفتاوى، المجلد العاشر، ص 111.

1 بدائع الفوائد ص 761.

أنواع التمني بصورة عامة "ترتيب نهائي":-

النوع الأول من أنواع التمني هو تمني نعمة محمودة محققة عند الغير.
عن أبي كبشة عمرو بن سعد الانماري رضي الله عنه انه سمع رسول الله يقول: (إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم الله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول: لو ان لي مالا لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فاجرهما سواء)1.

عن ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تحاسد الا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل والنهار يقول: لو اوتيت مثل ما اوتي هذا لفعلت كما يفعل. ورجل آتاه الله مالا ينفقه في حقه فيقول: لو اوتيت مثل ما اوتي هذا لفعلت كما يفعل)2. الفرق بين الحديثين.

النوع الثاني من أنواع التمني هو تمني نعمة مذمومة محققة عند الغير.
قال تعالى: { فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَأُوْحَضُّ عَظِيمٌ } (القصص: 79 – 80). عن أبي كبشة عمرو بن سعد الانماري رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول: (وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم الله فيه حقا، فهذا باخبت المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول: لو ان لي مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته فوزرهما سواء)3. عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده! لا تذهب الدنيا حتي يمر الرجل علي القبر، فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر؛ وليس به الدين؛ إلا البلاء)4.
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتي يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه"5.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي: (قسم آخر إذا حسد لم يتمني زوال نعمة المحسود، بل يسعى في إكتساب مثل فضائله، ويتمني أن يكون مثله، فإن كانت الفضائل دنيوية، فلا خير في ذلك، كما قال الذين يريدون الحياة الدنيا: " يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ " (القصص: 79)6.

النوع الثالث: من أنواع التمني هو تمني نعمة محمودة مقدره للغير وهي طلب الدعاء من الغير.
قال الإمام ابن رجب الحنبلي: (وقد كان عمر وغيره من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم يكرهون أن يطلب منهم الدعاء ويقولون "أأنبياء نحن؟" فدل علي أن هذه المنزلة لا ينبغي إلا للأنبياء عليهم السلام)7.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن قال لغيره من الناس: ادع لي - أو لنا - وقصد أن ينتفع ذلك المأمور بالدعاء وينتفع هو أيضاً بأمره، وبفعل ذلك المأمور به كما يأمره بسائر فعل الخير فهو مقتدٍ بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤتم به ليس هذا من السؤال المرجوح، وأما إن لم يكن مقصوده إلا طلب حاجته لم يقصد نفع ذلك والإحسان إليه، فهذا ليس من المقتدين بالرسول المؤمنين به في ذلك، بل

1 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2325).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (7232).

3 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2325).

4 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3278).

5 صحيح البخاري، حديث رقم (7115).

6 جامع العلوم والحكم ص 344.

7 الحكم الجديرة بالإذاعة ص 54.

هذا من السؤال المرجوح الذي تركه إلى الرغبة إلى الله ورسوله أفضل من الرغبة إلى المخلوق (وسؤاله) 1.

النوع الرابع: من أنواع التمني هو تمني نعمة مذمومة مقدره للغير وهي الدعاء علي النفس. أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَوْلَادِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَمْوَالِكُمْ لَا تُؤَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ) 2. عن أم سلمة قالت: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَيَّ مَا تَقُولُونَ) 3.

النوع الخامس: من أنواع التمني هو تمني زوال نعمة محمودة محققة عند الغير. قال تعالى: { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ } (البقرة: 109).

قال تعالى: { وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً } (النساء: 89).

قال تعالى: { وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ } (آل عمران: 69).

النوع السادس: من أنواع التمني هو تمني زوال نعمة محمودة مقدره للغير. قال تعالى: { مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ } (البقرة: 105). قال الإمام الشوكاني: ("من خير" مزيدة لاستغراق الخير وقد قيل بأن الخير الوحي وقيل غير ذلك والظاهر أنهم لا يودون أن ينزل على المسلمين أي خير كان فهو لا يختص بنوع معين كما يفيد وقوع هذه النكرة في سياق النفي وتأكيد العموم بدخول "من" المزيدة عليها وإن كان بعض أنواع الخير أعظم من بعض ذلك لا يوجب التخصيص) 4.

النوع السابع: من أنواع التمني هو تمني زوال نعمة مذمومة محققة عند الغير.

النوع الثامن: من أنواع التمني هو تمني زوال نعمة مذمومة مقدره للغير.

وقفة مع النوعين السابع والثامن من أنواع التمني:-

بالنسبة للنوعين السابع والثامن من أنواع التمني قد يقول قائل لقد دعاء سيدنا موسى عليه السلام بزوال نعمة مذمومة محققة عند الغير. قال تعالى: { وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } (يونس: 88).

ودعاء سيدنا نوح عليه السلام بزوال نعمة مذمومة مقدره للغير. قال تعالى: { وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا } (نوح: 26 - 27). أليس هذا بدليل علي أن الدعاء علي الغير بزوال نعمته المذمومة المحققة ليست بمذموم؟ أو دليل علي أن الدعاء علي الغير بزوال نعمته المذمومة المقدره ليست بمذموم؟

الرد علي هذا السؤال كانت له إجابتيين الأولى من شيخ الاسلام ابن تيمية إن هذا شرع من قبلنا والشئ المشروع في شرعنا هو أن الدعاء علي جنس الظالمين من الكفار وليس الدعاء علي جميع

1 مجموع الفتاوي، المجلد الأول ص 193.

2 صحيح مسلم، حديث رقم (3009).

3 صحيح مسلم، حديث رقم (920).

4 تفسير الشوكاني ص 83.

الكفار أو علي المعين منهم. أما الدعاء علي جميع الكفار أو علي المعين منهم هو مشروع في الشرائع السابقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الدعاء على جنس الظالمين الكفار مشروع مأمور به، وشرع القنوت والدعاء للمؤمنين والدعاء على الكافرين. وأما الدعاء على معينين كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يلعن فلاناً وفلاناً، فهذا قد روي أنه منسوخ بقوله: " لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ " " آل عمران: 128"، كما بسط الكلام علي غير ذلك في غير هذا الموضع، فيما كتبتة في قلعة مصر؛ وذلك لأن المعين لا يعلم إن رضي الله عنه أن يهلك، بل قد يكون ممن يتوب الله عليه، بخلاف الجنس، فإنه إذا دعي عليهم بما فيه عز الدين وذل عدوه وقمعهم كان هذا دعاء بما يحبه الله ويرضاه، فإن الله يحب الإيمان وأهل الإيمان وعلو أهل الإيمان وذل الكفار، فهذا دعاء بما يحب الله، وأما الدعاء على المعين بما لا يعلم أن الله يرضاه فغير مأمور به، وقد كان يفعل ثم نهى عنه؛ لأن الله قد يتوب عليه أو يعذبه. **ودعاء نوح على أهل الأرض** بالهلاك كان بعد أن أعلمه الله أنه لا يؤمن من قومك إلا من قد آمن، ومع هذا فقد ثبت في حديث الشفاعة في الصحيح أنه يقول: "إني دعوت على أهل الأرض دعوة لم أومر بها"، فإنه وإن لم ينه عنها فلم يؤمر بها، فكان الأولى أن لا يدعو إلا بدعاء مأمور به واجب أو مستحب؛ فإن الدعاء من العبادات، فلا يعبد الله إلا بمأمور به واجب أو مستحب، وهذا لو كان مأموراً به لكان شرعاً لنوح ثم ننظر في شرعنا هل نسخه أم لا؟ . **وكذلك دعاء موسى بقوله:** "ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم" إذا كان دعاء مأموراً به بقي النظر في موافقة شرعنا له، والقاعدة الكلية في شرعنا: أن الدعاء إن كان واجباً أو مستحباً فهو حسن يثاب عليه الداعي، وإن كان محرماً كالعدوان في الدماء فهو ذنب ومعصية، وإن كان مكروهاً فهو ينقص مرتبة صاحبه، وإن كان مباحاً مستوي الطرفين فلا له ولا عليه، فهذا والله سبحانه أعلم)1.

الرد الثاني من العلامة محمد الأمين الشنقيطي وهو ان الاقوام التي دعاء عليهم نوح وموسي عليهما السلام أعلموا من الله بأنهم لن يؤمنوا أي أنهم أشقياء.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: (وذكر عن نوح وموسي التشديد في الدعاء علي قومهم فقال عن نوح إنه قال: "رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا" إلي "إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا" وقال عن موسى إنه قال: "رَبَّنَا يُضِلُّوْا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمَسْ عَلَي أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَي قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوْا حَتَّىٰ يَرُوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" والظاهر أن نوحاً وموسي عليهما وعلي نبينا الصلاة والسلام ما دعوا علي قومهما إلا بعد أن علما من الله أنهم أشقياء في علم لا يؤمنون أبداً، أما نوح فقد صرح الله تعالى له بذلك في قوله: "وَأَوْحِيْ إِلَي نُوْحَ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ" وأما موسى فقد فهم من قول قومه له: "مَهْمَا تَأْتَيْنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ" فإنهم قالوا هذا القول بعد مشاهدة تلك الآيات العظيمة المذكورة في الأعراف وغيرها)2. فلا يجوز الاستدلال بدعاء سيدنا نوح عليه

السلام ودعاء سيدنا موسى عليه السلام بهذين النوعين من أنواع الدعاء لانه خاص بهما. عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في صلاة الفجر – ورفع رأسه من الركوع – قال: اللهم ربنا ولك الحمد – في الأخيرة – ثم قال: اللهم العن فلانا وفلاناً، فأنزل الله عز وجل "ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون"1.

1 مجموع الفتاوي، الجزء الثامن ص 335.

2 أضواء البيان، المجلد الثالث ص 133.

1 صحيح البخاري، حديث رقم (7346).

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (لما جري يوم "أحد" ما جري، وجري علي النبي ﷺ مصائب، رفع الله بها درجته، فشج رأسه وكسرت ربايعيته، قال "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم" وجعل يدعو علي رؤسا المشركين مثل سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وسهل بن عمرو، والحارث بن هشام، انزل الله تعالي علي رسوله نهيا له عن الدعاء عليهم باللعنة والطرده من رحمة الله "لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ" إنما عليك البلاغ وأرشاد الخلق والحرص علي مصالحهم، وإنما الامر لله تعالي هو الذي يدبر الامور، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فلا تدعو عليهم بل أمرهم راجع الي ربهم، إن اقتضت حكمته ورحمته ان يتوب عليهم ويمن عليهم بالاسلام فعل، وأن اقتضت حكمته إبقاءهم علي كفرهم وعدم هدايتهم، فإنهم هم الذين ظلموا أنفسهم وضروها وتسببوا بذلك، فعل، وقد تاب الله علي هولاء المعينين وغيرهم، وفي هذه الآية مما يدل علي أن إختيار الله غالب علي إختيار العباد، وان العبد أن ارتفعت درجته و علا قدره قد يختار شيئا وتكون الخيرة والمصلحة في غيره، وأن الرسول ﷺ ليس له من الامر شيء فغيره من باب اول)1.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (اختلفت الروايات في سبب نزول هذه الآية ففي بعض الروايات أن سببها أن النبي دعاء علي قوم من الكفار مثل أبي سفيان وسهل بن عمرو وصفوان بن أمية والحارث بن هشام، وهولاء الأربعة كان الرسول يدعو عليهم، يلعنهم إذا صلي الفجر في الركعة الأخيرة، يدعو عليهم: اللهم العن فلانا وفلانا و فلانا أسمائهم، فأنزل الله " لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ" فالأمر ألي الله. وفي رواية أخرى صحيحة أن النبي لما شجوا وجهه في أحد جعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وهو يدعو الي الله" فأنزل الله: "ليس لك من الأمر شيء" والقاعدة في أسباب النزول أنه إذا لم يكن ترجيح فلا مانع من أن يتعدد السبب فيكون لنزول الآية سببان، الأول: إنكاره عليه الصلاة والسلام علي هولاء القوم وقوله: كيف يفلح؟ استعباده فلاحهم، والثاني: لعنة هولاء الأربعة، ولا محذور في ذلك فإن الآية قد يكون لنزولها سببان)2.

النهي عن تمنى ما فضل الله به الناس بعضهم علي بعض:-

لقد تبين لنا أن الضعيف من الناس هو المتعلق بما عند الناس والسبب في ذلك هو الاعجاب بما عندهم والواجب علي العبد المسلم إذا كان ضعيفا او قويا أن يتعلق بما عند الله عز وجل لان ما عند الله خير وابقى. لذلك نهت الشريعة عن التعلق بما عند الناس وأمرت بسؤال الله وحده بل نهت الشريعة الي النظر الي ما عند الغير بإعجاب لان ذلك يقلل من التعلق التام بما عند الله سبحانه وتعالى.

قال تعالي: { فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } (التوبة:55).

قال تعالي: { وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } (التوبة:85).

قال تعالي: { فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَانُّ اللَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَانُّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } (القصص: 79 – 80) .

1 تفسير السعدي ص147.

2 تفسير ابن عثيمين، المجلد الثالث ص 247.

قال تعالى: { وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كُتِبَ لَهُ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كُتِبَ لَهُنَّ وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } (النساء:32).

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي عن آية سورة النساء: (ينهي تعالى المؤمنين عن ان يتمني ما فضل الله به غيره، من الأمور الممكنة وغير الممكنة. فلا تتمني النساء خصائص الرجال التي بها فضلهم علي النساء، ولا صاحب الفقر والنقص حالة الغني والكمال، تمنيا مجردا، لان هذا هو الحسد بعينه وإنما المحمود أمران: ان يسعي العبد علي حسب قدرته بما ينفعه من مصالحه الدينية والدنيوية، ويسأل الله من فضله، ولا يتكل علي نفسه، ولا علي غير ربه) 1. لماذا تمنى ما فضل الله به بعض الناس علي بعض منهي عنه؟ لأنه يصرفهم عن سؤال الله اي يصرفهم عن التعلق بما عند الله ومن لم يسأل الله يغضب عليه.

قال الإمام القرطبي: (قوله تعالى: " وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ " روي الترمذي عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: " سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسأل وأفضل العبادة إنتظار الفرج" وخرج ايضا ابن ماجة عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "من لم يسأل الله يغضب عليه" . وهذا يدل علي أن الأمر بالسؤال لله تعالى واجب) 2.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (في هذه الآية فوائد كثيرة منها: نهى الإنسان ان يتمني ما فضل الله به غيره عليه لقوله: " ولا تتمنوا" وهل النهي هنا للتحريم؟ الجواب: نعم، هو للتحريم لان هذا النوع من التمني هو الحسد، والحسد بعينه لانه قال: "ما فضل الله" ولم يقل "مثل ما فضل الله" لو قال: لا تتمنوا مثله صار في المساءلة إشكال وصار اول الآية يناقض آخرها في قوله: "وسئلوا الله من فضله" لكن المعني لا تتمنوا ان ما فضل الله به الغير ويحرم منه الغير، وعلي هذا نقول النهي هنا للتحريم، وهذا النوع هو الحسد) 3.

لان بقدر ضعف الارادة يكون ضعف الانسان وبقدر قوة الإرادة وكمالها تكون قوة الانسان وأساس الإرادة الكاملة القوية هي التعلق التام بالكمال المطلق وهو الإله الحق سبحانه وتعالى، والانسان الذي يتمني ويعجب بما عند غيره ليست له ارادة لان التمني ليست معه عمل وهذا اساس ضعفه.

الحسد نوعان:-

الحسد نوعان: حسد بالمعني العام وهو الذي ينقسم إلي الأنواع الأربعة المذكورة سابقا، أما الحسد بالمعني الخاص وهو داء الامم.

الحسد بالمعني الخاص "داء الأمم":-

الحسد بالمعني العام هو النظر إلي ما عند الغير بإعجاب أي الإعجاب بما عند الغير بصورة عامة. عن أبي هريرة؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من جاء مسجدي هذا، لم يات به الا لخير يتعلمه او يعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلي متاع غيره) 4.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (من جاء مسجدا هذا يتعلم خيراً أو يعلمه فهو كالمجاهد في سبيل الله، ومن جاء بغير هذا كان كالرجل يري الشي يعجبه وليس له) 1.

1 تفسير السعدي ص176.

2 تفسير القرطبي المجلد الثالث ص318.

3 تفسير ابن عثيمين، المجلد الرابع، ص 181.

4 صحيح ابن ماجة، حديث رقم (187).

1 مستدرك الحاكم، كتاب العلم حديث رقم (309). قال الحاكم هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين فقد إحتجا جميع رواته ثم لم يخرجاه ولا أعلم له علة وافقه الذهبي.

(من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً أو يعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله، ومن دخله بغير ذلك كان كالناظر إلي ما ليس له) 1. أما الحسد بالمعني الخاص هو تمني أو العمل أو الحرص علي زوال النعمة التي غير وهو داء الامم من قبلنا. عن يعيش بن الوليد، أن مولي الزبير حدثه، أن الزبير بن العوام حدثه، أن النبي p: (دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر؛ ولكن تحلق الدين) 2. عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله p: (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة؟ قالوا بلي، قال: صلاح ذات البين 3؛ فان فساد ذات البين هي الحالقة) 4. الحسد بالمعني الخاص هو فساد ذات البين، أما الحسد الذي لا يقود الي فساد ذات البين يعتبر من الحسد العام.

البغي والعدوان وعلاقتهما بالحسد الخاص:-

الحسد بالمعني الخاص هو تمني أو العمل أو الحرص علي زوال النعمة التي عند الغير، هو الذي يقود الي البغي والعدوان (اذا حسدتم فلا تبغوا) 5. عن النبي p قال: "سيصيب امتي داء الامم"، قالوا يا نبي الله، وما داء الامم؟ قال: "الاشر والبطر، والتكاثر والتنافس في الدنيا، والتباغض، والتحاسد حتي يكون البغي" 6.

هنا الحسد ينتج منه البغي. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والحسد يوجب البغي، كما اخبر الله – تعالي – عن قبلنا: أنهم إختلفوا من بعد ما جاهم العلم بغيا بينهم، فلم يكن إختلافهم لعدم العلم، بل علموا الحق ولكن بغي بعضهم علي بعض، كما يبغي الحاسد علي المحسود) 7. أما الحسد الذي بمعني العداوة. عن يعيش بن الوليد، أن مولي الزبير حدثه، أن الزبير بن العوام حدثه، أن النبي p: (دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر؛ ولكن تحلق الدين) 8. عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله p: (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة؟ قالوا بلي، قال: صلاح ذات البين 9؛ فان فساد ذات البين هي الحالقة) 10.

الحسد والبغضاء هي فساد ذات البين لأن النصوص تفسر بعضها البعض.
قال تعالي: { وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ } (المائدة:14).

قال تعالي: { وَآلَفَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ } (المائدة:64).
قال تعالي: { إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ } (المائدة:91).

- 1 مستدرك الحاكم، كتاب العلم حديث رقم (310).
- 2 مستدرك الحاكم هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين فقد إحتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ولا أعلم له علة وافقه الذهبي.
- 2 صحيح سنن الترمذي حديث رقم(2510).
- 3 التقوي واصلاح ذات البين متلازمان.
- 4 صحيح سنن الترمذي حديث رقم(2509).
- 5 صححه الألباني السلسلة الصحيحة حديث رقم(3942).
- 6 مستدرك الحاكم، كتاب البر والصلة حديث رقم (7311). قال الحاكم هذا الحديث صحيح ولم يخرجاه وافقه الذهبي. الصحيحة 680.
- 7 مجموع الفتاوي، المجلد العاشر، ص127.
- 8 صحيح سنن الترمذي حديث رقم(2510).
- 9 التقوي واصلاح ذات البين متلازمان.
- 10 صحيح سنن الترمذي حديث رقم(2509).

قال تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ} (الممتحنة:4).

الفرق بين البغي والعدوان:-

قال تعالى: {فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} (البقرة: 173).

قال تعالى: {فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأنعام: 145).

قال تعالى: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا} (يونس: 90).

قال تعالى: {فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (النحل: 115).

الأصل في الإنسان الحاسد في حالتي البغي والعدوان إنه يريد إزالة النعمة من المحسود. الفرق في الحالتين أنه في حالة البغي تكون النعمة عند الحاسد ولكنها حق للمحسود، وفي حالة العدوان تكون النعمة عند المحسود والحاسد يريد أن يزيلها. مع العلم أن النعمة إما تكون محمودة أو تكون مذمومة. التفريق هذا بصورة أدق هو أن البغي هو عدم القيام بشئ واجب يستحقه المحسود، أما العدوان هو القيام بشئ لا يجب القيام به لأن فيه ضرر للمحسود. التعريف بصورة أخرى في حالة العدوان الحاسد يريد إنتقاص وتعيب وإظهار عورات المحسود أي يريد أن يزيل الكمال أي العلو من المحسود إذا كان كمال حقيقي أو كمال وهمي، أما في حالة البغي الحاسد لا يريد أن ينزل هو من الكمال أي من العلو الذي يستحقه المحسود "المحسود يستحق النزول" إذا كان كمال حقيقي أو كمال وهمي 1.

من صور البغي:-

الصورة الأولى من صور البغي بغي بني إسرائيل من كتمان العلم وعدم تعليمه وهو التوحيد.

قال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} (البقرة: 213).

قال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} (آل عمران: 19).

قال تعالى: {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا} (الشورى: 14).

قال تعالى: {فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} (الجمعة: 17).

بني إسرائيل تفرقوا بعد أن جاهم التوحيد وهو العلم الكامل سبب التفرق هو الإستعلاء بالتوحيد وهو البغي.

الصورة الثانية من صور البغي بغي قارون وهو عدم انفاقه المال المراد لذاته في سبيل الله. قال تعالى: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ} (القصص: 76).

الصورة الثالثة من صور البغي عدم أداء الحق الخاص بالحكام والأمرأء. قال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} (الحجرات: 9). عن ابن مسعود عن النبي p قال: (ستكون أثرة وأمر تنكرونها. قالوا يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسالون الله الذي لكم) 2.

(سترون بعدي أثرة وأمرأ تنكرونها قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم) 1. عن علقمة بن وائل الحضرمي، عن أبيه قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله p فقال: يا نبي الله! أرايت إن قامت علينا أمرأ يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه. ثم

1 العدوان هو العمل علي إنتقاص المحسود وهو إنتقاص إيجابي في المقابل البغي هو إنتقاص سلبي للمحسود.
2 صحيح البخاري، حديث رقم (3603).
1 صحيح البخاري، حديث رقم (7052).

سأله فأعرض عنه. ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس وقال: (اسمعوا واطيعوا. فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم)1.

الصورة الرابعة من صور البغي سفه الحق وغمط الناس. عن حميد بن عبدالرحمن قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: كُنْتُ لَا أَحْبِبُّ لَا أَحْبَسُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنْ النَّجْوِيِّ وَعَنْ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَ: فَأَتَيْتُهُ وَعِنْدَهُ مَالِكُ بْنُ مَرَارَةَ الزُّهَاوِيُّ، فَأَدْرَكْتُ مِنْ آخِرِ حَدِيثِهِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَعْطَيْتَ مِنَ الْجَمَالِ مَا تَرِي وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَحَدًا يَفُوقَنِي بِشِرَاكِ نَعْلِي، أَفَذَاكَ مِنَ الْبَغِيِّ؟ قَالَ: (ليس ذلك من البغي، ولكن البغي من بطر الحق) أو قال: (سفه الحق وغمط الناس)2. هذه هو الكبر بعينه. عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال: (إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس)3.

(إن الله جميل يحب الجمال، الكبر سفه الحق، وغمص الناس)4.

من صور العدوان:-

من صور العدوان عداوة الشيطان.

قال تعالى: {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (البقرة:168).
قال تعالى: {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (البقرة:208).
قال تعالى: {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (الأنعام:142).
قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ} (الأنعام:112).
قال تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (يوسف:5).
قال تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} (الإسراء:53).

من صور العدوان عداوة اليهود والمشركين.

قال تعالى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} (المائدة: ٨٢).
قال تعالى: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} (فصلت: 19)
قال تعالى: {ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ} (فصلت: 28).

من صور العدوان عداوة الكافرين.

قال تعالى: {إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا} (النساء: 101)

من صور العدوان العداوة لله.

قال تعالى: {فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ} (الأنعام: 108)

1 صحيح مسلم، حديث رقم (1846).

2 مستدرک الحاكم، کتاب اللباس حديث رقم (7367). صححه الألباني السلسلة الصحيحة حديث رقم (1626). قال الحاكم هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وافقه الذهبي.

3 صحيح مسلم، حديث رقم (91)/ صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4092).

4 السلسلة الصحيحة حديث رقم (1626).

الفصل الثالث النفاق والمنافقون

النفاق كمنهج يقوم علي قاعدتين أساسيتين أي علي فكرتين محوريتين القاعدة الأولى موالاته الذين كفروا وإبتغاء عندهم العزة. أما القاعدة الثانية هي رد الحق وإحتقار الناس إذا كانوا هؤلاء الناس ضعفاء أي التكبر عليهم لقد تحدثنا عن القاعدة الثانية في الفصل السابق الذي كان عن الكبر، في هذا الفصل نتحدث عن القاعدة الأولى.

المنافقون من أهل النار:-

قال تعالى: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ } (النساء: ١٤٥).

قال تعالى: { بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } (النساء: ١٣٨).

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا } (النساء: ١٤٠).

قال تعالى: { وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ } (التوبة: ٦٨).

قال تعالى: { لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } (الأحزاب: ٧٣).

قال تعالى: { وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعْنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ } (الفتح: ٦).

المنافقون فتنوا أنفسهم:-

سبب دخول المنافقين نار جهنم الفتنة في الدين.

قال الله تعالى: { يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ تُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (الحديد: 13-15).

فتنة المنافقون إتخاذ الكافرين أولياء:-

القاعدة الأساسية التي يقوم عليها النفاق أي الأساس الذي يقوم عليه منهج المنافقين هي إتخاذ الكافرين أولياء.

قال تعالى: { بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا } (النساء: 138 – 139).

قال تعالى: { أَلَمْ نَرِ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مَرْكُومٌ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * لَنْ نُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ } (المجادلة: 14-18).

إتخاذ الكافرين أولياء هو التشبه بهم:-

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ } (المائدة: 51). الآية هذه تفسر بحديث عن ابن عمر، قال: قال النبي p: (من تشبهه بقوم فهو منهم) 1.

الدليل الآخر علي أن المولاة هي التشبه . قوله تعالى: { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ } (الكهف: 50). إبليس لا يري مع ذلك يتخذ ولي، فالمولاته هي التشبه به.

تعريف الكافرين:-

من هم الكافرين؟ هم الذين يستحبون الحياة الدنيا علي الآخرة 2. قال تعالى: { قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا } (الأعراف: 50-51).

قال تعالى: { وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ } (ابراهيم: 2 - 3).

وقال تعالى: { مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ } (سورة النحل: 106 - 107). أي تكون الحياة الدنيا أحب إليهم من الله والدار الآخرة.

العزة هي كثرة النفر:-

الهدف من التشبه بالكفار هو إبتعا العزة عندهم فهي الغاية من من التشبه بالكفار . قال تعالى: { فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رَّدَدْتُمْ إِلَى رَبِّي لَأُجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ سَوَّيَكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا } (الكهف: 34 - 39).

قال تعالى: { إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَبَّوْا بِئَالِهَتِهِ } (يس: 14). قال الإمام أبي حامد الغزالي: (ومعني الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها، وكما أن الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير، أي يقدر عليهما ليتوصل بهما إلي الأغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر الحظوظ النفس. فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس، أي يقدر علي أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه ومآربه) 3. وقال أيضاً: (فإذاً معني الجاه: قيام المنزلة في قلوب الناس، أي إعتقاد القلوب لنعوت من نعوت الكمال فيه، فيقدر ما يعتقدون من كماله تدعن له قلوبهم، ويقدر إذعان القلوب تكون قدرته علي القلوب ويقدر قدرته علي القلوب يكون فرحه وحبهُ للجاه) 4.

العزة ضد الذلّة:-

قال تعالى: { وَتَعَزَّوْا مِنْ نَسْأِئِ مَنْ تَشَاءُ وَتَبَدَّلْوا مِنْ نَسْأِئِ } (آل عمران: 26).

1 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4031).

2 إستحباب الحياة الدنيا هو أساس الشرك بالله أي هو حقيقة ترك الجهاد النفس.

3 إحياء علوم الدين الجزء الثالث ص 251.

4 إحياء علوم الدين الجزء الثالث ص 252.

قال تعالى: { أَدَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ } (المائدة: ٥٤).
 قال تعالى: { إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً } (النمل: 34).
 قال تعالى: { يَقُولُونَ لِنُنْزِلَنَّ رَحْمَةً وَإِنَّا لَنُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ
 وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (المنافقون: 8).
العزة غاية:-

قال تعالى: { مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا } (فاطر: 10).
العزة الغاية نوعان: عزة وضع المعايير والقيم للبشر، وعزة الجاه والمكانة عند الغير:-

العزة الغاية نوعان: الأولى عزة وضع معايير والقيم للبشر،
 والثانية عزة الجاه والمكانة عند الغير.

عزة الجاه والمكانة نوعان: محمودة ومذمومة:-

العزة المكانة المحمودة هي التي تُبتغى عند الله.

قال تعالى: { مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا } (فاطر: 10).
 قال تعالى: { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (المنافقون: 8).
 عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم
 بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه، حتى ترجعوا إلي دينكم)1.
 عن سهل بن سعد قال: جاء جبريل عليه السلام إلي النبي ﷺ ثم قال: (يا محمد شرف المؤمن قيام
 الليل، وعزه استغناؤه عن الناس)2.

والعزة المكانة المذمومة هي التي تُبتغى عند الذين كفروا.

قال تعالى: { بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
 أَبِئْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا } (النساء: 138 – 139).

قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِّنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى
 الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * لَنْ نُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ
 النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ
 أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ } (المجادلة: 14-18).

وسيلة عزة المكانة المحمودة الإيمان:-

قال تعالى: { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ } (المنافقون: 8).
 عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم
 بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه، حتى ترجعوا إلي دينكم)3.
 عن سهل بن سعد قال: جاء جبريل عليه السلام إلي النبي ﷺ ثم قال: (يا محمد شرف المؤمن قيام
 الليل، وعزه استغناؤه عن الناس)4.

عزة "وضع المعايير والقيم للبشر" نوعان: محمودة ومذمومة:-

1 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3462).

2 مستدرک الحاكم، حديث رقم (7921).

3 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3462).

4 مستدرک الحاكم، حديث رقم (7921).

عزة "وضع المعايير والقيم للبشر" نوحان: محمودة ومذمومة.

عزة "وضع المعايير والقيم للبشر" المحمودة هي متعينة لله:-

قال تعالى: { وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ } (آل عمران:26).

قال تعالى: { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ } (المنافقون:8).

عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه، حتى ترجعوا إلي دينكم)1.

قال تعالى: { فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً } (النساء:139).

تعالى: { إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً } (يونس:65).

قال تعالى: { مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً } (فاطر:10).

عزة "وضع المعايير والقيم للبشر" المذمومة هي التي يسيطر عليها المملأ:-

الملا هم الذين يضعون معايير العزة والذلة.

قال تعالى: { قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً^{١٥} وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ } (هود:91-92).

قال تعالى: { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِيهَا مَلَأً } (الأعراف:٨٨).

الملا هم الذين يضعون معايير الضلال والهدى.

قال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (الأعراف:59-60).

وهم الذين يضعون معايير السفه والحكمة والرشد.

قال تعالى: { وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } (الأعراف:65-66).

والملاء هم الذين يضعون معايير الفوز والخسارة.

قال تعالى: { وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّا لَأَخَاسِرُونَ } (الأعراف:9٠).

والملا هم الذين يضعون معايير الفساد في الأرض.

قال تعالى: { وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْدُرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ } (الأعراف:1٢٧).

عزة "وضع المعايير والقيم للبشر" المذمومة التي يسيطر عليها الملا هي منازعة لله في

عزته:-

قال تعالى: { يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (المنافقون:8).

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالاً: قال رسول الله ﷺ: (العزُّ إزاره والكبرياء رداؤه فمن نازعني عذبتة)2.

1 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3462).

2 صحيح مسلم، حديث رقم (2620).

عن أبي هريرة، قال: قال الله عز وجل: (الكبرياءُ ردائي والعِزَّةُ إزاري فمن نازعني واحداً ألقيه في النار)1.

عزة "وضع المعايير والقيم للبشر" المذمومة نوعان: مطلقة ونسبية:-

العزة وضع المعايير والقيم للبشر المذمومة المطلقة هي التي قرنت مع الكبرياء. عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالاً: قال رسول الله: (العِزُّ إزاره والكبرياءُ رداءه فمن نازعني عذبتَه)2. عن أبي هريرة، قال: قال الله عز وجل: (الكبرياءُ ردائي والعِزَّةُ إزاري فمن نازعني واحداً ألقيه في النار)3. أما العزة وضع المعايير والقيم للبشر المذمومة النسبية هي عزة المنافقين هي مقيد بوجود شئ يتعالوا به.

قال تعالى: { يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (المنافقون:8).

عزة "وضع المعايير والقيم للبشر" المذمومة المطلقة والكبرياء المذموم متلازمان:-

العز المطلق والكبرياء متلازمان إذا وجدت الكبرياء وجدت العزة المطلقة. عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالاً: قال رسول الله: (العِزُّ إزاره والكبرياءُ رداءه فمن نازعني عذبتَه)4.

عن أبي هريرة، قال: قال الله عز وجل: (الكبرياءُ ردائي والعِزَّةُ إزاري فمن نازعني واحداً ألقيه في النار)5.

أحوال البشر:-

حالات التي يكون عليها البشر إثنان الحالة الأولى أن يكون في حالة إبتغاء العزة عند الله سبحانه وتعالى وهذه هي حالة الإيمان وهذه الحالة ليس لها حد أي إلي أن يموت الإنسان. أما الحالة الثانية من حالات البشر هي منازعة الله في عزه أي أن تبتغي عندهم العزة لأنهم هم الذي يضعون المعايير والقيم وهذه الحالة تنقسم إلي ثلاثة أقسام أي إلي ثلاثة فرق: فريق له العز المطلق وهو المقرون مع الكبرياء وأما الفريق الثاني هو الذي ينازع الفريق الأول علي العز المطلق أما الفريق الثالث هو المكتفي بالعز النسبي المقيد.

معايير عزة المكانة والجاه المذمومة:-

من معايير العزة والمكانة عند المَلَأُ القوة.

قال تعالى: { قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ { (هود:91-92).

من معايير العزة والمكانة عند المَلَأُ الملك والسلطة.

قال تعالى: { وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ } (الشعراء: 44).

من معايير العزة والمكانة عند المَلَأُ الغني والمال.

قال تعالى: { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْنِينَ عَظِيمٍ } (الزخرف:31).

1 مسند الإمام احمد، إسناده صحيح حديث رقم (7376).

2 صحيح مسلم، حديث رقم (2620).

3 مسند الإمام احمد، إسناده صحيح حديث رقم (7376).

4 صحيح مسلم، حديث رقم (2620).

5 مسند الإمام احمد، إسناده صحيح حديث رقم (7376).

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: " أنه مر رجل من فقراء المسلمين على النبي يوماً فقال النبي ﷺ لأصحابه: (ما تقولون في هذا ؟) ، فقالوا : رجل من فقراء المسلمين ، هذا والله حرى إن خطب ألا يزوج ، وإن شفع ألا يشفع ، ثم مر رجل آخر من الأشراف ، فقال : (ما تقولون في هذا ؟) ، قالوا: رجل من أشراف القوم هذا والله حرى إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع ، فأشار النبي على الرجل الفقير الأول فقال : (والله هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا)¹. من معايير العزة والمكانة عند المَلَأ رفعة النسب. عن عائشة رضي الله عنها "أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: انتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب ثم قال: (إنما هلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)². من معايير العزة والمكانة عند المَلَأ الأصاله في الأرض. قال تعالى: { يَقُولُونَ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ } (المنافقون:8).

نتائج العزة المذمومة:-

من نتائج عزة وضع القيم والمعايير المذمومة أن لا تعير إهتماماً لرأي وأن كان صحيح وإلا الرجم والعقوبة. قال تعالى: { قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ { (هود:91-92). والعكس صحيح.

من نتائج عزة وضع القيم والمعايير المذمومة الإعتقاد بأن الوحي ينبغي أن ينزل علي العزيز العظيم.

قال تعالى: { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبِينَ عَظِيمٍ } (الزخرف:31). من نتائج عزة وضع القيم والمعايير المذمومة أن الفقير إن شفع لا يشفع وإن خطب لا يزوج لأنه ليس لديه مكانة في قلوب الناس والعكس صحيح أن الشريف إن شفع يشفع وإن خطب يزوج لأنه لديه مكانة في قلوب الناس. عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: " أنه مر رجل من فقراء المسلمين على النبي يوماً فقال النبي ﷺ لأصحابه: (ما تقولون في هذا ؟) ، فقالوا : رجل من فقراء المسلمين ، هذا والله حرى إن خطب ألا يزوج ، وإن شفع ألا يشفع ، ثم مر رجل آخر من الأشراف ، فقال : (ما تقولون في هذا ؟) ، قالوا: رجل من أشراف القوم هذا والله حرى إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع ، فأشار النبي على الرجل الفقير الأول فقال : (والله هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا)³. من نتائج عزة وضع القيم والمعايير المذمومة أن الشريف لا يقام عليه الحد أما الضعيف يقام عليه الحد.

عن عائشة رضي الله عنها "أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: انتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب ثم قال: (إنما هلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا

1 صحيح البخاري، حديث رقم (6447).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (3475)/صحيح مسلم، حديث رقم (1688).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (6447).

سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)1.

من نتائج عزة وضع القيم والمعايير المذمومة إخراج الضعفاء من بلادهم إذا خالفوا القيم السائدة. قال تعالى: { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُوذَنَّ فِيهَا } (الأعراف: ٨٨).

قال تعالى: { يَقُولُونَ لِنِئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ } (المنافقون: 8).

وسائل عزة المكانة والجاه المذمومة المكتسبة:-

من الملاحظ أن أغلب وسائل العزة والجاه والمكانة المذموم السابقة غير مكتسبة مثل القوة والنسب والأرض والملك "السلطان" أما وسائل العزة والجاه والمكانة المذموم المكتسبة هي إنفاق المال رياء الناس.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } (البقرة: 264).

قال تعالى: { وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا } (النساء: 38 – 39).

النفاق والتردد "عدم اليقين":-

إذا كان إعجاب الإنسان بنفسه أي إرجاع الفضل الي نفسه يقود الي عدم الرضا أي الي عدم قبول الحق الذي يساويه مع بقية البشر من ثمة عدم انقياد له وهذا هو الكبير بعينه. فان اعجاب الانسان بما عند الناس يقود الي عدم اليقين بما عند الله أي التردد لأنه ينظر إلي ما عند الله وينظر إلي ما عند الناس إذا كانوا كفار او مسلمين فهذا هو النفاق بعينه. فالتردد وعدم اليقين بما عند الله هو اساس منهج المنافقين لان كل الخصائص والصفات الاخرى للنفاق تنفرع من هذا الأصل وهو التردد والريب وعدم اليقين.

فهذه هي الصفة الأساسية للمنافقين التذبذب والتردد وعدم اليقين.

قال تعالى: { وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } (البقرة: 14).

قال تعالى: { الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُدْبِئِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هُوَ لَا إِلَىٰ هُوَ لَا إِلَىٰ هُوَ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَنْ نَحْدِلَ لَهُ سَبِيلًا } (النساء: 141-143).

قال تعالى: { لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } (التوبة 44 – 45).

1 صحيح البخاري، حديث رقم (3475)/صحيح مسلم، حديث رقم (1688).

عن ابن عمر، عن النبي p قال: (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الي هذه مرة والي هذه مرة) 1. عن ابي هريرة قال: قال رسول الله p: (ان من شر الناس عند الله يوم القيامة ذا الوجهين) 2.

المنافقون والسعي لإرضاء الناس:-

المنافق أي ضعيف الإرادة "المتردد". يسعي لإرضاء الناس بكل السبل لأنه متعلق بما عندهم اذا كان ما عندهم مال او جاه الرئاسة . الخ لذلك يسعي لإرضاهم .
قال تعالي: { يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ } (التوبة: 62).

قال تعالي: { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِيُنْ أَمَرْتَهُمْ لِيَخْرُجْنَ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (النور: 53).

قال تعالي: { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (المنافقون: 1 - 2).

قال تعالي: { وَيحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون * لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمعون

قال تعالي: { وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لِنِ أَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخُلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } (التوبة: 75 - 77).

المنافقون يسعون لارضا الناس بكل السبل والطرق حتي لو كان ذلك بسخط الله.

عن عبد الوهاب بن الورد عن رجل من اهل المدينة. قال: كتب معاوية الي عائشة: ان اکتبي الي كتابا توصيني فيه، ولا تكثري علي قال: فکتبت الي معاوية: السلام عليك، اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الي الناس) 3.

(من ارضي الناس بسخط الله وكله الله الي الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس) 4.

وهذا الإرضاء يصل الي اتباع الملل الكفرية العياد بالله من اجل حفنة من الدنيا. قال تعالي: { وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } (البقرة: 120).

1 صحيح مسلم، حديث رقم (2784).

2 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (1648).

3 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2414).

4 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (6010).

ويسعي الي ذلك بكل السبل وان كان ذلك خارج استطاعته مما يوقعه في الكذب ومخالفة الوعد .
حديث آيات المنافق

اما المتكبر وهو المعجب بما عنده وحقيقة ذلك هو احتقار الناس والزهد فيهم أي الاستغناء عنهم وهذا يقود الي رد الحق بل هو حقيقة رد الحق والسبب لردهم للحق هو احتقارهم للناس فلا يسعون لإرض احد لانهم زاهدون فيهم مستغنون عنهم ولو كان في ذلك الارضاء رضي الله قال تعالى: {الْفَاسِقِينَ* الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (البقرة: 26 - 27). وأولي الناس بالإرضاء هم الوالدين لان رضا الله في رضاهم وسخط الله في سخطهم. عن عبد الله بن عمرو عن النبي p قال: (رضي الرب في رضي الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد)1. فالمتكبر أي الجبار لان كل متكبر جبار يتعالي عن أرضا الناس حتي أن كانوا الوالدين وهذا هو العقوق بعينه.

قال تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا* } (الإسراء:23).
قال تعالى: {وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا } (مريم:14).
قال تعالى: { وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا } (مريم:32). أي لا يسعي لارضاهم فمن باب اولي ان لا يسعي المتكبر لإرضاء أي انسان آخر. الرضا الذي يكون فيه رضا الله مثل صلة رحم وإكرام الضيف والاحسان الي الجيران . الخ. لذلك من اخص خصائص المتكبرين هي طرد واخراج الذين يخالفونهم في منهاجهم.

قال تعالى: {وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ* } ويا قَوْمَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } (هود:29-30).
قال تعالى: { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ } (الأنعام:52).
قال تعالى: {وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ* } إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ } (الشعراء:114-115).
قال تعالى: { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُوذَنَّ فِي مَلِئْنَا قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ } (الأعراف:88-90).
اذا كان المتكبر معجب بنفسه فخور بها فغاياته إرضاء نفسه وهواه وحقيقة ذلك هو الحرص علي العلو في الأرض والتعلق به وهذا يقود إلي التكاثر لأنه يرجع الفضل اليها.

عن انس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو كان لابن آدم واديا من ذهب لأحب أن يكون له ثانيا، ولا يملا فاه إلا التراب ويتوب الله علي من تاب) 2. التكبر نتاج الاعجاب بالنفس وهو رد الحق واحتقار الناس فالتكبر يقود تفريق اهل الارض.

قال تعالى: { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } (القصص:4).

1 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (1899). السلسلة الصحيحة 516.
2 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2337).

فبعض الناس غايته ارضا نفسه وهواه لان نفسه احب اليه من كل شي حتي من الله ورسوله. والشريعة تامر بالتواضع وعدم التكبر أي المساواة الشرعية بين المسلمين وهذا ما يصعب علي المتكبرين ان يفعلوه وتضيق صدورهم به فيترك حظا مما ذكروا به ويردوه. لذلك النبي صلى الله عليه وسلم حذر من هذا النوع من البشر وامر بقتله كائن من كان.

عن عرفة الاشجعي - رضى الله عنه - قال - سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد، يريد ان يشقا عصاكم او يفرق جماعتكم فاقتلوه) وفي رواية: (ستكون هنات وهنات، فمن أراد ان يفرق أمر هذه الأمة، وهى جميع، فاضربوه بالسيف، كائنا من كان) 1.

الزهد فيما عند الناس والاستغناء عنهم:-

أصل النفاق وقاعدته هو التعلق بما عند الناس أي إبتغاء العزة عندهم لذلك حسنت النصوص الناس في الزهد فيما في أيدي الناس. عن سهل بن سعد الساعدي قال: جاء إلي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إذا عملتة أحبني الله، وأحبنى الناس، فقال: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك) 2.

(ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس) 3. عن سهل بن سعد قال: جاء جبريل عليه السلام إلي النبي ﷺ ثم قال (يا محمد شرف المؤمن قيام الليل، وعزه إستغناؤه عن الناس) 4.

(استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك) 5.

(وليستغن أحدكم عن الناس ولو بقضيب من سواك) 6.

النفاق والخوف من الناس:-

بما أن المنافق متعلق بما عند الناس فهو بين رجاء الناس الذي يقود إلي أرضاهم والخوف منهم. قال تعالى: { وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ النَّفْيِ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَاتْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ } (آل عمران 166-167).

قال تعالى: { يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا } (النساء: 108).

1 صحيح مسلم، حديث رقم(1852)/صحيح سنن ابى داود، حديث رقم(4762).

2 صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم (3326).

3 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (922).

4 المستدرک علي الصحيحين، كتاب الرقاق، حديث رقم (7921)/ صحيح الجامع الصغير حديث رقم (3710).

5 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (947).

6 السلسلة الصحيحة حديث رقم 2198.

قال تعالى: {فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغَسِّى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ} (الأحزاب:19).

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} (النساء:77).

عن أبي سعيد الخدري، ان رسول الله ﷺ قام خطيباً فكان فيما قال: (إلا، لا يمينن رجالاً، هيبة الناس، ان يقول بحق، اذا علمه) 1. عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا لا يمينن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق، أن يقول بحق، أو يذكر بعظيم) 2.

عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ان الله ليسال العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك اذ رايت المنكر، ان تنكره؟ فإذا لقن الله العبد حجته، قال: يا رب! رجوتك، وفرقت الناس) 3.

التعلق بما عند الناس يقود إلى أمراض :-

(الولد محزنة مجبنة مبهلة مبخله) 4. فالتعلق بما عند الناس يقود إلى الجهل والحزن والي الجبن والبخل فإذا كان التعلق بالولد يقود لهذه الخصال فمن باب أولي التعلق بالدنيا وتعلق الرجال بالنساء وتعلق النساء بالرجال والتعلق بالأرض . . الخ.

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، إذا حدث كذب، إذا عاهد غدر، إذا خاصم فجر، إذا خالصه فحر) 5

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصاً ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر) غير أن في حديث سفيان (وإن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق) 6.

عن أبي هريرة قال: أن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان) 7.

فالتعلق بما عند الناس يقود الي الجهل والحزن والي الجبن والبخل والي الكذب والي الغدر والخيانة والفجور والي اخلاف الوعد.

عن عياض بن حمار المجاشعي؛ ان رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: (والخائن الذي لا يخفي له طمع وان دق الا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي الا وهو يخادعك عن اهلك ومالك) 8. فسبب الخيانة والخداع والغدر والكذب و اخلاف الوعد هو الطمع والتعلق بما عند الغير.

1 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3253).

2 مسند الإمام أحمد حديث رقم (11412)، إسناده صحيح.

3 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3260).

4 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (1990).

5 صحيح البخاري، حديث رقم (34).

6 صحيح مسلم، حديث رقم (106).

7 صحيح مسلم، حديث رقم (107).

8 صحيح مسلم، حديث رقم (2865).

قال شيخ الاسلام بن تيمية: (وكذلك كان في الصحابة ابو عبيدة بن الجراح ونحوه، كانوا سالمين من جميع هذه الأمور، فكانوا أرفع درجة ممن عنده من منافسة وغبطة، وإن ذلك مباحاً؛ ولهذا إستحق ابو عبيدة أن يكون أمين هذه الامة، فإن المؤمن إذا لم يكن في نفسه مزاحمة علي شئ مما أؤتمن عليه، كان احق بالأمانة ممن يخاف مزاحمته؛ ولهذا يؤتمن علي النساء والصبيان الخصيان، ويؤتمن علي الولاية الصغري من يعرف أنه لا يزاحم علي الكبرى، ويؤتمن علي المال من يعرف أنه ليس له غرض في أخذ شي منه، وإذا أؤتمن من في نفسه خيانة شبيه بالذئب المؤمن علي الغنم، فلا يقدر أن يؤدي الامانة في ذلك لما في نفسه من الطلب لما أؤتمن عليه)1.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله: (من أفتي بغير علم كان إثمه علي من أتاه) وفي زيادة: (ومن إشارة علي أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانته)2.

عن ابي هريرة قال: قال رسول الله: (إن ائفلا صلاة علي المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر)3
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:-

كما ذكرنا ان كل افعال المنافقين لها ارتباط وثيق بتصورهم وهو التعلق بما عند الناس. وكذلك المتكبرين كل افعالهم لها علاقة وثيقة بتصورهم وهو إعجابهم بانفسهم الذي يقود الي احتقار الناس والزهد فيهم حتي ان كانوا صالحين. ولقد ذكرنا بعض افعال المنافقين الناتجة من تعلقهم الشديد بما عند الناس مثل الكذب والغدر واخلاف الوعد والخيانة والجبن والجهل والبخل ولحزن علي ما مضى. ومن اعظم افعال المنافقين وهم من الضعفاء وهو الامر بالمنكر والنهي عن المعروف علي حسب ما يوافق هوي الانسان الذي يتعلقون بما عنده اذن هذه الصفة نتاج تعلقهم بما عند الناس.

قال تعالي: {لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ } (المائدة: 78 - 79).

{ قال تعالي: الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (التوبة: 67). فبني أسرائيل لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر والمنافقون يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وغايتهم من ذلك إرضاء الناس وفي المقابل المتكبرين يضربون الناس بسياط كاذناب البقر.
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: (صنفان من أهل النار لم أرهما. قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس)4.

قال تعالي: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (المائدة: 54).

فالشي الذي يقود المنافقون الي الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف هو السعي لأرضاء الناس الناتج من التعلق بما عندهم. عن أبي سعيد الخدري، ان رسول الله قام خطيباً فكان فيما قال: (إلا،

1 مجموعة الفتاوي، المجلد العاشر ص 78.

2 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3657).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (657)/صحيح مسلم، حديث رقم (651).

4 صحيح مسلم، حديث رقم (2128).

لايمنعن رجلا، هيبة الناس، ان يقول بحق، اذا علمه) 1. عن أبي سعيد الخدري، ان رسول الله ﷺ قام خطيبا فكان فيما قال: (إلا، لايمنعن رجلا، هيبة الناس، ان يقول بحق، اذا علمه) 2. عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرب من أجل ولا يباعد من رزق، أن يقول بحق، أو يذكر بعظيم) 3. عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ان الله ليسال العبد يوم القيامة حتي يقول: ما منعك اذ رايت المنكر، ان تنكره؟ فإذا لقن الله العبد حجتة، قال: يا رب! رجوتك، وفرقت الناس) 4.

قال تعالى: { الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا } (الأحزاب:39).

قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ } (آل عمران:187).

في مقابل المنافقين الذين يأمرن بالمنكر وينهون عن المعروف وذلك بحسب ما تقتضي حال الانسان الذي يتعلقون بما عنده في مقابل هو لاء، المتكبرين الذين وهم الذين يردون الحق بسبب احتقارهم للناس بل المتكبرين يقتلون النبيين ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس.

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } (آل عمران:21).

العلم عند المنافقين وعند المتكبرين:-

عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: (من طلب العلم ليما ي به السفهاء، أو ليباهي به العلماء، أو ليصرف به وجوه الناس اليه فهو في النار) 5.

النسب عند الضعفاء والمتكبرين:-

المتكبرين يتفاخرون بابائهم واقوامهم اما المنافقين فينتسبون الي غير ابائهم واقوامهم فسلوك المتكبرين نتاج تصورهم لأنفسهم أما المنافقين سلوكهم نتاج تعلقهم بما عند الناس. عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة فقال: (يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاضمها بأبائها) 6. عن ابي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل قد اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء؛ مؤمن تقى، وفاجر شقى؛ أنتم بنو آدم وآدم، من تراب؛ وليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون علي الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن) 7.

1 صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم (3253).

2 صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم (3253).

3 مسند الإمام أحمد حديث رقم (11412)، إسناده صحيح.

4 صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم (3260).

5 صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم (207).

6 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (3270).

7 صحيح سنن ابي داود، حديث رقم (5116).

أما الضعفاء المنافقين ينتسبون إلي غير أباؤهم وأقوامهم. عن عاصم الأحول، قال: حدثني أبو عثمان، قال: حدثني سعد بن مالك، قال سمعته أذناي، ووعاه قلبي من محمد p؛ أنه قال: (من أدعي الي غير أبيه - وهو يعلم أنه غير أبيه - فالجنة عليه حرام)1.

عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول p يقول: (ليس من رجل أدعي لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ومن أدعي ما ليس له فليس منا وليتبعوا مقعده من النار ومن دعا رجلا بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه)2.

عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي p يقول: (ليس من رجل أدعي لغير أبيه - وهو يعلمه - إلا كفر بالله، ومن أدعي قوما ليس له فيهم نسب فليتبعوا مقعده من النار)3.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (الإنسان يجب عليه أن ينتسب إلي أهله: إلي أبيه، إلي جده، إلي جد أبيه، . . . وما أشبه ذلك، ولا يحل له أن ينتسب إلي غير أبيه وهو يعلم أنه ليس بأبيه، فمثلا: إذا كان أبوه من قبيلة ماء، ورأي أنه فيها نقصا عن غيرها، فانتمي إلي قبيلة ثانية أعلى حسبا، لإجل أن يزيل عن نفسه مذمة قبيلته، فإن هذا - والعياذ بالله - ملعون، عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين والذي عليه الوعيد هو الذي ينتمي إلي غير أبيه، لأنه غير راضي بحسبه ونسبه فيريد أن يرفع عن نفسه بالإنتماء إلي غير أبيه فهذا هو عليه اللعنة)4.

أقوال الضعفاء والمتكبرين:-

. قال رسول الله - p - : (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَانُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالتَّمَشِّدُونَ وَالتَّمْتَقِيهُونَ)، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارين و التمشدقين، فما التمتقون؟ قال: (التكبرون)5.

التكبرون التمتقون هم الذين يجادلون في آيات الله بغير دليل أو علم أو برهان وذلك لكبر في صدورهم.

قال تعالى: { الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ } (غافر: 35).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } (غافر: 56). اذا كان التكبر هو الجدل في آيات الله بغير علم فان التشدق هو بيان ما لا يحتاج الي بيان.

(إن من شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم، الذين يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب، يتشدقون بالكلام)6.

(ان الحياء، والعفاف، والعي، - عي اللسان لا عي القلب - والفقه: من الإيمان، وانهن يزدن في الآخرة وينقصن من الدنيا، وما يزدن في الآخرة اكثر مما ينقصن من الدنيا. وان الشح والفحش

1 صحيح سنن ابي داود، حديث رقم (5112).

2 صحيح مسلم، حديث رقم (112).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (3508).

4 شرح رياض الصالحين ص 1487.

5 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2018).

6 السلسلة الصحيحة حديث رقم (1891).

والبذاء من النفاق، وانهن ينقصن من الآخرة، ويزدن في الدنيا، وما ينقصن من الآخرة اكثر مما يزدن من الدنيا)1.

عن أبي إمامة عن النبي ﷺ قال: (الحياء والعِي شعبتان من الإيمان، و البذاء والبيان شعبتان من النفاق)2.

(أخوف ما أخاف علي أمتي كل منافق عليم اللسان)3.

(إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان)4.

التقدير والإسراف:-

المتكبر المعجب بنفسه وقوته لا ينفق في سبيل أي يبخل لانه يرجع فضل هذه النعمة الي نفسه والي قوته لذلك لا ينفق أي يبخل ويامر الناس بالبخل.

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا * الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا } (النساء: 36 – 37).

قال تعالى: { لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } (الحديد: 23 – 24).

وتعليقهم لذلك البخل أنطعم من لو يشاء الله اطعمه.

قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِيْنَ كَفَرُوا لِلَّذِيْنَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (يس: 47).

المتكبر اذا انفق ينفق ليصد عن سبيل الله.

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ } (الأنفال: 36).

اما المنافق الضعيف ينفق امواله ولكن لا ينفقها في سبيل الله انما ينفقها رنا الناس أي ينفقها في

المكان الذي يكون فيه رضا الناس أي رضا المتكبرين لماذا؟ لانه متعلق بما عند الناس اذا كان

مكانة او ثناء او مصلحة. ومن هنا ياتي الاسراف أي انزال العطاء والانفاق في غير مكانه

الصحيح.

قال تعالى: { وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا } (النساء: 38 – 39).

قال تعالى: { وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا ۗ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } (التوبة: 75 – 77).

فوسطية اهل السنة والجماعة عدم التقدير وعدم الاسراف.

1 السلسلة الصحيحة حديث رقم (3381).

2 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2027).

3 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (239).

4 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (1556).

قتال المتكبرين وقتال الضعفاء:-

قال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } (النساء: 76). المتكبرين يقاتلون غضبا وحمية والضعفاء يقاتلون ليري مكانه او يقاتل ليذكر لان الضعيف متعلق بما عند الناس من ذكر وثناء حسن اما اهل التوحيد غاتهم من القتال هي اعلي كلمة الله في الارض. عن أبي موسى قال: جاء رجل الي النبي p فقال: يا رسول الله، ما القتال في سبيل الله؟ فان احدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية. فرفع راسه - قال: وما رفع اليه راسه الا انه كان قائما - فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عزوجل) 1. عن ابي موسى قال: جاء رجل الي النبي p فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليري مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) 2. عن عمرو بن مرة قال: سمعت ابا وائل قال: حدثنا ابو موسى الاشعري؛ قال: ان رجلا اعرابيا اتى النبي p فقال: يا رسول الله! الرجل يقاتل للمغنم. والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليري مكانه. فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله p: (من قاتل لتكون كلمة الله هي اعلي فهو في سبيل الله) 3. عن أبي موسى قال: جاء رجل الي النبي p فقال: الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء فاي ذلك في سبيل الله؟ قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) 4. عن ابي موسى، ان اعرابيا جاء الي رسول الله، فقال: (ان الرجل يقاتل للذكر، ويقاتل للحمى، ويقاتل ليغنم، ويقاتل ليري مكانه، فقال رسول الله p: (من قاتل حتي تكون كلمة الله هي اعلي، فهو في سبيل الله عز وجل) 5.

هنا ملاحظة هي ان القتال يوضح غايات الانسان النهائية فبعض الناس يقاتلون غضبا أي اعجاب بقوتهم وبعضهم يقاتل ليذكر والاخر يقاتل ليري مكانه اما المومنون يقاتلون ل "تكون كلمة الله هي العليا" أي "ان لا تكون فتنة". عن أبي هريرة، فقال له نائل أهل الشام: حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله p، قال: نعم، سمعتُ رسول الله p يقول: (إنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ؛ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يَنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ) 6.

1 صحيح البخاري، حديث رقم (123)/صحيح مسلم، حديث رقم (1904).

2 صحيح البخاري، حديث رقم(2810).

3 صحيح مسلم، حديث رقم (1904).

4 صحيح البخاري، حديث رقم(7458)/صحيح مسلم، حديث رقم (1904).

5 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم(2517).

6 صحيح مسلم، حديث رقم (1905).

الباب الرابع
الهجرة والجهاد وعلاقتهاما بالفتنة
في الدين

في هذا الباب سنناقش مفهومين من أهم المفاهيم في الفقه الإسلامي هما الهجرة
والجهاد، وتخصيص هذين مفهومين بالمناقشة له سببه، فهذين المفهومين لهما إرتباط
وثيق بمفهوم الفتنة في الدين الذي هو المفهوم المضاد لمفهوم إخلاص الدين أي أن
يكون الدين كله لله وحقيقة ذلك الارتباط هو أن الهجرة والجهاد بمعناهما العام هما
الوسائل الأساسية والوحيدة لمحاربة الفتنة في الدين والسعي لأن يكون الدين كله لله أي
الوسائل الوحيدة لتحقيق التوحيد وإقامة الدين في الأرض.

الفصل الأول
جهاد النفس
(تحقيق التوحيد أي
إنفاق المال المراد لذاته
في سبيل الله)

إرادة غير الله سبحانه وتعالى لذاته هو حقيقة الفتنة في الدين أي هو حقيقة الشرك بالله في العبادة لأن الفتنة هي الشرك بالله أي إرادة غير الله لذاته وأعظم ما يراد لذاته من دون الله هو النفس أي العلو في الأرض . وللعلو في الأرض رُكنان الحرص علي المال والحرص علي الشرف. والحرص علي المال يقود إلي جمع المال وعدم إنفاقه أي إلي منعه والحرص علي الشرف يقود إلي إنفاق المال المراد لذاته أي الفضل في غير سبيل الله أي يقود إلي الإسراف. في هذا الفصل نريد أن نتحدث عن جهاد النفس وعن طبيعته أي عن ماهو جهاد النفس وثم الحديث عن علاقة جهاد النفس بإنفاق المراد لذاته في سبيل الله أي عن علاقة جهاد النفس بتحقيق توحيد العبادة وأنه ما فرض الجهاد النفس إلا من أجل تحقيق تلك الغاية.

الجهاد في اللغة:-

الجهاد لغة مأخوذ من الجَهْد أو الجُهد ، وهو الوسع والطاقة والمشقة.
قال الفيروز أبادي: (الجهد: هو الطاقة والمشقة. وقيل بالفتح: المشقة، وبالضم الوسع)1.

الجهاد في الاستعمال الشرعي:-

الجهاد في الإصطلاح الشرعي هو إستفراغ الوسع والطاقة في سبيل "أن تكون كلمة الله هي العليا" أي في سبيل "أن لا تكون فتنة في الأرض".

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (والجهاد من الجُهد وهو الطاقة، وهو أعظم من الجُهد الذي هو المشقة، فإن الضم اقوي من الفتح، وكلما كانت الحروف او الحركات اقوي كان المعني اقوي فالجُهد: نهاية الطاقة والقدرة، قال تعالى: "وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ" (التوبة:79)2.

وقال كذلك: (الجهاد في سبيل الله تعالى من الجُهد، وهي المغالبة في سبيل الله بكمال القدرة والطاقة، فيتضمن شيئين: احدهما: إستفراغ الوسع والطاقة. والثاني: أن يكون ذلك في تحصيل محبوبات الله ودفع مكروهاته)3.

قال الفيروز أبادي: (الجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو)4. وهذا يظهر عند الحديث عن غايات الجهاد أن هذه الغايات هي "أن لا تكون فتنة في الارض" أي "تكون كلمة الله هي العليا". أي أن الجهاد هو استفراغ الوسع والطاقة في سبيل "أن تكون كلمة الله هي العليا" أي "أن لا تكون فتنة في الارض" هذين الشرطين يشكلان حد مفهوم الجهاد.

الجهاد نوعان: جهاد النفس والجهاد بالنفس:-

الجهاد نوعان جهاد النفس والجهاد بالنفس.

جهاد النفس هو الوسيلة لدخول الجنة.

قال تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ } (آل عمران: 142)5.

قال تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُثْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً } (التوبة: ١٦).

قال تعالى: { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } (النحل 110) .

قال تعالى: { وَلَنَبِّئَنكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبِّئُوا أَخْبَارَكُمْ } (محمد: 31).

قال تعالى: { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ } (الحج:78).

قال تعالى: { أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُثْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ } (العنكبوت:2-3).

حدثنا احمد بن محمد: اخبرنا عبدالله بن المبارك: اخبرنا حيوة بن شريح، قال: اخبرني ابوهاني الخولاني، أن عمرو بن مالك الجنبى أخبره، أنه سمع فضالة بن عبيد يحدث عن رسول الله ﷺ، أنه

1 بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الجزء الثاني ص401.

2 قاعدة في المحبة ص 167.

3 قاعدة في المحبة ص 168.

4 بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الجزء الثاني ص401.

5 الاستدلال بهذه الآية على جهاد النفس لان الجهاد في الآية سبب لدخول الجنة، وحكم الوسيلة التي تدخل الجنة واجبة في كل زمان ومكان وحال مع العلم ببقية أنواع الجهاد ليست واجبة في كل زمان ومكان وحال.

قال: (المجاهد من جاهد نفسه)1. (وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله، وأفضل المهاجرين من جاهد لنفسه وهو اه في ذات الله)2. (وأفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله عز وجل)3. أما الجهاد بالنفس هو جهاد الكفار والدليل علي هذا النوع من الجهاد .

قال تعالى: { فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } (الفرقان: 52).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } (التوبة:73).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } (التحریم:9).

قاعدة مهمة: جهاد النفس (الجهاد بالمال) مستقل، والجهاد بالنفس غير مستقل:-

القاعدة هي أن الجهاد بالمال جهاد مستقل وأن الجهاد بالنفس جهاد غير مستقل. والدليل هو ذكر لفظة الجهاد مع المال ولم تذكر مع النفس.

قال تعالى: { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۗ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ } (النساء: 95).

قال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (التوبة: 20).

قال تعالى: { انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (التوبة:41).

قال تعالى: { لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ } (التوبة:44).

قال تعالى: { وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } (81 التوبة).

قال تعالى: { لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (التوبة:88).

قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (الحجرات:15).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنحِيكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (الصف: 9-10). و هذا له نظير في القرآن في قوله تعالى: { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ } (النساء: 59).

فطاعة الله طاعة مستقلة وطاعة الرسول طاعة مستقلة أما طاعة أولي الأمر فهي غير مستقلة. أما الدليل الآخر علي أن الجهاد بالمال جهاد مستقل وأن الجهاد بالنفس جهاد غير مستقل.

قوله تعالى: { فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ } (النساء: 74).

غاية الجهاد هي "ان تكون كلمة الله هي العليا" أي "ان لا تكون فتنة في الأرض":-

الغاية النهائية من الجهاد هي تحقيق التوحيد أي "ان لا تكون فتنة في الأرض" أي "ان تكون كلمة الله هي العليا"1..

1 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (1621).

2 السلسلة الصحيحة حديث رقم (1491).

3 السلسلة الصحيحة حديث رقم (1496).

قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } (البقرة:193).

قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (الأنفال:39).

الفتنة نكرة في سياق النفي تفيد العموم، والفتنة في هذه الآيات فسرت بالشرك. والشرك هو إرادة غير الله سبحانه وتعالى لذاته. وغاية الجهاد من جانب آخر هي "أن تكون كلمة الله هي العليا".

عن أبي موسى قال: جاء رجل الي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما القتال في سبيل الله؟ فان احدنا يقاتل غضبا ويقا تل حمية. فرفع راسه - قال: وما رفع اليه راسه الا انه كان قائما - فقال: " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل)2.

عن ابي موسى قال: جاء رجل الي النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليري مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) 3.

عن أبي موسى، أن إعرابيا جاء إلي رسول الله ﷺ، فقال: (إن الرجل يقاتل للذكر، ويقا تل للحمد، ويقا تل ليغنم، ويقا تل ليري مكانه، فقال رسول الله ﷺ: (من قاتل حتي تكون كلمة الله هي اعلي، فهو في سبيل الله عز وجل)4.

والعلاقة بين "أن لا تكون فتنة في الارض" و "أن تكون كلمة الله هي العليا" هي أن الفتنة فسرت بالشرك أي إرادة غير الله سبحانه وتعالى لذاته وأعظم ما يراد لذاته من دون الله سبحانه وتعالى هو علو النفس أي تأليهها فحقيقة عبادة الإنسان لنفسه هي إرادة العلو المطلق أي العلو في الارض فيقدر إرادة العلو المطلق تكون الفتنة في الارض. لذلك غاية الجهاد هي أن يكون العلو كله لله وحده فالضمير الفصل في "أن تكون كلمة الله هي العليا" يفيد الحصر الصفة في الموصوف فلا يكون العلو إلا لكلمة الله لا لغيرها. كما أن الألف واللام في "العليا" تفيد الإستغراق أي أن يكون جميع العلو لكلمة الله.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (والجهاد في سبيل الله مقصوده أن يكون الدين كله لله، وان تكون كلمة الله هي العليا)5.

قال الإستاذ فتحي يكن: (والجهاد والقتال وكل ما يتفرع عنه ويتصل به، مرتبط بالهدف المحوري الذي يتجلى في قوله تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (الأنفال:39). والإعداد والإستعداد والأخذ بالأسباب وأنواع القوة يرتبط بالهدف المحوري أن هذا الهدف المحوري يجب أن يدور في رحاه، وتصب في مجراه كل جزئية من جزئيات العمل الإسلامي)6.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (ثم ذكر تعالى المقصود من القتال في سبيله، وانه ليس المقصود به سفك دماء الكفار واخذ أموالهم، ولكن المقصود به إن "يكون الدين لله" تعالى فيظهر دين الله تعالى، على سائر الأديان، ويدفع كل ما يعارضه من الشرك وغيره، وهو المراد بالفتنة، فإذا حصل هذا فلا قتل ولا قتال)1.

1 قد يقول قائل غاية الجهاد "أن لا تكون فتنة" هل الرياء ليس قضية وليست شرك؟ الإجابة الشرك في العبادة نوعان: شرك مستقل وشرك تابع، الشرك المستقل هو الفتنة في الدين والشرك التابع له هو الرياء، فإذا إنتفت الفتنة في الدين إنتفاء الرياء.

2 صحيح البخاري، حديث رقم (123)/صحيح مسلم، حديث رقم (1904).

3 صحيح البخاري، حديث رقم(2810).

4 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم(2517).

5 مجموع الفتاوى المجلد الثامن عشر ص 23.

6 المتغيرات الدولية والدور الإسلامي المطلوب ص 99.

1 تفسير السعدي ص89.

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: (وهذه الآية فيها بيان الحكمة من الجهاد في الإسلام، وأنها: إزالة الشرك حتى لا تكون فتنة، والمراد بالفتنة: الشرك، أي حتى لا يوجد شرك، ويكون الدين كله لله، هذا هو المقصود من الجهاد ليس المقصود توسيع السلطة والاستيلاء على الممالك، وحصول الثروة، ليس هذا هو المقصود، المقصود إعلال كلمة الله عز وجل، وإزالة الشرك من الأرض) 1.

كون الدين كله لله هو أن تكون الحياة كلها لله أي لا شريك له في الملك:-

أن يكون الدين لله في قوله تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } (البقرة: 193). وقوله تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (الأنفال: 39). هو أن تكون الحياة لله أي لا شريك له في الملك.

قال تعالى: { قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } (الأنعام: 162-163).

يوجد تلازم بين أن تكون الصلاة والنسك والحياة والممات لله وبين إنتفاء الشريك له لانهم القرينان والقرينان متلازمان هذا يعني إذا لم تكن واحدة من هذه الأشياء الاربعة الله يكون هناك شريك لله. لكن الأصل في هذه الأشياء الأربعة هو الحياة لأن عطف الحياة علي النسك و الصلاة هو من باب عطف العام علي الخاص يفيد التعميم أما الممات فهو الله بالإضطرار. أي أن هناك تلازم بين أن تكون الحياة لله وبين إنتفاء الشريك لله. أما الدليل علي أن عندما "تكون الحياة لله" "يكون الدين لله أي تنتفي الفتنة" هو أن صلاح الجسد والحياة مرتبط بصلاح القلب. عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله يقول: (وان في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب) 2.

والقلب ينصلح بإنتفاء الفتنة ويفسد بوجود الفتنة. قال تعالى: { وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ } (المائدة: 41).

عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تعرض الفتنة علي القلوب كالحصير عودا عودا، فأني قلب اشربها نكت فيه نكتة سودا، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير قلبين: علي ابيض مثل الصفاء، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والأخر اسود مربادا، كالكوز مجخيا، لا يعرف معروف، ولا ينكر منكرا، إلا ما اشرب من هواه) 3. وإذا إنتفت الفتنة كان الدين لله وإذا لم تنتفي الفتنة لم يكون الدين لله.

الله له ملك السموات والأرض:-

قد يقول قائل لقد ذكرتم أنه يمكن يكون الله شريك في الملك مع العلم أن هنالك آيات كثيرة تدل علي أن الله ملك السموات والأرض وما بينهما!

قال تعالى: { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } (البقرة: 107).

قال تعالى: { وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } (آل عمران: 189).

قال تعالى: { وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا } (المائدة: 17).

قال تعالى: { وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا } (المائدة: 18).

قال تعالى: { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } (المائدة: 40).

1 شرح مسائل الجاهلية ص 19.

2 صحيح البخاري، حديث رقم (52)/صحيح مسلم، حديث رقم (1599).

3 صحيح مسلم، حديث رقم (644).

قال تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ} (المائدة: ١٢٠)
 قال تعالى: {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الأعراف: ١٥٨).
 قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (التوبة: ١١٦).

ملك الله نوعان: كوني و شرعي:-

الإجابة علي الكلام السابق هو أن ملك الله نوعان كوني و شرعي الفرق بينهما أن الكوني لا تحصل فيه مشاركة لله أما الشرعي هو الذي تحصل فيه مشاركة لله.

قال تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ} (الأنعام: 22).

قال تعالى: {وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ} (الأنعام: 94).

قال تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ}

(الأنعام: 100) .

قال تعالى: {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (190) { الأعراف:}.

قال تعالى: {ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ} (يونس: 28) .

قال تعالى: {قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} (يونس: 34).

قال تعالى: {قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ} (يونس: 35).

قال تعالى: {وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ} (يونس: 66).

قال تعالى: {فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً} (يونس: 71).

قال تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ} (الرعد: 33).

قال تعالى: {وَيَقُولُ آيِنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ} (النحل: 27) .

قال تعالى: {وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ} (القصص: 64) .

قال تعالى: {وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ} (الكهف: 52).

قال تعالى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} (القصص: 62).

قال تعالى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ}

(القصص: 74).

النهى عن مشاركة الله في ملكه أي "أن يكون الدين كله لله":-

نفي الشريك مع الله في الآيات الآتية من باب ورود النهي بصيغة الخبر، فالخبر هو نفي الشريك مع الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} (الإسراء: 111).

قال تعالى: {وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} (الفرقان : 2). لكن الواقع يناقض ذلك

بنص القران الكريم في الآيات السابقة "ملك الله الكوني و الشرعي" فهذا يقود إلي حمل النفي في

الخبر إلي النهي. هذا وفق قاعدة ورود النهي بصيغة الخبر.

حقيقة جهاد النفس هو بيع النفس لله سبحانه و تعالى:-

حقيقة الجهاد النفس هو بيع النفس الي الله سبحانه و تعالى أي أن لا يكون له شريك في ملكه.

قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} (البقرة: 207) 1.
 قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} (التوبة: 111). من جانب آخر هناك تلازم بين أن تكون الحياة كلها لله وانتفاء الشريك لله.
 قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} (الأنعام: 162-163) 2. لأن اللام في "الله رب العالمين" للملكية.
 قال تعالى: {بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة: 112).

قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} (النساء: 125) 3.

اللام في كل آيات من أسلم وجهه لله للملكية. عن البراء بن عازب، يقول كان رسول الله: إذا أوي إلي فراشه نام علي شقه الأيمن، ثم قال: (اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك) 4.

بيع النفس لله سبحانه وتعالى هو تحقيق للتوحيد:-

لقد ذكرنا أن جهاد النفس هو بيع النفس لله، مع العلم ببيع النفس لله سبحانه وتعالى هو تحقيق للتوحيد الدليل علي ذلك أن كل من اسلم وجهه إلى الله وهو محسن أي يبيع نفسه لله فقد استمسك بالعروة الوثقى.

قال تعالى: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ} (لقمان: 22). وكل من كفر بالطاغوت أي آمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى أيضاً.

قال تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ} (البقرة: 256).
 فيكون من أسلم وجهه لله لقد كفر بالطاغوت وآمن بالله.

وهناك تلازم بين عبادة الله واجتناب عبادة الطاغوت.

قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} (النحل: 36).

قال تعالى: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ} ﴿الزمر: ١٧﴾.

1 هناك تلام بين سبيل الله وابتغاء مرضاته لانهما قرينان. قال تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي} (المتحنة: 1).

2 يوجد تلازم بين أن تكون الصلاة والنسك والحياة والممات لله وبين إنتفاء الشريك له لانهم القرينان. والقرينان متلازمان هذا يعني إذا لم تكن واحدة من هذه الأشياء الاربعة الله يكون هناك شريك لله. لكن الأصل في هذه الأشياء الأربعة هو الحياة لأن عطف الحياة علي النسك و الصلاة هو من باب عطف العام علي الخاص يفيد التعميم أما الممات فهو الله بالإضطرار.

3 الملك نوعان اما شراكة واما سالم خالص. قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا} (الزمر: 29). ملك الله نوعان كوني لا تقع فيه الشراكة وشرعي تقع فيه الشراكة ولكن الواجب أن لا يكون هناك شريك لله في ملكه السؤال لكن كيف يكون ذلك؟ بأن تكون الحياة لله أي ببيع النفس لله.

4 صحيح البخاري، حديث رقم (6315). صحيح مسلم، حديث (2710).

فكل من عبد الله هو مجتنب للطاغوت وكل من لم يجتنب الطاغوت فهو غير عابد لله أي مشرك به غيره. فيكون جهاد النفس هو تحقيق التوحيد.

حقيقة بيع النفس أي حقيقة تحقيق التوحيد هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله:-

حقيقة بيع النفس لله سبحانه وتعالى هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله. الدليل الأول على ذلك: قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ } (البقرة: 207) هذه الآية تفسر بقوله تعالى: { وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ } (البقرة: 265).

الدليل الثاني على أن بيع النفس لله سبحانه وتعالى هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله: هو التلازم بين بيع النفس لله سبحانه وتعالى وبيع المال لله سبحانه وتعالى. قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَا يَفْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ } (التوبة: 111). بيع النفس لله سبحانه وتعالى وبيع المال لله سبحانه وتعالى متلازمان لأن القاعدة التفسيرية تقول القرينان متلازمان. الدليل الثالث على أن بيع النفس لله سبحانه وتعالى هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله: هو أن تسليم الوجه لله هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله.

قوله تعالى: { بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 112).

قال تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 262) قال تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 274).

القران يفسر بعضه البعض الذي اسلم وجهه لله وهو محسن جزاءه الإنتفاء التام للخوف ، والذي ينفق ماله في سبيل الله جزاءه الإنتفاء التام للخوف، والخوف في الآيتين نكرة في سياق النفي يفيد العموم هذا يعني تسليم الوجه لله مع الإحسان هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله. الدليل الرابع على أن بيع النفس لله سبحانه وتعالى هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله: هو أن كل مَنْ اسْلَمَ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى. قال تعالى: { وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى } (لقمان: 22). وكل من كفر بالطاغوت أي آمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى أيضاً.

قال تعالى: { فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى } (البقرة: 256).

مع العلم أن الطاغوت هو غاية يقاثل في سبيله.

قال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ } (النساء: 76).

76). سبيل الله هو أن تكون كلمة الله هي العليا وسبيل الطاغوت هو أن يكون للنفس العلو المطلق وهذه هي غاية النفس البشرية. وأن تكون كلمة الله هي العليا هي أن لا تكون فتنة في الأرض. وأن لا تكون فتنة في الأرض هو أن لا يكون فيها تكاثر بالاموال والاولاد. وفي مقابل ذلك هو سبيل الطاغوت هو التكاثر بالاموال والاولاد.

الدليل الخامس علي أن بيع النفس لله سبحانه و تعالي هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} ﴿ النساء: 125﴾.

من للاستفهام والاستفهام للنفي أي لا أحسن الدين من من يسلم وجهه لله وهو محسن وحقيقة الدين الحسن هو الدين الخالص من الفتن والفتن هي التكاثر بالاموال والاولاد وضد ذلك انفاق المال المراد لذاته في سبيل الله.

الدليل السادس علي أن بيع النفس لله سبحانه و تعالي هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله هو أن هناك تلازم بين جهاد النفس والجهاد الهوي (وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله، وأفضل المهاجرين من جاهد لنفسه وهواه في ذات الله) ¹ . (وأفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله عز وجل) ² . حقيقة الهوي هو أرادة العلو المطلق، ركنا العلو هما التكاثر بالاموال والاولاد.

الدليل السابع علي أن بيع النفس لله سبحانه و تعالي هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله: في الايات قال تعالى: {بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ﴿ البقرة: ١١٢﴾.

قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} ﴿ النساء: 125﴾.

قال تعالى: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ} ﴿ لقمان: 22﴾. الاحسان الحال من أسلم وجهه لله هي حال لازمة أي أنها حال كاشفة مبين لحقيقة من أسلم وجهه لله فكل من أسلم وجهه لله فهو محسن. والاحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه . عن أبي هريرة قال: كان النبي بارزاً يوماً للناس، فأتاه رجل فقال: ما الإحسان؟ قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، وأن لم تكن تراه فإنه يراك) ³ .

مع العلم أن للإحسان علاقة تلازم بالتقوي:

الاحسان والتقوي متلازمان:-

من جانب آخر التقوي والإحسان متلازمان.

1 السلسلة الصحيحة حديث رقم (1491).

2 السلسلة الصحيحة حديث رقم (1496).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (50).

قال تعالى: { وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (آل عمران: 133-134).

قال تعالى: { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ } (آل عمران: 172).

قال تعالى: { وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } (النساء: 128).

قال تعالى: { ثُمَّ اتَّقُوا وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (المائدة: 93).

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } (النحل: 128).

قال تعالى: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ } (الذاريات: 15-16).

من هم المتقين؟

قال تعالى: { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ } (البقرة: 1-5).

قال تعالى: { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } (البقرة: 177).

قال تعالى: { وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (آل عمران: 133-134).

قال تعالى: { وَسَيَجْزِيهَا الْآنْفَىٰ * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ } (الليل: 17-18). في هذه الآية المال مضاف يفيد العموم ولكن هذا العموم مخصص بحد الكفاية أي لا يعطي المال الداخل في حد الكفاية وهو ما سوي الفضل أي ما سوي المال المراد لذاته. فحقيقة العلم الكامل هو تقوي الله و حقيقة تقوي الله هي أن تعمل بعلمك في مالك فتنفقه في حقه أي العمل بالعلم في المال. عن أبي كبشة عمرو بن سعد الانماري رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم الله فيه حقا، فهذا بافضل المنازل) 1. عن أبي كبشة عمرو بن سعد الانماري رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول: (مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر: رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله، ينفقه في حقه) 2. النصوص تفسر بعضها البعض فالتقوي هي العمل بالعلم في المال والعلم الكامل هو العمل بالعلم وهو ضد العلم الذهني أي العلم الناقص.

آية البر الأولى:-

قال تعالى: { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } (آل عمران: 92).

1 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2325)/صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (15).
2 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3425).

حقيقة الشرك عند أهل السنة والجماعة هو عبادة غير الله سبحانه وتعالى أي إرادة غير الله سبحانه وتعالى لذاته وأعظم ما يراد لذاته من دون الله هو المال أي الحياة الدنيا. فلا يمكن ادراك البر وهو التوحيد أي محبة الله لذاته إلا بالإنفاق مما يحب البشر.

(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ لَنْ تَبْلُغُوا حَقِيقَةَ الْبِرِّ، أَوْ لَنْ تَكُونُوا أَبْرَارًا، أَوْ لَنْ تَنَالُوا بِرَ اللَّهِ وَهُوَ ثَوَابُهُ، " حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ " حتي تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثونها)1.
(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ لَنْ تَبْلُغُوا حَقِيقَةَ الْبِرِّ، أَوْ لَنْ تَكُونُوا أَبْرَارًا، أَوْ لَنْ تَنَالُوا بِرَ اللَّهِ وَهُوَ ثَوَابُهُ، " حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ " حتي تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثونها)2.(كان السلف رحمهم الله إذا أحبوا شيئاً جعلوه لله)3.

قال الإمام الفخر الرازي: (كان السلف إذا أحبوا شيئاً جعلوه لله)4.

قال الإمام ابن الجوزي: (وكان السلف إذا أحبوا شيئاً قدموه لله عز وجل)5.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ("حتي تنفقوا مما تحبون" أي: من أموالكم النفيسة التي تحبها نفوسكم، فانكم اذا قدمتم محبة الله علي محبة الاموال فبذلتموها في مرضاته، دل ذلك علي ايمانكم الصادق وبر قلوبكم ويقين تقواكم ودلت الآية ان العبد بحسب انفاقه للمحوبات يكون بره، وانه ينقص من بره بحسب ما نقص من ذلك)6.

وقال في موضع اخر: (حتي تنفقوا مما تحبون، من اطيب اموالكم وازكاها. فان النفقة من الطيب المحبوب الي النفوس، من اكبر الادلة علي سماحة النفس، واتصافها بمكارم الاخلاق، ورحمتها ورفقتها. ومن ادل الدلائل علي محبة الله، وتقديم محبته علي محبة الاموال، التي جبلت النفوس علي قوة التعلق بها، فمن أثر محبة الله علي محبة نفسه، فقد بلغ الذرة العليا من الكمال)7.

فلا يمكن ادراك البر الا بالإنفاق في سبيل الله أي إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله، فلا ينال ولا يدرك حقيقة البر أي البر الكامل وهو التوحيد أي محبة الله لذاته الا بانفاق المال المراد لذاته في سبيل الله لان أعظم ما يراد لذاته من دون الله هو المال. وبقدر محبة غير الله لذاته يكون الشرك ويقوي، ويضعف التوحيد أي يضعف البر والحكم يدور مع علته وجودا وعدما، وقوة وضعفا ونقص وزيادة. قد يقول قائل احتمال الإنفاق المذكور في الآية يكون من المال المحبوب لغيره وليس من المحبوب لذاته؟ المحبوب لغيره لا بد ان ينتهي الي محبوب لذاته أي لا بد ان ينتهي الي غاية منعا لدور والتسلسل فاذا كان المال مراد لغيره فما هي غايته. مع العلم أن الغايات في تصور اهل السنة والجماعة اثنان لا ثالث لهما إما لقاء الله والنظر الي وجهه الكريم وهذا حقيقة توحيد العبادة أي حقيقة البر والتقوي وإما محبة الدنيا أي محبة النفس أي محبة المال لذاته وهذا حقيقة الشرك بالله بل هو اساس كل انواع الشرك الأخرى أي هو المال هو الغاية. وبما ان الآية تحدثت عن عدم ادراك البر وهو التوحيد تكون المحبة المقابلة له هي محبة غير الله لذاته وليست محبة غير الله لغيره لأن محبة غير الله لغيره لا تؤثر علي التوحيد أي لا تؤثر علي محبة الله لذاته فلا تضعفها

1 تفسير النسفي المجلد الأول ص 179.

2 تفسير الزمخشري المجلد ص 293.

3 تفسير الزمخشري المجلد ص 293.

4 تفسير فخر الدين الرازي المجلد الرابع، الجزء الثامن ص 117.

5 أحكام النساء ص 65.

6 تفسير السعدي ص 138.

7 تفسير السعدي ص 970.

ولانتقصها، وبما أن محبة المال تؤثر في البر هذا يعني أن محبة المال في هذه الآية محبة لذاته وليست محبة المال لغيره.

قد يقو قائل هل من هنا للتبعيض أم لبيان الجنس أي للكل؟

هي لبيان الجنس أي للكل لأن المحبة المذكورة في الآية هي محبة المال لذاته وهي تؤثر علي البر وتضعفه وتنقصه أي تؤثر علي محبة الله لذاته وهو التوحيد لذلك يجب إنفاق كل المال المراد لذاته حتى لو كان دينار واحد.

آية البر الثانية:-

قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (البقرة: 177).
فبعد الحديث أركان الإيمان العقديّة أول ما بدا به من الأعمال قبل الصلاة والزكاة ه و آيتا المآل مع حبه وتعلقه به.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (وَآتَى الْمَالَ وهو كل ما يتموله الانسان من مال، قليلا كان او كثيرا، أي: اعطي المال "عَلَى حُبِّهِ" أي: حب المال، بين ان المال محبوب للنفوس، فلا يكاد يخرج العبد. فمن اخرجه مع حبه له تقربا الي الله تعالى، كان هذا برهانا لايمانه)1.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (قوله تعالى: "عَلَى حُبِّهِ" حال من فاعل آتى يعني كونه محبا له لحاجته اليه، كالجائع؛ او تعلق نفسه به، مثلا يعجبه جماله، او قوته، او ما يشبه ذلك)2.

قال الإمام ابن كثير: ("واتي المال علي حبه" أي اخرجه وهو محب له راغب فيه نص علي ذلك ابن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما من السلف والخلف كما ثبت في الصحيحين من حديث ابي

هريرة مرفوعا "أفضل الصدقة ان تتصدق وانت صحيح شحيح تأمل الغني وتخشي الفقر" وقد روي الحاكم في مستدرکه من حديث شعبة والثوري عن منصور عن زبيد عن مرة عن ابن

مسعود قال قال رسول الله p: "اتي المال علي حبه ان تعطيه وانت صحيح شحيح تأمل الغني وتخشي". ثم قال صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقد رواه وكيع عن الاعمش وسفيان

عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود موقوفا وهو الاصح والله اعلم)3.

قال الإمام الشوكاني: (والضمير في قوله: "علي حبه" راجع الي المال. وقيل: راجع الإيتاء المدلول عليه بقوله: "واتي المال". وقيل: إنه راجع الي الله سبحانه، اي علي حب الله، والمعني علي الاول:

أنه أعطي المال وهو يحبه ويشح به، ومنه قوله تعالى: "لن تنالوا البر حتي تنفقوا مما تحبون" "أل عمران: 92". والمعني علي الثاني: إنه يحب آيتا المال وتطيب به نفسه، والمعني علي الثالث: أنه

أعطي من تضمنته الآية في حب الله عزوجل، لا لغرض آخر، وهو مثل قوله: "ويطعمون الطعام علي حبه" "الانسان: 8")4.

قال الإمام القرطبي: (قوله تعالى: "واتي المال علي حبه" استدل به من قال: ان في المال حق سوي الزكاة وبها كمال البر. وقيل: المراد الزكاة المفروضة، والاول الاصح، لما خرجه الدار قطني عن

1 تفسير السعدي ص 83.

2 تفسير ابن عثمين، المجلد الاول، ص507.

3 تفسير ابن كثير المجلد الأول، ص490.

4 تفسير الشوكاني ص112.

فاطمة بنت قيس قالت قال رسول الله p: "ان في المال حق سوي الزكاة" ثم تلا هذه الآية "ليس البر ان تولوا وجوهكم" الي اخر الآية. واخرجه ابن ماجة في سننه والترمذي في جامعه وقال: "هذا حديث ليس اسناده بذاك، وابو حمزة ميمون الاعور ضعيف. وروي بيان واسماعيل بن سالم عن الشعبي هذا الحديث وقوله وهو الاصح". قلت: والحديث وان كان فيه مقال فقد دل علي صحة معني ما في الآية نفسها من قوله تعالى: "واقام الصلاة واتي الزكاة" فذكر الزكاة مع الصلاة، وذلك دليل علي ان المراد بقوله: "واتي المال علي حبه" ليس الزكاة المفروضة، فان ذلك كان يكون تكراراً، والله اعلم. واتفق العلماء علي انه اذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد اداء الزكاة فان يجب صرف المال اليها. قال مالك رحمه الله: يجب علي الناس فداء اسراهم وان استغرق ذلك اموالهم، وهذا اجماع ايضاً، وهو يقوي ما اخترناه(1).

الضمير في " علي حبه ":-

اختلفوا العلماء في الضمير في " علي حبه" إلي ماذا راجع إلي اسم الجلالة أم الي المال أم إلي الإيتاء ؟ الي الإيتاء مستبعد لان كل محبة لا بد لها من محبوب لذاته والمحوبات النهائية أي الذاتية للبشر في المنهج الإسلامي إثنان لا ثالث لهما إما أن يكون الله سبحانه وتعالى هو المحبوب لذاته لهم وهذا اساس التوحيد وإما أن تكون الحياة الدنيا أي النفس أي المال هي المحبوبة لذاتها لهم وهذا اساس الشرك بالله ولا يوجد طريق ثالث. أما إنفاق المال من أجل محبة الإيتاء فهذا مستبعد لان في حال الإيتاء لا يوجد محبوب لذاته فيستبعد احتمال رجوع الضمير إليه. أما الإختلاف في رجوع الضمير إلي أسم الجلالة أما إلي المال فلا تناقض بينهم أولاً: الأصل في البشر الشح والمنع (إنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا) (المعارج: 19 – 21). ولا يكون المنع إلا بوجود الجمع فيقدر الجمع يكون المنع فالإنسان محب للمال بطبعه فحقيقة محبة المال لذاته هي جمعه وتكثيره وكنزه فيقدر جمع المال يكون حبه لذاته مع العلم أن المال أعظم ما يراد لذاته من دون الله سبحانه وتعالى. وحقيقة محبة الله هي لذاته أي عبادته وحقيقة ذلك ترك محبة غيره لذاته أي ترك عبادة غيره فيقدر ترك عبادة غير الله سبحانه وتعالى تكون عبادة الله واعظم معبود من دون هو المال فيقدر ترك محبة المال لذاته أي ترك عبادته تكون عبادة الله سبحانه وتعالى. فكل من أنفق المال في سبيل الله فهو محب لله ومبتغي رضوانه لان أعظم ما يراد من دون الله هو المال. والإنسان لا ينفق المال المراد لذاته في سبيل الله إلا بوجود محبة أقوى من محبة المال وهذه المحبة هي محبة الله سبحانه وتعالى. عند إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله يتحقق شيئين يتحقق الإنفكاك من التعلق بالمال وهو الشئ الذي يحبه الإنسان بطبعه فينقله في سبيل الله وهو محب له بطبعه وهذا هو حقيقة الجهاد في سبيل الله وأصله. وتتحقق محبة الله سبحانه وتعالى لذاته أي توحيده وعبادته. والتفسير الأعمق هو تفسير الآية السابقة بقوله تعالى: { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } (آل عمران:92). قاله الشيخ محمد الامين الشنقيطي: (قوله تعالى: " وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ " لم يبين هنا هل هذا المصدر مضاف الي فاعله، فيكون الضمير عائداً إلي من آتى المال، والمفعول محذوفاً، أو مضاف إلي مفعوله فيكون الضمير عائداً إلي المال، ولكنه ذكر في موضع آخر ما يدل علي أن المصدر مضاف إلي فاعله، وأن المعني علي حبه أي حب مؤتي المال لذلك المال، وهو قوله تعالى: " لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ "، ولا يخفي أن بين القولين تلازماً في المعني(2).. قد يقول قائل إذا كان الجهاد بالمال أي إنفاقه في سبيل الله واجب متعين علي كل مسلم مكلف حسب

1 تفسير القرطبي المجلد الأول، الجزء الثاني ص241.

2 أضواء البيان، المجلد الأول ص142

الاستطاعة لان الغاية منه تحقيق التوحيد أي عدم ارادة شي لذاته هذا يقود لسؤال أن هناك بعض أنواع الشرك في العبودية سببه النظر والتعلق بما عند الناس وليس شركهم من جمع المال ومنعه هناك بعض المسلمين ليس لديهم مال ولكن تعلقهم بما عند الناس يدخلهم في دائرة الشرك من باب الاعجاب والتمني والتعلق؟ الإجابة إذا كان تعلقهم بما عند الناس داخل في إطار حد الكفاية هذا واجب علي الأمة القائمة علي التوحيد ان توفره لهم أي يتحقق ذلك بالإنفاق عليهم إبتعا الاجر من الله أي بالإنفاق في سبيل الله. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (قال رجل لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق علي سارق. فقال اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة. فخرج فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة علي زانية. فقال: اللهم لك الحمد، علي الزانية، لأتصدقن بصدقة. فخرج فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق علي غني. فقال: اللهم لك الحمد، علي سارق، وعلي زانية، وعلي غني. فأتي فقيل له: أما صدقتك علي سارق فلعله أن يستعف عن سرقة، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر، فينفق مما أعطاه الله)1.

(إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، وواعد فأخلف)2.

واما اذا كان تعلقهم بما عند الناس خارج إطار حد الكفاية أي المراد لذاته فوجوده عند أصحاب الأموال في المجتمع المسلم سبب لتعلق الضعفاء به وتمنيه والإعجاب به أي يقود الي التكاثر والتنافس وهذا أعظم أسباب الفساد و أساس الفتنة في الأرض. قال تعالى: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ* وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَأْتِيكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمَلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ* فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ* وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَفِّرُ اللَّهُ يَسُدُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَفِّرُ اللَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} (القصص: 79 – 81).

الإنفاق في سبيل الله وتحقيق الامن التام:-

من الأدلة علي أن حقيقة تحقيق التوحيد هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله. قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ} (الأنعام:82). اللام في لهم للإستحقاق والألف واللام الداخل علي الأمن تفيد الكمال والإستغراق. قال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة:262).

قال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة:274). الأموال في الآيات السابقة جمع ومضاف يفيد العموم ولكن هذا العموم مخصص بحد الكفاية. والخوف في آيات السابقة نكرة في سياق النفي يفيد العموم أي نفي كل الخوف وهو الذي يهمننا والنفي التام يفيد إثبات كمال الضد أي النفي التام للخوف يفيد إثبات كمال الأمن. مع العلم أن الأمن التام لا يتحقق إلا بعدم إلباس الإيمان بالشرك أي نتيجة لتحقيق التوحيد. ولكن الأمن التام يتحقق نتيجة بإنفاق الأموال المراد لذاتها أي الفضل في سبيل الله وهناك قاعدة منطقية تقول أن الأسباب المتماثلة تقود إلي نتائج متماثلة وبما إن النتائج متماثلة هذا يعني أن الأسباب متماثلة أي أن حقيقة التوحيد هو إنفاق الأموال المرادة لذاتها في سبيل الله.

1 صحيح البخاري، حديث رقم (1421).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (832).

جهاد النفس هو الجهاد بالمال و الجهاد بالنفس هو جهاد الكفار:-

التقسيم السابق للجهاد أي جهاد النفس والجهاد بالنفس له صورة أخرى وهي جهاد النفس هو جهاد بالمال والجهاد بالنفس هو جهاد الكفار.

قال تعالى: { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۗ وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ } (النساء: 95).

قال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (التوبة: 20).

قال تعالى: { انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (التوبة: 41).

قال تعالى: { لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ } (التوبة: 44).

وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (81 التوبة).

قال تعالى: { لَكِنَّ الرِّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (التوبة: 88). قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (الحجرات: 15).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (الصف: 9-10).

عن أبي سعيد، عن النبي، أنه سئل: أي المؤمنين أكمل إيماناً؟ قال: (رجل يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، ورجل يعبد الله في شعب من الشعاب، قد كفي الناس شره) 1. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا شاب من الثنية فلما رايناه (وفي رواية: رميناه) بإبصارنا، قلنا: لوان هذا الشاب جعل شبابه ونشاطه وقوته في سبيل الله! فسمع رسول الله ﷺ مقالنتنا فقال: (وما سبيل الله إلا من قتل؟! من سعى على والديه، ففي سبيل الله، ومن سعى على عياله، ففي سبيل الله، ومن سعى على نفسه ليعفها، ففي سبيل الله، ومن سعى على التكاثر، ففي سبيل الشيطان. وفي رواية: الطاغوت) 2.

قال الامام ابن القيم: (وهو ان يكون في سبيله، أي: في مرضاته والطريق الموصلة اليه، ومن اهمها سبيل الجهاد. ف"سبيل الله" خاص وعام، والخاص جزء من السبيل العام) 3.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (الجهاد نوعان جهاد يقصد به صلاح المسلمين واصلحهم في عقائدهم وفي تربيتهم العلمية والعملية وهذا النوع هو اصل الجهاد وقوامه، وعليه يتأسس النوع الثاني، وهو جهاد يقصد به دفع المعتدين على الاسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين والملحدين وجميع اعداء الدين ومقاومتهم. وهذا نوعان: جهاد بالحجة والبرهان واللسان، وجهاد بالسلاح المناسب في كل وقت وزمان. هذا مجمل انواعه علي وجه التاصيل. اما التفصيل فنقول: الجهاد المتعلق بالمسلمين بقيام الالفة واتفاق الكلمة فان من اعظم الجهاد السعي في تحقيق

1 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم(2485).

2 السلسلة الصحيحة حديث رقم(3248).

3 طريق الهجرتين وباب السعادتين ص 794.

هذا الاصل في تاليف قلوب المسلمين، واجتماعهم علي دينهم ومصالحهم الدينية والدينيوية، في جمع افرادهم وشعوبهم، وفي ربط الصداقة والمعاهدات بين حكوماتهم بكل وسيلة)1.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (فالعالم من أفضل الأعمال الصالحة، وهو من أفضل وأجل العبادات، عبادات التطوع، لأنه نوع من الجهاد في سبيل الله فإن دين الله عز وجل إنما قام بأمرين: احدهما: العلم والبرهان.

والثاني: القتال والسنان.

فلا بد من هذين الأمرين، ولا يمكن أن يقوم دين الله ويظهر إلا بهما جميعاً، الأول منهما مقدم علي الثاني، ولهذا كان النبي ﷺ لا يغير علي قوم حتى تبلغهم الدعوة إلي الله عز وجل، فيكون العلم سبق القتال)2.

والجهاد العام هو الذي يسمى بجهاد النفس والشيطان أو جهاد الهوى أو جهاد العلم والبرهان أو يسمى بجنس جهاد أي جهاد تمحيص الأمة من النفاق وبعض العلماء المعاصرين يسميه بالجهاد المدني. الجهاد الخاص معروف هو قتال الكفار فما هو الجهاد العام؟ وما هو حكمه؟

محددات وضوابط الإنفاق في سبيل الله أي ضوابط عدم الاسراف:-

هناك عدة محددات وضوابط يجب توفرها في الأخذ وفي المعطي عند انفاق المال المراد لذاته حتي يكون في سبيل الله.

المحدد الأول:-

أول هذه المحددات يجب أن يكون المستهدف بالإنفاق هو فقيراً أو مسكيناً أي من الفقراء والمساكين. لقوله تعالى: { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (التوبة: 60). الالف واللام في الصدقات للإستغراق أي كل الصدقات وإنما تفيد الحصر أي كل الصدقات للفقراء والمساكين . الخ. واللام في الفقراء للإستحقاق.

قال الإمام النسفي: (قصر جنس الصدقات علي الأصناف المعودة، أي هي مختصة بهم لا تتجاوز إلي غيرهم، كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم)3.

قال الإمام ابن الجوزي: (ثم بين المستحقين للصدقات بقوله "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ")4. قال الإمام الشوكاني: ("إِنَّمَا" من صيغ القصر، تعريف الصدقات للجنس: أي جنس هذه الصدقات مقصور علي هذه الأصناف المذكورة لا يتجاوزها، بل هي لهم لا لغيرهم)5.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (أن قوله: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ" للحصر، وإنما يثبت المذكور ويبقى ما عداه، والمعني: ليست الصدقة لغير هؤلاء بل لهؤلاء، فالمثبت من جنس المنفي)6.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي: (ثم بين تعالي كيفية قسمة الصدقات الواجبة فقال: { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (التوبة: 60). يقول تعالي: " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ " أي

1 جهاد الاعداء ووجوب التعاون بين المسلمين ص 9 – 10.

2 كتاب العلم ص 9.

3 تفسير النسفي المجلد الأول ص 475.

4 تفسير ابن الجوزي ص 589.

5 تفسير الشوكاني ص 579.

6 مجموع الفتاوي، المجلد الخامس والعشرون ص 77.

الصدقات الواجبة، بدليل أن الصدقة المستحبة لكل أحد، لا يخص بها أحد دون أحد، أي إنما الصدقات لهؤلاء المذكورين دون من عداهم، لأنه حصرهم فيهم، وهم ثمانية أصناف)1.
قال الدكتور وهبة الزحيلي: (" إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ " الزكوات المفروضة مصروفة لهؤلاء الثمانية، وأفادت اللام وجوب إعطائها لهم، وإنها مختصة بهم لا تتجاوزها إلي غيرهم)2.

الإجماع:-

وهناك إجماع علي عدم صرف الصدقات الواجبة لغير هذه الأصناف الثمانية.
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد أتفق المسلمون علي أنه لا يجوز أن يخرج بالصدقات عن الأصناف الثمانية المذكورين في هذه الآية، كما دل علي ذلك القران. فإذا تبين هذا الأصل)3.
قال الفخر الرازي: (قوله " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ " الآية تدل علي أنه لا حق في الصدقات لأحد إلا لهذه الأصناف الثمانية، وذلك مجمع عليه)4.

قد يقول قائل الآية ذكرت ثمانية أصناف مستحقين للصدقات لماذا تخصيص الفقراء والمساكين فقط؟ هنا مقدمة لا بد منها وهي الفقراء والمساكين من الأسماء اذا اجتمعوا افترقوا واذا افترقوا اجتمعوا بمعني اذا ذكر في آية واحدة لفظي الفقراء والمساكين كما آية سورة التوبة فمعناها مختلف أما اذا وجد في آية أو حديث لفظ الفقراء فقط أو لفظ المساكين فقط كما في حديث فتنة الفقر فاللفظ يشمل المعنيين. قد يقول قائل الأصناف المذكورة في آية الصدقات ثمانية ولكن تم تخصيص الفقر والمساكين لماذا؟

الاجابة علي السؤال هو أن الفقر نوع من أنواع الفتن وانفاق المال المراد لذاته في سبيل الله شرع لاتقا الفتن وعدم انفاقه أو انفاق في غير سبيل الله هو أعظم الفتن فوجود الفقراء والمساكين يعتبر فتنة أما وجود بقية بقية الأصناف لم تذكر النصوص أنها فتنة إنما تعالج بالزكاة القانونية التي يأخذها الحاكم ويوزعها.

فتنة الغنى وفتنة الفقر:-

فتنة المال نوعان فتنة الغنى وفتنة الفقر.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَ الْمَأْتَمِ وَالْمَعْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَ أَعُوذُ بِكَ

5

مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ) .
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَعْرَمِ وَ الْمَأْتَمِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَ فِتْنَةِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَ شَرِّ فِتْنَةِ

6

الْغِنَى وَ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ) .

1 تفسير السعدي ص 341.

2 التفسير المنير الجزء 10 ص 258.

3 مجموع الفتاوي، المجلد الثامن والعشرون ص568.

4 تفسير الفخر الرازي الجزء 16 ص 84.

5 صحيح البخاري، حديث رقم (6368).

6 صحيح البخاري، حديث رقم (6375).

عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ خَالَتِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْغِنَى وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ

1
فِتْنَةِ الْفَقْرِ) .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ)2.

العلاقة بين فتنة الغنى وفتنة الفقر:-

العلاقة بين فتنة الفقر وفتنة الغنى هي أن فتنة الفقر فرع من فتنة الغنى والأصل في الفتن هي فتنة الغنى أي الأصل في الفتن هي الجمع والتكاثر الذي يقود الي المنع.

وقال رسول الله ﷺ: (فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم)3.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما أخشى عليكم الفقر، ولكني أخشى عليكم التكاثر)4.

المحدد الثاني:-

أما المحدد الثاني الذي يتحدد به ما المقصود بسبيل الله هو أن يكون هذا الإنفاق علي الفقراء والمساكين من ذو القربي والجيران أي الفقراء والمساكين في إطار ذو القربي والجيران. قد يقول قائل آيات الإنفاق في القران تشمل فئات غير ذو القربي والجيران فمن أين لكم بهذا الراي؟.

قال تعالى: { يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ } (البقرة:215).

قال تعالى: { وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ } (البقرة : 177).

قال تعالى: { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ } (النساء:36).

قال تعالى: { وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ } (الإسراء:26).

قال تعالى: { فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ } (الروم:38).

عن عبدالله بن أبي مساور قال: سمعت ابن عباس وهو يبخل ابن الزبير ويقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس المؤمن الذي يبببب وجاره إلي جنبه جائع) 5. عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ

قال: (ما زال يوصيني جبريل بالجار حتي ظننت أنه سيورثه)6.

عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: (والله لا يومن، والله لا يومن، والله لا يومن) قيل: من يا رسول الله؟ قال: (الذي لا يأمن جاره بوائقه)7.

1 صحيح البخاري، حديث رقم (6376).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (6377).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (6425).

4 سبق تخريجه.

5 مستدرک الحاكم كتاب البر والصلة حديث رقم (7307). قال الحاكم هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني صحيح الجامع الصغير حديث رقم (5382).

6 صحيح البخاري، حديث رقم (6014).

7 صحيح البخاري حديث رقم (6016).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره)1. الإجابة أنه عند إنفاق المال هناك فئتين: فئة أصلية وفئة إستثنائية. الفئات الأصلية هي ذوي القربي والجار أي الفقراء والمساكين من ذوي القربي والجار، أما الفئات الإستثنائية هي ابن السبيل، وفي سبيل الله، والسائلين2، واليتامي وما يقاس عليهم "لا يستطيع الكسب والعمل"، وفي الرقاب. أي أن صاحب المال عند ارادة إنفاق المال لا يعطي مطلق الفقراء والمساكين إنما هو مقيد في ذلك بفئات معينة وهي ذوي القرابة والجار وابن السبيل والسائلين واليتامي وفي الرقاب. أما الفرق بين الفئات الأصلية والفئات الإستثنائية هو يوجد أشخاص هم ليسوا بابنا سبيل ولا في سبيل الله ولا سائلين ولا في الرقاب ولا يتامي أو ما يقاس عليهم اليتامي "لا يستطيع الكسب والعمل"3 ولكن هؤلاء الأشخاص فقراء ومساكين أي ليس بأغنياء ولكنهم أقوىاء يستطيعوا الكسب والعمل وهؤلاء أكثر فئات المجتمعات فهؤلاء يعطوا الصدقة كقرض حسن ولا يعطوا الصدقة المباشرة لأنها لا تحل لهم فالصدقة المطلقة لا تحل لغني، ولا لذي مرة سوي أي ذي مرة قوي. عن عبدالله بن عمرو، عن النبي ρ قال: (لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوي). عن سعد، قال: (لذي مرة قوي)4. عن عبيد الله بن عدي الخيار، قال: أخبرني رجلان أنهما أتيا النبي ρ في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة، فسألاه منها، فرفع فينا البصر وخفضه، فرأنا جليدين فقال: (ان شئتما اعطيتكما، ولاحظ لغني، ولا لقوي متكسب)5. لا تجوز الصدقة لغني ولقوي. أما الفئات الفرعية فيعطوا الصدقة المباشرة المعروفة. أما هذا التقسيم يأتي من عطف القرض علي الصدقة وتميزه كما سيأتي.

المحدد الثالث:-

المحدد الثالث لئن يكون الإنفاق في سبيل الله، هو أن يكون الأصل في هذه الصدقات القرض: قال تعالى: { مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ } (البقرة:245). قال تعالى: { وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } (سورة المائدة: 12).

قال تعالى: { مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ } (الحديد:11). قال تعالى: { إِنَّ الْمُسَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ } (الحديد:18).

قال تعالى: { إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ } (التغابن:17). قال تعالى: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } (المزمل:20). (يعني تعالي ذكره بذلك: من هذا الذي ينفق في سبيل الله، فيعين مضعفا، أو يقوي ذا فاقة أراد الجهاد في سبيل الله، ويعطي منهم مقترا، وذلك هو القرض الحسن الذي يقرض العبد ربه)6.

1 صحيح البخاري حديث رقم (6018).

2 السؤال مع وجود ما يكفي يعتبر من أنواع الربا كما مر بنا.

3 اليتيم لا يستطيع الكسب لأنه من الضعيفين (إني أخرج عليكم حق الضعيفين: اليتيم، والمرأة) صحيح الجامع الصغير حديث رقم (2447).

4 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (1634).

5 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (1633).

6 تفسير الطبري المجلد الثاني ص 592.

(وقوله " قَرْضًا حَسَنًا " : روي عن عمر وغيره من السلف: هو النفقة في سبيل الله. وقيل: هو النفقة علي العيال)1.

(وقوله: " مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا " "الحديد: 11" قال عمر بن الخطاب: هو الإنفاق في سبيل الله، قيل: هو النفقة علي العيال. والصحيح أنه أعم من ذلك، فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة، دخل في عموم هذه الآية)2.

(والقرض الحسن: إما المجاهدة في نفسها، وإما النفقة في سبيل الله)3.

(القرض الحسن: الإنفاق في سبيله)4.

قال الإمام ابن القيم: (ثم قال تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ أَنْفُسًا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 262). وهذا بيان للقرض الحسن ما هو؟ وهو أن يكون في سبيله، أي: في مرضاته والطريق الموصلة إليه)5.

عطف القرض علي الصدقة:-

الدليل علي أن يكون الأصل في هذه الصدقات القرض هو عطف القرض علي الصدقة في قوله تعالى: { إِنَّ الْمُسْتَدِقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ } (الحديد: 18). في هذه الآية عطف القرض الحسن علي اسم الفاعل المتصدقين. قال الإمام الشوكاني: ("وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا" معطوف علي اسم الفاعل في المتصدقين؛ لأنه لما وقع صلة للألف واللام الموصولة حل محل الفعل فكانه قال: إن الذين تصدقوا وأقرضوا كذا قال أبو الفارس وغيره وقيل جملة "وأقرضوا" معترضة بين اسم إن وخبرها)6. وهو من باب عطف الخاص علي العام لأن (كل قرض صدقة)7.

وهذا النوع من العطف يفيد الاهتمام بالخاص لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام.

المحدد الرابع:-

المحدد الرابع لئلا يكون الإنفاق في سبيل الله، يجب أن يكون المال المنفق طيباً أي لا يكون خبيثاً قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } (البقرة: 267).

الطيب هو الذي يترك غني أي الذي يغني أما الخبيث هو القليل الذي لا يترك غني. قال تعالى: { الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ } (التوبة: 79).

قال تعالى: { وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ } (النحل: ٦٢).

المحدد الخامس:-

المحدد الخامس لئلا يكون الإنفاق في سبيل الله إنظار المعسر:

- 1 تفسير ابن كثير، المجلد الأول ص 66.
- 2 تفسير ابن كثير، المجلد الخامس ص 15.
- 3 تفسير الزمخشري المجلد الأول ص 223.
- 4 تفسير الزمخشري، المجلد الرابع ص 356.
- 5 طريق الهجرتين وباب السعادتين ص 374.
- 6 تفسير الشوكاني ص 1459.
- 7 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (4542).

قال تعالى: { وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (البقرة: 280).

المحدد السادس:-

المحدد السادس عدم وجود كراهية عند الإنفاق.

قال تعالى: { وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ } (التوبة: 54).

المحدد السابع:-

المحدد السابع لئن يكون الإنفاق في سبيل الله يجب عدم إبطاله باليمن والأذى:

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ }

(البقرة: 264). قال تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُنْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ }

(البقرة: 262).

المحدد الثامن:-

المحدد الثامن لئن يكون الإنفاق في سبيل الله، عدم إيتا المال للسفها. قال تعالى: { وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ

أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا } (النساء: 5).

الفصل الثاني
وجوب إنفاق المال المراد
لذاته في سبيل الله

هنا مسألة مهمة وهي حكم إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله أي الإنفاق في سبيل الله بالمعنى العام هل هو واجب ام مستحب؟ هو واجب و من أعظم الأدلة علي وجوب الإنفاق في سبيل الله بالمعنى العام هو وجوب محبة الله سبحانه وتعالى لذاته. ومحبة الله سبحانه وتعالى لذاته أي إرادته لذاته واجبة متعينة علي كل مسلم مكلف لأنها أصل التوحيد وأساسه وهي حقيقة عبادة الله سبحانه وتعالى وحده فيجب ان لا يقدم علي محبة الله أي محبة اخري لا أهل ولا مال ولا زوجة ولا زوج ولا أبناء ولا وطن ولا قبيلة بل ولا خلاف في ذلك.

قال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (التوبة:24).

قال الإمام القرطبي في تفسير الآية: (وفي الآية دليل علي وجوب محبة الله ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وان ذلك مقدم علي كل محبوب)¹.

قال القاضي عياض عن هذه الآية: (فكفى بهذا حضاً وتنبهياً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم إذ قرع سبحانه من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى: (فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) ثم فسَّقه بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله)².

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فتوعد من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله، والجهاد في سبيله بهذا الوعيد)³.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي: (وهذه الآية الكريمة أعظم دليل علي وجوب محبة الله ورسوله، وعلي تقديمها علي محبة كل شيء، وعلي الوعيد الشديد والمقت الأكيد، علي من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله)⁴.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (فكل من قدم طاعة احد من هؤلاء علي طاعة الله ورسوله، أو قول احد منهم علي قول الله ورسوله، أو مرضاة أحد منهم علي مرضاة الله ورسوله، أو خوف احد منهم ورجاءه والتوكل عليه علي خوف الله ورجائه والتوكل عليه. أو معاملة احدهم علي معاملة الله: فهو ممن ليس الله ورسوله أحب اليه مما سواهما. وإن قاله بلسانه فهو كذب منه، وإخبار بخلاف ما هو عليه. وكذلك من قدم حكم احد علي حكم الله ورسوله. فذلك المقدم عنده أحب إليه من الله ورسوله)⁵.

محبة الله هي عبادته:-

وحقيقة محبة الله لذاته هي عبادته وحده أي عبادة الله وحده وعبادة الله واجبة مأمور بها. قال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } (الأعراف: 59).

قال تعالى: { وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } (الأعراف: 65).
قال تعالى: { وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } (الأعراف: 73).
قال تعالى: { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } (الأعراف: 85).

1 تفسير القرطبي، المجلد الثامن ص 95.

2 كتاب الشفاء، المجلد الثاني، ص 563.

3 العبودية ص 94.

4 تفسير السعدي 332.

5 مدارج السالكين، المجلد الاول ص 89.

قال تعالى: { وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } (هود: 50).
 قال تعالى: { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } (84 هود).
 قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }
 (الأنبياء: 25).

قال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ }
 { (المؤمنون: 23).

قال الإمام ابن كثير: (يأمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل
 علي خلقه في جميع الأنات والحالات، فهو المستحق منهم أن يوحدوه، ولا يشركوا به شيئاً من
 مخلوقاته)¹.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي: (يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، وهو الدخول تحت
 رق عبوديته، والانقياد لأوامره ونواهيه، محبة وذلًا وإخلاصاً له، في جميع العبادات الظاهرة
 والباطنة. وينهي عن الشرك به شيئاً، لا شركاً أصغر ولا أكبر، لا ملكاً ولا نبياً ولا ولياً ولا غيرهم
 من المخلوقين، الذين لا يملكون لانفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، بل الواجب
 المتعين اخلاص العبادة لمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وله التدبير الكامل الذي لا يشركه
 ولا يعينه عليه أحد)².

الأمر بالشئ نهي عن ضده فالأمر بمحبة الله سبحانه وتعالى لذاته أي الأمر بعبادته وحده نهي عن
 عبادة غيره أي نهي عن محبة غير الله سبحانه وتعالى لذاته أي نهي عن الشرك به. مع العلم إن
 الشرك بالله أي عبادة غير الله أي محبة غير الله لذاته منهي عنها بنص القرآن.
 قال تعالى: { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } (النساء: 36).

والأمر بعبادة الله وحده وعدم الإشراف به في هذه الآية للوجوب بالإجماع لا يمكن أن يقول أحد أنها
 للاستحباب.

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في تفسيره لهذه الآية: (من فوائدها: وجوب عبادة الله لقوله:
 "وَاعْبُدُوا اللَّهَ" والأمر هنا للوجوب بالإجماع ولا أحد ينكر ولا أحد يمكن أن يقول: أن هذا الأمر
 للاستحباب. ومن فوائد الآية: تحريم الشرك لقوله: "وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا"³. ومن فوائدها: الشرك
 بأنواعه صغيرة وكبيره، خفيه وجليه كله محرم لقوله "وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا"³).

قال تعالى: { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } (الأنعام: 151).

قال الإمام ابن رجب الحنبلي: (المحرمات المقطوع بها مذكورة في الكتاب والسنة؛ كقوله تعالى:
 { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ
 إِمْلَاقٍ } "الأنعام: 151". الي آخر الآيات الثلاث، وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا
 ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَ الْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا
 عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) "الأعراف: 33"⁴).

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي: (يقول تعالى لنبيه: p: "قُلْ" لهؤلاء الذين حرموا ما أحل الله: "
 تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ۖ" تحريماً شاملاً لكل أحد، محتويات علي سائر المحرمات، من

1 تفسير ابن كثير، المجلد الثاني ص 296.

2 تفسير السعدي ص 178.

3 تفسير ابن عثيمين، المجلد الرابع ص 204.

4 جامع العلوم الحكم ص 296.

المآكل والمشرب والأقوال والأفعال. " أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا " أي: لا قليلا ولا كثيرا. وحقبة
الشرك بالله: أن يعبد المخلوقات كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو ان يصرف له نوع من
خصائص الربوبية والإلهية، وإذا ترك العبد الشرك كله صار موحدا، مخلصا لله في جميع
احواله)1.

الأمر المباشر بالإنفاق في سبيل الله:-

من الأدلة علي وجوب الإنفاق في سبيل الله بالمعني العام الأمر المباشر علي الإنفاق في سبيل الله.
الآية الأولى:-

قال تعالى: { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }
(البقرة: 195). الأمر المطلق يقتضي الوجوب حتي يقوم دليل صارف عن الوجوب. قال الإمام
القرطبي:(وقال حذيفة بن اليمان وابن عباس وعكرمة وعطاء ومجاهد وجمهور الناس: المعني لا
تلقوا بأيديكم بان تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا العيلة، فيقول الرجل ليس عندي ما انفقه. والي
هذا ذهب البخاري إذ لم يذكر غيره، والله اعلم. قال ابن عباس: انفق في سبيل الله، وان لم يكن لك الا
سهم او مشقص، ولا يقولن احدكم: لا اجد شيئا. ونحوه عن السدي: انفق ولو عقالا، ولا تلقي بيدك
الي التهلكة فتقول: ليس عندي شيء) 2. قال ابن كثير: (ومضمون الآية الامر بالإنفاق في سبيل الله
في سائر وجوه القربان ووجوه الطاعات وخاصة صرف الاموال في قتال الاعداء وبذلها فيما يقوي
المسلمون علي عدوهم والإخبار عن فعل ذلك بانه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده) 3. قال الإمام
الشوكاني: (في هذه الآية الأمر بالإنفاق في سبيل الله، وهو الجهاد، واللفظ يتناول غيره مما يصدق
عليه أنه من سبيل الله) 4. قال العلامة عبد الرحمن السعدي: (يأمر تعالى عباده بالنفقة في سبيله،
وهو إخراج الأموال في الطرق الموصلة الي الله) 5. قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (من
فوائد الآية: الامر بالانفاق في سبيل الله)6.

الآية الثانية:-

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (البقرة:254). الأمر المطلق يقتضي الوجوب حتي يقوم دليل
صارف عن الوجوب.

الأصل في الأمر الوجوب حتي يقوم دليل صارف عن الوجوب.

قال الإمام القرطبي: (وعلي هذا التأويل يكون إنفاق الأموال مرة واجبا ومرة ندبا بحسب تعين
الجهاد وعدم تعينه. وامر عباده بالإنفاق مما رزقهم الله وأنعم به عليهم، وحذرهم من الإمساك إلي
أن يجيء يوم لا يمكن فيه بيع ولا شراء ولا إستدراك نفقة، كما قال: "أحدكم الموت . . . قريبا
فأصدق" " المنافقون: 10".)7.(ظاهر الأمر في قوله: " أَنْفِقُوا " الوجوب، وقد حمله جماعة علي
صدقة الفرض لذلك، ولما في آخر الآية من الوعيد الشديد. وقيل هذه الآية تجمع زكاة الفرض
والتطوع. قال ابن عطية: وهذا صحيح، ولكن ما تقدم من الآيات في القتال، وأن الله يدفع المؤمنين

1 تفسير السعدي ص 279.

2 تفسير القرطبي المجلد الثاني ص82.

3 تفسير ابن كثير الجزء الأول، ص 534.

4 تفسير الشوكاني ص 125.

5 تفسير السعدي ص90.

6 تفسير ابن عثيمين، المجلد الاول، ص 590.

7 تفسير القرطبي المجلد الثاني ص341.

في صدور الكافرين يترجح منه أن هذا الندب إنما هو في سبيل الله. قال القرطبي: وعلي هذا التأويل يكون إنفاق المال مرة واجبا، ومرة ندبا بحسب تعيين الجهاد وعدم تعيينه¹.

الآية الثالثة:-

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ } (البقرة: 267).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (وجوب الإنفاق من الطيبات ما كسبنا؛ لقوله تعالى: "أنفقوا"؛ والأصل في الأمر الوجوب حتي يقوم دليل صارف عن الوجوب)².

الآية الرابعة:-

قال تعالى: { قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً } (ابراهيم: 31).

الآية الخامسة:-

قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ } (يس: 47).

الآية السادسة:-

قال تعالى: { آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ } (الحديد: 7). الأمر المطلق يقتضي الوجوب حتي يقوم دليل صارف عن الوجوب.

الآية السابعة:-

قال تعالى: { وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنُ مِنَ الصَّالِحِينَ } (المنافقون: 10).

الآية الثامنة:-

قال تعالى: { وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ } (التغابن: 16). هناك لأمر في كل الآيات السابقة والأمر المطلق يقتضي الوجوب حتي يقوم دليل صارف عن الوجوب.

الآية التاسعة:-

قال تعالى: { هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ } (محمد: 38).

الإنفاق في القرءان مقيد بسبيل الله:-

الإنفاق العام في القرءان مقيد بالإنفاق في سبيل الله أي مقيد بتحقيق التوحيد والإخلاص لله لان سبيل الله العام يشمل كل اوجه الخير.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي: (يأمر تعالى عباده بالنفقة في سبيله، وهو إخراج الأموال في الطرق الموصلة الي الله)³.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (ظاهر الآية أن الإنفاق في أي وجه من وجوه الخير؛ ولكن هذا الإطلاق مقيد في آيات أخر، مثله قوله تعالى: "مثل الذين ينفقون في سبيل الله" "البقرة: 261". ومثله قوله تعالى: "وانفقوا في سبيل الله" "البقرة: 195"؛ وعلي هذا فيكون إطلاق الآية هنا مقيدا بالآيات الاخر التي تدل علي أن الإنفاق المأمور به ما كان في سبيل الله – أي في شرعه)¹.

1 تفسير الشوكاني ص 173.

2 تفسير ابن عثيمين، المجلد الثاني ص240.

3 تفسير السعدي ص90.

1 تفسير ابن عثيمين، المجلد 2، ص 175.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ("مالك لا تتفقوا في سبيل الله" يعني أي شي يمنعهم، والإنفاق في سبيل الله يشمل كل شي أمر الله بالإنفاق فيه، ففي سبيل الله هنا عامة)¹.
 قال الأستاذ عبد القادر عودة: (يدخل الإنفاق علي ذوي الحاجة في الجماعة الإسلامية تحت الإنفاق في سبيل الله، لأن سبيل الله طاعته، فكل إنفاق يطاع فيه الله فهو في سبيل الله)².
 فالغاية من إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله أي الإنفاق بالمعني العام أي الجهاد بالمال هو تحقيق التوحيد أي (أن لا تكون فتنة في الأرض). بل ما شرع الجهاد إلا لتحقيق التوحيد لان تحقيق التوحيد هو أهم فروض الأعيان بل هو الفرض الذي اذا فقد معه الكثير من الفروض والواجبات الاخري. وفي مقابل الإيمان والتوحيد الفتنة وهي الشرك أي التعلق بغير الله وإرادته لذاته وهي تضل عن سبيل الله (لان الفتنة تضل عن سبيل الله). وسبب الفتنة هو الحرص المال والشرف أي جمع المال المراد لذاته أي الفضل ومنعه أو إنفاقه في غير المكان الصحيح أي في غير سبيل الله. وكل أنواع إنفاق مأمور به في القرآن مقيد سبيل الله لان الغاية من الإنفاق العام تحقيق التوحيد والإنفاق في سبيل الله بالمعني العام أي الإنفاق لتحقيق التوحيد يشمل كل مجالات الخير والبر والاحسان.

الأسباب المتماثلة والنتائج المتماثلة:-

من الأدلة علي وجوب إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله هو أن إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله هو حقيقة تحقيق التوحيد
 هو قوله تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ } (الأنعام:82). اللام في لهم للإستحقاق والألف واللام الداخل علي الأمن تفيد العموم أي كل الأمن.
 قال تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَمَّ لَا يُنْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة:262).
 قال تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة:274).

الأموال في آياتي سورة البقرة جمع مضاف يفيد العموم ولكن هذا العموم مخصص بحد الكفاية أي المال المراد لذاته . والخوف في آياتي سورة البقرة نكرة في سياق النفي يفيد العموم أي نفي كل خوف وهو الذي يهمننا هنا . والنفي التام يفيد إثبات كمال الضد أي النفي التام للخوف يفيد إثبات الأمن الكامل . الأمن التام نتيجة لعدم لباس الإيمان بالشرك أي نتيجة لتحقيق التوحيد والأمن التام هو نتيجة لإنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله وهناك قاعدة منطقية تقول أن الأسباب المتماثلة تقود إلي نتائج متماثلة وبما إن النتائج متماثلة هذا يعني أن الأسباب متماثلة أي أن حقيقة التوحيد هو إنفاق الأموال المرادة لذاتها أي الفضل في سبيل الله . وتحقيق التوحيد واجب هذا يدل علي وجوب إنفاق الأموال المرادة لذاتها في سبيل الله أي علي وجوب إنفاق الفضل.

أتى المال علي حبه:-

قال تعالى: { لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } (البقرة : 177).

1 الإسلام واوزاعنا السياسية ص 53.

2 الإسلام واوزاعنا السياسية ص 53.

من الأدلة علي وجوب الإنفاق في سبيل الله بالمعنى العام الآية السابقة الذكر والاستدلال بها انها وصفت من قام بالأعمال المذكورة في الآية بالصدق والتقوي وهما واجبان أي أن الأعمال المذكورة في الآية واجبة ومن ضمن الأعمال المذكورة إيتاء المال علي حبه أي كل المال المراد لذاته.

قال الفخر الرازي: (المسألة الأولى: اختلفوا في أن الضمير في قوله " عَلَىٰ حُبِّهِ " إلي ماذا يرجع؟ وذكروا فيه وجوها الأول: وهو قول الأكثرين أنه راجع إلي المال، والتقدير: وأتي المال علي حب المال، قال ابن عباس وابن مسعود: وهو أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح، تأمل الغني، وتخشي الفقر، ولا تهمل حتى إذا بلغت الحلقوم

القول الثاني: أن الضمير يرجع إلي الإيتاء كأنه قيل: يعطي ويحب الإعطاء رغبة في ثواب الله.
القول الثالث: أن الضمير عائد علي اسم الله تعالي، يعني يعطون المال علي حب الله أي طلب مرضاته.

المسألة الثانية: اختلفوا في المراد من هذا الإيتاء فقال قوم: إنها الزكاة وهذا ضعيف وذلك لانه تعالي عطف الزكاة عليه بقوله: " وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ " ومن حق المعطوف والمعطوف عليه أن يتغيرا، فنبت أن المراد غير الزكاة، ثم أنه لا يخلو إما يكون من التطوعات أو الواجبات، لا جائز أن يكون من التطوعات لأنه تعالي قال في آخر الآية " أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا " وأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ " وقف التقوي عليه، فنبت أن هذا الإيتاء، وإن كان غير الزكاة إلا أنه من الواجبات(1). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهذه الآية عظيمة جليلة القدر، من اعظم أي القران واجمعه لامر الدين، وقد روي ان النبي p سئل عن خصال الإيمان فنزلت. وفي الترمذي عن فاطمة بنت قيس عنده انه قال: " ان في المال حق سوي الزكاة " وقراء هذه الآية. وقد دلت علي امور: احدها: انه اخبر أن الفاعلين لهذه الأمور هم المتقون، وعامة هذه الأمور فعل مأمور به. الثاني:

انه اخبر ان هذه الأمور هي البر، وأهلها هم الصادقون،

. وهذه الخصال المذكورة في الآية قد دلت علي وجوبها؛ لانه/ اخبر أن أهلها هم الذين صدقوا في قولهم، وهم المتقون، والصدق واجب والايمان واجب ايجاب حقوق سوي الزكاة(2).

رَبَا الْقُرُوضِ وَالصَّدَقَاتِ ضِدَانٌ:-

من الأدلة علي وجوب إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله أن ربا القروض والصدقات ضدان وربا القروض هو كل قرض جر فائدة وهو المقابل للصدقات أي أن ربا القروض هو ضد الصدقات التي هي إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله أي الإنفاق في سبيل الله بالمعنى العام.

قال تعالي: { يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ } (البقرة : 276). أي ضد الإنفاق في سبيل الله بالمعنى العام والربا منهي عنه والنهي عن شي أمر بضده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فذكر تحريم الربا الذي هو ضد الصدقة في آخر "سورة البقرة" و"سورة آل عمران" و"الروم" و"المدثر"، وذم اليهود عليه في "سورة النساء")1.

قال الفخر الرازي: (اعلم أنه تعالي لما بالغ في الزجر عن الربا، وكان قد بالغ في الآيات المتقدمة في الأمر بالصدقات)1.

1 تفسير الفخر الرازي، الجزء 5 ص 35.

2 مجموعة الفتاوى، الجزء العشرين، ص 75.

1 مجموع الفتاوى، المجلد التاسع والعشرون، ص 22.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (قد جعل الله الربا ضد الصدقة، فالمرابي ضد المتصدق، قال الله تعالى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَّاءَ وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ} (البقرة: 276). وقال: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّاً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ} (الروم: 39). وقال: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَافَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} (آل عمران: 130 – 131). ثم ذكر الجنة التي أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وهؤلاء ضد المرابين، فنهى سبحانه عن الربا الذي هو ظلم للناس، وأمر بالصدقة التي هي إحسان إليهم)².

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (ولقد انقسم الناس في المعاملات الربوية إلى ثلاثة أقسام: قسم: هداهم الله تعالى ونور بصائرهم ووقاهم شح أنفسهم وعرفوا حقيقة المال، بل حقيقة الدنيا أنها عارية مسلووبة، وفيه زائل، وأن كمال العقل والدين أن يجعل الرجل المال وسيلة لا غاية، وأن يجعله خادماً لا مخدوماً فتمشوا في اكتساب أموالهم وصرفها على ما شرعه لهم خالقهم الذي هو أعلم بما يصلحهم وأرحم بهم من أنفسهم، فأخذوا بما أحل الله واجتنبوا ما حرم الله، وهؤلاء هم الناجون المفلحون. قال الله تعالى: {وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} "الحشر: 9".

القسم الثاني: من تعاملوا بالربا على وجه صريح، إما جهلاً منهم أو تجاهلاً أو عناداً ومكابرة، وهؤلاء مستحقون لما تقتضيه حالهم من الوعيد على أكل الربا، على ما جاء في نصوص الكتاب والسنة. **القسم الثالث:** من تعاملوا بالربا من وجه الحيلة والمكر والخداع، وهؤلاء شر من القسم الثاني، لأنهم وقعوا في مفسدتين: الربا، ومفسدة الخداع)³.

وقال كذلك: (قال تعالى: "الذين ينفقون في السراء والضراء" وحينئذ قد يسأل سائل: كيف بدا بالإنفاق دون ذكر الصلاة مثلاً، والصلاة أهم من الإنفاق؟

الجواب: لأنه لما نهى عن أكل الربا أضعافاً مضاعفة بدا بضده ضد أكل الربا وهو الإنفاق وهذا كقوله: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّاً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} (الروم 39). فانه لما قال: "لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفةً" (آل عمران: 130). بدا بذكر الإنفاق في صفات المتقين "الذين ينفقون في السراء والضراء" ينفقون ماذا؟ حذف المفعول ليكون دالاً على العموم، أي ينفقون كل ما يمكن انفاقه من اعيان ومنافع وجاه وغير ذلك)⁴

وقال موضع آخر: (ومنها: مقابلة الضد بالضد؛ فكما أن الربا يمحق، ويزال؛ فالصدقة تزيد المال وتنميه؛ لأن الربا ظلم، والصدقة إحسان)⁵

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: (قد جعل الله سبحانه الربا ضد الصدقة فالمرابي ضد المتصدق. قال تعالى: "يمحق الله الربا ويربي الصدقات")¹. فالربا الصدقات ضد الصدقات والنهي عن شي أمر بضده فالنهي عن الربا أمر بالصدقات فهذا من أدلة وجوب الصدقات أي وجوب إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله.

1 تفسير الفخر الرازي الجزء السابع ص 83.

2 إعلام الموقعين عن رب العالمين، المجلد الثالث، ص 397.

3 الربا والطريق التخلص منه في المصارف ص 27.

4 تفسير ابن عثيمين، الجزء الثالث، ص 264.

5 المصدر السابق، المجلد الثاني ص 267.

1 البيع والربا في الشريعة الإسلامية 14.

الجهاد الواجب المتعين هو الجهاد بالمال أي إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله:-

من الأدلة علي وجوب إنفاق المال المراد لذاته في سبيل أي الفضل هو أن الجهاد الواجب المتعين هو الجهاد بالمال وحقيقة ذلك الجهاد هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله. قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (الحجرات:15). إنما للحصر وضمير المنفصل يفيد الحصر والتوكيد أيضاً الآية حصرت الإيمان والصدق في ثلاثة أشياء الأول منهم الإيمان بالله ورسوله مع عدم الريب أي اليقين مع العلم أن اليقين هو الإيمان كله (واليقين الإيمان كله) 1. والشئ الثاني هو الجهاد بالمال والشئ الثالث هو الجهاد بالنفس. الإيمان الكامل وهو اليقين وهو يشمل كل أنواع العمل الصالح وذلك وفق قاعدة جنس العمل. في الآية عطف الجهاد بالمال والجهاد بالنفس علي الإيمان الكامل "اليقين" وهو من باب عطف الخاص علي العام وهذا العطف يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام. ولكن تحقيق الإيمان أي الوصول لمرحلة اليقين واجب علي كل مسلم مكلف لأنه أعظم فروض الأعيان وواجب في كل وقت ولكن الجهاد بالنفس أي القتال ليست واجب علي كل مسلم وليست واجب في كل وقت أيضاً فإذا لم تكن فتنة فلا قتل ولا قتال. فيكون تحقيق الإيمان هو الجهاد بالمال مع العلم أن الإيمان الكامل أي اليقين هو عدم إرادة غير الله سبحانه وتعالى لذاته وأعظم ما يراد لذاته من دون الله هو النفس وحقيقة محبتها هو علوها في الأرض وأعظم أنواع العلو هو التكاثر أي إرادة المال لذاته فيكون الجهاد بالمال هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله هذا هو حقيقة اليقين أي العلم الكامل فالجهاد بالمال هو العلم الكامل.

ترك الإنفاق في سبيل الله سبب للهلاك:-

من صور الاستدلال علي وجوب الإنفاق في سبيل الله بالمعني العام إن ترك الإنفاق في سبيل الله بالمعني العام سبب للهلاك.

قال تعالى: { وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (البقرة: 195).

كنز الذهب والفضة وعدم إنفاقهما في سبيل الله سبب للعذاب:-

من صور الاستدلال علي وجوب الإنفاق في سبيل الله الوعيد بالعذاب للذين لا ينفقون المال في سبيل الله.

قال تعالى: { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتَنُومَىٰ بَهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ } (التوبة 34 – 35).

قال الامام القرطبي: (قال علماؤنا: ظاهر الآية تعليق الوعيد علي من كنز ولا ينفق في سبيل الله، ويتعرض للواجب وغيره، غير أن صفة الكنز لا ينبغي أن تكون معتبرة؛ فإن من لم يكنز ومنع الإنفاق في سبيل الله فلا بد أن يكون كذلك) 1.

قال محمد الطاهر بن عاشور: (ومعني "ولا ينفقونها في سبيل الله" إنتفاء الإنفاق الواجب، وهو الصدقات الواجبة والنفقات الواجبة . . . والوعيد منوط بالكنز وعدم الإنفاق، فليس الكنز وحده بمتوعد عليه) 2. قال العلامة عبد الرحمن السعدي: ("والذين يكتزون الذهب والفضة" أي: يمسكونها

1 صحيح الترغيب والترهيب، المجلد الثالث، ص 327.

1 تفسير القرطبي المجلد الرابع الجزء الثامن ص 128.

2 التحرير والتنوير، الجزء العاشر ص 177.

"ولا ينفقونها في سبيل الله" أي: طرق الخير الموصلة الي الله، وهذا هو الكنز المحرم، أن يمسكها عن النفقة الواجبة)1. قال الأستاذ تقي الدين النبهاني: (إن نص الآية هو صب الوعيد علي أمرين اثنين: أحدهما كنز المال، والثاني عدم الإنفاق في سبيل الله، أي يكتزون الذهب والفضة، والذين لا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب. ومن ذلك تبين أن من لم يكنز، ولم ينفق في سبيل الله، يشمله الوعيد، ومن كنز وأنفق في سبيل الله يشمله الوعيد)2.

قال الدكتور عبد الرحمن حللي: (فمن كنز ذهباً أو فضة والحاجة قائماً، والضرورة عاكفة، فقد كنز الذهب والفضة ولم ينفقها في سبيل الله فليبشر بعذاب اليم فإنه أثر نفسه علي ربه، وقدم حاجة نفسه أو ولده الإحتمالية علي حاجة المجتمع الديني القطعية ويستفاد هذا مما في الآية التالية من قوله: فإنه يدل علي أن توجه العقاب عليهم خصوه بأنفسهم)3.

وقال كذلك: (فظاهر الآية دليل علي منع جمع المال وكنزه منعا باتا لعموم النص في اسم الموصول "والذين" وللعطف في قوله " وَلَا يَنْفِقُونَهَا " حيث اقتضي المغايرة فشمّل حكمين توعد عليها: أحدهما: كنز المال، والثاني: الإنفاق في سبيل الله. وبالتالي فإن من لم يكنز ولم ينفق في سبيل الله يشمله الوعيد، ومن كنز وانفق في سبيل الله يشمله الوعيد. وبالتالي فنص الآية منطوقاً ومفهوماً دليل علي منع كنز المال ووجوب انفاقه في سبيل الله)4.

النهي عن مشاركة الله في ملكه:-

نفي الشريك مع الله في الآيات الآتية من باب ورود النهي بصيغة الخبر، فالخبر هو نفي الشريك مع الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} (الأنعام: 162-163).

قال تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} (الإسراء: 111).
قال تعالى: {وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} (الفرقان: 2). لكن الواقع يناقض ذلك بنص القرآن الكريم في الآيات الآتية "ملك الله الكوني والشرعي" فهذا يقود إلي حمل النفي في الخبر إلي النهي. هذا وفق قاعدة ورود النهي بصيغة الخبر.

ملك الله نوعان: كوني وشرعي:-

ملك الله نوعان كوني وشرعي الفرق بينهما أن الكوني لا تحصل فيه مشاركة لله أما الشرعي هو الذي تحصل فيه مشاركة لله.

قال تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شِرْكَائِكُمْ} (الأنعام: 22).

قال تعالى: {وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} (الأنعام: 94).

قال تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ}

(الأنعام: 100).

قال تعالى: {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (190 الأعراف:).

قال تعالى: {ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ} (28 يونس:).

1 تفسير السعدي ص336.

2 النظام الاقتصادي في الإسلام ص256.

3 مفهوم الكنز في الإسلام ص64.

4 مفهوم الكنز في الإسلام ص47.

- قال تعالى: { قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ } (34 يونس:).
- قال تعالى: { قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ } (يونس: 35).
- قال تعالى: { وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ } (يونس: 66).
- قال تعالى: { فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً } (71 يونس:).
- قال تعالى: { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ } (الرعد: 33).
- قال تعالى: { وَيَقُولُ آيِنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ } (27 النحل).
- قال تعالى: { وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ } (64 القصص).
- قال تعالى: { وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ } (52 الكهف).
- قال تعالى: { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ آيِنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } (القصص: 62).
- قال تعالى: { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ آيِنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } (القصص: 74).

متى يكون الإنسان شريك لله؟

يكون الإنسان شريك لله إذا لم يسلم نفسه لله.

قال تعالى: { قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } (الأنعام: 162-163). يوجد تلازم بين أن تكون الصلاة والنسك والحياة والممات لله وبين إنتقاء الشريك له لأنهم القرينان. والقرينان متلازمان هذا يعني إذا لم تكن واحدة من هذه الأشياء الاربعة الله يكون هناك شريك لله. لكن الأصل في هذه الأشياء الأربعة هو الحياة لأن عطف الحياة علي النسك و الصلاة هو من باب عطف العام علي الخاص يفيد التعميم، أما الممات فهو الله بالإضطرار. السؤال متي تكون الحياة لله؟

تكون الحياة لله عند بيع النفس لله.

قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ } (البقرة: 207).

قال تعالى: { إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ } (التوبة: 111). حقيقة بيع النفس لله سبحانه و تعالي هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله.

قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ } (البقرة: 207).

قال تعالى: { وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ } (البقرة: 265).

القران يفسر بعضه البعض.

من جانب آخر هناك تلازم بين بيع النفس لله سبحانه و تعالي وبيع المال لله سبحانه و تعالي.

قال تعالى: { إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ } (التوبة: 111). بيع النفس لله سبحانه و تعالي وبيع المال لله سبحانه متلازمان لأن القاعدة التفسيرية تقول القرينان متلازمان عند السلامة والصحة من المعارض. من جانب آخر تسليم الوجه لله وهو تسليم الوجه لله هو انفاق المال في سبيل الله.

قال تعالى: { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 112).

قال تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: ٢٦٢).

قال تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: ٢٧٤).

أفضل ما يفسر به القران هو القران فالذي اسلم وجهه لله جزاه انتفاء التام للجوف لان الخوف نكرة في سياق النفي يفيد العموم. والذي ينفق ماله في سبيل الله جزاه الإنتفاء التام للخوف والخوف الآيتين نكرة في سياق النفي يفيد العموم أيضاً هذا يعني أن تسليم الوجه لله أي الإحسان هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله.

كل من يشرك بالله فقد جعل الله شريكاً:-

المشرك والشريك متلازمان، فكل من هو مشرك بالله فهو شريك لله وكل من هو شريك لله فهو مشرك بالله.

قال تعالى: { فَلَمَّا أَثَقَلَتْ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (الأعراف : ١٨٩-190).

الذي يدعى من دون الله هو الشريك:-

قال تعالى: { وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ } (النحل: 86).

قال تعالى: { وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ } (القصص: 64).

قال تعالى: { أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } (فاطر: 40).

دعاء العبادة والإنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله متلازمان:-

الآية الأولى: قال تعالى: { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } (السجدة: 16). دعاء الله سبحانه وتعالى والإنفاق في سبيل الله متلازمان.

الآية الثانية: قال تعالى: { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } (الأعراف: 56). انتفاء الفساد من الأرض ودعاء الله الله سبحانه وتعالى متلازمان أيضاً.

قال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ } (الأنفال: 73).

هناك تلازم بين الفتنة في الارض والفساد فلا يكون هناك فساد إلا بوجود فتنة في الدين. اول

الفساد فساد القلب عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله يقول: (وان في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب)1.

وفساد القلب يكون بالفتن.

قال تعالى: { وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ } (المائدة: 41).

عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: (تعرض الفتن علي القلوب كالحصير عودا

عودا، فأى قلب اشربها نكت فيه نكتة سودا، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير

قلبين: علي ابيض مثل الصفاء، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والأخر اسود مربادا،

1 صحيح البخاري، حديث رقم (52)/صحيح مسلم، حديث رقم (1599).

كالكوز مجخيا، لا يعرف معروف، ولا ينكر منكر، إلا ما اشرب من هواه) 1. حقيقة الفتنة هي عدم إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله سبحانه وتعالى.

فانتفاء الفساد في قوله تعالى: { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } (الأعراف: 56). يلزم إنتفاء الفتنة في الدين وهي التكاثر هذا إثبات كمال الضد وهو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله. فدعاء العبادة وإنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله متلازمان.

الآية الثالثة: قال تعالى: { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا } (الأنبياء: 90). المسارعة في الخيرات ودعاء الله سبحانه وتعالى متلازمان. السؤال هو ما هي المسارعة في الخيرات؟

فعل الخيرات هو الإنفاق في سبيل الله:-

قال تعالى: { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (آل عمران: 104). قال تعالى: { يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ } (آل عمران: 114). الدعوة الي الخير أو المسارعة في الخيرات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متلازمان كما في الآيات السابقة أي إذا وجد فعل الخير وجد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإذا غاب فعل الخير غاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. من جانب آخر هناك تلازم بين الفحشاء والأمر بالمنكر

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (النحل: 90).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } (النور: 21).

قال تعالى: { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ } (العنكبوت: 45). فإذا وجدت الفحشاء وجد الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وإذا غابت الفحشاء غاب الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف أي إذا وجد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا يعني إنتفاء الفحشاء وهي نقيض فعل الخيرات مع العلم أن الفحشاء عدم إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله فيكون فعل الخير هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله.

قال تعالى: { لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (التوبة: 88). الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم ووفق قاعدة الاحكام المستقلة والاحكام التابعة الجهاد بالمال حكمه مستقل وجهاد النفس تابع هذا يعني أن أصل الجهاد هو الجهاد بالمال وجزاء الجهاد بأنواعه مختلفة هو الخيرات مع العلم القاعدة تقول الجزاء من جنس العمل هذا يعني أن حقيقة فعل الخيرات هو الجهاد بالمال أي إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله.

قال تعالى: { ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ } (الحج: 77). عبادة الله وفعل الخيرات متلازمان.

الفصل الثالث
جِهَادُ الْمُنَافِقِينَ
أَيُّ التَّبَرُّؤِ مِنْهُمْ وَمَعَادَتِهِمْ
(الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ)

في هذا الفصل سيكون الحديث عن جهاد المنافقين وهو الولاء والبراء. المؤمنون يجاهدوا المنافقين لأن المنافقون تركوا الجهاد الواجب وهو جهاد النفس أي عدم تحقيق للتوحيد، وترك الجهاد الواجب سقوط في الفتنة وغاية الجهاد "أن لا تكون فتنة". من جانب آخر الجهاد الواجب والهجرة متلازمان والأصل فيهما هو الهجرة أي من لم يهاجر لن يجاهد لذلك يكون الحديث عنها أولاً.

الأمر بجهاد المنافقين:-

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } (التوبة:73).
قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } (التحریم:9). في هذه الآيات الأمر بجهاد المنافقين، أما عطف المنافقين علي الكفار وهو من باب عطف الخاص علي العام يفيد الاهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام أي يفيد الاهتمام بالمنافقين. الدليل علي إن النفاق نوع من أنواع الكفر إذا كان أصغر أو أكبر قوله تعالى: { فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا * وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } (النساء:88-89).

وقوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا } (الحشر: 11). هذا يعني أن الأصل في جهاد الكفار هو جهاد المنافقين.

سبب جهاد المنافقين هو تركهم الجهاد الواجب "جهاد النفس" أي سقطوا في الفتنة، وهذا أصل

النفاق وحقيقته:-

أصل النفاق وحقيقته هو ترك الجهاد الواجب في سبيل الله وهو جهاد النفس أي السقوط في الفتنة. قال تعالى: { لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } (التوبة: 44-45).

قال تعالى: { وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْفَاعِلِينَ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * لَكِنَّ الرِّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (التوبة: 86-88).

قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (الحجرات: 15).

قال تعالى: { فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } (التوبة: 81).

قال تعالى: { إِنَّكُمْ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُودِ أَوْلَٰ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ } (التوبة: 83).
قال تعالى: { إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (التوبة: 93)

وترك الجهاد الواجب المتعين سقوط في الفتنة. قال تعالى: { وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا } (التوبة:49). مع العلم غاية الجهاد هي "أن لا تكون فتنة".

الهجرة و الجهاد الواجب متلازمان:-

الهجرة والجهاد متلازمان مترابطان لا ينفكان إذا وجدت الهجرة وجد الجهاد الصحيح و إذا وجد الجهاد الصحيح وجدت الهجرة، لأنهما قرينان والقرينان متلازمان عند السلامة من المعارض. قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ } (البقرة:218).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } (الأنفال:72).

قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ } (الأنفال: 75).

قال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (التوبة: 20).

عن جنادة بن أبي أمية: ان رجالا من أصحاب رسول الله ﷺ قال بعضهم لبعض: ان الهجرة قد انقطعت، فاختلفوا في ذلك، قال: فانطلقت إلي رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله ان أناسا يقولون: ان الهجرة قد انقطعت. فقال رسول الله ﷺ: (ان الهجرة لا تنقطع ما دام الجهاد)1.

الجهاد والهجرة متلازمان.

المنافقون لم يهاجروا إلى الله ورسوله:-

قال تعالى: { فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا * وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } (النساء:88-89).

وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا } (الأنفال:72).

السبب في ترك المنافقون الجهاد الواجب هو عدم هجرتهم إلى الله ورسوله:-

في كل الآيات التي قرن فيها بين الهجرة والجهاد قدمت الهجرة علي الجهاد لأن الهجرة هي الأصل والسبب في وجود الجهاد فإذا تركت الهجرة يغيب الجهاد.

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ } (البقرة:218).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } (الأنفال:72).

قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ } (الأنفال: 75).

قال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (التوبة: 20)..

قال الإمام ابن القيم: (لا يتم الجهاد إلا بالهجرة، ولا هجرة ولا جهاد إلا بالإيمان، والراجون رحمة الله هم الذين قاموا بهذه الثلاثة. قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" البقرة:218".)2.

الهجرة في اللغة:-

الهجرة في اللغة : الترك. (هجر: الهاء والجيم والراء أصلان، يدل أحدهما علي قطيعة وقطع، والآخر علي شد الشيء وربطه. فالأول الهجر: ضد الوصل، وكذلك الهجران، وهاجر القوم من دار إلي دار تركوا الأولى للثانية)3.

1 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (1991).

2 زاد المعاد الجزء الثالث، ص 10.

3 معجم مقاييس اللغة، المجلد الثاني ص60.

الهجرة في الاستعمال الشرعي:-

الهجرة في الاصطلاح الشرعي لها معنيان عام وخاص. المعني العام هو هجر السيئات أي هجر ما نهى الله عنه والمعني الخاص هو الإنتقال من دار الكفر إلي دار الإسلام ومن دار البدعة إلي دار السنة.

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) 1. عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: (المومن من أمنه الناس والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر السوء) 2. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إذ الهجرة هي هجر علي السيئات، وهجرة السيئات هجرة ما نهى الله عنه) 3.

قال الإمام بن حجر العسقلاني: (الهجرة: الترك، وفي الشرع: ترك ما نهى الله عنه) 4. قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن أية سورة البقرة: (و"الهجرة" في اللغة الترك؛ ومنه "هجرت فلانا" إذا لم تكلمه؛ وفي الشرع لها معنيان: عام، وخاص؛ فأما العام فهو هجر ما حرم الله عز وجل، كما قال النبي p: "المهاجر من هجر ما نهى الله عنه"؛ وأما الخاص فهو أن يهجر الإنسان بلده ووطنه لله ورسوله، بان يكون هذا البلد بلد كفر لا يقيم فيه الإنسان دينه، فيهاجر من اجل إقامة دين الله، وحماية نفسه، كما جاء في الحديث الصحيح: "من كان هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلي ما هاجر إليه" والمراد بالهجرة في الآية المعنيين: العام والخاص) 5. فللهجرة معنيان الأول هجر السيئات أي هجر سنن الجاهلية وهي أهواء النفس وهذا المعني للهجرة واجب متعين علي كل مسلم مكلف وهي حقيقة الحنيفية السمحة. والمعني الثاني للهجرة هو الإنتقال من دار الكفر إلي دار الإسلام ومن دار البدعة إلي دار السنة.

أصل الهجرة بالمعنى العام هي ترك التفاضل والاستعلاء بقيم العنصرية:-

لقد بينا إن أصل النفاق وحقيقته هو ترك الجهاد الواجب أي السقوط في الفتنة، ولكن من جانب آخر بينا أن الهجرة و الجهاد متلازمان إذا وجدت الهجرة وجد الجهاد وإذا وجد الجهاد دليل علي وجود الهجرة لأنهم القرينان، والقرينان متلازمان. السؤال ماهي الهجرة أو ما هو تعريف الهجرة؟ قال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ } (الأنفال:73). "أن لا تكون فتنة في الأرض" هو غاية الجهاد، والوسيلة لتحقيق هذه الغاية من خلال الآية السابقة هي أن يكون "الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ " وإذا لم نفعل ذلك تكن فتنة وفساد كبير. ولا يكون المومنون بعضهم اوليا بعض حتي تحصل الهجرة الي الله لأن حقيقة الايمان هي الهجرة إلي الله الدليل.

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } (الأنفال:72). وقال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ } (الأنفال: 75).

1 صحيح البخاري حديث رقم (10)/ صحيح سنن أبي داود حديث رقم (2481).

2 مستدرک الحاكم، كتاب الإيمان حديث رقم (25).

3 مجموع الفتاوى، المجلد الخامس عشر ص 287.

4 فتح الباري، المجلد الأول ص24.

5 تفسير ابن عثيمين، المجلد الثاني، ص 43.

وقال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرًا دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (التوبة: 20).

في الآيات السابقة عطفت الهجرة والجهاد علي الإيمان وهو من باب عطف الخاص علي العام يفيد الاهتمام بالخاص لميزة فيه لا توجد في بقية أفراد العام، فحقيقة الإيمان هي الهجرة والجهاد ولكن تقديم الهجرة دليل علي أنها هي الأصل أي أصل الإيمان. فلا تنتفي الفتنة من الأرض إلا عندما يكون المومنون بعضهم أولياء بعض ولا يكون المومنون بعضهم أولياء بعض حتي يهاجروا. فهذا يعني أنه لا تتحقق غايات الجهاد إلا بالهجرة الي الله سبحانه وتعالى ويلزم من ذلك الجهاد. السؤال مرة ثانية ماهي الهجرة أو ما هو تعريف الهجرة؟ الهجرة هي ترك والنهي عن سيادة قيم العنصرية أي النهي عن التفاضل والتمايز والتعالي بالقبائل والشعوب والألسن والألوان

الدليل علي ذلك هناك مقدمات أولي منهم هي أن الصفة المميزة لمولاة المؤمنين بعضهم لبعض أي الصفة المميزة للذين هاجروا الي الله هي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } (التوبة: 71). لقد ذكر في الآية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله ولكن الأصل هو الامر

بالمعروف والنهي عن المنكر والسبب هو التقديم. وفي المقابل الشيء المميز للمنافقين هو الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف. قال تعالى: { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ } (التوبة: 67). المقدمة الثانية هير أن المعروف هو الشيء المجمع علي الامر به، والمنكر هو الشيء المجمع علي النهي عنه، وكل شيء مجمع عليه يعتبر معيار وميزان أي قيمة. المقدمة الثالثة هي أن أعظم أنواع المنكر وأكبرها هو البغي والدليل علي ذلك هو عطف البغي علي المنكر في قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ } (النحل: 90). هذا النوع العطف هو من باب عطف الخاص علي

العام يفيد الاهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام، وأن أعظم أنواع المعروف وأكبرها هو الإصلاح بين الناس الدليل علي ذلك عطف الإصلاح بين الناس علي المعروف في قوله تعالى: { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصِدْقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ } (النساء: 114). هذا النوع العطف هو من باب عطف الخاص علي العام يفيد الاهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام. فالبغي والإصلاح بين الناس نقيضان. فتكون الصفة المميزة للذين هاجروا الي الله ورسوله هي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وحقيقة ذلك هو الأمر بالإصلاح بين الناس والنهي عن البغي¹.

المقدمة الرابعة هي أن الإصلاح والتقوي متلازمان لأنهم قرينان. قال تعالى: { فَمَنْ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الأعراف: 35).

قال تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ } (الأفال: 1). ولكن تقديم التقوي لها ميزة أنها هي الأصل فاذا وجدت التقوي وجد الإصلاح وإذا وجد الإصلاح دليل علي وجود التقوي.

1 الدليل الآخر علي أن البغي والإصلاح بين الناس نقيضان هو أن البغي سبب للتفرق والاختلاف. قال تعالى: { وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } (البقرة: 213). قال تعالى: { وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } (العمران: 19). قال تعالى: { وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } (الشوري: 14). قال تعالى: { فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } (الجاتية: 17).

فيكون البغي والتقوي نقيضان، النتيجة لهذه المقدمات هي إذا كانت التقوي هي عدم التفاضل والتعالي بالشعب والقبيلة واللون واللسان قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } (الحجرات: 13). قال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ } (الروم: 22). فإن البغي كقيمة ومعيار هو التفاضل والتعالي بالقبائل والشعوب والألسن والألوان أي سيادة القيم العنصرية أي التفاضل والتمييز بالقبائل والشعوب والألسن والألوان. فتكون الصفة المميزة للذين هاجروا الي الله ورسوله أي الصفة المميزة للهجرة إلي الله ورسوله هي الأمر بالتقوي أي النهي عن التفاضل والتعالي والتمايز بالشعب والقبيلة واللون واللسان. فتكون الهجرة هي النهي عن سيادة القيم العنصرية أي النهي عن التفاضل والتمييز والتعالي بالقبائل والشعوب والألسن والألوان. فالذي يمنع من الجهاد في سبيل الله هو عدم الهجرة، أي عدم ترك التفاضل والتمايز والتعالي بقيم العنصرية وهي القبائل والشعوب والألسن والألوان.

هنا إستدلال آخر لهذه الفكرة وهي أن المومنين المتقين هم نقيض المنافقين الفجار. قال تعالى: { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } (ص: 28).

قال تعالى: { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ } (الإنفطار: 13 - 14). قال تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } (الشمس: 7-8). المومنين المتقين هم نقيض المنافقين الفجار لأن الناس رجلان لا ثالث لهم إما مومن تقي وإما منافق فاجر. عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة فقال: (يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاضمها بأبائها، فالناس رجلان: بر تقي كريم علي الله، فاجر شقي هين علي الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب)1. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء؛ مومن تقي، فاجر شقي؛ أنتم بنو آدم وآدم، من تراب؛ ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم)2. في هذا الحديث وقفة هي أن عبية مضاف والجاهلية مضاف اليه. والمفرد المضاف يفيد العموم فكل سنن الجاهلية وتكبرها يرجع إلي عبية الجاهلية وحقيقة هذه العبية هي الفخر بالآباء أي التفاخر بالأقوام أي التفاضل والتعالي بالقبائل والشعوب والألسن والألوان أي سيادة القيم العنصرية.

السؤ والإصلاح:-

ما هي الهجرة؟ الهجرة هي هجر السؤ. عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)3. عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: (المومن من آمنه الناس والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر السوء)4.

1 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (3270).

2 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (5116).

3 صحيح البخاري حديث رقم (10)/ صحيح سنن أبي داود حديث رقم (2481).

4 مستدرک الحاكم، كتاب الإيمان حديث رقم (25).

السؤ هو سنة الشيطان قال تعالى: { كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (البقرة: 168 – 169). وحقبة ذلك السؤ هو إستعلائه العنصري علي آدم عليه السلام، لأن هذه هي أساس طرده من الجنة. السؤ والاصلاح نقيضان:

وقال تعالى: { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (الأنعام: 54). قال تعالى: { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } (النحل: 119).

فالسؤ هو سنة الشيطان وهو التفاضل بالعنصر أي قيم العنصرية هذا يعني أن الإصلاح هو ترك والنهي عن قيم العنصرية والأمر بقيم الاتفاق والإجتماع أي الأمر بالتقوي. مع العلم أن ترك الإصلاح اعظم صفات المنافقين.

قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } (البقرة: 8-9). إلي قوله تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ } (البقرة: 11-12).

قال تعالى: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ } (النساء: 145-146). قال تعالى: { كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } إلي قوله تعالى: { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (آل عمران: 89).

حكم الهجرة بالمعنى العام:-

الهجرة بالمعنى العام أي هجر السيئات والمحرمات أي ترك ما نهى الله عنه واجبة علي كل مسلم مكلف.

قال الإمام ابن القيم: (كما أن الإيمان فرض علي كل احد، ففرض عليه هجرتان في كل وقت: هجرة إلي الله عز وجل بالتوحيد، والإخلاص، والإنابة، والتوكل، والخوف، والرجاء، والمحبة، والتوبة، وهجرة إلي رسوله بالمتابعة، والانقياد لأمره، والتصديق بخبره)1.

وقال أيضاً: (ولله علي كل قلب هجرتان. وهما فرض لازم له علي الأنفاس: هجرة إلي الله سبحانه: بالتوحيد والإخلاص، والإنابة والحب، والخوف والرجاء والعبودية. وهجرة إلي رسوله: بالتحكيم له والتسليم والتفويض، والإنقياد لحكمه)2.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه" متفق عليه. وزاد الترمذي والنسائي: "والمؤمن من أمنه الناس علي دمائهم وأموالهم"، وزاد البيهقي: "والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله". وفسر p الهجرة التي هي فرض عين علي كل مسلم بأنها هجرة الذنوب والمعاصي. وهذا الفرض لا يسقط عن كل مكلف في كل حال من الأحوال؛ فإن الله حرم

1 زاد المعاد في هدي خير العباد، الجزء الثالث، ص 10.
2 مدارج السالكين، المجلد الثاني ص 167.

علي عباده إنتهاك المحرمات، والإقدام علي المعاصي. والهجرة الخاصة التي هي الإنتقال من بلد الكفر أو البدع إلي بلد الإسلام والسنة، جزء من هذه الهجرة، ليست واجبة علي أحد، وإنما بوجود أسبابها المعروفة)1.

المنافقون والعنصرية النسبية:-

الإستعلاء العنصري أو العنصرية في المجتمع البشري نوعان عنصرية مطلقة وهي عنصرية اليهود لانهم قالوا نحن ابناء الله وأحبّأوه.

قال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ } (المائدة: 18).

قال تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (الجمعة: 6-8).

قال الأستاذ محمود محمد طه: (ما عرف التاريخ عنصرية كعنصرية اليهود في تماسكها، وإستعصائها علي التطور، وإكتفائها بنفسها، ولعل أهم أسباب صلابة هذه العنصرية قيامها علي عوامل دينية)2.

وقال أيضاً: (وفي الحق أن الناس ما عرفوا عنصرية كعنصرية اليهود في شدة تماسكها، وفي تعصبها، ويرجع السبب في ذلك إلي عدة عوامل أهمها الدين)3. أما العنصرية النسبية هي عنصرية المنافقين فهم عنصريون لأنهم يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

قال تعالى: { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ } (التوبة: 67). والمنكر كل شئ مجمع علي النهي عنه وفي المقابل المعروف هو كل شئ مجمع علي الأمر به. وكل شئ مجمع عليه يعتبر معيار وميزان أي قيمة، أصل المنكر وأعظمه هو البغي والدليل علي ذلك قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ } (النحل: 90). عطف البغي علي المنكر هو من باب عطف الخاص علي العام وهذا النوع من العطف يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام هذا يعني أن البغي هو قيم ومعايير وموازن. في مقابل البغي الإصلاح بين الناس قال تعالى: { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ } (النساء: 114). عطف الإصلاح بين الناس علي المعروف من باب عطف الخاص علي العام ، وهذا النوع من العطف يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام هذا يعني أن الإصلاح بين الناس هو أصل المعروف وأعظمه فالإصلاح بين الناس والبغي نقيضان. ولكن الإصلاح والتقوي متلازمان لأنهم قرينان. قال تعالى: { فَمَنْ آتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الأعراف: 35).

قال تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ } (الأنفال: 1). ولكن تقديم التقوي لها ميزة أنها هي الأصل فاذا وجدت التقوي وجد الإصلاح وإذا وجد الإصلاح دليل علي وجود التقوي.

فيكون البغي والتقوي نقيضان، فإذا كانت التقوي هي عدم التفاضل والتعالي بالشعب والقبيلة واللون واللسان قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ

1 بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار ص 14.

2 مشكلة الشرق الأوسط ص 79.

3 مشكلة الشرق الأوسط ص 101.

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ { (الحجرات: 13). قال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ { (الروم: 22). فإن البغي كقيمة ومعيار هو التفاضل والتعالي بالقبائل
والشعوب والألسن والألوان.

الجهاد نوعان: جهاد النفس والجهاد بالنفس:-

الجهاد نوعان جهاد النفس والجهاد بالنفس.

جهاد النفس هو الوسيلة لدخول الجنة.

قال تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ } (آل
عمران: ١٤٢).

قال تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ
وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَابِئْسَ لِلتَّوْبَةِ (التوبة: ١٦).

قال تعالى: { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ
رَحِيمٌ } (النحل: 110).

قال تعالى: { وَلَتَبْلُؤُنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ } (محمد: 31).

قال تعالى: { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ
إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
النَّاسِ } (الحج: 78).

حدثنا احمد بن محمد: اخبرنا عبدالله بن المبارك: اخبرنا حيوة بن شريح، قال: اخبرني ابو هاني
الخولاني، أن عمرو بن مالك الجنبى أخبره، أنه سمع فضالة بن عبيد يحدث عن رسول الله ﷺ، أنه
قال: (المجاهد من جاهد نفسه) 1. (وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله، وأفضل المهاجرين من
جاهد لنفسه وهواه في ذات الله) 2. (وأفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله عز وجل) 3.
أما الدليل علي جهاد الكفار:

قال تعالى: { فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } (الفرقان: 52).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } (التوبة: 73).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } (التحریم: 9).

جهاد النفس اي الجهاد العام فرض عين لانه تحقيق للتوحيد:-

جهاد النفس " الجهاد بالمعني العام " أي جنس الجهاد هو واجب متعين علي كل مسلم مكلف بحسب
قدرته واستطاعته لأنه الوسيلة الأساسية والوحيدة لتحقيق التوحيد بل ما فرض الجهاد إلا من أجل
تحقيق التوحيد لأن التوحيد أعظم فروض الأعيان الادلة علي وجوبه قوله تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ
تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ } (آل عمران: ١٤٢). في الآية
السابقة الجهاد سبب لدخول الجنة هذا يعني أنه واجب علي كل مسلم، لان الجنة لا يدخلها مشرك.
قال تعالى: { إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ } (المائدة: ٧٢). فالجهاد الذي هو سبب في
دخول الجنة هو جهاد تحقيق التوحيد أي جهاد النفس وأن هذا النوع من الجهاد واجب علي كل
مسلم.

1 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (1621).

2 السلسلة الصحيحة حديث رقم (1491).

3 السلسلة الصحيحة حديث رقم (1496).

قال تعالى: { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ } (الحج:78). الأمر في الآية السابقة للوجوب غير مقيد بزمان ولا مكان ولا حال.

من الأدلة علي وجوب جهاد النفس علي كل مسلم قوله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (الحجرات:15). إنما للحصر وضمير المنفصل يفيد الحصر والتوكيد أيضاً، فالآية حصرت الإيمان والصدق في ثلاثة أشياء الشيء الأول: هو الإيمان بالله ورسوله مع عدم الريب 1 ، والشيء الثاني: هو الجهاد بالمال، والشيء الثالث: هو الجهاد بالنفس.

الإيمان التام أي اليقين يشمل كل الطاعات أي كل أنواع العمل الصالح وذلك وفق قاعدة جنس العمل. ولكن في الآية سورة الحجرات. قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (الحجرات:15). عطف الجهاد بالمال و بالنفس علي الإيمان التام "اليقين" وهو من باب عطف الخاص علي العام وهذا النوع من العطف يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام. ولكن تحقيق الإيمان أي الوصول لمرحلة اليقين واجب متعين علي كل مسلم مكلف لأنه أعظم فروض الأعيان وواجب في كل مكان و في كل زمان. ولكن الجهاد بالنفس ليست واجب علي كل مسلم وليست واجب في كل وقت أيضاً وليس واجب في كل حال لأنه جهاد غير مستقل. فيكون تحقيق الإيمان واليقين هو الجهاد بالمال أي جهاد النفس. من الأدلة علي وجوب جهاد النفس علي كل مسلم قوله تعالى: { وَبِاللَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (المنافقون: 8). الحكم إذا علق بوصف يدور مع ذلك الوصف قوة وضعفاً وزيادة ونقصان ووجوداً وعدمياً. الوصف هنا الإيمان فالعزة تدور مع وجود الإيمان قوة وضعفاً وزيادة و نقصان ووجوداً وعدمياً. وفي حديث العينة المشهور سبب تسلط الذل علي المسلمين هو ترك الجهاد. عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله p يقول: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلب الله عليكم ذلاً لا ينزعه، حتي ترجعوا إلي دينكم)2.

فسبب تسلط الذل علي المسلمين هو ترك الجهاد ولا ينزع هذا الذل عن المسلمين حتى يرجعوا إلي دينهم. ودفع الذل عن المسلمون أي تحقيق العزة لهم واجب بقدر المستطاع وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب هذا يعني الرجوع إلي الدين أي تحقيق الإيمان وهو الجهاد للنفس واجب متعين علي كل مسلم. قد يقول قائل إذا كان سبب تسلط الذل علي المسلمين هو ترك الجهاد فأين التبايع بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، والرضا بالزرع؟ الإجابة عطف الجهاد علي التبايع بالعينة واتباع اذناب البقر والرضا بالزرع من باب عطف العام علي الخاص يفيد التعميم وأهمية العام لأن الجهاد بالمعني العام أساس كل الطاعات. سبب عزة المسلمين ورفع الذلة عنهم هو الايمان والرجوع الي الدين وسبب تسلط الذل علي المسلمون هو ترك الجهاد هذا يعني أن جوهر الايمان والدين هو الجهاد بالأخص جهاد النفس لأنه تحقيق للايمان والدين والتوحيد فهو مستقل وواجب في كل زمان ومكان وحال.

1 هناك تلازم بين عدم الايمان والريب لأنهم قرينان والقرينان متلازمان.
قال تعالى: { إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } (التوبة:45).
والايمان بالآخرة والشك ضدان.
قال تعالى: { وَوَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا قَرِيْبًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَوْمَئِذٍ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ } (سبا:20-21). بل أن اليقين هو الإيمان كله (واليقين الإيمان كله)1.
2 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3462).

فبقدر القيام بالجهاد المستقل يكون الرجوع إلى الدين وبقدر ترك الجهاد المستقل يكون البعد عن الدين.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في وجوب الجهاد بمعناه العام.
قال الإمام ابن حجر العسقلاني: (والتحقيق إن جنس جهاد الكفار متعين على كل مسلم إما بيده أو بلسانه وإما بقلبه)1.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد ثبت عن النبي ﷺ انه قال: "المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله" فيؤمر بجهادها كما يؤمر بجهاد من يأمر بمعاصي ويدعو إليها، وهو إلى جهاد نفسه أحوج، فان هذا فرض عين عليه وذلك فرض كفاية، والصبر في هذا من أفضل الأعمال، فان هذا الجهاد حقيقة ذلك الجهاد، فمن صبر عليه صبر على ذلك الجهاد كما قال: "المهاجر من هجر السيئات")2.
وقال كذلك: (وأيضاً الجهاد جنس تحته أنواع متعددة، ولا بد ان يجب على المؤمن نوع من أنواعه)3.

قال الإمام ابن القيم: (فرض عليه جهاد نفسه في ذات الله وجهاد الشيطان، فهذا كله فرض عين لا ينوب فيه احد عن احد)4.

وقال كذلك: (إن جهاد الهوى إن لم يكن أعظم من جهاد الكفار فليس دونه، قال رجل للحسن البصري رحمه الله تعالى: يا أبا سعيد، أي الجهاد أفضل؟ قال: جهادك هوأك. وسمعت شيخنا يقول: جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين، فانه لا يقدر علي جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً حتى يخرج إليهم)5.

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي في حديثه عن أصول أهل السنة: (ويرون الجهاد في سبيل الله ماضياً مع البر والفاجر، وانه ذروة سنام الإسلام: جهاد العلم والحجة، وجهاد السلاح، وانه فرض على كل مسلم أن يدافع عن الدين بكل ممكن ومستطاع)6.

وقال الدكتور محمد عمارة: (لذلك كان الجهاد بهذا المعنى الشامل فرض عين على كل مسلم ومسلمة أن يبذل جهده في أداء الأمانة التي حملها كانسان لعمران هذه الأرض أما الجهاد الذي هو فرض كفاية هو القتال)7.

حقيقة جهاد النفس أي الجهاد الواجب المتعين هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله:-

الجهاد الواجب المتعين علي كل مسلم أي جهاد تحقيق الإيمان هو الجهاد بالمال أي إنفاق المال المراد لذاته سبيل الله. أي إنفاق الفضل في سبيل الله.

الدليل الأول علي أن الجهاد الواجب هو الجهاد بالمال أي إنفاق المال المراد لذاته سبيل الله: قوله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (الحجرات:15). إنما للحصر وضمير المنفصل يفيد الحصر والتوكيد أيضاً فالآية حصرت الإيمان والصدق في ثلاثة أشياء الشيء الأول: هو الإيمان بالله ورسوله مع عدم الريب والشيء الثاني: هو الجهاد بالمال والشيء الثالث: هو الجهاد بالنفس.

1 فتح الباري في شرح صحيح البخاري الجزء 6 ص48.

2 مجموع الفتاوى المجلد العاشر ص635.

3 الإيمان ص 15.

4 كتاب زاد المعاد الجزء 3 ص11.

5 روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص 404.

6 كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد ص 9.

7 كتاب الإسلام في مواجهة التحديات ص 240.

وهناك تلازم بين عدم الايمان والريب.

الإيمان التام هو اليقين يشمل كل الطاعات أي كل أنواع العمل الصالح وذلك وفق قاعدة جنس العمل. ولكن في الآية سورة الحُجرات. قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (الحجرات: 15). عطف الجهاد بالمال والجهاد بالنفس علي الإيمان التام "اليقين" وهو من باب عطف الخاص علي العام وهذا النوع من العطف يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام. ولكن تحقيق الإيمان أي الوصول لمرحلة اليقين واجب متعين علي كل مسلم مكلف لأنه أعظم فروض الأعيان وواجب في كل مكان و في كل زمان ولكن الجهاد بالنفس ليست واجب علي كل مسلم وليست واجب في كل وقت أيضاً وليس واجب في كل حال لأنه جهاد غير مستقل. فيكون تحقيق الإيمان واليقين هو الجهاد بالمال أي إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله.

الدليل الثاني علي أن الجهاد الواجب هو الجهاد بالمال أي إنفاق المال المراد لذاته سبيل الله، قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ دَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (الصف: 9-10). كل وسيلة للنجاة من عذاب الله واجب الأخذ بها والوسيلة في هذه الآية هي التجارة وحقبة هذه التجارة هي الإيمان بالله ورسوله والجهاد بالمال و بالنفس، وكل هذه الأشياء وسائل للنجاة من عذاب الله. ولكن الإيمان بالله ورسوله يشمل كل الأعمال الصالحة وفق قاعدة جنس العمل، فعطف الجهاد بالمال والنفس علي الإيمان بالله ورسوله من باب عطف الخاص علي العام، وهذا النوع من العطف يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام أي أهمية الجهاد وأنه هو حقيقة التجارة التي تنجي من العذاب الاليم. ولكن الحرص علي وسائل النجاة من عذاب الله واجب علي كل مسلم مكلف الأخذ به وواجب الأخذ به في كل وقت وفي كل حال، ولكن الجهاد بالنفس أي القتال ليست واجب علي كل مسلم وليست واجب في كل وقت أيضاً لأنه ليست جهاد مستقل فإذا لم تكن فتنة فلا قتل ولا قتال. فيكون الوسيلة الأساسية للنجاة من العذاب هو الجهاد بالمال أي إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله هذا هو حقيقة الإيمان.

وفي أية أخرى أن الذين يرجون التجارة التي لا تبور هم الذين يقيمون الصلاة وينفقون في السر والعلن. قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ } (فاطر: 29). فيكون الجهاد المقصود هو الانفاق في السر والعلن أي الجهاد بالمال أي إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله.

جهاد النفس و الجهاد بالنفس هما الجهاد بالمال و جهاد الكفار:-

ينقسم الجهاد إلي نوعين جهاد عام و جهاد خاص أو إلي جهاد النفس و جهاد الكفار أو إلي جهاد بالمال و جهاد بالنفس.

قال تعالى: { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى } (النساء: 95).

قال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (التوبة: 20).

قال تعالى: { أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (التوبة: 41).

قال تعالى: { لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْفِقِينَ } (التوبة:44).

قال تعالى: { وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (81 التوبة).
قال تعالى: { لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (التوبة:88).

قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (الحجرات:15).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (الصف: 9-10).
عن أبي سعيد، عن النبي، أنه سئل: أي المؤمنين أكمل إيماناً؟ قال: (رجل يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، ورجل يعبد الله في شعب من الشعاب، قد كفي الناس شره) 1. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا شاب من الثنية فلما رايناه (وفي رواية: رميناه) بإبصارنا، قلنا: لوان هذا الشاب جعل شبابه ونشاطه وقوته في سبيل الله! فسمع رسول الله ﷺ مقالتنا فقال: (وما سبيل الله إلا من قتل؟! من سعى على والديه، ففي سبيل الله، ومن سعى على عياله، ففي سبيل الله، ومن سعى على نفسه ليعفها، ففي سبيل الله، ومن سعى على التكاثر، ففي سبيل الشيطان. وفي رواية: الطاغوت) 2.

جهاد الكفار نوعان: الأصل فيهما جهاد المنافقين:-

جهاد الكفار نوعان: جهاد المنافقين وجهاد غير المنافقين من الكفار ولكن الأصل في جهاد الكفار هو جهاد المنافقين لأن في الآيات التي تأمر بجهاد الكفار والمنافقين:
في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } (التوبة:73).
وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } (التحریم:9). عطف المنافقين على الكفار وهو من باب عطف الخاص على العام يفيد الاهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام أي يفيد الاهتمام بالمنافقين.

جهاد المنافقين هو الولاء والبراء "الضبط الإجتماعي في الإسلام" 3:-

تحدثنا عن الجهاد وهو نوعان الأول منهما هو جهاد النفس أي الجهاد بالمال وهو انفاق المال المراد لذاته في سبيل الله والغاية من ذلك هو تحقيق الانسان التوحيد، والنوع الثاني من أنواع الجهاد هو الجهاد بالنفس أي جهاد الكفار وهو نوعان أيضاً جهاد الكفار وجهاد المنافقين. وحقيقة جهاد المنافقين هو الولاء والبراء فالعداوة لله اي عدم الإيمان بالله وحده سبب للبراءة والعداوة، والإيمان بالله وحده سبب للمحبة والمولاة.

1 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم(2485).

2 السلسلة الصحيحة حديث رقم(3248).

3 الولاء والبراء أي جهاد المنافقين يتطابق الي حد كبير مع ما يسمي في العلوم الاجتماعية المعاصرة بالإلزام الاجتماعي أو الضبط الاجتماعي. والفكرة الجامعة بينهما هي ما يقوم به المجتمع من إخضاع وإلزام لبعض أفراد المجتمع المنحرفين عن الالتزام بالقيم السائدة في المجتمع لصالح الخوض لتلك القيم والالتزام بها بشرط أن تكون هذه القيم مطلقة لأن القيم النسبية لا ينبغي أن يلزم بها الغير، والغاية من هذا المبدأ أي من الضبط الاجتماعي هو المحافظة على إستقرار وتوازن المجتمع.

قال تعالى: { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَاهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ } (التوبة: 114) 1.

قال تعالى: { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ } (المتحنة: 4). النقص في الإيمان بالله وحده أي عداوة الله سبب للبراءة. فما هو حقيقة الإيمان؟ هو الهجرة والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس.

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } (الأنفال: 72).

قال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (التوبة: 20).

هناك تلازم بين الهجرة والجهاد إذا وجدت الهجرة وجد الجهاد وإذا وجدت الهجرة لأن القرينان متلازمان. من جانب آخر عطف الهجرة والجهاد علي الإيمان من باب عطف الخاص علي العام وهذا النوع من العطف يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام. فحقيقة الإيمان هو الهجرة والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس. مع العلم أن عدم الهجرة هو الذي يمنع الجهاد في سبيل الله لأنهم متلازمان. فحقيقة جهاد المنافقين هو عدم مولاتهم حتي يهاجروا أي حتي يجاهدوا في سبيل الله.

قال تعالى: { فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَركَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا * وَذُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } (النساء: 88-89).

وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا } (الأنفال: 72-74).

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره لآية سورة النساء: (المراد بالمنافقين المذكورين في هذه الآيات: المنافقون المظهرون إسلامهم، ولم يهاجروا مع كفرهم، وكان قد وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم فيهم إشتباه، فبعضهم تخرج عن قتالهم، وقطع مولاتهم بسبب ما أظهره من الإيمان، وبعضهم علم أحوالهم بقرائن أفعالهم، فحكم بكفرهم، فأخبرهم الله تعالى أنه لا ينبغي لكم أن تشبهوا فيهم ولا تشكوا، بل أمرهم واضح غير مشكل، إنهم منافقون قد تكرر كفرهم، وودوا مع ذلك كفرهم، وأن تكونوا مثلهم. فإذا تحققت ذلك منهم "فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ" وهذا يستلزم عدم محبتهم، لأن الولاية فرع المحبة. ويستلزم بغضهم وعدواتهم، لأن النهي عن الشيء أمر بضده، وهذا الأمر موقت بهجرتهم) 2.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (قال الله تعالى محذراً عنهم وعن مولاتهم "فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ" وقوله "فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ" أي: يوالونكم أو توالونهم، يعني: لا تتخذوا منهم أولياء، لانهم أعداء، كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي

1 أعداء الله ضد أولياء الله فمن هم أولياء؟ قال تعالى: { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } (يونس: 62 - 63). أولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون. والتقوي كقيمة يتفاضل بها المسلمون يقابلها التفاضل بالشعوب والقبائل.

2 تفسير السعدي 192.

وَعَدُوَكُمْ أَوْلِيَاءَ { (المتحنة: 1)، وكذلك لا تتخذوا منهم أولياء توالونهم أنتم لأن مولاة الكفار كفر. وقوله: "حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ" حتى هنا للغاية، يعني: استمروا في عدواتهم "حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ" 1.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره آية سورة الأنفال: (هذا عقد مولاة ومحبة، عقدها الله بين المهاجرين الذين امنوا وهاجروا في سبيل الله، وتركوا أوطانهم لله لأجل الجهاد في سبيل الله، وبين الأنصار الذين آووا رسول الله وأصحابه وأعانوهم في ديارهم وأموالهم وأنفسهم، فهولاء بعضهم أولياء بعض، لكمال إيمانهم وتماثل اتصال بعضهم ببعض. "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا" فإنهم قطعوا ولايتكم بإنفصالهم عنكم في وقت الشدة والحاجة إلي الرجال، فلما لم يهاجروا لم يكن لهم من ولاية المؤمنين شيء) 2.

مولاة المنافقين هي مودتهم:-

قال تعالى: { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ } (المجادلة: 22). قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ لِقَوْمٍ بِالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ بِالْمَوَدَّةِ } (المتحنة: 1).

من صور جهاد المنافقين أي من صور معادتهم "عدم مودتهم":-

من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم عدم طاعتهم. قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ } (الأحزاب: 1). قال تعالى: { وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ } (الأحزاب: 48). من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم عدم الإستغفار لهم وعدم الدعاء لهم. قال تعالى: { فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } (آل عمران: 159). من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم. عدم اعطاهم الأموال، قال تعالى: { وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا } (النساء: 5). وهم الذين قال الله فيهم: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ } (البقرة: 13). من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم عدم الإستعانة بهم في الجهاد. عن خبيب بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه، قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته فأتيته أنا ورجل قبل أن نسلم، فقلنا: انا نستحي أن يشهد قومنا مشهدا ولا نشهد فقال: (أسلمتما؟) فقلنا: لا، قال: (فان لا نستعين بالمشركين علي المشركين) 3. ، عن عائشة؛ أن رجلا من المشركين لحق بالنبي ليقاتل معه، فقال: (ارجع، انا لا نستعين بمشرك) 4. من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم . عدم إتخاذهم بطانة، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤَا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } (آل عمران: 118).

1 تفسير ابن عثيمين، سورة النساء، المجلد الثاني ص 56.

2 تفسير السعدي 327.

3 مستدرک الحاكم، حديث رقم (2586)، قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وخبيب بن عبد الرحمن بن الأسود بن حارثة جده صحابي معروف، وافقه الذهبي.

4 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (2732)، صحيح سنن أبي ماجه، حديث رقم (2301).

من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم. قتل من يريد يشق عصا المسلمين ويفرق جماعتهم بعد أن اجتمعت كلمتهم علي رجل واحد. عن عرفة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من أتاكم، وأمركم جميع، علي رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فأقتلوه) 1. عن زياد بن علاقة قال: سمعت عرفة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهي جميع، فأضربوه بالسيف، كأننا من كان) 2. من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم. عدم زواج المومن من المنافقة وعدم تزويج المومنة لمنافق، قال تعالى: { وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَنَّ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَا أُعْجَبَكُمْ } (البقرة:221).

من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم، اخراجهم من جزيرة العرب. عن سليمان أبي مسلم الأحول سمع سعيد بن جبير سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (يوم الخميس وما يوم الخميس. ثم بكى حتي بل دمه الحصي. قلت: يا ابن عباس ما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال: انتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ابدا. فتنازعوا. ولا ينبغي عند النبي تنازع. فقالوا: ما له؟ أهجر؟ استفهموه. فقال: ذروني، فالذي انا فيه خير مما تدعوني اليه. فأمرهم بثلاث قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب واجيزوا الوفد بنحو ما كنت اجيزهم) 3. من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم عدم الجلوس معهم والإعراض عنهم. قال تعالى: { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا } (النساء:140).

قال تعالى: { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ } (الأنعام:68).

من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم. عدم قبول شهادتهم. قال تعالى: { وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (النور:4). وهم الذين قال الله فيهم: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (التوبة:67). ضمير الفصل يفيد حصر الصفة في الموصوف أي حصر الفسق في المنافقين.

من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم . عدم تحريرهم إذا كانوا أرقاء وعبيد. قال تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ } (النساء:92). من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم. الإعراض عنهم ووعظهم، قال تعالى: { وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا } [النساء: 63].

من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم. عدم المجادلة أو الدفاع عنهم، قال تعالى: { وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا } (النساء:107). من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم. عدم الصلاة عليهم اذا مات. قال الله تعالى: { وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ } (التوبة:84).

1 صحيح مسلم، حديث رقم (1852).

2 صحيح مسلم، حديث رقم (1852).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (3168)، صحيح مسلم، حديث رقم (1637).

من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم، عدم الإقامة بين أظهرهم. عن جرير بن عبدالله، قال: بعث رسول الله سرية إلي خثعم، فأعتصم ناس منهم بالسجود، فأسرع فيهم القتل، قال: فبلغ ذلك النبي، فأمر لهم بنصف العقل، وقال: "أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين" 1. من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم . عدم تسويدهم أي تحقيرهم وذلك عن بريدة، قال: قال رسول الله: (لا تقولوا للمنافق: سيد؛ فإنه إن يك سيداً؛ فقد أسخطتم ربكم عزوجل) 2. عن بريدة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقولوا للمنافق سيدنا ، فإنه إن يكن سيدكم ، فقد أسخطتم ربكم) 3. من صور جهاد المنافقين أي من أحكام التعامل معهم . عدم مصاحبتهم وعدم الأكل معهم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي قال: (لا تصاحب إلا مومناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي) 4. النفي والإثبات من أقوى صور الحصر. إلي غير ذلك من أحكام التعامل مع المنافقين.

1 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (2645).

2 صحيح سنن أبي داود حديث رقم (4977).

3 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (7405).

4 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4832)/ صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2395).

الباب الخامس
المنهج العلمي الكلي في الإسلام

في هذا الباب سيكون الحديث عن تعريف المنهج العلمي ثم الحديث عن المنهج العلمي في الإسلام وبالأخص عند أهل السنة والجماعة ثم الحديث سنن الجاهلية وهي مكون أساسي للمنهج العلمي، ثم الحديث عن العقل العملي ومكوناته ثم الحديث عن علم الأخلاق وأركانه ثم الحديث عن عموده الفقري وهو المثل الأعلى وأنواعه و ثم الحديث عن المثل الأعلى في الإسلام وعلاقته بتوحيد العبادة ثم الحديث عن الإلزام الخلفي ومصدره في الإسلام و ثم الحديث عن ما هو الواجب الخلفي في الإسلام.

الفصل الأول

الحنيفية هي منهج العلمي الكلي في الإسلام

المنهج في اللغة:-

المنهج في اللغة الطريق الواضح البين.

قال الفيروز آبادي:(النهج: الطريق الواضح، كالمنهج والمنهاج)1.

(النهج، والمنهج، والمنهاج: الطريق الواضح. وأنهج الطريق:إستبان وصار نهجاً واضحاً)2.

("نهج" الطريق- نهجاً، ونهوجاً وضح وإستبان)3.

المنهج في الإصطلاح:-

قال تعالي: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} (المائدة: 48). المنهج هو مجموعة الأصول والقواعد التي تضبط عمل العقل وحركته أثناء سيره في البحث عن الحق والمعرفة. فالمنهج آلية لتوليد المعارف والحقائق والتشريعات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ونحن نذكر "قاعدة جامعة" في هذا الباب لسائر الأمة فنقول: لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت؟ وإلا فيبقي كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم)4.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي: (ومن معلوم أن الأصول والقواعد بمنزلة الأساس للبيان، والأصول للأشجار لا ثبات إلا بها. والأصول تبني عليها الفروع، والفروع تثبت وتتقوي بالأصول، وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوي وينمو نمأ مطرداً)5.

قال الدكتور طه جابر العلواني في حديثه عن الفرق بين المنهج والمنهجية: (المنهج بمعنى قواعد التفكير وضوابط البحث في أي مجال جزئي أو كلي)6.

قال الدكتور عثمان علي حسن: (المنهج هو الطريق المؤدي الي التعرف علي الحقيقة في العلوم؛ بواسطة طائفة من القواعد العامة؛ والتي تهيمن علي سير العقل ، وتحدد عملياته؛ حتي يصل الي نتيجة معلومة. وبعبارة اوجز هو القانون، او القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية)7.

وقال في موضع آخر: (ان مشكلة المنهج هي مشكلة العلم، في صميمه؛ ذلك ان شرط قيام العلم وتقدمه، ان تكون هناك طريقة صحيحة تطوي تحتها شتات الوقائع، والمفردات المبعثرة هناء وهناك، بغية تفسير ما قد يوجد بينها من روابط وعلاقات، تنظمها قوانين محددة. وان تاخر العلوم ناشي - في العادة - عن تأخر المناهج)8.

أنواع المناهج:-

- 1 معجم القاموس المحيط ص1319.
- 2 بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الجزء الخامس ص128.
- 3 المعجم الوسيط ص996.
- 4 مجموع الفتاوى، المجلد التاسع عشر، ص 203.
- 5 طريق الوصول إلي العلم المأمول ص 5.
- 6 تقديم لكتاب التكامل المعرفي عند ابن تيمية ص41.
- 7 منهج الاستدلال علي مسائل الاعتقاد عند اهل السنة والجماعة ص 20.
- 8 المصدر السابق ص21.

المناهج نوعان: مناهج كلية معرفية لها علاقة بالتصور الكلي الإعتقادي، مناهج جزئية هي فرع من المناهج الكلية المعرفية. فمن المناهج الفرعية في النظام الإسلامي مثلاً أصول الفقه هو منهج ولكنه خاص باستنباط الأحكام الفقهية. مصطلح الحديث هو منهج ولكنه خاص بعلم الحديث. النحو (قواعد اللغة العربية) منهج. وأصول وقواعد التفسير منهج. الخ. فهذه الأصول السابقة الذكر جميعها مناهج لتمييز الحق من الأوهام والأباطيل أي للحصول على المعارف والحقائق في المجال الخاص بها وهي ما تسمى بعلوم الآلة. إما المنهجية الكلية التي تعرف بالمنهجية المعرفية الإسلامية أو المنهجية العامة الإسلامية أو منهجية البحث الإسلامية أو المنهجية العلمية الإسلامية هي التي لها علاقة وثيقة بالتصور الوجودي الأعتقادي وهي تحيط بكل العلوم أي التي تحيط بكل جوانب الحياة أي التي تقوم ببناء النظام المعرفي الإسلامي "النظام الكلي الإسلامي" أي التي تقوم بتشكيل وبناء العقل المسلم.

قال الدكتور عبد الله بن نافع الدعجاني: (أبوة "المنهج المعرفي" العلمية والثقافية لجميع المعارف والعلوم علي اختلاف طبائعها، فكل العلوم ما هي الا ثمرة له)1. قال الدكتور حسن عبدالله الترابي: (نحن إذاً في حاجة إلي منهج إصولي للثقافة الإسلامية أو إن شئت فمنهج أصولي للتفكير الإسلامي. . . . وهو منهج كلي تنفرع عنه مناهج فرعية بعضها يتناول مناهج علوم النقل بالإحياء والتجديد والتطوير كما يتناول علوم اللغة نحواً وصرفاً وبلاغة كما يتناول تجديد المناهج التاريخية ومناهج علوم النفس والاجتماع) 2. إذن الغاية من المنهج الكلي الإسلامي هي تشكيل العقل المسلم وبنائه.

أهمية المنهج الكلي:-

للمنهج العام الكلي أهمية للعقل البشري وذلك لعدة أسباب منها:-

أولاً:

أول الدوافع للبحث عن منهج عام هو أن كل تصور كلي للحياة لابد له من منهج خاص به يميزه من غيره من المناهج:

قال الاستاذ محمد بن نصر: (ينطلق الكاتب من فكرة أساسية كانت هي الخيط الناظم لكل أبواب الدراسة وفصولها مفادها ان "لا يمكن ان نتصور في مجال العلوم الإنسانية منهجا محايداً مستقلاً عن الفلسفة التي انبثق عنها، والتي يصدر وفق قراراتها وتوجيهاتها وأهدافها (. .) فالفلسفات الوضعية والمادية علي الاختلافات القائمة بينها تحتمي وراء المناهج العلمية الحديثة في سبيل إعطاء تبرير مشروع لتصوراتها المادية حول العالم والإنسان والحياة)3. قال الأستاذ عبد الوهاب المسيري: (فالمنهج ليس مجرد آليات وإجراءات بريئة، بل هي آليات وإجراءات تتضمن تحيزات محددة وأعباء ايولوجية. فالباحث الذي لا يؤمن باختلاف الإنسان عن الطبيعة يقوم برصد الظواهر الإنسانية كما يرصد الظواهر الطبيعية، فهو لا يفرق بينهما، وهو في العادة يؤمن بما يسمى وحدة العلوم، وان المناهج المستخدمة في الإنسان لا تختلف عن تلك المستخدمة في رصد عالم النحل والفئران. أما الباحث الذي يؤمن باختلاف الإنسان عن الطبيعة فانه يعرف انه حينما يرصد سلوك جماعة من الدجاج فان هذا يختلف تمام الاختلاف عن رصد سلوك

1 منهج ابن تيمية المعرفي ص 24.

2 أصول التفكير الإسلامي ص 14.

3 قراءة في كتاب منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية. تأليف محمد محمد امزيان. مجلة إسلامية المعرفة العدد الأول ص 137.

أسرة بشرية، وان رصد سقوط حجر من الطابق الرابع يختلف عن رصد سقوط طفل من الدور نفسه. وحينما يدرس باحث ماركسي حقبة ما فإنه سيركز علي عناصر بعينها دون غيرها(1).

ثانياً:

الغرض من المنهج الكلي هو إن العقل البشري نظام كلي أو منظومة كلية لا يمكن تشكيله إلا بمنهجية عامة لان المنهجية الكلية منطقتها كلي تأخذ بكل الأبعاد.

قال الدكتور طه جابر العلواني: (إن قضية الإصلاح والتغيير قضية مركبة وليست بسيطة، وعالمية، ولم تعد إقليمية، واتساقية تتطلب وعياً بشرياً مركباً بمستواها، وهذا الوعي المركب لا يكون بالمستوي المركب الفاعل إلا "منهجياً" يأخذ بأبعاد الظلمات كلها: الظلمات الحضارية والعلمية- معاً- علي مستوي التنظير والتطبيق، بشكل ينفذ عميقاً الي فهم خصائص الواقع المتغير، والعوامل الفاعلة في تغييره، والمحدثة لانحرافاته أو أزوماته، وذلك بغية معالجتها بمنهج كلي بعيد عن الأحادية والجزئية والمحدودية والقصور)(2).

قال الدكتور عبد الله بن نافع الدعجاني: (ابوة "المنهج المعرفي" العلمية والثقافية لجميع المعارف والعلوم علي اختلاف طبائعها، فكل العلوم ما هي الا ثمرة له، فليس هناك علم ومعرفة، الا من خلال ادماجها في اطار اشمل من اطارهما، وتاطيرهما بمنهجية تبني وترتب قضاياها ومسائلها علي وجه مثمر مفيد، منسجم مع رؤيتهما الفلسفية والمعرفية. ولذلك كان محور الثورات الثقافية والعلمية، يكمن في مناهجها لا في مسائلها وقضاياها)(3).

إذن الغاية من المنهج الكلي الإسلامي هي تشكيل العقل المسلم وبنائه.

المنهج والتفكير:-

المنهج هو الوسيلة للضبط وتنظيم عمل العقل أي الوسيلة للضبط وتنظيم عملية التفكير التي هي عمل العقل ولكن ما الغاية من التفكير أي من عمل العقل؟

تعريف التفكير:-

التفكير هو عمل العقل وحركته في سبيل الوصول إلي الحقيقة إذا كانت مجهولة أو البرهان علي الحقيقة إذا كانت معلومة.

قال الدكتور علي مصطفى مشرفة: (المسألة الفلسفية الكبرى التي شغلت عقول الفلاسفة منذ فجر التاريخ إلي اليوم هي: ما الحقيقة)(4).

قال الدكتور عبد الرحمن الزنيدي: (الحق هو غاية الفلسفة التي تبحث عنها، فكانت التساؤلات الفلسفية عن طبيعة الحق)(5).

قال الدكتور صلاح قنصوة: (فالتفكير ليس هبة خاصة للبعض يحرم منها الآخرون، بل يعني، ببساطة شديدة، مواجهة المشكلات، مهم يكن من أهميتها أو حجمها، بتحديد عناصرها، والسعي إلي إختيار حل لها. ويشفع لنا، في هذا التعريف، ما تعنيه العبقرية اللغة الدارجة المتداولة بكلمة "فكر" التي يقصد بها البسطاء "الهم" الذي يكشف عن شدة الإهتمام، وثقل العبء معاً)(6).

1 الثقافة والمنهج، ص 231.

2 أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصر ص 73.

3 منهج ابن تيمية المعرفي ص 24.

4 النظرية النسبية الخاصة ص 46.

5 السلفية وقضايا العصر ص 470.

6 الدين والفكر والسياسة ص 11.

قال الأستاذ عبد المجيد النجار: (التفكير هو إعمال العقل في قضية من القضايا للوصول للحقيقة فيها، فهو بالتالي الحركة التي يقوم بها العقل من أجل المعرفة)1.
عمل العقل هو التفكير وحقيقة ذلك أي حقيقة التفكير هو السعي للوصول الي الحقيقة.
الحق والحقيقة:-

قال الإمام بن حزم: (وقد رأينا من يفرق بين الحق والحقيقة، وهذا خطأ علي ذي فهم ينصف نفسه؛ لأن الفرق بين هاتين اللفظتين لم تأت به لغة، ولا أوجبه شريعة أصلاً إلا في تسمية الباري تعالي التي لا تؤخذ إلا بالنص، ولا يحل فيها التصريف)2.
قال الامام الأمدى رحمه الله: (الحقيقة في اللغة مأخوذة من الحق، والحق هو الثابت اللازم، وهو نقيض الباطل، ومنه يقال: حق الشئ حقه، ويقال: حقيقة الشئ أي: ذاته الثابتة اللازمة)3.
وفي حديثه عن الفرق بين الحق والحقيقة قال الدكتور أحمد محمد الدغشي: (وفي ضوء هذا لست أري فرقا حقيقياً بينهما. وكما سبق القول فإن ثمة خلافاً لفظياً ليس أكثر. إن ما يجمع بين الحق والحقيقة في المحصلة النهائية: الشئ الثابت اليقيني. ولكن فرّق بعض الباحثين بين الحق والحقيقة تبعاً لتعريف علماء المنطق والفلسفة)4.

التصورات الكلية والحقيقة:-

كل تصور للوجود أي تصور كلي له حقيقة معينة يؤمن بها.
قال الأستاذ محمد الحسن بريمة: (ولما كانت فلسفة الحياة تحدد طبيعة الحقيقة التي يؤمن بها أفراد مجتمع ما، فانه من المنطقي ومن الضروري لمنع ازدواجية المعرفة أن تتبع فلسفة العلوم المهمة بنوع المعرفة المطلوب الحصول عليها بحثاً عن تلك الحقيقة، ومنهجية البحث اللازمة للحصول علي هذه المعرفة والتثبت من صحتها، من ذات الفلسفة الحياتية القائم عليها المجتمع)5.
قال البروفسير جعفر شيخ إدريس: (فهناك الإطار العام الذي يحدد للإنسان تصوّره العام للوجود، وهناك أطر مختلفة داخل هذا الإطار الكبير. في ضوء الإطار الكبير الذي يمثل ما يُسمى في الإصطلاح الحديث بفلسفة الإنسان في الحياة، يتحدد إعتقاد الناس بما هو موجود وما ليس بموجود، ثم يتحدد تبعاً لهذا مفهومهم للعلم والمنهج العلمي والتفسير العلمي)6.

الحقيقة عند غلاة الصوفية:-

التصوف نوعان: النوع الأول القائم علي الزهد والتربية والأدب وهو تصوف الأوائل، والنوع الثاني من التصوف هو التصوف الفلسفي الباطني وهو تصوف غلاة المتصوفة وهم الذين يقولون بالشرعية والحقيقة فعند الوصول للحقيقة يستغنوا عن النبوة وعن الشريعة، لانهم قد تحققوا باتحادهم مع الحقيقة المطلقة.

قال الدكتور راشد الغنوشي: (وحول هذا التخليط والإفساد تدندن كل اعمال اولئك الشياطين الكبار للاغنوص الصوفي الذي يصب في نفس مصب الفلسفة العقلانية التي انتهت مع الفلاسفة المسلمين الكبار إلي ضرب من المناظرة بين الحكمة والنبوة، بل تفضيل الاولي علي الثانية واعتبار ان النبوة

1 مجلة إسلامية المعرفة. العدد 31 - 32. ص 24 بحث بعنوان حرية المعرفة والاعتقاد في المجتمع المسلم: الأبعاد والحدود.

2 الاحكام في أصول الاحكام المجلد الاول ص 41.

3 الإحكام في أصول الاحكام المجلد الأول ص 45.

4 نظرية المعرفة في القران الكريم ص 407.

5 أزمتنا المعرفية بين التوحيد والوضعية ص 16.

6 مناهج التفكير الموصلة للحقائق الشرعية والكونية ص 161.

خطاب للامة لتهديب اخلاقهم اما الحكماء "الفلاسفة" فهم في غني عنها لانهم في اتصال مباشر مع العقل الفعال. شأنهم في ذلك شأن اقرانهم في التصوف، اقطابهم في غني عن النبوة، لانهم قد تحققوا باتحادهم مع الحقيقة المطلقة، فما عاد هناك عابد ولا معبود وانما جوهر واحد وحقيقة كلية يندمج فيها الوجود كله تبدو لغير العارف في شكل ثنائيات، خالقا ومخلوق، خيرا وشرا، كفرا وايمانا، وذلك بحسبهم محض الوهم وتجليات الحقيقة الكلمة الواحدة)1.

قال الدكتور عثمان علي حسن: (الحقيقة من أعظم غايات المتصوفة، فعندها يشهدون القدر وقيمون العذر، ويسقطون الأمر: فالحقيقة - عندهم - هي أن تري الله هو المتصرف في خلقه . . . وعند القوم الشريعة بواسطة الرسل، والحقيقة تقريب بلا واسطة، وربما يشار بالشريعة إلى الواجبات والأمر والزجر؛ والحقيقة إلى المكاشفات والمشاهدات؛ فالشريعة وجود الأفعال والحقيقة شهود الأفعال؛ والشريعة أن تعيده (تعالى)؛ والحقيقة أن تشهده)2.

قال الشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي: (الواصل: وهو الذي وصل الغاية، والغاية هي الفناء في الإله المعبود، أو الاتحاد به، ولهذا يؤمن غلاة الصوفية بسقوط الأوامر والنواهي، والتكاليف عن الواصليين؛ لان الغرض من الصلاة والزكاة والصوم . . . الخ بزعمهم هو الوصول الي الله، فمن وصل فلا حاجة له بها)3. الذي نقصده في هذا البحث هو التصوف الفلسفي والحقيقة عندهم.

الحقيقة عند غلاة العلمانيين:-

العلمانية نوعان: النوع الأول هو فصل الدين عن الحياة أي علمانية التصور الكلي الإعتقادي "علمانية القيم أي إنكار القيم المطلقة"، والنوع الثاني من أنواع العلمانية هي فصل الدين عن الدولة أي فصل الدين عن دستور دولة ما.

قال الدكتور عبدالوهاب المسيري: (قمت بالتفريق بين ما أسميه "العلمانية الجزئية"، وهي "فصل الدين عن الدولة" من ناحية، ومن ناحية أخرى ما أسميه "العلمانية الشاملة"، وهي رؤية شاملة للكون بكل مستوياته ومجالاته، لا تفصل الدين عن الدولة وعن بعض جوانب الحياة العامة وحسب، وإنما تفصل كل القيم الإنسانية والأخلاقية والدينية عن كل جوانب الحياة العامة)4.

قال الدكتور عادل ضاهر في حديثه عن كتابه الأسس الفلسفية للعلمانية: (فإننا نحاول هنا أن نبين بصور منهجية، ولأول مرة، ما هي الإعتبارات الفلسفية التي يقوم عليها أو ينبغي أن يقوم عليها الموقف العلماني. وما نفهمه من العلمانية هنا، كما سنوضح في الفصل الثاني، هو شئ أعمق من القول بفصل الدين عن الدولة أو بمنع رجال الدين من التدخل في شؤون السياسة والقضاء. إن العلمانية، بحسب فهمنا لها، وكما سنوضح من خلال فصول هذا الكتاب، هي موقف شامل ومتماسك من طبيعة الدين وطبيعة العقل وطبيعة القيم وطبيعة السياسة والإعتبارات التي تجعل الموقف العلماني مسوغاً، من الوجهة العقلية، هي أعمق بكثير من الإعتبارات التاريخية والسوسيولوجية، علي أهمية الإعتبارات الأخيرة. إن القضية المحورية لهذا الكتاب هي أن نبين أن الإنسان ليس فقط قادراً علي أن ينظم شؤون حياته الدنيوية بإستقلال عن هذا الدين أو ذلك، بل إنه ملزم أيضاً أن يفعل هذا لإعتبارات فلسفية عديدة)5.

1 القدر عند ابن تيمية ص 8.

2 منهج الاستدلال علي مسائل الاعتقاد عند اهل السنة والجماعة ص650.

3 أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية ص79.

4 العلمانية والحدثة والعولمة ص108.

5 الأسس الفلسفية للعلمانية ص 6.

قال الشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي في حديثه عن العلمانية: (والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو "فصل الدين عن الدولة"، وهو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق علي الأفراد والسلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة، ولو قيل أنها "فصل الدين عن الحياة" لكان أصوب، ولذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية هو "إقامة الحياة علي غير الدين")¹.

الذي يهمننا في هذا البحث هو النوع الأول علمانية فصل الدين عن الحياة أي علمانية التصور الكلي الإعتقادي "علمانية القيم أي إنكار القيم المطلقة" وحقيقة تلك العلمانية هي الإيمان بالعالم المحسوس فقط أي بما هو كائن أما ما هو غيب فلا وجود له.

قال الدكتور محمد عمر شابرا: (وقد نصب كبار مفكري عصر التنوير العقل البشري سلطاناً مطلقاً علي الشئون البشرية، مكان الإيمان والحدس. كانوا يقولون إن المعرفة لا تستمد إلا من المدركات الحسية)².

قال الأستاذ أنور الجندي: (يقرر أتباع الفكرة العلمانية، أن عقيدتهم العلمانية ترفض إعتبار الدين أساساً لحياة الجماعات البشرية، أو أساساً من أسس القومية وأنها تدعو إلي الإعتقاد علي الواقع الذي تدركه الحواس)³.

قال البر فسيور محمد الحسن بريمة: (ويمكننا القول أن فلسفة العلوم الغالبة عبر تطور العلوم الحديثة هي ما يسمى بالوضعية "positivism". وهي فلسفة تعود جذورها إلي الفلسفة العلمانية الغربية والتي ظلت تبحث لقرون عن الحقيقة، وما هو نوع المعرفة المتعلقة بها، . . . توصلت هذه الفلسفة الي انه لا حقيقة وراء المحسوسات، وان المعرفة الحققة هي التي تقوم علي المحسوسات)⁴. وحقيقة ذلك هو أن الحقائق والعلم هو ما يتم الوصول إليه بالملاحظة و التجربة أي أن وسائل المعرفة والعلم هما التجربة والملاحظة، أما ما لا يتم الوصول إليه بالملاحظة و التجربة فلا وجود له هذا يعني إنكار الغيب والإله والروح و إنكار القيم المطلقة، والتعامل مع المادة فقط. فالوسائل للوصول للمحسوسات هي العقل والتجربة وليست الوحي.

قال الدكتور محمد عمارة: (الثورة العلمانية التي فجرتها فلسفة التنوير الأوربي، والتي أقامت قطيعة معرفية مع فلسفة الحكم الكهنوتي، وأسست النزعة العلمانية الحديثة علي التراث الأوربي القديم وعلي عقلانية التنوير الأوربي الحديث التي أحلت العقل والتجربة محل الدين واللاهوت)⁵. وقال أيضاً: (هكذا نشأت العلمانية، في سياق التنوير الوضعي الغربي، لتمثل عزلاً للسماء عن الأرض، وتحريراً للإجتماع البشري من ضوابط وحدود الشريعة الإلهية، وحصراً لمرجعية تدبير العالم في الإنسان، بإعتبار السيد في تدبير عالمه ودينه، فهي ثمرة من ثمرات عقلانية التنوير الوضعي، الذي أحل العقل والتجربة محل الله والدين. إنها عزل السماء عن الأرض والدين عن الدنيا، وإحلال الإنسان في تدبير العمران البشري محل الله)⁶. بما في ذلك الإنسان جعلوه مادة فدعاة علمنة الحياة أثبتوا في الانسان الجانب المادي فقط "الفيزيائي والكيميائي" وانكروا الروح. قال الدكتور محمد عمر شابرا: (لقد ولد إنكار التنوير للأفكار الدينية، في العلوم الإجتماعية، محاولة

1 العلمانية للشيخ سفر الحوالي ص23.

2 الإسلام والتحدي الإقتصادي ص48.

3 سقوط العلمانية ص67.

4 أزمنا المعرفة بين التوحيد والوضعية ص17.

5 العلمانية بين الغرب والإسلام ص7.

6 المصدر السابق ص8.

لتفسير السلوك الفردي والإجماعي علي غرار مبادئ الفيزياء النيوتونية، فقد أفاد لامتري أن الأفعال البشرية هي أيضاً تعود كلياً إلي أسباب وعمليات فيزيائية وكيميائية. وتوطدت دعائم الفلسفة الوضعية التي كانت تنكر وجود أو إمكان فهم القوي أو الأشياء التي لا يمكن إثباتها بالتجربة والملاحظة (1). قد يقول قائل لقد وصفتم علمانية الحياة مرة بعلمانية التصور الإعتقادي ومرة بعلمانية القيم كيف الجمع؟ الإجابة هناك إرتباط وثيق بين التصور الإعتقادي والقيم بل الأعمق من ذلك هو أن القيم المنبثقة عن هذا التصور.

فالحديث عن التصور الإعتقادي هو الحديث عن القيم والعكس صحيح. لكن في غالب الأحيان توصف علمانية الحياة بعلمانية القيم وحقيقة تلك العلمانية هي التي تقول بنسبية القيم وعدم وجود قيم مطلقة.

القيم المطلقة والقيم النسبية:-

كل موجود في الوجود أو في النظام الكوني نسق حاجة وقيمة بمعنى يحتاج إلي غيره لكي يحصل منه علي القيم التي تحقق له حاجاته، و ينتج هو من القيم ما يحقق حاجات غيره أي ما يحتاج إليه غيره للحصول علي القيم التي يحقق بها حاجاته.

إلا موجود واحد يحتاج إلي ه جميع ما سواه ليستوفوا منه حاجاتهم أي أنه يمثل قيمة مطلقة لباقي الموجودات أو مصدر نهائي للقيم، وهو لا يحتاج إلي غيره هذا الموجود هو الله سبحانه وتعالى والسبب في ذلك أنه متفرد بللغني المطلق أي غني بذاته.

قال تعالى: { وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } (آل عمران: ٩٧).

قال تعالى: { وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } (العنكبوت: 6).

قال تعالى: { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } (الحج: 64).

قال تعالى: { قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ } (يونس: ٦٨).

قال تعالى: { لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } (لقمان: 26).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } (فاطر: 15).

ضمير الفصل يفيد الحصر هذا يدل علي غني الله غني ذاتي وما سواه غني بغيره.

لذلك "أن تكون كلمة الله هي العليا أي أن لا تكون فتنة" قيمة مطلقة القول بنسبية القيم أي القول بعدم

وجود قيمة مطلقة هذا يعني أنه لا يوجد من هو متفرد بالغني مطلق أي لا يوجد من له الكمال المطلق أي لا يوجد من يستحق العبادة أي البشر ليسوا بحاجة لتوحيد الله سبحانه وتعالى هذا جوهر علمنة الحياة أي القول بنسبية القيم "علمنة القيم" أما علمانية فصل الدين عن الدولة القومية هي شئ آخر غير ذلك.

الحق عند أهل السنة والجماعة:-

الحق في المنهج الإسلامي الصحيح أي في منهج أهل السنة والجماعة هو حق كامل لا نقص فيه ولا عيب فيه فالحق هو الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: { ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (الحج: 6).

قال تعالى: { ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ } (الحج: 62).

1 الإسلام والتحدي الإقتصادي ص 50.
2 العالمين يشمل كل ما سواه الله عز وجل.

قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ} (لقمان:30).

قال تعالى: {وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} (النور: 25).
الضمير المنفصل بين اسمين يفيد الحصر والتوكيد.

والحق معرّف بالالف واللام هذا التعريف يفيد الإستغراق والكمال أي أن ذلك الحق هو الحق الكامل الذي لا نقص معه. ولا يوجد في الوجود حق ثابت كامل سواه فكل الكائنات الموجودة النقص والعيب اصل فيها أي أنها غير كاملة. قال تعالى: {وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} (الحج:62). وفي الآية السابقة أن الباطل المطلق أي الباطل الكامل هو دُعاء غير الله سبحانه وتعالى لأن الضمير المنفصل بين اسمين يفيد الحصر والتوكيد. والباطل معرّف بالالف واللام هذا التعريف يفيد الإستغراق والكمال أي أن ذلك الباطل هو الباطل المطلق هذا يعني أن دُعاء الله سبحانه وتعالى أي عبادته هو الحقيقة الكاملة أي الحقيقة المطلقة في الإسلام. فالحق ائق في منهج الإسلامي نوعان حق موجود وحق نافع.

الحق نوعان: الحق الموجود والحق النافع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الحق نوعان: حق موجود، وبه يتعلق الخبر الصادق، وحق مقصود: وبه يتعلق الأمر الحكيم، والعمل الصالح)1.

و قال أيضاً: (الحق له معنيان، أحدهما: الموجود الثابت، والثاني: المقصود النافع. والباطل نوعان أيضاً: أحدهما: المعدوم. والثاني: ما ليس بنافع)2.

و قال كذلك: (الحق نوعان: حق موجود، وحق مقصود، وكل منهما ملازم للآخر. فالحق الموجود هو الثابت في نفسه، فيكون العلم به حقاً، والخبر عنه حقاً. والحق المقصود هو النافع، الذي إذا قصده الحي إنتفع به، وحصل له النعيم)3.

وقال في موضع آخر: (الحق نوعان: حق موجود فالواجب معرفته والصدق في الإخبار عنه وضد ذلك الجهل والكذب. وحق مقصود، وهو النافع للإنسان، فالواجب إرادته والعمل به وضد ذلك إرادة الباطل وإتباعه)4.

الحق الموجود نوعان: موجود بنفسه وموجود بغيره:-

الحق الموجود نوعان: موجود بنفسه وموجود بغيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الموجود إما أن يكون وجوده بنفسه وهو الواجب أو بغيره وهو الممكن)5.

1 مجموع الفتاوي، المجلد الثاني ص 102.

2 المصدر السابق ص 415.

3 قاعدة في المحبة ص 226.

4 مجموع الفتاوي المجلد الخامس عشر ص 241.

5 درء التعارض بين العقل والنقل الجزء الثاني ص 203.

وقال أيضاً: (من المعلوم البين لكل أحد أن ما لم يوجد بنفسه، فلا بد أن يكون وجوده بغيره. وأما تقدير موجود لم يوجد بنفسه ولا بغيره فهو ممتنع)1.

الموجود بغيره هو الذي يقبل من جهة نفسه العدم أي وجد من عدم ومصيره إلي العدم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الموجودات واجباً وممكناً، وليست فيها ممتنع. وإن شئت قلت: إما أن يقبل من جهة نفسه العدم وهو الممكن، أو لا يقبل وهو الواجب بنفسه، وإن شئت قلت إما أن يفتقر إلي غيره وهو الممكن أو لا يفتقر وهو الواجب)2.

فإنه سبحانه تعالي هو الحق الموجود بنفسه أي الثابت القائم بنفسه.

قال الدكتور محمد بن عبد الرحمن الجهنّي: (فإن كل موجود سواه سبحانه مفتقر إلي الله في وجوده فقد حدث من عدم، وهذا أصل في النقص، ثم هو إلي عدم وهلاك، وهذا أصل في النقص، وهو بين هذين الأصلين تطراً علي كمالته الأعراض والآفات من مرض وضعف وفقد، وهو أصل في النقص، وهو علي كل حال مفتقر إلي الله في بقائه ومآله)3.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إذ كان واجب الوجود بنفسه تكون نفسه كافية في حقيقة ذاته وصفاته، لا يكون في شي من ذاته وصفاته مفتقراً إلي غيره؛ وجوب الوجود: من خصائص رب العالمين، والغني عن الغير من خصائص رب العالمين) 4. فإنه هو الحق القائم بنفسه والقائم به غيره أي المخلوقات واليقين بلقائه هو الحق النافع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في فصل الحقيقة والشريعة: (والحقيقة حقيقة الدين، دين رب العالمين: وهي ما اتفق عليه الأنبياء والمرسلون، وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاج، فالشرعة هي الشريعة. قال الله تعالي:

قال تعالي: { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } (المائدة: 48).

قال تعالي: { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ } (الجنابية: 18-19).

المنهج هو الطريق:

قال تعالي: { وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً غَدَقًا * لَنُقْفِتَنَّهُمْ فِيهِ * وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا } (الجن: 16 - 17). فالشرعة بمنزلة الشريعة للنهر، والمنهاج هو الطريق الذي سلك فيه، والغاية المقصودة هي حقيقة الدين، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وهي حقيقة دين الإسلام)5.

قال الإمام ابن القيم: (تقسيم الناس الحكم إلي شريعة وسياسة، كتقسيم من قسم الطريقة إلي شريعة وحقيقة، وذلك تقسيم باطل، فالحقيقة نوعان: حقيقة حق صحيح، فهي لب الشريعة لا قسيمها، وحقيقة باطلة، فهي مضادة للشريعة كمضادة الضلال للهدى)6.

ولكن مع ذلك الاعتقاد بوجود الله سبحانه وتعالى وعبادة غيره فإن هذا الاعتقاد لا ينفع صاحبه بل إذا اعتقد الإنسان أن الله هو الموجود الثابت بنفسه القائم بنفسه ومع هذا الاعتقاد لم يعمل خير قط

1 المصدر السابق الجزء الثاني ص 345.

2 المصدر السابق الجزء الثاني ص 204.

3 المقارنة بين المثل الأعلى لله عزوجل وقياس الأولي، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية العدد (45)، ص 137.

4 مجموع الفتاوى، المجلد الثاني ص 34.

5 الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص 86.

6 بدائع الفوائد ص 1091.

يكون كافر بالله وفق قاعدة جنس العمل أي غير مؤمن بالله وغير معتقد بوجود الله. الحقيقة المطلقة في القرآن الكريم أي الحقيقة التي دعاء اليه كل الأنبياء هي عبادة الله سبحانه وتعالى وحده أي اليقين بلاقائه فالإعتقاد من غير عمل هو الشك بعينه.

لقاء الله نوعان:-

لقاء عام وهو الوقوف بين يدي الله وهو لجميع البشر. عن عدي بن حاتم؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما منكم من احد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر من عن ايمن منه فلا يري إلا شيئاً قدمه، ثم ينظر من عن أيسر منه فلا يري إلا شيئاً قدمه، ثم ينظر أمامه فتستقبله النار، فمن استطاع أن يتقي النار ولو بشقي تمره فليفعل)1. ولقاء خاص وهو لقاء التكريم والتشريف وهو خاص بأولياء الله المؤمنين وهو النظر الي وجهه الكريم. عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: (من أحب لقاء، أحب الله لقاءه. ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه) فقلت: يا نبي الله! أكرهية الموت؟ فكلنا نكره الموت. فقال: (ليس كذلك. ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته، أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه، كرهه لقاء الله، وكره الله لقاءه)2.

والإيمان بأي من اللقائين متلازمان فالذي يؤمن بلقاء الله العام ويعمل له هو مؤمن بلاقئه الخاص والعكس صحيح الذي يؤمن بلقاء الله الخاص ويعمل له هو مؤمن بلاقئه العام. فطبيعة التفكير عند أهل السنة والجماعة هو كيف الوصول الي الحق. والحق عندهم وهو لقاء والنظر إلي وجهه الكريم.

التفكير عند اهل السنة والجماعة:-

إذا كان التفكير هو إعمال العقل للوصول إلي الحق أي الوصول إلي الحقيقة إذا كانت مجهولة والبرهان عليها إذا كانت معلومة فان التفكير عند أهل السنة والجماعة هو إعمال العقل للوصول إلي الحق المطلق والحق المطلق عند أهل السنة والجماعة هو لقاء الله والنظر إلي وجهه الكريم وهذا الإعمال للعقل نتاج الشوق إلي لقاء الله هذا هو حقيقة توحيد العبادة أي حقيقة توحيد الإرادة لديهم فلقاء الله والنظر الي وجهه الكريم هو أعظم غاية عندهم أي ليس بعدها غاية فالقضية الأساسية التي يجب أن تشغل عقول الناس هي كيفية الزحزحة عن النار ودخول الجنة. قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} (آل عمران: 185).

قال الإمام ابن القيم: (أصل الخير والشر من قبل التفكير؛ فان الفكرة مبدأ الإرادة والطلب في الزهد والترك والحب والبغض، وانفع الفكر الفكر : في مصالح المعاد وطرق اجتنابها، وفي دفع مفسد المعاد وفي طرق اجتنابها)3.

قال الشيخ عبد الرحمن المعلمي: (هذه أمور ينبغي للإنسان أن يقدم التفكير فيها ويجعلها نصب عينيه. أن يفكر في شرف الحق وضعة الباطل، وذلك بأن يفكر في عظمة الله عز وجل وأنه رب العالمين، وأنه سبحانه يحب الحق ويكره الباطل، وأن من إتبع الحق إستحق رضوان رب العالمين ويفكر في نسبة نعيم الدنيا إلي رضوان رب العالمين ونعيم الآخرة)4.

1 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (153).

2 صحيح مسلم، حديث رقم (2684).

3 كتاب الفوائد ص 216.

4 القائد في تصحيح العقائد ص 23.

فالغاية المطلوبة المقصودة عند اهل السنة والجماعة هي لقاء الله والنظر إلي وجهه الكريم والمضرة
مطلوبة الاعدام المكروهة الحصول هي الحجاب عن رؤية الله لان أعظم العذاب في الآخرة هي
الحجاب عن رؤية الله.

الحنيفية السمحة هي منهج العلمي الكلي في الإسلام:-

الحقيقة المراد الوصول إليها في كل تصور اعتقادي هي التي تحدد طبيعة منهج التفكير الكلي أي
منهج الحياة. والحقيقة عند أهل السنة والجماعة غاية يراد الوصول إليه وهي غاية نهائية أي مرادة
لذاتها يريدون الوصول إليه هو لقاء الله سبحانه وتعالى والنظر إلي وجهه الكريم.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قد يسلك المحب لضعف عقله وفساد تصوره طريقا لا يحصل به
المطلوب. فمثل هذا الطريق لا تحمد إذا كانت المحبة سالحة محمودة. فكيف إذا كانت المحبة
فاسدة)1.

قال الأستاذ سيد قطب: (فبحسبنا هنا الإشارة إلي قيمة المنهج القرآني في تصحيح كل التصورات
السابقة واللاحقة عن "حقيقة الإلوهية". ومن ثم قيمته العقلية في تصحيح منهج الفكر، بتصحيح
صورة هذه الحقيقة)2.

وقال كذلك: (إن القرآن، وهو يصحح صورة الإلوهية في عقول البشر، كان يصحح في الوقت ذاته
منهج التفكير العقلي بجملته، ويعلم الإنسان كيف يفكر تفكيرا صحيحا)3.
وذلك لان الدين الإسلامي كما جاء لتغيير التصورات الإعتقادية الجاهلية المنتشرة في الأرض وذلك
بتغيير العقائد المنبثقة منها، جاء كذلك لتغيير مناهج التفكير الأراضية الجاهلية بمنهج تفكير رباني.
قال الأستاذ سيد قطب: (إنه لم تكن وظيفة الإسلام أن يغير عقيدة الناس واقعهم فحسب، ولكن كانت
وظيفته كذلك أن يغير منهج تفكيرهم، ونحن لا نملك أن نصل إلي التصور الرباني وإلي
الحياة الربانية، إلا عن طريق منهج تفكير رباني كذلك)4.

فأهمية منهج التفكير في بنا النظام الإسلامي لا تقل عن أهمية وضرورة التصور الإعتقادي.
قال الأستاذ سيد قطب: (إن وظيفة المنهج الرباني أن يعطينا – نحن أصحاب الدعوة الإسلامية –
منهجا خاصا للتفكير، نبرأ به من رواسب ومناهج التفكير الجاهلية السائدة في الأرض، والتي
تضغط علي عقولنا وتترسب في ثقافتنا إن منهج التفكير والحركة في بنا الإسلام، لا يقل
قيمة ولا ضرورة عن منهج التصور الاعتقادي والنظام الحيوي)5.

فالوصول لهذه الغاية النهائية التي يؤمنون بها وهي القضية الأساسية في حياتهم أي النجاة من
مصير المتكبرين والضعفاء لان هولا هم اصحاب الجحيم أي اصحاب العذاب والقضية الأساسية
هي كيف الوصول الي الجنة أي الوصول الي لقاء الله والنظر الي وجهه الكريم بدون دخول النار
ولو اقل مدة من الزمن يمكن تصوره. (كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ
زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (آل عمران: 185).
للتحقيق هذه الغاية العظيمة لابد من منهج أي لابد من أصول وقواعد. وحقيقة ذلك المنهج هو مخالفة
أصحاب الجحيم أي أصحاب النار وهم المتكبرين والضعفاء مع العلم لا يدخل النار إلا من كان
مشرك بالله أي كان يعبد غير الله سبحانه وتعالى أي الشرك في العبادة وهو شرك في محبة الله

1 العبودية ص 96.

2 مقومات التصور الإسلامي 290.

3 المصدر السابق ص 291.

4 معالم في الطريق ص 47.

5 المصدر السابق ص 48.

إرادته وهو السبب الأساسي والوحيد للعذاب أي السبب الوحيد لحجاب رؤية الله 1 في الدار الآخرة. والإرادة أصل الأعمال فإذا كان الشرك بالله أي إرادة غير الله سبحانه وتعالى لذاته هو السبب الوحيد والأساسي للعذاب أي لحجاب رؤية الله فعبادة الله أي محبته لذاته هي السبب الوحيد للنجاة من العذاب ولا تتحقق محبة الله أي عبادته إلا بإتباع النبي p.

قال تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } (آل عمران: 31). وسنة النبي صلي الله عليه وسلم هي منهج. قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي: (لأن السنة تأتي بمعنى المهنج مثل قوله عليه الصلاة والسلام: "فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين" 2، وهذه يراد بها ما كان عليه النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم؛ وهي بهذا المعني يكون ما خالفها البدع)3.

والرسول p مأمور بأتباع الملة الحنيفية السمحة.

قال تعالى: { تَمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (النحل: 123).
فحقيقة أتباع النبي p هي إتباع الحنيفية السمحة. أي إتباع ملة إبراهيم عليه السلام ولكن ما هي الحنيفية السمحة؟ هي مخالفة اليهود والنصارى.

قال تعالى: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا } (آل عمران: 67).
قال تعالى: { وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (البقرة: 135).

يهوديا نكرة في سياق النفي تفيد العموم ونصرانيا نكرة في سياق النفي تفيد العموم أيضاً. فالآية نفتت تماماً انتماء سيدنا إبراهيم عليه السلام لليهود أو النصارى ووصفته بالحنيفية المسلمة ولكن من أدوات الحصر. هنا سوالين الأول هو هل ذكر اليهود والنصارى للحصر أم للمثال؟ للمثال والدليل ذكر المجوس في حديث للرسول. عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله p: (إن الله أمرني أن اقرأ عليك القرآن). فقرا: { لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين }، وقرا فيها: "وإن الذين عند الله الحنيفية المسلمة، لا اليهودية، ولا النصرانية)4.

عن أبي بن كعب رضي الله عنه: أن النبي p: قراء عليه: { لم يكن } وقرا فيها: "إن ذات الدين عند الله الحنيفية لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية)5. السؤال الثاني ما هو حقيقة الإنتماء إلي اليهود أو الإنتماء إلي النصارى أو إلي غيرهم؟ الإنتماء إلي اقوام والأمم يكون بالتشبه بهم فبقدر

التشبه بالأمم والاقوام يكون الإنتماء إليهم. عن ابن عمر، قال: قال النبي p: (من تشبه بقوم فهو منهم)6. الحكم إذا علق بشرط يدور مع ذلك الشرط وجودا وعدمًا، وقوة وضعفاً، وزيادة ونقصان. فبقدر التشبه باليهود أو النصارى أو المجوس أو المشركين العرب يكون الإنتماء إليهم أي البعد عن الحنيفية السمحة لان الحنيفية هي عدم الإنتماء تماماً الي اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الأمم المشركة السابقة. فحقيقة إتباع النبي تكون بمخالفة بالكفار أي عدم التشبه بهم. وحقيقة التشبه

1 لان حجاب رؤية هو أعظم عذاب الآخرة.

2 سبق تخريجه.

3 مكانة السنة والتحذير من الغلو ص 13.

4 مستدرک الحاكم، كتاب التفسير حديث رقم (2889). قال الحاكم حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني السلسلة الصحيحة حديث رقم (2908).

5 المستدرک الحاكم، كتاب التفسير حديث رقم (3962) قال الحاكم حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

6 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4031).

باليهود والنصاري تكون بإتباع أهوائهم . قال تعالى: { وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۗ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } (البقرة: 120). فتكون مخالفة اليهود والنصاري هي مخالفة أهوائهم وحقيقة عدم إتباع الأهواء هو عدم الإستئنان بها. لأن عدم إتباع الأهواء هو عدم الإستئنان بها. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. عن النبي p أنه قال: "لنتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا شبرًا وذراعًا ذراعًا حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصاري؟ قال: فمن؟"1.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي p أنه قال: (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع. فقيل: يا رسول الله كفارس والروم، فقال: ومن الناس إلا أولئك؟)2.

وفي المقابل اليهود و النصاري لن يرضوا حتي تتبع ملتهم مطلقا. بقدر إتباع أهواءهم وأهواء من شابههم يكون الاقتراب من إتباع ملتهم مطلقا أي الكفر التام وهذا ما تشهد به مساءلة "جنس العمل". فمنهج التفكير 3 عند أهل السنة والجماعة هو المخالفة التامة لليهود والنصاري وحقيقة ذلك هو مخالفة سننهم وأهوائهم.

الحنيفية والشرك بالله نقيضان:-

الحنيفية والشرك بالله نقيضان.

قال تعالى: { قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (البقرة: 135).

قال تعالى: { وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (آل عمران: 67).

قال تعالى: { قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (آل عمران: 95).

قال تعالى: { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (الأنعام: 79).

قال تعالى: { دِينًا قَبِيحًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (الأنعام: 161).

قال تعالى: { وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (يونس: 105).

قال تعالى: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (النحل: 120).

قال تعالى: { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (النحل: 123).

أشرار الناس وإتباع سنن الجاهلية:-

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول p: (ليأتين علي أمتي ما أتى بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وان بني إسرائيل تفرقت علي ثنتين وسبعين ملة، وتفرقت أمتي علي ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة)، قال من هي يا رسول الله؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي)4.

1 صحيح البخاري، حديث رقم (7320).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (7319).

3 وبما أن الغاية من هذا المنهج هو الوصول إلي الحق الكامل كمال مطلق فهذا يعني أن هذا المنهج أي منهج التفكير للحصول علي العلم منهج كامل فالعلم الذي يتم الحصول عليه منه علم كامل كذلك أي يغطي كل جوانب الحياة.

4 صحيح سنن الترمذي، حديث (2641).

(وليحملن شرار هذه الأمة علي سنن الذين خلوا من قبلهم - أهل الكتاب - حذو القذة بالقذة)1. وقد علق الأستاذ أحمد شاكِر علي الحديث الأخير قائلا: (فالحديث هنا يقيد الإتياع لليهود و النصارى بأنه قاصر علي الأشرار من الأمة لا الأمة كلها، وقد كنا نقراء حديث "لنتبعن سنن من كان قبلكم . . ." فتضيق صدورنا ولا نستطيع إلا التسليم بما جاء عن رسول الله أما وقد فسر هذا الإتياع بأنه يكون في الأشرار فإن الصدر غير ضيق والحمد لله)2. سماها الشيخ صالح آل الشيخ بأصول الدين: (فهذا الكتاب قليل الصفحات، لكنه اشتمل على مسائل من أهم المهمات، بل إن هذه الوريقات في هذه الرسالة هي أصول الدين؛ لان النبي ﷺ إنما بعث ليخلص الناس من جهالة الجاهلين على أنواع مللهم وأصناف نحلهم. فإذن هي خلاصة لما أمر الله جل وعلا، وأمر به رسوله ﷺ المشركين والكفار إن يتركوه)3.

سنن الجاهلية وأهواء الذين لا يعلمون:-

قد يقول قائل: في سورة البقرة أضيفت الأهواء إلى اليهود والنصارى. قال تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } (البقرة: 120). وفي سورة الجاثية أضيفت الأهواء إلى الذين لا يعلمون.

قال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (الجاثية: 18). كيف نجمع بين الآيتين؟ الاجابة:-

أولاً: العلم النافع هو معرفة الحق والعمل به.

ثانياً: أسباب الزيغ والضلال عن الصراط المستقيم هما:-

الكبر والإعراض. فالكبر هو العناد وهو معرفة الحق وعدم العمل به. والإعراض هو الجهل الذي لا يعذر به لان الجهل نوعان جهل يعذر و جهل لا يعذر به والفرق بينهما أن الأول سببه الانشغال والتعلق بزينة الدنيا، وهذا يقود إلى التفريط في العلم النافع أي التفريط في تعلم العلم النافع. وبهذا ينتج الجهل الذي لا يعذر به. وهذا النوع من الجهل يسمى الإعراض عن الدين. والنوع الثاني من أنواع الجهل سببه العجز في الحصول على العلم النافع وهذا النوع من الجهل يعذر به. ولكن أكثر الضلال بسبب الجهل الناتج من التعلق بزينة الدنيا والانشغال بها. قال شيخ الإسلام بن تيمية: (الذي يمنع الإنسان من إتياع الرسول شينيان: إما الجهل وإما فساد القصد)4.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (أسباب الخروج عن الصراط المستقيم: إما الجهل؛ أو العناد؛ والذين سبب خروجهم العناد هم المغضوب عليهم. وعلي رأسهم اليهود؛ والآخرى الذين سبب خروجهم الجهل كل من لا يعلم الحق. وعلي رأسهم النصارى)1.

1 مسند الإمام أحمد بن حنبل حديث رقم (17070) وقال الأستاذ أحمد شاكِر إسناده حسن. السلسلة الصحيحة حديث رقم (3312).

2 مسند الإمام احمد بن حنبل، الجزء الثالث عشر ص 275.

3 شرح مسائل الجاهلية ص5.

4 مجموع الفتاوي، المجلد ال15 ص93.

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: (التوحيد تركه ممن تركه راجع إلي شيئين أو هما معا في بعض الأحوال:

الأول: الجهل به، وهو قد يكون لعدم وجود من ينبهه، وقد يكون للإعراض عن البحث فيه.

الثاني: العناد والاستكبار، وهذا مع العلم وإقامة الحجة .

لهذا قال العلماء الكفر كفران:

الأول: كفر إبه واستكبار، كقوله عز وجل { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } "البقرة:34".

الثاني: الإعراض؛ كما قال عز وجل { بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ } "الأنبياء:24".

هنا نلاحظ التفريق ما بين الجهل الذي سببه عدم وجود من ينبهه بالحق، والجهل الذي سببه الإعراض؛ فالجهل الذي سببه الإعراض مع وجود من من ينبهه لا يعذر به العبد، وأما الجهل الذي يكون لأجل عدم وجود من ينبهه فانه يعذر به حكما في الآخرة حتى يأتي من يقيم الحجة، ولا يعذر به في أحكام الدنيا)2.

وراس العناد والكبر اليهود وهم الأساس في ذلك واصل الإعراض النصراني وهم الأساس في ذلك. فكل من انحرف بسبب العناد والإصرار فهو شبيه باليهود، وكل من انحرف بسبب الجهل فهو شبيه بالنصارى. هذا يعنى أن ذكر اليهود والنصارى للمثال وليست للحصر.

فكل من يعرف الحق ولا يعمل به وهو تابع لليهود لانه متشبه بهم. وكل من يعمل ولكن بدون معرفة الحق أي جاهل به جهل إعراض فهو تابع للنصارى أي متشبه بهم.

ثالثا: في المنهج الاسلامي الذي يعلم ولا يعمل هو جاهل. والذي لا يعلم ويعمل هو جاهل كذلك لان العلم النافع أي العلم الكامل هو معرفة الحق والعمل به. فالانحراف عن الصراط المستقيم أي عن الحنيفية السمحة سببه الجهل أي عدم العلم إذا كان بطريقة واعية مقصودة أو بطريقة غير واعية اي الإنشغال بزينة الدنيا. قال تعالى: { قَالَ قَدْ أُجِيبْتُ دَعْوَتُكُمْ فَاَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (يونس: 89). فاتباع سبيل الذين لا يعلمون هو اتباع سبيل اليهود والنصارى لانهما اساس ذلك الطريق واصله. والأعمال التي تنتج من هذا الانحراف أي الانحراف عن الصراط المستقيم تسمى بالأهواء المتبعة أي أهواء النفس وتضاف هذه الأهواء إلى الذين لا يعلمون لان سببها الأول و الأخير هو الجهالة الذي هو ضد العلم النافع لذلك تسمى بسنن الجاهلية. عن ابن عباس ان النبي p قال: (ابغض الناس إلي الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية)3.

هذه السنن التي تسمى بالسيئات وسببها الجهالة.

1 الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين، المجلد الأول، ص59.

2 شرح كشف الشبهات ص 135- 142.

3 صحيح البخاري، حديث رقم (6882).

قال تعالى: { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ } (النساء: 17).

وقال تعالى: { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (الأنعام: 54).

قال تعالى: { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } (النحل: 119). فالجهل في الآيات الثلاثة الجهل الذي لا يعذر به لأنه ترتب عليه التوبة.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (السوء يعني العمل السيئ كالمنكرات وفعل المحظورات او ترك الواجبات ولكنه قيدها: "بجهالة" المراد بالجهالة هنا السفاهة وليست الجهل لان فاعل السوء بجهل معذور لا ذنب عليه لقوله الله تعالى: "ربنا لا توأخذنا إن نسينا او اخطانا" البقرة: 286" ولكن بالجهالة هنا السفاهة)1.

الجهل في الاسلام ينظر إليه من جانبيين من جانب العلم وهو عدم الحصول علي العلم و من جانب العمل وهو عدم اتباع العلم بالعمل. من جانب عدم الحصول علي العلم أي الجهل ينقسم الي اثنين جهل يعذر به وجهل لا يعذر به والأخير يُسمى بالإعراض. ومن جانب عدم إتباع العلم بالعمل وهو الذي يُسمى بالكبر والعناد وهو كل من لم يتبع العلم بالعمل بسبب لا يعذر به هذين سببين هما أساس الضلال في الاسلام الاول رد الحق وهو الذي يسمى الكبر والعناد و الثاني التفريط في الحصول علي العلم وهو الذي يسمى الإعراض.

فيكون المنهج أي الأصول والقواعد للوصول للغاية النهائية أي لقاء الله والنظر إلي وجهه الكريم هو "الحنيفية السمحة" أي مخالفة أهواء اليهود والنصارى. واليهود هم أصل المتكبرين وأساسهم و النصارى هم أصل الضعفاء. فلا يوجد متكبر الا هو تابع لليهود ولا يوجد ضعيف الا هو تابع للنصارى. والمتكبرين هم الذين يعرفون الحق ولا يعملون به والضعفاء هم الذين لا يعرفون الحق ويعملون. وحقيقة مخالفة اليهود والنصارى تكون بعدم التشبه بهم أي مخالفة سننهم وعدم إتباعها وذلك يكون بالبحث عن هذه السنن في القرآن الكريم وكتب السنة والسيرة المعتمدة ثم القيام بمخالفتها.

مولاة الكفار هي التشبه بهم:-

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ } (المائدة: 51). الآية هذه تفسر بحديثين ابن عمر، قال: قال النبي p: (من تشبه بقوم

فهو منهم)2.

قال تعالى: { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ } (الكهف: 50). أبلّيس لا نراه فاتخاذاه ولي هو التشبه به.

1 الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين، المجلد 4، ص 96.
2 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4031).

مولاة الكفار أي التشبه بهم منهي عنه:-

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ } (النساء 144) .
قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ } (المائدة:51).
قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ } (المائدة:57).
قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ } (التوبة:23).

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ } (المتحنة:1).
قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } (13 المتحنة).

تعريف الكافرين:-

من هم الكافرين؟ هم الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة. وقال تعالى: { قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا } (الأعراف: 50-51).
قال تعالى : { وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ } (ابراهيم: 2 - 3).

وقال تعالى: { مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ } (سورة النحل: 106 - 107) . أي تكون الحياة الدنيا أحب إليهم من الله والدار الآخرة.
سبب العداوة والبغضاء بين الناس عدم الإيمان بالله وحده أي التشبه بالكفار:-

سبب وجود العداوة والبغضاء بين الناس أي سبب التفرق والإختلاف بينهم هو عدم الإيمان بالله وحده.

قال تعالى: { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ } (المتحنة:4). السبب في وجود العداوة والبغضاء والبراء هو عدم الإيمان بالله وحده وحقيقة الإيمان هو محبة الله ورسوله.

لا فرق بين الحنيفية كمنهج علمي كلي وبين "لا إله إلا الله" كمنهج علمي كلي:-

من جانب آخر لا فرق بين نقول أن "الحنيفية السمحة" هي المنهج للوصول الي هذه الغاية النهائية وأن نقول "لا إله إلا الله" هي المنهج. فحقيقة "الحنيفية السمحة" هي مخالفة سنن اليهود والنصارى أي عدم التشبه بهم أي مخالفة سنن الضعفاء وسنن المتكبرين. إما "لا إله إلا الله" كمنهج حياة أي منهج كلي معناها لا معبود بحق إلا الله أي لا مراد لذاته بحق إلا الله ومحبة الله هي إرادة لقائه والنظر إلى وجهه الكريم. ولا تتحقق محبة الله سبحانه وتعالى إلا بإتباع النبي ﷺ، والنبي ﷺ مأمور بإتباع الحنيفية السمحة أي مخالفة أهواء النفس فيكون المنهج للوصول الي لقاء الله والنظر الي

وجهه الكريم عند القول "لا إله إلا الله منهج حياة" هو عدم إتباع أهواء النفس وهذه هي الحنيفية السمحة. إذن المنهج عند أهل السنة والجماعة هو عدم إتباع أهواء الذين لا يعلمون وهي سنن الجاهلية أي السيئات أي عدم التشبه بالكفار مطلقاً.

الحنيفية منهج للحصول على العلم:-

"الحنيفية السمحة" هي منهج للحصول على العلم النافع أي منهج للحصول على العمل الصالح فالحنيفية السمحة كمنهج تعني أن الأصل في البشر التوحيد والطارى هو الشرك أي الأهواء فبمعرفة الأهواء ومخالفتها يرجع الإنسان إلى أصله وهذا ما يوكده مثل حديث الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان "كان الناس يسألون عن الخير وكنت أسأل عن الشر" وقاعدة "التطهير والتركية"، والتي تسمى قاعدة التخلية والتحلية وقاعدة "الهجرة والجهاد".

قاعدة من تعلم الشر لا يفوته الخير:-

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير" 1. عن حذيفة رضي الله عنه قال: "تعلم أصحابي الخير وتعلمت الشر" 2.

عن عبد الرحمن بن فرط قال: دخلت المسجد فإذا حلقة كأنما قطعت رؤوسهم، فإذا فيهم رجل يحدث، فإذا حذيفة رضي الله عنه قال: "كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر كيما اعرفه فاتقيه، وعلمت أن الخير لا يفوتني، قال: فقلت: يا رسول الله هل بعد هذا الخير الذي نحن فيه من شر، قال: (يا حذيفة تعلم كتاب الله تعالى، واعمل بما فيه)، فأعدت قولي عليه فقال في الثالثة: (فتنة واختلاف)، قلت: يا رسول الله هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (يا حذيفة تعلم كتاب الله تعالى واعمل بما فيه)" 3.

قاعدة الهجرة مقدمة على الجهاد:-

الهجرة مقدمة على الجهاد. والهجرة هي هجر السيئات وأهلها. قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ } (البقرة: 218).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } (الأنفال: 72).

قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ } (الأنفال: 75).

قال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (التوبة: 20).

عن جنادة بن أبي أمية: إن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قال بعضهم لبعض: إن الهجرة قد انقطعت، فاختلّفوا في ذلك، قال: فانطلقت إلي رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أن أناساً يقولون: إن الهجرة قد انقطعت. فقال رسول الله ﷺ: (إن الهجرة لا تنقطع ما كان الجهاد) 4.

1 صحيح البخاري، حديث رقم (3606)/مستدرک الحاكم، كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم (8332).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (3607).

3 مستدرک الحاكم، كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم (8330) وافقه الذهبي.

4 السلسلة الصحيحة (1674).

قال الإمام ابن القيم: (لا يتم الجهاد إلا بالهجرة، ولا هجرة ولا جهاد إلا بالإيمان، والراجون رحمة الله هم الذين قاموا بهذه الثلاثة. قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (البقرة:218). وكما أن الإيمان فرض علي كل احد، ففرض عليه هجرتان في كل وقت: هجرة إلي الله عز وجل بالتوحيد، والإخلاص، والإنابة، والتوكل، والخوف، والرجاء، والمحبة، والتوبة، وهجرة إلي رسوله بالمتابعة، والانقياد لأمره، والتصديق بخبره)1.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن أية سورة البقرة: (إن الجهاد دون مرتبة الهجرة؛ لأنه جعل الجهاد معطوفا علي الهجرة، ولم يجعل له اسما موصولا مستقلا)2.

قاعدة التطهير والتزكية:-

فلا سبيل للتزكية إلا بعد الطهارة.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (واصل الزكاة الزيادة في الخير. ومنه يقال: زكا الزرع، وزكاة المال إذا نما. ولن ينمو الخير إلا بترك الشر، والزرع لا ينمو حتى يزال عنه الدغل، فكذلك النفس والأعمال لا تزكو حتى يزال عنها ما يناقضها ولا يكون الرجل متزكيا إلا بترك الشر، فانه يدنس النفس ويدسها)3.

وقال أيضاً: (ان الزكاة تستلزم الطهارة؛ لان معناها معني الطهارة)4.

قال الإمام ابن القيم: (الزكاة في اللغة: هي النماء والزيادة في الصلاح، وكمال الشيء، يقال: زكا الشيء إذا نما (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ^٥ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)) التوبة 103. جمع بين الأمرين: الطهارة والزكاة لتلازمهما . . . فلا سبيل له إلي زكاته إلا بعد طهارته)5.

فساد التصور سبب لفساد المنهج:-

فساد التصور وضعف العقل سبب لفساد المنهج أي أن إتباع المنهج الغير صحيح أي الطريق الغير صحيح سببه فساد التصور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قد يسلك المحب لضعف عقله وفساد تصوره طريقا لا يحصل به المطلوب. فمثل هذا الطريق لا تحمد إذا كانت المحبة سالحة محمودة. فكيف إذا كانت المحبة فاسدة)6.

1 زاد المعاد في هدي خير العباد، الجزء الثالث، ص 10.

2 تفسير العثيمين، المجلد الثاني، ص 45.

3 مجموع الفتاوى، المجلد العاشر، ص 628.

4 مجموع الفتاوى، المجلد العاشر، ص 634.

5 إغاة اللهفان ص 37.

6 العبودية ص 96.

الفصل الثاني الحنيفية وسنن الجاهلية

إن منهج التفكير الكلي له علاقة وثيقة بالتصور الكلي الاعتقادي أي له علاقة وثيقة بتصور حقيقة الألوهية. وحقيقة منهج التفكير عند أهل السنة والجماعة هو مخالفة المتكبرين والضعفاء "اليهود و النصارى" لان المتكبرين والضعفاء هم أهل النار والغاية الأساسية من المنهج التفكير عند أهل السنة والجماعة أي منهج الحياة عندهم هو الوصول إلي لقاء الله والنظر الي وجهه الكريم أي النجاة من النار و النجاة من العذاب وأعظم العذاب وأساسه هو حجاب رؤية الله في الدار الآخرة ولا تتحقق هذه الغاية إلا بمخالفة المتكبرين والضعفاء مخالفة تامة أي مخالفة اليهود و النصارى والروم وفارس وغيرهم من أهل الجاهلية وحقيقة مخالفتهم هي مخالفة سننهم وأهوائهم وعدم التشبه بهم أي عدم الإستئناس بسننهم. في هذا الفصل سوف يتم ذكر بعض سنن هذه المجموعات أي اليهود والنصارى والروم وفارس وهم أساس المتكبرين والضعفاء وغيرهم من أهل الجاهلية التي تعتبر مخالفة سننهم من أصول منهج التفكير أو منهج الحياة عند أهل السنة والجماعة. وكل سنة من سنن الجاهلية، السنة المخالفة لها أي تركها تعتبر أصل من اصول منهج التفكير الاسلامي أي قاعدة من قواعد منهج التفكير الإسلامي أي ضابط يضبط العقل المسلم.

من سنن الجاهلية عدم الإيمان بالبعث:-

أول سنن الجاهلية وهي أساس لكثير من السنن الباقية عدم الإيمان بالبعث أي عدم الإيمان بالغيب.
قال تعالى: { وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ } (الأنعام: 29).
قال تعالى: { وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنْآ لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا } (الإسراء: 49).
قال تعالى: { وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنْآ لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا } (الإسراء: 98).
قال تعالى: { إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنْآ لَمَبْعُوثُونَ } (الصفوات: 16).
قال تعالى: { وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنْآ لَمَبْعُوثُونَ } (الواقعة: 47).
قال تعالى: { إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ } (المؤمنون: 37).
قال تعالى: { قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنْآ لَمَبْعُوثُونَ } (المؤمنون: 82).
قال تعالى: { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا } (التغابن: 7).

من سنن الجاهلية الاستعلاء العنصري:-

من أخص سنن الجاهلية وأخطرها الاستعلاء العنصري وهو أول سبب عصي به الله سبحانه وتعالى وهو قاعدة الخروج من دين الله عز وجل وشرعه.

قال تعالى: { قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ } (الأعراف: 12).

قال تعالى: { فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي * اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ } (ص: 72 - 77).

قال تعالى: { إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا } (الإسراء: 61).
قال تعالى: { قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ } (الحجر: 33).

قال الإمام محمد رشيد رضا: (أي منعي من ذلك إنني خير منه لأنك خلقتني من نار وخلقته من طين والنار خير من الطين وأشرف)1.

قال الطاهر بن عاشور: (واستند في تفضيل نفسه إلي العنصر الذي خلق منه علي العنصر الذي خلق منه آدم)2.

قال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ } (المائدة: 18).

قال تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (الجمعة: 6-8).

1 تفسير المنار، الجزء الثامن ص 266.

2 تفسير التحرير والتوير، الجزء الثامن ص 41.

قال الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: (مشكلة اليهود النفسية قائمة علي إعتبار أنفسهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحبائه، وأنهم جبلة خاصة تمتاز علي سائر أمم الأرض، وأن سائر أمم الأرض بالنسبة إليهم بمنزلة البهائم التي ينبغي أن تكون مسخرة لهم، لذلك فلا حرج عندهم أن يسلبوا الأميين أموالهم بأية وسيلة غير مشروعة، ولا حرج عندهم أن يفتكوا بالشعوب، ويفسدوا أخلاقها وأوضاعها الاجتماعية، فدماء الأمم مهجرة في نظرهم)1.

وقال كذلك: (يزعم اليهود أنهم أبناء الله وأحبائه كذبا علي الله وافتراء. وقد ولدت هذه العقيدة الباطلة عند اليهود عقدة الإستعلاء علي البشر، وجعلتهم يتصورون أن من حقهم علي الناس جميعا أن يعترفوا لهم بهذا الاختصاص والتميز، وأن يمنحهم من أجله السلطان العام في الأرض والربوبية علي الناس، فهم أبناء الرب)2.

قال الداعية أحمد ديدات: (بني إسرائيل الذين اعتقدوا أن الله إختارهم لفضيلة في ذاتهم وأنهم شعب الله المختار وأنهم فضلوا علي غيرهم من الأمم والشعوب تفضيلا مطلقا بلا شروط ولا قيود)3.

فالعنصرية هي قاعدة الخروج من دين الله وشرعه وهي أول شي يعصي به الله والإمام والقوة في ذلك هو الشيطان.

قال الدكتور عبد السلام بن برجس: (العصبية الجاهلية، التي هي قاعدة الخروج عن شرع الله وحكمه، وأساس الفساد في دين الناس وديناهم)4.

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة فقال: (يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاضمها بأبائها فالناس رجالان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب) قال الله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)5.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء؛ مؤمن تقي، وفاجر شقي؛ أنتم بنو آدم وآدم، من تراب)6.

من سنن الجاهلية الاستعلاء بالمكان:-

قال تعالى: { يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ } (المنافقون: 8).

من سنن الجاهلية الاستعلاء بفصاحة اللسان:-

قال تعالى: { أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ } (الزخرف: 52).

قال العلامة عبد الرحمن السعدي: (فلا " يَكَادُ يُبِينُ " عما في ضميره بالكلام، لأنه ليس بفصيح اللسان)1.

1 مكاييد يهودية عبر التاريخ ص11.

2 المصدر السابق ص455.

3 الحل الإسلامي لمشكلة العنصرية ص 16.

4 الأحاديث النبوية في دم العنصرية الجاهلية.

5 سبق تخريجه.

6 سبق تخريجه.

من سنن الجاهلية السخرية والاستهزاء:-

قال تعالى: { وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (الأنعام: 10).

قال تعالى: { وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا } (الرعد: 32).

قال تعالى: { وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (الحجر: 11).

قال تعالى: { ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا } (الكهف: 106).

قال تعالى: { وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (الأنبياء: 41).

قال تعالى: { يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (يس: 30).

قال تعالى: { وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (الزخرف: 7).

من سنن الجاهلية الغلو في الدين:-

قال تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ } (النساء: 171).

قال تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ } (المائدة: 77).

من سنن الجاهلية حكم الجاهلية أي الحكم بغير ما أنزل الله أي الحكم بغير ميزان:-

قال تعالى: { وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ } (المائدة: 49).

إلي قوله تعالى: { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا } (المائدة: 50). الله سبحانه وتعالى أنزل الكتاب والميزان

قال تعالى: { اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ } (الشوري: 17).

وقال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ } (الحديد: 25).

عطف الميزان على الكتاب من باب عطف الخاص على العام يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام فالميزان هو الأصل والقرينة التي تقوي هذا الاستدلال هي أن الغاية "لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ" والقسط لا بد له من ميزان. والميزان في الآيات معرف باللف واللام يفيد العموم أي كل أنواع الميزان فكل ما تحتاجه الحياة الإنسانية من موازين ولكل الناس. مع العلم أن لكل مجال من مجالات الحياة الإنسانية ميزان محدد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والميزان التي أنزلها الله مع الكتاب حيث قال الله تعالى { اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ } (الشوري: 17).

قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} (الحديد: 25).

هي ميزان عادلة تتضمن إعتبار الشئ بمثله وخلافه، فيسوي بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين بما جعله في فطر عباده وعقولهم من معرفة التماثل والإختلاف) 1. وأول هذه الموازين هو ميزان التوحيد وهو عبادة الله وحده.

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (النحل: 90).

إن الله يأمر بالعدل وكل عدل لابد له من ميزان حتي يعرف، فالعدل في الآية نقيضة الفحشاء أي نقيضة الفتنة في الدين فالميزان هو عبادة الله أي ترك الفتنة الدين فيكون العدل هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله.

أما القصد من إنزال الكتاب والميزان هو تبيين للناس الذي اختلفوا فيه.

قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفوا فيه} (البقرة: 213).

قال تعالى: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اختلفوا فيه} (النحل: 64). فالحديث عن الحاكمية في المنهج الصحيح هو الحديث توحيد العبادة أي أن الحاكمية هي أفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، بخلاف منهج الخوارج الذين حصروا الحاكمية في قضية دستورية سياسية ضيقة، وهذا التصور الخارجي للحاكمية تصور ضيق بدعي فاسد منحرف وفي ذلك قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي أتنا حديثه عن غلو الخوارج القدامي والمعاصرين في الحاكمية: (وقاتلوا علي والصحابه، لاحكم إلا الله، غلو في الحاكمية وجهلوا معني الحاكمية وخرجوا علي علي رضي الله عنه، وأرسل ابن عباس يناظرهم فناظرهم، فرجع منهم الكثير والباقون ثبتوا علي غلوهم في الدين وفي الحاكمية التي جهلواها. . . وتوارثوا هذا الغلو إلي يومنا هذا، غلو في السياسة، غلو في الحاكمية وإهمال للعقيدة وإهمال للمنهج) 2.

من سنن الجاهلية الإعتقاد والقول من غير برهان:-

قال تعالى: { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {

وكل من إعتقد إعتقاد أو أدعي دعوة لابد له من الدليل والبرهان علي هذا الإعتقاد وعلي تلك الدعوة وإلا فهو كاذب.

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: (كل إعتقاد لا يقيم مُعتقده دليل إعتقاده فهو إعتقاد كاذب) 3.

1 الرد علي المنطقيين ص428.

2 وسطية الإسلام ص 26.

3 التحرير والتوير، المجلد الأول الجزء الأول ص674.

قال الفخر الرازي: (دلت الآية علي أن المدعي سواء إدعي نفيًا، أو إثباتًا، فلا بد له من الدليل والبرهان)1.

قال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي: (كل من إدعي دعوي لابد أن يقيم البرهان علي صحة دعواه، وإلا قلبت عليه دعواه، وإدعي مدعٍ عكس ما إدعي بلا برهان لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعوي أو يكذبها)2.

قال الأستاذ محمد رشيد رضا: (ثم طالبهم تعالي بالبرهان علي دعواهم، فقرر لنا قاعدة لا توجد في غير القران من الكتب السماوية، وهي أنه لا تُقبل من أحد قول لا دليل عليه، ولا يُحكم لأحد بدعوي ينتحلها بغير برهان يؤيدها)3.

من سنن الجاهلية التقليد الأعمى:-

من سنن الجاهلية التقليد الأعمى لأنه من خصائص اليهود والنصارى والمنافقين.

قال تعالي: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا } (البقرة: 170).
قال تعالي: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا } (المائدة: 104).

قال تعالي: { قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا } (الأعراف: 70).
قال تعالي: { قَالَ مُوسَىٰ أَنْفُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ۗ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ * قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا } (يونس: 77 – 78).

قال تعالي: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا } (لقمان: 21).
قال تعالي: { بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ } (الزخرف: 22 – 23).

وقال الله عن المنافقين : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا } (المائدة: 104). قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي في التقليد: (اتفق العلماء علي أنه إذا عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه)4.

من سنن الجاهلية القياس الفاسد:-

من أعظم سنن الجاهلية القياس الفاسد أي القياس مع الفارق وهو الذي يسمى بعدم معرفة الفارق والجامع.

قال تعالي: { قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } (الأعراف: 12).

قال تعالي: { قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } (ص: 77).

1 تفسير الرازي، المجلد الثاني، الجزء الثالث ص4.

2 تفسير السعدي ص 62.

3 تفسير المنار الجزء الأول ص 305.

4 سيد قطب هو مصدر تكفير المجتمعات الإسلامية ص 67.

قال تعالى: { فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا } (هود: 27)
قال تعالى: { قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا } (إبراهيم: 10).
قال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ *
فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ } (المؤمنون: 23-24)
قال تعالى: { وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ } (المؤمنون: 34).
قال تعالى: { فَقَالُوا أَنْوْمُنْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ } (المؤمنون: 47).
من أعظم صور القياس الفاسد المقارنة بين إنسان وإنسان، فالإنسان مركب من جانبيين جانب مادي محسوس معلوم للناس وجانب غيبي روحي غير معلوم للناس ولا يعلمه أحد من البشر ومن هذين الجانبين تتشكل شخصية الإنسان والأصل فيها الجانبي الروحي
من هذا يتكون ما يعرف الفروق الفردية بين البشر ومحاولة عمل المقارنة بين البشر يُعتبر من اعظم اسباب الظلم والجور وهو يسمى بالقياس الفاسد أو القياس مع الفارق لان هناك جانب خفي غيبي لا يعلمه الناس لذلك يصعب علي البشر المقارنة بين الناس مع وجود الجانب الغيبي.
من سنن الجاهلية عدم معرفة حدود ما أنزل الله:-

قال تعالى: (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ } (التوبة: من الآية97).

قال الشيخ عبدالله أبابطين:(ومما يتعين الإعتناء به: معرفة حدود ما أنزل علي رسوله، لأن الله سبحانه ذم من لا يعرف حدود ما أنزل الله علي رسوله، قال تعالى: (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ } (التوبة: من الآية97). قال شيخ الإسلام: ومعرفة حدود الأسماء واجبة؛ لأن بها قيام مصلحة الأدميين في المنطق الذي جعله الله رحمة لهم، لاسيما حدود ما أنزل الله علي رسوله من الأسماء، كالخمر والربا، فهذه الحدود هي الممييزة بين ما يدخل في المسمي وما يدل عليه من الصفات وبين ما ليس كذلك، وقد ذم الله سبحانه من لم يعلم حدود ما أنزل الله علي رسوله. إنتهي. ففرض علي المكلف معرفة حد العبادة وحقيقتها التي خلقنا الله لأجلها، ومعرفة حد الشرك وحقيقته الذي هو أكبر الكبائر)1.
من سنن الجاهلية الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه:-

من سنن عدم أخذهم الكتاب كله أي الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض بالآخر أي عدم التسليم التام للنصوص الشرعية.

قال تعالى: { أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ } (البقرة: 85).

من سنن الجاهلية تحريف الكلم عن مواضعه:-

من سنن الجاهلية التحريف الكلم عن مواضعه.

قال تعالى: { أَفَنَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (البقرة: 75).

1 إنتصار حزب الله الموحدين والرد علي المجادل عن المشركين ص 29.

قال تعالى: { مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ { (النساء:46).

قال تعالى: { فِيمَا نَقُضِيهِمْ مِّيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ { (المائدة:13).

من سنن الجاهلية إلباس الحق بالباطل:-

من سنن الجاهلية ألباس الحق بالباطل أي التلبيس و دس الشبهات و عدم الرد عليها.

قال تعالى: { وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ { (البقرة:42).

قال تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ { (آل عمران:71).

من سنن الجاهلية تبخيس الناس اشياهم أي عدم وفاء الكيل والميزان:-

من سنن الجاهلية تبخيس الناس اشياهم أي عدم معرفة المكايل و الموازين و ضبطها.

قال تعالى: { فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ {

(الأعراف:85).

قال تعالى: { وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ { (الشعراء:183).

من سنن الجاهلية التكاثر بالأموال والأولاد:-

قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ { (سبا:34-35).

من سنن الجاهلية إرجاع الفضل إلى النفس:-

قال تعالى: { قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي { (القصص:78).

من سنن الجاهلية إتخاذ الأخبار والرهبان أرباب من دون الله:-

قال تعالى: { اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ { (التوبة:31).

من سنن الجاهلية الإلتباع المطلق للغير:-

قال تعالى: { وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ { (إبراهيم:21).

قال تعالى: { وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ { (غافر:47).

من سنن الجاهلية إسترقاق الناس واستعبادهم:-

من سنن الجاهلية الاستعباد و الرق. قال تعالى: { وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * وَشَرَّوهُ بِبَيْعٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ * وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرٍ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا { (يوسف:19-21).

قال تعالى: { وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ { (الشعراء:22).

من سنن الجاهلية فسق الأقسام:-

قال تعالى: { إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ { (النمل:12).

قال تعالى: {إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُمُ ابْنَاءَ فِرْعَوْنَ قَوْمًا فَأَسِيقِينَ} (القصص: 32).
قال تعالى: {وَأَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَرِيْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَأَسِيقِينَ} (الأنبياء: 74).

قال تعالى: {فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَّاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} (الزخرف: 54).
قال تعالى: {وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} (الذاريات: 46).
من سنن الجاهلية القهر الاجتماعي:-

قال تعالى: {وَأَنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ} (الأعراف: 127).

من سنن الجاهلية كل حزب فرح بما لديه:-

قال تعالى: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} (المؤمنون: 53).
قال تعالى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} (الروم: 31-32).

من سنن الجاهلية عدم الأخذ بخبر الواحد:-

الأخذ بخبر الواحد في العلم والعمل.
قال تعالى: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ * فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِدَّا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} (القمر: 23 - 24).

من سنن الجاهلية استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير:-

استبدال الذي ادني بالذي هو خير أي عدم معرفة الأولويات أي غياب فقه الاوليات والاسبقيات.
قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَىٰ اذْهَبْ إِلَىٰ طَاعِمٍ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا^١ قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ} (البقرة: 61).

من سنن الجاهلية ترك المحكم والعمل بالمتشابه:-

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ}.

قال الشيخ صالح آل الشيخ: (من اسباب نشأة علم التقييد او القواعد: أن العقل والفهم إذا لم يضبط بضابط - اذا لم ينضبط بتقعيد - فإنه يشذ أيضا من اسباب وضع التقعيد ومن اسباب نشأة القواعد ألا يتاثر طلاب العلم وألا يتاثر الناس بالمتشابهات؛ لان التقعيد يضبط، ومن المعلوم أن القواعد دليها المحكم من الكتاب والسنة)1.

وقال كذلك: (ليس كل من إستدل بالقراءن وبالسنة مصيبا وناجيا؛ بل لايد أن يكون استدلاله بالقراءن وبالسنة راجعا الي فهم أهل العلم الذين يرجعون المتشابه الي المحكم إذا نظرت في الاراء المختلفة في أقوال المرجئة في أقوال القدرية كل يحتج بالقراءن والسنة لكن هل إحتجاه بالكتاب والسنة علي فهم السلف؟ هل هو علي فهم الصحابة؟ هل هو علي فهم ائمة الإسلام؟ لوكان علي فهمهم لما حصل خروج عن الجماعة الاولي، ولكانت هذه الامة جماعة واحدة لكن سبب الخلاف

1 الدروس العلمية العامة في العلم والدعوة والتربية، المجلد الاول، ص292.

وسبب الفرقة الاخذ بالمتشابهات وترك المحكمات، ولهذا من الاصول العظيمة في التقعيد أن تتبين المحكم من المتشابه أن تضبط محكمات الشرع محكمات الدين، محكمات العقيدة)1.

من سنن الجاهلية تنظيم حياة الناس على أساس قومي:-

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعاً بذراع. فقيل: يا رسول الله كفارس والروم، فقال: ومن الناس إلا أولئك؟)2. عن أبي سعيد أخدري رضي الله عنه. عن النبي ﷺ أنه قال: (لنتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟)3.

من سنن الجاهلية المغالبة في غير سبيل الله:-

قال تعالى: { قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيْنَ } (الأعراف:113).

قال تعالى: { أَتِنَّا لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيْنَ } (الشعراء:41).

من سنن الجاهلية المن:-

قال تعالى: { قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ } (الشعراء: 18).

من سنن الجاهلية وصف الحق بأنه أساطير الأولين:-

قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رُبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } (النحل:24).

قال تعالى: { بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } (المؤمنون:83).

قال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } (النمل:68).

قال تعالى: { إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } (القلم:15).

قال تعالى: { وَيَوْمَ يَوْمِئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } (المطففين:13).

قال الأستاذ أنور الجندي: (ليست الأساطير إلا تفسير الحياة تفسيراً بشرياً بعيداً عن التفسير الإنساني الذي جاء به الدين الحق)4.

من سنن الجاهلية طلب الدعاء من الغير:-

قال تعالى: { فَادْعُ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ } (البقرة: ٦١).

1 المصدر السابق ص298.

2 صحيح البخاري، حديث رقم (7319).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (7320).

4 سقوط العلمانية ص 108.

قال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ } (غافر : 49).

قال تعالى: { وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ } (الزخرف : 49).
من سنن الجاهلية القول لمن القاء السلام لست مومنا:-

قال تعالى: { وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا } (النساء : 94).
من سنن الجاهلية تسمية الاشياء بغير اسمها:-

قال تعالى: { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ } (الحجرات : 14).

قال تعالى: { الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى } (النجم : 27).

من سنن الجاهلية الإستدلال بالكوني على الشرعي:-

قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِعُم مَّنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعْمَهُ } (يس : 47).

من سنن الجاهلية العبرة عندهم بالأسماء والمباني وليست بالحقائق والمعاني:-

قال تعالى: { فَتَوَلَّىٰ بُرْكِيهَ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ } (الذاريات : 39).

قال تعالى: { كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ } (الذاريات : 52).

قال تعالى: { وَيَقُولُونَ أَنِنَّا لِتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ } (الصافات : 36).

قال تعالى: { وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ } (ص : 4).

قال تعالى: { إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ } (غافر : 24).

وصفوا الأنبياء بأوصاف مخالفة للحقيقة وكذلك وصفوا الحق بأوصاف مخالفة للحقيقة.

قال تعالى: { ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ } (يونس : 75-76).

قال تعالى: { وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ } (هود : 7).

قال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ } (سبا : 43).

قال تعالى: { قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ } (الأحقاف : 7).

أهل الجاهلية العبرة لديهم بالأسماء والمباني وليست بالحقائق والمعاني، والقاعدة تقول العبرة في الأحكام بالحقائق والمعاني وليست بالأسماء والمباني فتغيير الأسماء لا يغير الأحكام.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: (العبرة بالحقائق لا بالأسماء) 1.

قال الشيخ عبدالله أبابطين: (تغيير الاسم لا يغير حقيقة المسمي ولا يزيل حكمه) 2.

1 منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات ابن جرجيس ص 17.

2 إنتصار حزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين ص 14.

من سنن الجاهلية الأمر بالسوء والفحشاء والمنكر:-

قال تعالى: {كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (البقرة: 168-169).

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} (النور: 21).

من سنن الجاهلية إنفاق المال للصد عن سبيل الله:-

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} (الأنفال: 36).

من سنن الجاهلية إنفاق المال رياء الناس:-

قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} (النساء: 38).

من سنن الجاهلية القول على الله بغير علم:-

قال تعالى: {أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (البقرة: 80).

قال تعالى: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (البقرة: 168-169).

قال تعالى: {أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (الأعراف: 28).

قال تعالى: {أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (يونس: 68).

من سنن الجاهلية التطبير:-

قال تعالى: {قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ} (النمل: 47).

قال تعالى: {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} (يس: 18).

من سنن الجاهلية جعل من اسباب العزة القوة:-

قال تعالى: {قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ

وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ} (هود: 91-92).

من سنن الجاهلية جعل من اسباب العزة الملك والسلطان:-

قال تعالى: {وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِبُونَ} (الشعراء: 44).

من سنن الجاهلية جعل من اسباب العزة رفعة النسب:-

عن عائشة رضي الله عنها "أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله: انتشف في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب ثم قال: (إنما هلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)1.

من سنن الجاهلية الخمر والميسر والانصاب والأزلام:-

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (المائدة: 90).

من سنن الجاهلية إتباع الباطل:-

قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ} (محمد: 3).

1 صحيح البخاري، حديث رقم (3475)/صحيح مسلم، حديث رقم (1688).

من سنن الجاهلية كل فرقة تنكر الحق الذي مع الفرق الأخرى "الرفض المطلق" :-

قال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ } (البقرة: 113).

شئ نكرة في سياق النفي تفيد العموم اليهود انكروا كل الحق الذي مع النصاري، وفي المقابل النصاري أنكروا كل الحق الذي مع اليهود.

قال ابن عباس رضي الله عنه: (أختصم يهود المدينة ونصاري نجران عند النبي فقالت اليهود: ليست النصاري علي شيء، ولا يدخل الجنة إلا من كان يهوديا، وكفروا بالأنجيل وعيسي. وقالت النصاري: ليست اليهود علي شيء وكفروا بالتوراة وموسي)1.

قال شيخ الإسلام بن تيمية عن هذه الآية: (فاخبر ان كل واحدة من الأمتين تجحد كل ما الاخرى عليه. وأنت تجد كثيرا من المتفهمة اذا راي المتصوفة والمتعبدة، لا يراهم شيئا، ولا يعدهم الا جهالا ضلالا، ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدي شيئا. وتري كثيرا من المتصوفة والمفتقرة لا يري الشريعة ولا العلم شيئا، بل المتمسك بها منقطعا عن الله وانه ليس عند اهلها مما ينفع عند الله شيئا. وانما الصواب: ان ما جا به الكتاب والسنة من هذا وهذا حق، وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل)2.

وقال العلامة محمود شكري الألوسي: (إنهم لما أفترقوا، وكل طائفة لا تقبل من الحق إلا ما قالته طائفتهم، وكفروا بما مع غيرهم من الحق، قال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ } (البقرة: 113). ولا شك أن هذا من خصال الجاهلية وعليه اليوم كثير من الناس، لا يعتقد الحق إلا معه)3.

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين معلقا علي كلام شيخ الاسلام ابن تيمية: (هذا الذي قاله شيخ الإسلام رحمه الله هو الحق، وهو ان تقبل الحق من أي طائفة سواء كان من المتصوفة او المتفهمة وعلماء الشريعة، أما ان لا تقبل من هؤلاء شيئا ونقول: كل فعلهم خطأ، فليس بصحيح، والامام احمد رحمه الله كان يجلس الي بعض المتصوفة ليلين قلبه، يعني عندهم تلبين القلوب والعزوف عن الدنيا ما ليس عند غيرهم، فلا هذا ولا هذا، خذ الحق من أي انسان كان، سواء المتصوف او المتفقه او غير ذلك، ومشابهة هؤلاء لليهود والنصاري ان علماء الشريعة لا يرون المتصوفة شيئا، وهؤلاء المتصوفة لا يرون علماء الشريعة شيئا. أما التعلم علي أيديهم – يعني المتصوفة – ربما يغيرهم، ويجعلهم يستمرون علي ما هم عليه، ويغير غيرهم أيضا، يقولون: فلان يجلس عند فلان، ويتلقي عن فلان. اما قبول الحق، فاقبل الحق من أي انسان، حتي من اليهودي والنصراني، حتي من الشيطان، حتي من المشركين)4.

وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: (وهذه المسألة من اخطر المسائل، وهي: كفرهم بالحق اذا كان مع من لا يهوونه، أي: لا يحبونه، فيتركون الحق الذي معه، تعصبا لكرهتهم للشخص، قبيرون الحق من اجله. والواجب علي المسلم ان يقبل الحق ممن جاء به، لان الحق ضالة المؤمن اينما وجده اخذه، مع صديقه، او مع عدوه، لانه يطلب الحق. أما اذا كان يعتبر الاشخاص فقط فهذا دين

1 تفسير ابن الجوزي ص 83.

2 اقتضاء الصراط المستقيم ص24.

3 شرح مسائل الجاهلية للشيخ الفوزان ص 66.

4 اقتضاء الصراط المستقيم ص24.

الجاهلية. ومثال ذلك: ما ذكره الله عن اليهود والنصارى وهم أهل كتاب وعلم، فاليهود رفضوا الحق الذي مع النصارى، والنصارى رفضوا الحق الذي مع اليهود، كما قال تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ" البقرة: 113" والذي حملهم علي هذا هو الهوي، لما كان اليهود يبغضون النصارى جحدوا ما معهم من الحق، ولما كان النصارى يبغضون اليهود جحدوا ما معهم من الحق: "وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ" البقرة: 113" الذي يأمرهم بقبول الحق "كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ" البقرة: 113" فالذين ليس معهم كتاب ساروا علي هذا المنهج، كل طائفة تكفر الأخرى، وتجحد ما معها من الحق. والحاصل: أن الواجب علي المسلم تجنب سنة اليهود والنصارى، وهي الكفر بالحق الذي كان مع من لا يحبه، فلا يحملك بغض الشخص علي أن ترفض ما معه من الحق. ومثل هذا موجود الان، إذا كانت طائفة أو جماعة تبغض أحد من العلماء فإنهم يرفضون ما معه من الحق، فيحملهم بغضهم لهذا العالم علي أن يرفضوا ما معه من الحق، وأن يعتموا عليه، ويزهدوا فيه، ويحذروا من مؤلفاته، ومن أشرطته، ولو كان حقا، لماذا؟ لا لشيء إلا لأنهم لا يحبون هذا الشخص. والواجب عليك ايها المسلم أن تقبل الحق، وإن كان مع من لا تحب، ولا تكون العداوات النفسية مانعة من قبول الحق. والنبى ﷺ لما جاءه اليهودي، وقال: إنكم تشركون، تقولون: "ما شاء الله، وشاء محمد"، أمر أن يقولوا: "ما شاء الله وحده"، ولا يقولوا: "ما شاء الله وشاء محمد" فالنبى ﷺ قبل هذا الحق، وأمر أصحابه بترك الخطاء. وكذلك الذي جاء النبي من أحبار اليهود، وقال: إن الله يطوي السموات بيمينه، ويحمل الجبال علي أصبع، والأرضين علي أصبع . . إلي آخر الحديث، فالنبى ﷺ ضحك حتي بدت نواجذه تصدقاً لهذا الخبر وانزل الله قوله تعالى: " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ " فلما طابق قول هذا الحبر من اليهود الحق قبله النبي ﷺ وسرَّ به. الحاصل: أن المسلم يجب عليه أن يقبل الحق(1).

قال العلامة محمد أمان الجامي: (لذلك كثيرا ما ينقل شيخ الإسلام من كبار أئمة الصوفية إثباتهم لصفات الله تعالى كالفضيل والجنيد هو لاء يعتبرون علماء يثبتون صفات الله تعالى وإن كان توجد لديهم شطحات وشطحات كثيرة ولكن الحق ضالة المؤمن إذا وجدنا لدي صوفي يؤمن بتوحيد الربوبية ويثبت الصفات وجدنا لديه كلاما مناسباً يتفق مع عقيدتنا ومنهجنا ننقل كلام الفضيل وكلام المحاسبي وكلام جنيد والتستري وهؤلاء من كبار مشايخ الصوفية وهل سلموا في توحيد العبادة؟ الله أعلم. المحاسبي معروف أنه فيه التصوف وفيه نزعة علم الكلام وكان الإمام أحمد كان معاصرا له يحذر تلاميذه من مجالسته ومع ذلك أطلعنا علي بعض كتبه وقبل أن نطلع نحن أطلع عليها شيخ الإسلام ونقل منه نقولات وبعض هذه النقول موجودة في الحموية. وكيف يجمع بين نقل شيخ الإسلام كلام المحاسبي وبين نهى الإمام أحمد بعض تلامذته من مجالسته؟ الجمع سهل فرق بين أن تجالس المبتدع وبين أن تجد في بعض كتبه كلاما نافعا فتنتقله. لان المجالسة الشيخ المبتدع تأثر في الطالب فيفقد علي الأقل الحب في الله والبغض في الله ومساءلة الولاء والبراء تذهب بكثرة المخالطة وقد يؤثر فيه ببعض بدعته فيحسنها ربما يثني عليه فيمدحه وهذا يعتبر دعاية للمبتدع إذن فرق بين هذا وبين أن تجد في بعض كتبهم كلاما طيبا فتنتقله علي أنه ضالة المؤمن أخذها حيث وجدها بهذا نوفق بين موقف الإمام أحمد وموقف شيخ الإسلام بن تيمية(2).

1 شرح مسائل الجاهلية للشيخ الفوزان ص 66.

2 مقال بعنوان: 100 فائدة من شرح التدمرية للشيخ محمد أمان علي الجامي موقع مجالس الألوكة:

Majles.alukah.net/t23504

قال العلامة محمد أمان الجامي أيضا: (بعض الناس لا يعرفون قيمة العقيدة وقيمة هذه الكتب كتب الأئمة التي تدرس في باب العقيدة قد يشوشوا علي صغار الطلبة: لماذا تدرس هذه الكتب كتب ابن حنبل وابن تيمية وابن القيم ومن في طبقتهم، لماذا لا تدرس الكتب الحديثة؟ الشاب الساذج قد ينطلي عليه مثل هذا الكلام، لذلك ينبغي التنبيه علي أن ما يقرأ ينقسم إلي قسمين: كتب أساسية في العقيدة وكتب الثقافة. أما كتب الثقافة فطلاب العلم الناضج له أن يقرأ ما يشاء من كتب العلماء المعروفين بالإستقامة ومن كتب الطوائف الأخرى، والفرق الأخرى، وكتب أصحاب الإنتماءات كل ما يكتب ينبغي أن يقرأ

إذا كان هناك وقت يساعدك، هذه كتب الثقافة، كتب الثقافة تدرس لهدفين إثنين: الهدف الأول: يؤخذ ما فيها من الخير، وبإسلوب مناسب لإسلوب عصري لأنه كتب بإسلوب عصري، تأخذ ما فيه من الخير بدون تكلف والإسلوب لإسلوبك والخير معروف لديك. الأمر الثاني: ليرد ما فيها من الشبه والإنحرافات، ولتعرف من قراءة هذه الكتب إتجاه أصحاب الكتب، هل هو سليم يتمشي مع روح الإسلام أو هو إتجاه منحرف، تعرف لكل إنسان موقعه وموقفه. هذا بالإختصار، لهذا تدرس كتب الثقافة العامة)1.

من سنن الجاهلية كل فرقة تدعي أنها على الحق المطلق"القبول المطلق":-

قال تعالى: { وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا } (البقرة: 135). قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: (من مسائل الجاهلية: أن كل فرقة تدعي أنها هي التي علي الحق، وأن غيرها علي الباطل، وكان هذا في اليهود والنصاري، ومن شابههم: { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى } ، حصرها الهداية ودخول الجنة في اليهود والنصاري)2.

من سنن الجاهلية كل فرقة تنسب الصالحين إليها:-

من سنن الجاهلية كل فرقة تنسب الصالحين إليها. قال تعالى: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا } (آل عمران: 67). فاليهود ادعي أن إبراهيم عليه السلام منهم و النصاري كذلك فنفي الله سبحانه وتعالى ذلك. يقول الإمام الشوكاني: (قد أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، والبيهقي في الدلائل، عن ابن عباس: إجتمعت نصاري نجران، وأخبار اليهود عند رسول الله فتنازعا عنده فقالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا، وقالت النصاري: ما كان إبراهيم إلا نصرانيا، فنزل فيهم "يا أهل الكتاب لما تحاجون" الآية. وقد روي نحو هذا جماعة من السلف)3.

1 فيديو بعنوان: فرق بين أن تجالس المبتدع وبين أن تجد في بعض كتبه كلاما ناعما. قناة عبدالله السلفي علي اليوتيوب www.youtube.com/watch?V=BTOarmB821s

2 شرح مسائل الجاهلية للشيخ الفوزان ص 69.

3 تفسير الشوكاني ص 224.

من سنن الجاهلية تمنى الأمانى الكاذبة:-

" وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً " البقرة: 80 " وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: (اليهود والنصارى يعتمدون علي الأمانى الكاذبة، ويتمنون علي الله الأمانى كما ذكر الله تعالى عنهم أنهم قالوا: " وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً " البقرة: 80"، وهي أيام عبادتهم للعجل بزعمهم، فرد الله عليهم بقوله: " قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُمْ نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ". فهذا رد علي قولهم: " لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً " كما رد عليهم في سورة آل عمران: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ۗ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"1.

من سنن الجاهلية التفكير التأمري (نظرية المؤامرة):-

قال تعالى: { قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ } (الأعراف: 109-110).

قال تعالى: { قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لِنُجْرَجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا } (الأعراف: 123).

قال تعالى: { قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى } (طه: 57).

قال تعالى: { قَالُوا إِنْ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا } (طه: 63).

قال تعالى: { يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ } (الشعراء: 35).

من سنن الجاهلية نفي قدرة الله ومن سنن الجاهلية كذلك إثبات قدرة الله لكن الاحتجاج بها على

المعاصي:-

من أعظم سنن الجاهلية نفي قدرة الله وهذا أساس فكر القدرية، من أعظم سنن الجاهلية كذلك الاحتجاج بقدرة الله علي المعاصي وهذا أساس فكر الجبرية.

قال تعالى: { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا } (الأنعام: 148).

قال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ } (النحل: 35).

قال تعالى: { وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ } (الزخرف: 20).

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: (والعلماء في تفسير هذه الآيات علي قولين:

القول الاول: ان المراد بقولهم: "لو شاء الله" نفي القدر، يقولون: لو كان الله مشيئة ما تركنا نعمل هذه الاشياء. فقصدهم نفي القدر، وانهم هم الذين يفعلون هذه الاشياء بدون مشيئة الله سبحانه وتعالى، فنفوا القدر، و اضافوا هذه الافعال الي انفسهم واستقلالهم، فيكون هذا نظير مذهب المعتزلة تماما، لانهم يقولون: ليس لله مشيئة في الكفر والايمان، والخير والشر، وانما من صنع العباد فيكون المعتزلة قالوا بقول اهل الجاهلية.

1 شرح مسائل الجاهلية للشيخ الفوزان ص 111.

القول الثاني: أن المراد بقولهم: "لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا " أي: أن الله جل وعلا راض عن أفعالنا هذه، لأنه لو لم يرضي لم يتركنا نعمل هذا، فيكونون يؤمنون بالقدر، لكن يحتجون به علي تسويغ كفرهم، بل بلغ الأمر إلي أن يقولوا: إن هذا طاعة لله، لأن الله شاء، ونحن إطعنا مشيئته وأطعنا قدره. والقول الثاني، وهو الإحتجاج بالقدر علي فعلهم القبيح، وأن الله شاء ذلك منهم، وهو قول الجبرية، حيث أثبتوا القدر، واحتجوا به علي إستحسان أفعالهم القبيحة، ويقولون: أن العبد مجبر علي أفعاله. فهم ورثة أهل الجاهلية في هذا¹.

قال الأستاذ راشد الغنوشي: (ذهب المعتزلة في تنزيههم عن فعل الشر، وتساوقا مع أصلهم في العدل الي ان الله وهب للإنسان القدرة علي فعل الخير والشر دون أي إعانة له علي فعل أحدهما. وذهب خصومهم من الجمهية والمجبرة بمن فيهم الأشاعرة إلي أن الله يريد لكل ما يحدث من خير وشر تنزيها لله أيضا عن العجز بأن يحدث في ملكه ما لا يشاء، وكانت المحاوراة الشهيرة بين القاضي عبدالجبار رأس الإعتزال في عصره والامام السفرائيني أحد اقطاب الاشاعرة ملخصة للخصومة التاريخية، اذ قال عبدالجبار منزها ارادة الله عن فعل الشر ومقيدا لها بالعدل:

سبحانه تنزهه عن الفحشا.

فاجابه السفرائيني مؤكدا علي إرادة الله المطلقة:

سبحانه من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء².

قال الدكتور عبد الرحمن الزنيدي: (بهذا تقف السلفية وسطا بين القائلين بالسببية الحتمية المستقلة بالتأثير في الكون مع إنكار الله او إنكار تأثيره فيه، وبين من ينكرون السببية ويرون أن الله هو السبب الأوحد ويعدون القول بوجود أسباب وتأثيرها شركاً بالله. إن الاسباب – كما تري السلفية – قائمة في الكون والحياة ومؤثرة في مسبباتها، وقد أثبت ذلك القرءان الذي ربط كثير من أحداث الكون ربطا سببيا، ومع ذلك فإن هذه الأسباب جارية بأمر الله غير مستقلة بالتأثير عنه سبحانه³).

من سنن الجاهلية لا يعلمون الكتاب إلا أمانى:-

من سنن الجاهلية لا يعلمون الكتاب إلا أمانى أي تلاوة أو كذبا.
قال تعالي: { وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ } (البقرة: 78).
قال الشيخ عبد السلام بن برجس: (وللتمني معان أخرى كثيرة: منها: التلاوة: ومنه قوله تعالي: { وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ } (البقرة: 78). علي أحد وجوه التفسير، أن الأمانى: التلاوة، . . . ومنها الكذب: وعليه الوجه الثاني في تفسير الآية السابقة، قال ابن عباس: " **إِلَّا أَمَانِيَّ** " يريد: إلا قولا يقولونه بأفواههم كذبا، وهذا قول مجاهد و اختيار الفراء⁴.

من سنن الجاهلية تولى أمر الأمة امرأة:-

1 شرح مسائل الجاهلية ص 79.

2 القدر عند ابن تيمية ص 88.

3 السلفية وقضايا العصر ص 291.

4 كتاب التمني ص 8.

قال تعالى: { إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ } (النمل: 23).
من سنن الجاهلية تعميم وإطلاق الأحكام:-

من أميز سنن الجاهلية تعميم وإطلاق الأحكام.

قال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } (البقرة: 113).

قال الدكتور محمد عمارة: (فالتمييز – وعدم التعميم والإطلاق - الذي نتعلمه من القرآن الكريم – فضلا عن أنه الدين الذي نتدين به فإنه هو المنهاج العلمي الدقيق، وسبيل الانصاف لمن يستحق الإنصاف)1.

قال الدكتور محمد ابراهيم السعيد: (من الأمور التي تعين علي ضبط التفكير: تجنب التعميم والإطلاق فيما حقه التخصيص والتقييد، وكذلك تجنب التخصيص والتقييد فيما حقه التعميم والإطلاق)2.

من سنن الجاهلية الجدل بالباطل:-

من سنن الجاهلية الجدل بالباطل لدحض الحق، وضده الجدل بالتي هي احسن.

قال تعالى: { وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ } (الكهف: 56).
قال تعالى: { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ } (غافر: 5).

قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ } (لقمان: 20).
قال تعالى: { الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا } (غافر: 35).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ } (غافر: 56).

من سنن الجاهلية الزهد في الحق إذا كان عليه الضعفاء:-

قال تعالى: { قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ } (الشعراء : 111).
قال الإمام الشوكاني: (الاستفهام للإنكار أي: كيف نتبعك ونومن لك، والحال قد أتبعك الأرذلون وقراء ابن مسعود، والضحاك، ويعقوب الحضرمي: "وأتباعك الأرذلون"3).

الأرذلون هم سقط القوم موصوفون بالردالة والحقارة والخسة ، قصدهم الضعفاء والمساكين

من سنن الجاهلية الاستدلال على بطلان الشئ بسبق الضعفاء إليه:-

قال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ } (الأحقاف: 11).

1 الاسلام في مواجهة التحديات ص 194.

2 منهج للبناء الفكري الاسس والمبادي الضرورية ص 94.

3 تفسير الشوكاني ص 1062.

قال الشيخ عبدالله أبابطين: (وليحذر العاقل من مشابهة الذين قال الله فيهم: " لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَّوْنَا إِلَيْهِ ")1.

من سنن الجاهلية الاحتجاج بما عليه الأقدمون دون النظر الى مستنده:-

قال تعالى: { مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ } (ص: 7).

قال تعالى: { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ } (القصص: 36).

من سنن الجاهلية مبداء ليس علينا في الأميين سبيل:-

من سنن الجاهلية مبداء ليس علينا في الأميين سبيل.

قال تعالى: { وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا } ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ { (آل عمران: 75).

(قوله تعالى: " ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا " أي اليهود " لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ " قيل: ان اليهود كانوا إذا بايعوا المسلمين يقولون ليس علينا في الاميين سبيل – أي حرج في ظلمهم – لمخالفتهم ايانا. وادعوا ان ذلك في كتابهم، فاكذبهم الله عزوجل ورد عليهم فقال: "بلي". . . . ويقال: ان اليهود كانوا قد استدانوا من الاعراب اموالا فلما اسلم ارباب الحقوق قالت اليهود: ليس لكم علينا شئ، لأنكم تركتم دينكم فسقط عنا دينكم. وادعوا انه في التوراة فقال الله تعالى: "بلي" ردا لقولهم)2.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في تفسير هذه الآية: (قال بعض المفسرين: المراد الاميين

سوي أهل الكتاب. فيكون المراد بالأمي من ليس له كتاب، ويكون هؤلاء اليهود والنصارى: كل الناس سوى أهل الكتاب ليس علينا فيهم سبيل؛ لنا إن ن ظلمهم، ونأخذ أموالهم، ونقلهم، نسبي نساءهم، لأننا نحن المختارون عند الله وغيرنا عبيد لنا، والإنسان يفعل في عبيده ما شاء، ولهذا تقول اليهود: أنهم شعب الله المختار. ولكن الله اختارهم علي عالمي زمانهم، ولم يشكروا هذه النعمة. " في الأميين " من نظر الي الآية وانها في سياق الإئتمان علي المال قيد هذا بانه " لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ " فيما يتعلق بالمال. ومن نظر الي العموم قال أنها تشمل أنهم لا سبيل عليهم في الاميين في أموالهم ودمائهم وأعراضهم وهذا المعني اعم. وإذا كان المعني أعم واللفظ لا ينافيه فألختياران تأخذ بالأعم؛ لأن الأعم يشمل الأخص، ولا عكس. وقولهم: " سَبِيلٌ " السبيل في الأصل الطريق، المراد به هنا اللوم، أي ليست علينا سبيل في اللوم او سبيل إلي اللوم أي أننا لا نلام ولا نذم ولأننا لم فيما يتعلق بالأميين. وهذا الذي يقولونه ليسوا ينسبونه لأنفسهم، وانهم هم الذين أباحوا لأنفسهم الإعتدا علي الأميين، وإنما يجعلون هذا شرعا من عند الله، يقولون: ان الله اباح لنا ذلك ولم يجعل علينا سبيل فيما يتعلق بالاميين. ولهذا قال الله عزوجل: " وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ "3).

من سنن الجاهلية عدم أخذ القيلولة:-

(قيلوا؛ فإن الشياطين لا تقيل)4.

1 إنتصار حزب الله الموحدين والرد علي المجادل عن المشركين ص 65.

2 تفسير القرطبي المجلد الثالث ص 40.

3 تفسير العثيمين، المجلد الثالث، ص 23.

4 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (4431).

من سنن الجاهلية نكاح المرأة من أجل مالها وجمالها وحسبها:-

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (تَنْكَحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَلِجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا ، فَاطْفُرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ)¹.

قال تعالى: { وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَا مُمِئَةً خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُنْكَحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أُعْجَبُكُمْ ۚ وَلَوْ أُعْجِبْتُمْ ۗ وَلَا لِلَّهِ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (البقرة: 221).
في الحديث الشريف إخبار وليس أمر وفي الآية الأمر والوجوب زواج المومنة.

من سنن الجاهلية المماثلة بين الأشياء المختلفة:-

المماثلة بين البيع والربا، وحقيقة الربا هو التجارة بالنقود.

قال تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا } (البقرة: 275).

من سنن الجاهلية البناء العبي:-

قال تعالى: { أَنْبَتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةٌ تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ } (الشعراء: 127-128).

من سنن الجاهلية السياحة في غير الجهاد:-

عن أبي أمامه، أن رجلا قال: يا رسول الله؟ إذن لي في السياحة؟ قال النبي ﷺ: (إن سياحة أمتي، الجهاد في سبيل الله تعالى)².

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (وأما السياحة التي هي الخروج في البرية لغير قصد معين فليست من عمل هذه الأمة، ولهذا قال الإمام احمد: "ليست السياحة من الإسلام في شي ولا من فعل النبيين ولا الصالحين")³.

من سنن الجاهلية الغيبة:-

قال تعالى: { وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (يوسف: 30) .

من سنن الجاهلية الحسد:-

قال تعالى: { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ } (البقرة: 109).

من سنن الجاهلية التحايل على شرع:-

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله يقول وهو بمكة عام الفتح: (إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام قاتل الله اليهود، إن الله لما حرم شحومها جملوه ثم بأعوه فأكلوا ثمنه)⁴.

من سنن الجاهلية أكل أموال الناس بالباطل:-

أكلهم أموال الناس بالباطل.

قال تعالى: { وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ } (161)

1 صحيح البخاري، حديث رقم (5091).

2 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (2486).

3 فتاوي الشيخ العثيمين، المجلد السابع ص 173.

4 صحيح البخاري، حديث رقم (2236).

من سنن الجاهلية الشح:-

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (واتقوا الشح، فإن الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)1.

عن عبد الله بن عمرو قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: (إياكم والشح؛ فإنه هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل؛ فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة؛ فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا)2.

من سنن الجاهلية ربط الملك بالمال:-

من سنن الجاهلية جعلهم الوسيلة الأساسية للملك هي المال مع العلم أن الوسيلة الأساسية للملك هي العلم.

قال تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالَوا إِنَّا نَرَى اللَّهَ فِي سَمَاءٍ مِّنَ الْمَلَأِ } (البقرة: 247).

من سنن الجاهلية القتال من أجل الأرض:-

من سنن الجاهلية كذلك القتال من أجل الأرض.

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا } (البقرة: 246).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والذين جاهدوا كبنى إسرائيل فعامة جهادهم كان لدفع عدوهم عن أرضهم كما يقاتل الصائل الظالم، لا لدعوة المجاهدين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، كما قال موسى لقومه (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم، ولا تترددوا علي ادباركم فتنقلبوا خاسرين* قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين، وانا لن ندخلها حتي يخرجوا منها، فان يخرجوا منها فان داخلون* - الي قوله - قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابا ما داموا فيها، فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون) (المائدة: 21 - 22).

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا) (البقرة: 246). فعللوا القتال بأنهم اخرجوا من ديارهم وبنائهم، ومع هذا فكانوا ناكلين عما امروا به من ذلك، ولهذا لم تحل الغنائم، ولم يكونوا يطئون بملك اليمين)3.

من سنن الجاهلية الفخر بالاحساب والطعن في الأنساب:-

عن أبي مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب)4.

من سنن الجاهلية التعابير:-

1 صحيح مسلم، حديث رقم (2578).

2 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم(1698).

3 الحسبة في الإسلام ص 39.

4 سبق تخريجه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثٌ من عمل الجاهليَّة لا يتركهن أهل الإسلام: النِّياحة، والاستسقاء بالأنواء، والتَّعاير)1.

من سنن الجاهلية قياس الشاهد على الغائب:-

قياس الغائب علي الشاهد كما قال ذلك اليهود والنصارى،

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ } (آل عمران:181).

قال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدِ اللَّهُ مَغْلُوبَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا } (المائدة:64).

قال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ } (التوبة: 30).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (اليهود كثيرا ما يعدلون الخالق بالمخلوق ويمثلونه به حتي يصفوا الله بالعجز والبخل ونحو ذلك من النقائص التي يجب تنزيهه عنها)2.
قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: (أن أصل الضلال أنهم قاسوا الخالق علي المخلوق، والله - جل و علا - لا يقاس بخلقه)3.

من سنن الجاهلية إخراج المرسلين والذين آمنوا من أرضهم:-

من سنن الجاهلية إخراج من خالف ملتهم ودينهم.

[الشعراء:114-115].

قال تعالى: { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا } (الأعراف: 88).
قال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا } (إبراهيم: 13).
قال تعالى: { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ } (النمل: 56).
قال تعالى: { وَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ } (محمد: 13).

من سنن الجاهلية الإستبداد والتفرد بالرأى:-

قال تعالى: { قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ } (غافر: 29).

من سنن الجاهلية اتخاذهم قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد:-

عن عائشة و عبد الله ابن عباس قالوا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له علي وجهه، فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال - وهو كذلك - : (لعنة الله علي اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما صنعوا)4.

1 أخرجه أحمد في المسند (2: 262)، حديث رقم (7560). وابن حبان في صحيحه 7: 410 برقم 3141، وإسناده صحيح.

2 مجموعة الفتاوي، المجلد العاشر ص 55.

3 التعليق القويم علي كتاب إقتضاء الصراط المستقيم، الجزء الأول ص 328.

4 صحيح البخاري، حديث رقم (435)/صحيح مسلم، حديث رقم (531).

عن ابي هريرة ان رسول الله قال: (قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد)1. عن عائشة أن ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة راينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله p فقال رسول الله p: (إن اولئك، إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنو علي قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور. اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)2.

من سنن الجاهلية نقض المواثيق:-

قال تعالى: { فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِيثَاقُهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ } (النساء: ١٥٥) .
قال تعالى: { فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِيثَاقُهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ } (المائدة: ١٣) .

من سنن الجاهلية المنجاة بالإثم والعدوان:-

قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعْوِدُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ } (المجادلة: 8).

من سنن الجاهلية ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:-

من سنن الجاهلية ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
قال تعالى: { لَعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } (المائدة: 78-79).

من سنن الجاهلية عدم محبة الناصحين:-

قال تعالى: { وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ } (الأعراف: 79).

من سنن الجاهلية أكل السحت:-

قال تعالى: { سَمَاءٌ عُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسُّحْتِ } (المائدة: 42).
قال تعالى: { وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ } (المائدة: 62).
قال تعالى: { لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ } (المائدة: 63).

من سنن الجاهلية الشفاعة السيئة:-

عن عائشة رضي الله عنها "أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله p؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله p؟ فكلمه اسامة، فقال رسول الله p: اتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب ثم قال: "إنما هلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" 3. وفي رواية أخرى للبخاري: "أن بني اسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه. لو كانت فاطمة لقطعت يدها"4.

من سنن الجاهلية تخريبهم بيوتهم بأيديهم:-

تخريبهم بيوتهم بأيديهم.
قال تعالى: { وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ } (الحشر: 2).

1 صحيح البخاري، حديث رقم (437)/صحيح مسلم، حديث رقم (530).

2 صحيح مسلم، حديث رقم (528).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (3475)/صحيح مسلم، حديث رقم (1688).

4 صحيح البخاري، حديث رقم (3733).

من سنن الجاهلية اجتماع الظاهر مع اختلاف الباطن:-

من سنن الجاهلية اجتماع الظاهر مع اختلاف الباطن أي مع اختلاف القلوب.

قال تعالى: { تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ } (الحشر: 14).

من سنن الجاهلية الإعجاب بالقوة:-

قال تعالى: { فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً } (فصلت: 15).

من سنن الجاهلية الإعجاب بكثرة المال والأبناء:-

قال تعالى: { أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا } (الكهف: 34).

من سنن الجاهلية الاستدلال على عدم العذاب بكثرة المال والأولاد:-

قال تعالى: { وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ } (سبأ: 35).

من سنن الجاهلية الاعتزاز بالأمانى:-

قال تعالى: { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (البقرة: 111).

قال تعالى: { لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيٍّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * } وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا شَيْئًا } (النساء: 123 - 124).

قال تعالى: { يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * } يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ } (الحديد: 13-14).

من سنن الجاهلية تمنى الأعمال التي لم يأتى وقتها:-

من سنن الجاهلية تمنى الأعمال التي لم تفرض عليهم أي الانشغال بالأعمال قبل حلول وقتها.
قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ اإِبْعَثْ لَنَا مَلَكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۗ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا ۗ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } (البقرة: 246).

قال تعالى: { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۗ } وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا } (النساء: 66).
قال تعالى: { وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَأِنِ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُوننَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * } فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ } (التوبة: 75 - 76).

قال العلامة عبد الرحمن السعدي: (فإن العامل إذا كان مشتغلا بعمله الذي هو وظيفة وقته، فإن قصر فكره وظاهره وباطنه عليه نجح وتم بحسب حاله، وإن نظر وتشوقت نفسه إلى أعمال أخرى لم يحن وقتها بعد فترت عزيمته، وإنحلت همته، وصار نظره إلى الأعمال الأخرى ينقص من إتقان عمله الحاضر وجمع الهمة عليه. ثم إذا جاءت وظيفة العمل الآخر جاءه وقد ضعفت همته، وقل نشاطه، وربما كان الثاني متوقفا على الأول في حصوله وتكميله؛ فيفوت الأول والثاني، بخلاف من جمع قلبه وقالبه، وصار أكبر همه القيام بوظيفة وقته، فإنه إذا جاء العمل الثاني فإذا هو قد استعد له بقوة ونشاط، وتلقاه بشوق، وصار قيامه بالأول معونة على قيامه بالثاني، ومن هذا

قوله تعالى مصرحا بهذا المعنى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً " "النساء: 77".
فانظر كيف حالهم الأولي وأمنيتهم بكف الأيدي، فلما جاءهم العمل الثاني ضعفوا كل الضعف عنه
1(

من سنن الجاهلية بهت الصالحين:-

قولهم علي الصالحين البهتان العظيم.

قال تعالى: { وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا } (النساء: 156).

قال الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: (عداة اليهود للنصاري عداة قديم مستمر بدأ هذا العداة منذ ظهور عيسي عليه السلام يدعوهم إلي دين الله الحق والتوبة إلي الله من ذنوبهم وإفتراءاتهم عليه، وأكاذيبهم الكثيرة في الدين. فإتهموا أمه الطاهرة القاننة ببهتان عظيم)2.

من سنن الجاهلية إيذاء الأنبياء و الصالحين:-

من سنن الجاهلية إيذاء الأنبياء و الصالحين.

قال تعالى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا } (الأنعام: 34).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۗ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا } (الأحزاب: 69).

قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ } (الصف: 5).

من سنن الجاهلية التعصب:-

من اصول منهج اهل السنة والجماعة ترك التعصب أي عدم الدعوة للعصبية وعدم النصره لعصبية وعدم القتال لعصبية بل حتي المشاعر يجب ان لا تكون للعصبية أي عدم الغضب لعصبية.
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله p: (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية. ومن قتل تحت راية عمية يغضب لعصبة يقاتل لعصبة فليس من امتي)3.
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله p: (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة او يدعو الي عصبة او ينصر عصبة فقتل، فقتلة جاهلية)4.

عن جندب بن عبدالله البجلي قال: قال رسول الله p: (من قتل تحت راية عمية يدعو عصبية او ينصر عصبية؛ فقتله جاهلية)5.

قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي: (قال صلي الله عليه وسلم لما قال أحد المهاجرين: يا للمهاجرين، وقال أحد الأنصار: يا للأنصار فقال عليه الصلاة والسلام: أدعوي الجاهلية وأنا بين أظهركم؟
دعوا فإنها منتنة. لفظ الأنصار ممدوح ولفظ المهاجرين كذلك، وأثنى الله علي المهاجرين والأنصار، لجميل صنعهم، وكمال أفعالهم وقوة إيمانهم، ولكنها لما أستغلت عصبية سماها رسول

1 القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ص 95.

2 مكاييد يهودية عبر التاريخ ص456.

3 صحيح مسلم، حديث رقم (1848).

4 صحيح مسلم، حديث رقم (1848)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3205).

5 صحيح مسلم، حديث رقم (1850).

الله صلي الله عليه وسلم دعوي جاهلية، وقال إنها منتنة، فاللفظ الشريف النبيل إذا أستغل لغرض دنى يكون ذمًا لقائله، ويدخل هذا اللفظ الإسلامي في إطار آخر هو إطار الجاهلية، (. . أدعوي الجاهلية . .) ماذا قالوا (يا للمهاجرين . . . يا للأنصار) ولكن ما هو الحافز؟! الدافع إليها التعصب والعنصرية) 1.

من سنن الجاهلية كتمان العلم والمتاجرة به:-

كتمان العلم والمتاجرة به.

قال تعالى: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (البقرة: 146).

ل تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ } (البقرة: 159).
قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُيِّنَ مَا يَشْتَرُونَ } (آل عمران: 187).

من سنن الجاهلية العلم بظاهر الحياة الدنيا:-

يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا والغفلة عن الآخرة .

قال تعالى: { فَأَعْرَضَ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ } (النجم: 29-30).

من سنن الجاهلية وصف الرجل الذي ليس لديه أبناء بالأبتر:-

من سنن الجاهلية وصف الرجل الذي ليس لديه ابنا بالأبتر.

قال تعالى: { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ } (الكوثر: 1 - 3).
هذا كان عند العرب الجاهلية.

من سنن الجاهلية الإسراف:-

من سنن الجاهلية الإسراف.

قال تعالى: { ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ } (الأنبياء: 9).

قال تعالى: { وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ } (يونس: 83).

قال تعالى: { قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ } (يس: 19).

قال تعالى: { مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ } (الدخان: 31).

من سنن الجاهلية إتيان في ناديهم المنكر:-

من سنن الجاهلية إتيان في ناديهم المنكر.

قال تعالى: { أُنذِرْكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ } (العنكبوت: 29).

من سنن الجاهلية أخذ المكوس:-

قال تعالى: { أُنذِرْكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ } (العنكبوت: 29).

الفصل الثالث العقل العملي في الإسلام

قد يقول قائل هل أهل السنة و الجماعة أليست لديهم منهج كلي للحياة والتفكير وأليست أصول الفقه منهج كلي ؟ الإجابة إن أهل السنة لديهم منهج كلي منتشر في كتب السنة العقدية. ومن جانب آخر أن أصول الفقه ليست منهج كلي إنما هو منهج جُزئي مثله ومثل مُصطلح الحديث وأصول التفسير والنحو. الخ. أما المنهج الكلي هو منهج مرتبط إرتباط وثيق بالتصور الكلي الإعتقادي أي مرتبط إرتباط وثيق بمفهوم بالألوهية مع ضبط مفهوم الألوهية يظهر المنهج الكلي الصحيح ومن ثمة يحصل الإصلاح الفكري.

حقيقة الإصلاح الفكري وقاعدته:-

الإصلاح الفكري يتركب من جانبين الأول هو ضبط المفاهيم والتصورات وتحريرها وأول هذه التصورات هي التصور الوجودي الإعتقادي الذي أساسه ضبط مفهوم الألوهية وتصحيح تصورها ثم يأتي بعد ذلك إيجاد المنهج الكلي للتفكير وهما متلازمان.

لذلك الاختلاف في المفاهيم والتصورات هو السبب الأول للاختلاف الفكري بين البشر. قال الدكتور طه عبد الرحمن: (ينقسم الاختلاف الفكري بين الأمم بحسب المجالات إلى ثلاثة أقسام كبرى وهي: "الاختلاف في المفاهيم" و"الاختلاف في الأحكام" و"الاختلاف في القيم")¹.
والاختلاف في المفاهيم والتصورات يقود إلى الاختلاف في المناهج أي إن الإصلاح المفاهيم في يقود إلى الإصلاح في المنهج والوسائل.

قال الأستاذ غسان علي عثمان: (والاختلاف في المفاهيم يقود إلى الاختلاف في المنهج والوسائل)².
فحقيقة الإصلاح الفكري هو وضوح التصور الوجودي الإعتقادي ومنهج التفكير.
قاعدة الإصلاح الفكري الأساس الذي يقوم عليه الإصلاح الفكري هو التصور الصحيح للوجود أي التصور الكلي الإعتقادي الصحيح.

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: (فان العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه بنيان الأمم، فصلاح كل أمة ورفقها مربوط بسلامة العقيدة وسلامة الأفكار، ومن ثم جاءت رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنادي بإصلاح العقيدة)³.

الهدف من المنهج العلمي عند أهل السنة والجماعة:-

الهدف النهائي من منهج التفكير أي منهج الحياة عند أهل السنة والجماعة هو تحقيق العبودية لله أي تحقيق التوحيد أي إخلاص الدين لله سبحانه وتعالى من الفتن أي من أهواء الذين لا يعلمون "من سنن الجاهلية" وهذه العملية ليست لها حد حتي وفاة الانسان يجب ان يكون في عبودية لله لأن الغاية النهائية هي لقاء الله والنظر إلي وجهه الكريم. قد يقول قائل منهج التفكير عند أهل السنة والجماعة هو تحقيق العبودية ومن المعلوم ان الإيمان وهو العبادة عند أهل السنة والجماعة أساس الإيمان العمل فإذا زاد العمل زاد الإيمان وإذا نقص العمل نقص الإيمان بل اذا انتفا عمل الجوارح بالكلية انتفاء معه الإيمان بالكلية وفق قاعدة "جنس العمل" ومنهج التفكير هو عمل عقلي أي عمل العقل كيف الجمع بين هذا وذاك؟

الإجابة: أن العقل نوعان عقل نظري وعقل عملي قيمي. والعقل النظري نوعان عقل غريزي فطري وعقل متحصل مكتسب وهو التصوري والمعني السائد عند أهل السنة والجماعة هو العمل بالعلم أي معرفة الحق والعمل به وهو العقل العملي القيمي.

قال الدكتور سعود العريفي: (ويطلق العقل علي العمل بمقتضي العلم، وهذا المعني هو الذي نفاه الكفار عن أنفسهم بعد دخولهم النار، كما الله - تعالى - عنهم بقوله: "وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ" "الملك:10"، وهو المراد في قوله - تعالى -: "وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" "الأنعام:32"، وقوله تعالى: "أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" "البقرة:24" وغيرها من الآيات التي تنزل ترك العمل بمقتضي العلم بمنزلة

1 الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري ص 135.

2 القرءان وتأسيس خطاب النهضة مجلة أفكار جديدة العدد 23 ص 157.

3 بيان حقيقة التوحيد ص 5.

عدم العلم والفهم أصلاً، باعتبار العمل هو مقتضي فهم الخطاب والعلم به. وقد يسمى العقل بهذا الإطلاق معرفة وبصيرة)1.

العقل العملي أي العقل القيمي هو الذي يمنع النفس عن العمل القبيح الضار وقصرها علي العمل الحسن النافع أي منع النفس من عمل الشر وقصرها علي عمل الخير وهو ما يسمى بالرشد فإذا كان العقل بالمعني الأول ضد الجنون فالعقل بالمعني الثاني هو الرشd وهو ضد السفه.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (العقل نوعان: عقل إدراك وعقل رشd. فعقل الإدراك ما يدرك به الأشياء، وهذا الذي يمر كثيراً في شروط العبادات . . . وضده الجنون. والثاني: عقل رشd، بحيث

يحسن الإنسان التصرف ويكون حكيماً . . . وضد هذا السفه لا الجنون)2 . والعقل بالمعني الثاني العمل بالعلم أي معرفة الحق والعمل به هو المعني السائد في كلام السلف.

قال الحسن: (لا يتم دين الرجل حتى يتم عقله)3.

قال سفيان بن عيينة: (ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، ولكن العاقل الذي يعرف الخير فيتبعه، ويعرف الشر فيجتنبه)4.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (أما العمل بالعلم وهو جلب ما ينفع الإنسان، ودفع ما يضره بالنظر الي العواقب فهذا هو الأغلب علي مسمي العقل في كلام السلف والأئمة)5.

قال الدكتور عبد الله بن نافع الدعجاني: (أهم مفاهيم العقل وهو المفهوم الرابع. الرابع: المفهوم العملي، وهو المرتبط بالقيم الدينية والخلقية، يقوم بوظيفة التمييز بين الحسن والقبيح، والخير والشر، ويحمل أصحابه علي محاسن الأخلاق ويمنعهم من رذائلها، فحقيقة العقل العملي "العمل بالعلم". غفل عن هذا المفهوم بعض النظار من المتكلمين، وأقصاه الفلاسفة من مفاهيم العقل وهذا المفهوم الأخير هو المفهوم التداولي في أدبيات المنهج السلفي فالرؤية المعرفية السلفية لم تتوقف عند المفهوم الوظيفي للعقل، بل تجاوزته مسلمة به إلي آفاق أرحب، وأعطته بعداً أعمق، حينما قرنته بالعمل، ولهذا كان المفهوم العملي للعقل أكمل المفاهيم)6.

قال الأستاذ عبد الرحمن الشهري: (العمل بمقتضي العلم. وهذا من أكثر المعاني استعمالاً في لسان السلف؛ لأن العمل من لوازم العقل، والسلف نظروا إلي المقصود بالعلم بالعمل فأعملوا هذا المعني أكثر من غيره)7. العقل بهذا المعني أي معرفة الحق والعمل به وهو المعني الثاني للعقل هو ضد أهوي بقدر مخالفة أهواء النفس يكون العقل والرشd بقدر إتباع الأهواء يقل العقل ويقل الرشd ويضعف. والأساس في إتباع هوي النفس الشرك بالله أي عبادة غير الله سبحانه وتعالى والأساس في العقل المكتسب عند أهل السنة والجماعة هو التوحيد أي عبادة الله وحده.

قال الإمام ابن القيم: (إن الله سبحانه وتعالى جعل في العبد هوي وعقلاً فأيهما ظهر تواري الآخر. كما قال أبو علي الثقفي: من غلبه هواه تواري عنه عقله، فانظر من أسنتر عنه عقله وظهر عليه

1 الأدلة العقلية النقلية علي أصول الاعتقاد ص 30.

2 مجموع فتاوي ورسائل العثيمين المجلد السابع ص 298.

3 روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص 16.

4 كتاب العقل وفضله لابن ابي الدنيا ص 59.

5 درء التعارض العقل والنقل الجزء التاسع ص 22.

6 منهج ابن تيمية المعرفي ص 283.

7 الدليل العقلي عند السلف ص 22.

خلافه. وقال علي بن سهل رحمه الله: العقل والهوي يتنازعان، فالتوفيق قرين العقل، والخذلان قرين الهوي، والنفس واقفة بينهما، فايهما غلب كانت النفس معه)1.

فهذا النوع من أنواع العقل أي العقل العملي وهو يسمى ايضاً بالعقل القيمي لأنه يميز بين الخير والشر أي بين الحسن والقبيح.

العقل النظري والعقل العملي:-

قال الدكتور عادل ضاهر: (لننصرف الان الي معالجة السؤال الأساسي الذي يعيننا هنا، ألا وهو السؤال المتعلق بكيف، وعلي أي أساس نميز بين العقل النظري والعقل العملي العقل النظري، أذن معني بما علينا أن نتبني من إعتقادات، بينما العقل العملي معني بما علينا أن نستهدف من غايات)2.

وقال أيضاً: (العقل النظري، بمعني آخر، معني بما ينبغي أن نتبني من إعتقادات، بينما العقل العملي معني بما ينبغي أن نتبني من غايات. وإذا كانت الإعتقادات هي المادة الأساسية للعقل النظري، فإن الرغبات هي المادة الأساسية للعقل العملي)3. وقال كذلك: (العقل العملي، بالمقارنة مع العقل النظري معني بالإجابة عن أسئلة تتعلق بما ينبغي، أو بما هو مستحسن، استهدافه من غايات، وليس بما ينبغي إعتقاده)4.

مكونات العقل العملي: غايات (مثل عليا) ووسائل:-

العقل العملي "المعرفة العملية" يتكون من معايير وتطبيقات علمية أو من غايات ووسائل أي قيم غائية (المثل الأعلى)، ووسائل.

قال الدكتور عادل ضاهر: (أن المعرفة المعيارية الأخلاقية والمعرفة العلمية التطبيقية هما عنصران مكونان للمعرفة العملية)5.

وقال كذلك: (أن للمعرفة العملية مكونين أساسيين، المكون العلمي "التطبيقي والنظري" والمكون المعياري. وقد وجدنا أن المكون المعياري ما هو في حقيقة أمره سوي مكون أخلاقي. فالمعرفة المعيارية، من حيث هي معرفة للغايات هي في نهاية التحليل، معرفة للغايات التي لها الأهمية الإجتماعية القصوي)6.

وقال كذلك: (إن المعرفة المعيارية، من حيث هي، إذن، معرفة خلقية في المقام الأول، وتأتي في راس مكونات المعرفة العملية بالإضافة الي المعرفة المعيارية، فإن المعرفة المطلوبة لتنظيم المجتمع سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً تتضمن معرفة الوسائل القمينة بتحقيق الغايات التي اخترنا)7.

1 روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص407.

2 أولية العقل ص 56.

3 المصدر السابق ص103.

4 المصدر السابق ص106.

5 الأسس الفلسفية للعلمانية ص 103.

6 المصدر السابق ص 125.

7 أولية العقل ص227.

– وقال كذلك: (مكونات المعرفة العملية، أي المعرفة المطلوبة لتنظيم شؤون دنيانا السياسية الاجتماعية – الاقتصادية. رأينا أن هناك مكونين أساسيين للمعرفة الأخيرة، المكون العلمي والمكون المعياري)1.

وقال كذلك: (فالعقل العملي، كما رأينا في القسم الأول من هذا الكتاب، هو عقل وسائلي وعقل معياري)2.

الهدف من العقل العملي هو تنظيم الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية:-

الهدف من العقل العملي أي من المعرفة العملية هو تنظيم الشؤون السياسية والاقتصادي والاجتماعية.

قال الدكتور عادل ضاهر: (في كلامنا عن المعرفة العملية من الضروري أن نعيد القارئ الي ما قلناه في مقدمة هذا الكتاب من أننا نستعمل التعبير "معرفة عملية" فقط للإشارة إلي المعرفة المطلوبة لتنظيم شؤوننا السياسية والاجتماعية والاقتصادية)3.

وقال كذلك: (الذي تعنيه المعرفة العملية، في جانب من جوانبها، ألا وهو الجانب المتعلق بمعرفة ما الذي ينبغي عمله في المجال السياسي – الاجتماعي – الاقتصادي لتحقيق غاية أو غايات متفق عليها مسبقاً)4.

وقال كذلك: (إن المعرفة المعيارية، من حيث هي، إذن، معرفة خلقية في المقام الأول، وتأتي في راس مكونات المعرفة العملية بالإضافة الي المعرفة المعيارية، فإن المعرفة المطلوبة لتنظيم المجتمع سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً تتضمن معرفة الوسائل القمينة بتحقيق الغايات التي اخترنا)5.

– وقال كذلك: (مكونات المعرفة العملية، أي المعرفة المطلوبة لتنظيم شؤون دنيانا السياسية الاجتماعية – الاقتصادية. رأينا أن هناك مكونين أساسيين للمعرفة الأخيرة، المكون العلمي والمكون المعياري)6.

العقل العملي في الإسلام:-

العقل العملي في المنهج الإسلامي يكون بالإيمان.

قال تعالى: {وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} (يونس: 100).

قال تعالى: {يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} (الأنعام: 125). النصوص تفسر بعضها البعض.

1 اللامعقول في الحركات الإسلامية المعاصرة ص 56.

2 أولية العقل ص 277.

3 الأسس الفلسفية للعلمانية ص 104.

4 المصدر السابق ص 112.

5 أولية العقل ص 227.

6 اللامعقول في الحركات الإسلامية المعاصرة ص 56.

بقدر وجود الإيمان وتمامه يكون وجود العقل العملي و تمامه وبقدر نقصان الإيمان يكون نقصان العقل العملي¹.

العقل العملي والعمل الصالح:-

الأصل في الإيمان هو العمل الصالح والدليل علي ذلك عطف العمل الصالح علي الإيمان في الآيات الآتية وهو من باب عطف الخاص علي العام يفيد الإهتمام بالخاص وتقديمه لميزة توجد به لا توجد في بقية أفراد العام.
قال تعالى: { وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } (البقرة: ٢٥).

قال تعالى: { مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ } (البقرة: ٦٢).

قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ } (البقرة: 82).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ } (البقرة: 277).

قال تعالى: { وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ } (آل عمران: 57).

قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } (النساء: 57).

قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } (النساء: 122). وغيرها من الآيات.

العمل الصالح و الإشراف بالله " الفتنة في الدين " نقيضان:-

العمل الصالح والشرك بالله " الفتنة في الدين " نقيضان.

قال تعالى: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } (الكهف: 110).

عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال: " يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقي الشح، وتظهر الفتن ويكثر الهرج. قالوا: يا رسول الله ايما هو؟ قال: القتل القتل² .

عن أبي هريرة، يرفعه قال: (يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويلقي الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج) قالوا: يا رسول الله! وما الهرج؟ قال: (القتل)³.

العقل و الرشده:-

لقد ذكرنا إن العقل نوعان عقل نظري وعقل عملي، والعقل العملي الذي هو العمل بمقتضى العلم وهو الإيمان وهو الذي يترتب علي عدمه العقاب وعلي وجوده الثواب. وبقدر الايمان أو بقدر محبة الايمان يكون الرشده أي الإنسان أي رشده عقله.

قال تعالى: { فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } (البقرة: 186).

قال تعالى: { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَرَيْبُهُ فِي قُلُوبِكُمْ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } (الحجرات: 7).

1 في مقابل العقل العملي الشرعي العقل الكوني.

قال تعالى: { وَلِلَّذَارِ الْأَخْرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (الأنعام: 32).

قال تعالى: { وَالَّذَارِ الْأَخْرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (الأعراف: 169).

قال تعالى: { وَلِلَّذَارِ الْأَخْرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (يوسف: 109).

قال تعالى: { وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (القصص: 60).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (7061)/صحيح مسلم، حديث رقم (2672).

3 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3292).

عن عدي بن حاتم؛ ان خطيبا خطب عند عند النبي p، فقال: (من يطع الله ورسوله؛ فقد رشد، ومن يعصهما! فقال: "قم - أو قال - اذهب فبئس الخطيب انت)1.

والإيمان هو العقل العملي هذا يعني إذا وجد العقل العملي الاسلامي أي الإيمان يكون الرشد العقلي. لكن من جانب آخر أن طريق النجاة من العذاب هو إتباع سبيل الرشد أو الرشد نفسه. قال تعالى: { وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْأَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ } إلي قوله تعالى: { وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ } (غافر: 38 - 41). فهو يدعوهم إلي إتباع سبيل الرشد وهو سبيل النجاة والخلاص من العذاب وهم يدعونهم إلي النار. فما هو الرشد؟ فالرشد في اللغة هو المقصد وهو ما يُحِبُّ وهو ضد الخيبة.

قال الإمام القرطبي: (وحقيقة الرشد والرشد في اللغة أن يظفر الإنسان بما يريد ، وهو ضد الخيبة)2.

وقال في موضع آخر: (يقال : رشد يرشد رشدًا ، ورشد يرشد رشدًا : إذا بلغ ما يحب . وغوى ضده)3.

قال الإمام الشوكاني: (وأصل الرشد في اللغة أن يظفر الإنسان بما يريه وهو ضد الخيبة)4. حقيقة الرشد أي حقيقة النجاة من العذاب هي الوصول إلي مرحلة الكمال أي الحياة الكاملة لذلك لا يكره عليه أحد. قال تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } (البقرة:256). فالرشد هو الكمال أي الحياة الكاملة لذلك لا يكره عليه أحد فالإنسان لا يكره إلا علي شي ناقص أما الكمال لا يكره عليه احد لذلك " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ " لماذا؟ لقد تبين الكمال من النقص والعيب " قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ " ، لان القلوب مجبولة علي حب الكمال والتعلق به وعلي كراهية النقص وبغضه. قال العلامة عبد الرحمن السعدي: (يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة أثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفوس، وأما هذا الدين القويم والصرراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طرقه، وتبين أمره، وعرف الرشد من الغي، فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه أثره واختاره، وأما من كان سيئ القصد فاسد الإرادة، خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح، فهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين)5.

الدليل الثاني علي أن الرشد هو الكمال أو الحياة الكاملة. قوله تعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } (النحل:125). الداعي الي استخدام الموعظة الحسنة في الدعوة هو وجود شهوة أي نقص وضعف عن الارادة الكاملة، و الداعي الي استخدام الجدال بالتي هي احسن هو وجود شبهة أي نقص في العلم أما الحكمة هي الحالة التي لا توجد بها نقص في الارادة أو نقص في العلم هذا يعني أنها الحياة الكاملة فوجود الارادة دليل علي الحياة فوجود الارادة الكاملة والعلم الكامل دليل علي الحياة الكاملة فالدعوة في هذه الحالة يكون بلسان الحال لذلك

1 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4981).

2 تفسير القرطبي، المجلد السابع ص 283.

3 تفسير القرطبي، المجلد الثالث ص 279.

4 تفسير الشوكاني ص 499.

5 تفسير السعدي ص 111.

لا يكره احد 1.. الدليل الثاني علي إن الغاية هي الحياة الكاملة. قال تعالى : { اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } (24 الأنفال). يحييكم فعل مضارع، والمصدر كامن في الفعل وهو حياة، عند اضافته الي كاف المخاطب يكون المفرد مضاف يفيد الاستغراق والكمال أي الحياة الكاملة نحن نستجيب لله وللرسول لما فيه الحياة الكاملة.

الدليل الثالث علي إن الغاية هي الحياة الكاملة. عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّهُ لَا قُدْسَ أُمَّةً لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَّعٍ)2.

عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (كَيْفَ يُقَدَّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعْفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ)3.
عَنْ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لَا تُقَدَّسُ أُمَّةٌ لَا يُفْضَى فِيهَا بِالْحَقِّ وَيَأْخُذُ الضَّعِيفُ حَقَّهُ مِنْ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَّعٍ)4.

(إن الله تعالى: لا يُؤَدِّسُ أُمَّةً لَا يُعْطُونَ الضَّعِيفَ مِنْهُمْ حَقَّهُ)5.
مفهوم المخالفة يقتضي المغايرة أي تُقَدَّسُ الأُمَّةُ التي يُقْضَى فيها بالحق و التي يأخذ الضعيف حقه من القوي وهو ليس متتع.

التفديس هو التنزيه عن النقص والعيب أي هو الكمال فالأمة المقدسة هي الأمة الكاملة أي الحياة الكاملة هي الحياة التي يُقْضَى فيها بالحق و التي يأخذ الضعيف حقه من القوي وهو ليس متتع هذا يعني أن الرشد هو الحياة الكاملة فبقدر كمال العقل وتماهه أي رشه أي يكون النجاة من العذاب والرجس أي يكون الوصول الي الحياة الكاملة أي الرشد، وبقدر نقصان العقل وغيابه يكون النقص والخلل في الحياة أي يكون العذاب والرجس في الحياة أي الضلال عن الحياة الكاملة مع العلم كمال العقل هو كمال الايمان أي الرشد. هذا يعني أن العقل الكامل والحياة الكاملة متلازمان مترابطان لا ينفكان عن بعضهما البعض فوجود العقل الكامل يقود الي الحياة الكاملة ووجود الحياة الكاملة دليل علي وجود العقل الكامل.

الرشد العقلي والحنيفية السمحة:-

العقل الكامل أي العقل الراشد وسيلة للرشد في الحياة أي وسيلة للخلاص والنجاة. وكمال العقل ورشه يتحقق بالإيمان بالله سبحانه وتعالى والإيمان هو محبة الله لذاته وحقيقة ذلك هي إتباع الملة الحنيفية. قال تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي } (آل عمران: 31). بقدر إتباع النبي صلى الله عليه وسلم يكون تأليه المولي عز وجل وبقدر عدم إتباع النبي صلى الله عليه وسلم يكون الشرك بالله. والرسول صلى الله عليه وسلم مامور بإتباع الشريعة الحنيفية.
قال تعالى: { تَمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا } (النحل: 123).

1 والدليل علي أن الحكمة هي الدعوة بلسان الحال هو أن الكفر سبب للصد عن سبيل الله فبقدر الكفر يكون الصد عن سبيل الله. قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا } (النساء: 167).

قال تعالى: { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِنَاهُمْ عَذَابًا } (النحل: 88).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } (الحج: 25).

قال تعالى: { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ } (محمد: 1).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ تَمَّ مَأْوَاهُمْ وَهُمْ كَفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } (محمد: 34).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ تَمَّ مَأْوَاهُمْ وَهُمْ كَفَّارٌ } (34 محمد)

هناك تلازم بين الكفر والصد عن سبيل الله لأنهم قريبان والقريبان متلازمان عند السلامة والصحة من المعارض.

2 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (1984).

3 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3255).

4 صحيح الترهيب والترغيب، حديث رقم (2191).

5 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (1858).

وقال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيحَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبَعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (الجاثية:18). وحقيقة الشريعة الحنيفية هي مخالفة أهواء النفس أي عدم إتباع أهواء الذين لا يعلمون هذا يعني أن حقيقة كمال العقل ورشده تكون بمخالفة أهواء النفس أي بإتباع الملة الحنيفية وهي مخالفة اليهود والنصارى والمجوس. قال تعالى: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا } (آل عمران: 67). وحقيقة مخالفتهم هي عدم إتباع أهوائهم أي عدم التشبه بهم، لان بقدر التشبه بهم يكون الانتماء إليهم.

عن ابن عمر، قال: قال النبي p: (من تشبه بقوم فهو منهم)1.

فحقيقة العقل الكامل أي الرشد العقلي هو إتباع الشريعة الحنيفية السمحة وهي ملة إبراهيم عليه السلام أي مخالفة أهواء النفس.

قال تعالى: { وَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ } (الانبياء: 51).

الرشد مضاف يفيد العموم أي أعطينا إبراهيم عليه السلام كل الرشد وهو صاحب الملة الحنيفية. بقدر إتباع الملة الحنيفية أي بقدر مخالفة أهواء النفس يكون العقل المسلم وتشكله أي يكون العقل المسلم الكامل أي يكون الرشد العقلي.

نقصان العقل العملي يسمى السفه:-

وفي المقابل بقدر مخالفة الملة الحنيفية وهي ملة إبراهيم عليه السلام والرغبة عنها أي بقدر إتباع أهواء النفس يكون غياب العقل المسلم ونقصانه وهو الذي يُسمى السفه. قال تعالى: { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ } (البقرة: 130). حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا خزيمة حدثنا سويد بن بن غفلة، قال علي رضي الله عنه: وإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: (سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)2. فالحديث أثبت للخوارج سفاهة الأحلام والمرقون من الدين ونفي عنهم الإيمان بقدر نقص الدين والإيمان أي نقص العقل يكون السفه فالنقص في العقل يُسمى سفهاً والسفه هو نقصان العقل. فكل من يرغب عن ملة إبراهيم عليه السلام وهي الحنيفية السمحة أي كل من يمرق من الدين فهو سفيه أي كل من إتبع هواه هو سفيه. بقدر الزهد عن الحنيفية السمحة و الانحراف عنها أي بقدر إتباع أهواء النفس تكون سفاهة العقول والأحلام أي نقص العقول أو غيابها وبقدر إتباع الحنيفية السمحة يكون الرشد وهو كمال العقل وتمامه.

الفتن هي السبب في نقصان العقل العملي المسلم وهي السبب في غيابه:-

إذا كان أفراد الله بالعبادة أي محبته لذاته هي السبب الأول والأخير لتشكيل العقل العملي المسلم فإن الفتن وهي الشرك بالله أي إرادة غير الله لذاته هي السبب الأول والأخير لنقص العقل المسلم وغيابه أي السبب الأساسي في الانحراف عن الملة الحنيفية أي السبب الأساسي للسفه.

1 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4031).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (6930).

قال تعالى: { تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ } (الحشر:14). فاختلاف القلوب ناتج من إنتفاء العقل الشرعي أي إنتفاء الايمان وحقيقة الايمان هي محبة الله سبحانه وتعالى لذاته أي عبادته. عن انس رضي الله عنه، عن النبي p قال:(ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وان يحب المرء لا يحبه إلا الله، وان يكره أن يرجع عن دينه، كما يكره أن يقذف في النار)1.

واختلاف المعبودات سبب لاختلاف الأديان. قال تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } (الكافرون: 1-6). والسبب في اختلاف الأديان أي أن لا يكون الدين كله الله هو وجود الفتن.

قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينَ لِلَّهِ } (البقرة:193).

قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (الأنفال: 39).

هناك تلازم بين أن يكون الدين كله الله وأن لا تكون فتنة، فإذا إنتفت الفتن يكون الدين كله الله وإذا لم تنتفي الفتن لا يكون الدين كله الله. عن أبي موسى: حدثنا رسول الله p: "أن بين يدي الساعة لهرجاء" قال: قلت: يا رسول الله! ما الهرج؟ قال: "القتل" فقال بعض المسلمين: يا رسول الله! إنا نقتل الآن في العام الواحد، من المشركين كذا وكذا، فقال رسول الله p: "ليس بقتل المشركين ولكن قتل بعضكم بعضاً، حتى يقتل الرجل جاره و ابن عمه وذا قرابته" فقال بعض القوم: يا رسول الله! ومعنا عقولنا، ذلك اليوم؟ فقال رسول الله p: " لا، تنزع عقول أكثر ذلك الزمان ويخلف له هبا من الناس لا عقول لهم"2.

الرشد في الحياة هو الوصول إلى مرحلة سيادة الموازين و المعايير :-

إذا كان الرشد العقلي أي الكمال العقلي هو الحنيفية السمحة فإن الرشد في الحياة أي الحياة الكاملة أي هو الوصول إلي مرحلة سيادة الموازين و المعايير التي تنظم حياة الناس. عن سعد بن عبد الله بن سعد عن أبيه عن أبي ألد رداء رضي الله عنهم قال: سمع رسول الله p رجلا فلحن قال رسول الله p: (أرشدوا أخاكم)3. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله p: (ومن أشارة علي أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانته)4.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله p: (الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة، وأغفر للمؤذنين)6. فالإمام ضامن لأن للصلاة شروط و ضوابط أي لها معايير و موازين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قال سلمان الفارسي: "إن الصلاة مكيال ; فمن وفى وفي له ومن طفف فقد علمتم ما قال

1 صحيح البخاري، حديث رقم (16)/صحيح مسلم، حديث رقم (67).

2 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3213).

3 مستدرک الحاكم، كتاب التفسير، حديث رقم (3643). قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

4 الخيانة ضد الأمانة والأمانات نوعان الأموال والولايات أو الأموال والعلم. لأن أمانة الولايات هي أمانة العلم وحقيقة أمانة الولايات أي حقيقة أمانة العلم هي معرفة الموازين و المعايير وتنظيم حياة الناس بها وسوف يكون الحديث عنها في وسائل التنمية.

5 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3657).

6 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (517).

الله في المطففين" وكذلك فسروا قوله: "فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ" قال: إضاعتها تأخيرها عن وقتها وإضاعتها حقوقها) 1.

هذه الأحاديث تبين أن الرشد ميزان ومعيار. والإرشاد إلي معايير الصلاة الصحيحة أي إلي أركان الصلاة وواجباتها وشروطها فكل شي يحتاج إلي ضمان هو ميزان ومعيار كما سيأتي.

الحكمة نوعان: وسيلة وغاية:-

الحكمة نوعان حكمة غاية وحكمة وسيلة.

الحكمة الوسيلة:-

الحكمة الوسيلة هي التي وردت في قوله تعالى: { الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } (البقرة: 268 – 269).

قال تعالى: { قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ } (الزخرف: 63).

قال تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } (البقرة: 269).

قال تعالى: { ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ } (الاسراء: 39).

قال تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ } (لقمان: 12).

قال تعالى: { وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ } (ص: 20).

وفي قوله تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ } (لقمان: 12).

ولقد ذكر العلماء والمفسرين لهذا النوع من الحكمة تعريفات كثيرة منها المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. ومن هذه التفسيرات كذلك الفقه في القران، والورع في دين الله، والعلم والفقه، وخشية الله، والعقل في الدين، والنبوة، والإصابة في القول والفعل، والعلم والعمل، الفهم وهذه التعريفات في غالبها متلازمة. ولكن ما يجمع هذه التعريفات الكثيرة تعريفين الأول هو المنع من السفه أي أن الحكمة هي ما يمنع السفه.

قال الإمام القرطبي: (وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه، فقليل للعلم حكمة، لأنه يمتنع به، وبه يعلم الامتناع من السفه وهو كل فعل قبيح) 2.

قال الإمام الشوكاني: (وأصل الحكمة: ما يمنع من السفه وهو كل قبيح) 3.

أما التعريف الثاني للحكمة هو العلم والعمل أو العلم النافع والعمل الصالح.

قال الإمام ابن الجوزي في حديثه عن معاني الحكمة: (العلم والعمل، ولا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمعهما) 4.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي: (فقد يكون الإنسان عالماً ولا يكون حكيماً. وأما الحكمة مستلزمة للعلم، بل وللعمل، ولهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع والعمل الصالح) 5.

الحكمة هي العلم والعمل أو هي العلم النافع والعمل به لأن حقيقة السفه الرغبة عن ملة إبراهيم عليه السلام وهي الحنيفية السمحة هو إتباع أهواء النفس أي إتباع أهواء الذين لا يعلمون، وبقدر مخالفة

1 مجموع الفتاوي، الجزء 32 ص 217.

2 تفسير القرطبي المجلد الثاني ص 391.

3 تفسير الشوكاني ص 186.

4 تفسير ابن الجوزي ص 165.

5 تفسير السعدي ص 648.

أهواء النفس يكون إتباع الشريعة الحنيفية. ولكن ما هو الشيء الذي يمنع السفه؟ أي ما هو الشيء الذي يمنع من النقص في العقل؟ أي ما هو الشيء الذي يمنع من إتباع أهواء النفس؟ هو الإيمان وحقيقة الإيمان هو محبة الله سبحانه وتعالى لذاته ولا تتحقق هذه المحبة إلا بعدم محبة غير الله سبحانه وتعالى لذاته وأعظم ما يراد لذاته من دون الله هو النفس وحقيقة ذلك إرادة العلو في الأرض وأعظم صور العلو في الأرض هما الحرص علي المال وهو جمع المال أي إرادته لذاته وعدم إنفاقه والثاني هو الحرص علي الشرف وهو إنفاق المال المراد لذاته في غير سبيل الله أي في غير مكانه الصحيح أي في المكان الذي يريده الناس هذا يعني أن الشيء الذي يمنع السفه ويحقق الحكمة هو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله سبحانه وتعالى. فيقدر إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله تكون الحكمة ويقدر عدم إنفاق المال المراد لذاته في غير سبيل الله يكون السفه. قال تعالى: { الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } (البقرة: 268 – 269).

الحكمة الغاية هي الموازين والمعايير:-

الحكمة الغاية هي التي تكون مقرونة بالكتاب هي الموازين والمعايير لان الكتاب في القرآن قرن بالحكمة وقرن بالميزان أيضا. الآيات التي قرن فيها الكتاب بالحكمة هي: قال تعالى: { يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (البقرة: 129).

قال تعالى: { يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } (البقرة: 151).

قال تعالى: { وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ } (البقرة: 231).
قال تعالى: { يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (آل عمران: 164).

قال تعالى: { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ } (النساء: 113).
قال تعالى: { يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (الجمعة: 2).

أما الآيات التي قرن فيها الكتاب بالميزان هي:

قال تعالى: { اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ } (الشورى: 17).

قال تعالى: { وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ } (الحديد: 25).

والنصوص تفسر بعضها البعض فالحكمة النتيجة هي الميزان والمعيار. وأعظم الموازين والمعايير معيار التقوى.

قال الشيخ محمد بن صالح المنجد: (ولذلك أيها الإخوة كان واضحا في ديننا المعيار الصحيح الذي ينبغي أن يتخذ مقياساً يقاس به الأفراد في قربهم وبعدهم من الله عز وجل، وفي خيريتهم، وهذا المقياس أيها الإخوة ما ورد في القرآن الكريم ممثلاً بقول الله عز وجل: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، لِمَاذَا جَعَلْنَا اللَّهُ شُعُوبًا وَقِبَائِلَ، هل لنتفاخر وليفخر بعضنا على بعض ويحتقر بعضنا بعضاً؟ كلا أيها الإخوة، لقد قالها الله في القرآن صريحة: وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقِبَائِلَ لِنَعَارَفُوا، ثم جاءت القاعدة العظيمة إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ سورة الحجرات 13، التقوى هي المقياس كما وضح ذلك صلى الله عليه وسلم في أعظم جمع كان في حياته وحياته أصحابه في موقف عرفه، قال عليه السلام:

(لا فضل لعربي على عجمي) ثم قال: (إلا بالتقوى) هذا هو المفهوم القرآني إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأْتُمْ
سورة الحجرات(13)1. ومع العلم أن ميزان التقوي والذهب متلازمان.

الرشد والحكمة:-

الرشد والحكمة من الأسماء إذا اجتمعت إفتقرت و إذا إفتقرت اجتمعت 2. فإذا اجتمع الرشد والحكمة
كانت الحكمة إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله وكان الرشد هو المعايير والموازن والقيم
المطلقة. وإذا إفتقر الرشد والحكمة كان كل واحد منهم يتضمن المعنيين أي يتضمن إنفاق المال
المراد لذاته في سبيل الله و يتضمن المعايير والموازن والقيم المطلقة. هذا يعني في حال إجتماع
الرشد والحكمة، فالرشد غاية و ضده الغي والحكمة وسيلة و ضدها السفه. أما في حال إفتراق
الرشد والحكمة هناك رشد وسيلة وهو إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله وهو ضد السفه، ورشد
غاية يُراد الوصول إليه وهو سيادة المعايير والموازن التي تنظم الحياة وهو ضد الغي. وكذلك
حكمة مقدمة وهي ضد السفه وهي إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله وحكمة نتيجة وهي سيادة
المعايير والموازن والقيم المطلقة. لقد ذكرنا أن الرشد نوعان رشد عقلي وهو ضد السفه ورشد في
الدين أي في الحياة وهو الحياة الكاملة وهو ضد الغي وهو سيادة المعايير والموازن والقيم المطلقة
في حياة الناس وهو غاية يراد الوصول إليه وهذا هو أصل معني الرشد، أما الرشد الذي ضد السفه
في الأصل هو الحكمة وهي الوسيلة لتحقيق رشد أي وسيلة لتحقيق الغاية. وسيادة المعايير
والموازن والقيم المطلقة تمنع التفرق والإختلاف بين الناس أي تحقق الإصلاح بينهم. الحكمة في
الأصل هي عدم الشرك بالله أي عدم ارادة العلو في الارض وحقيقة ذلك إنفاق المال المراد لذاته في
سبيل الله وعدم الإنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله سبب لظهور سنن الجاهلية أي البعد عن
الحنيفية. والرشد في الأصل هو غاية مراد الوصول إليها وهي عدم تفرق الناس وإختلافهم. فالحكمة
وسيلة للرشد وهي الحنيفية السمحة بها يكون بنا العقل المسلم وكمالها أي بقدر معرفة سنن الجاهلية
أي أهواء النفس ومخالفتها يكتمل العقل المسلم ويكون صلاحه. وبقدر عدم معرفة سنن الجاهلية أي
أهواء النفس وعدم مخالفتها يكون النقص في العقل المسلم وضعفه.

1 التفاخر بالأنساب، <https://almunajjid.com/4841>.

2 هذا يظهر عند الحديث عن الحكمة وأنواعها.

الفصل الرابع
المثل الاعلى في الإسلام
(أن تكون كلمة الله هي العليا
أي أن لا تكون فتنة في الأرض)

الأخلاق في اللغة:-

الأخلاق في لغة جمع خلق وهو السجية والطبع.

قال الفيروز آبادي: (والخلق بالضم و الضمتين: السجية والطبع)1.

قال أبو بكر الرازي: (الخلق بسكون اللام وضمها السجية. وفلان "تخلق بغير خلقه أي تكلفه)2.

الأخلاق اصطلاحاً:-

الأخلاق في الإصطلاح هي ضبط غرائز الإنسان ودوافعه وتوجيهها الوجهة الصحيحة أي التصرف السليم في الحرية الفردية المطلقة3.

قال الأستاذ محمود محمد طه: (بداية الأخلاق ضبط الغرائز، الذي كان تطلبه المجموعة الأولى من الفرد، ليكون إجتماعياً.. ونهاية الأخلاق هي حسن التصرف في الحرية الفردية المطلقة. فالأخلاق مرتبطة بالفكر دائماً، ومرتبطة بالجماعة)4.

قال أيضاً: (الأخلاق هي حسن التصرف في الحرية الفردية المطلقة. وحسن التصرف هذا بإزاء الخالق أولاً، والخلق ثانياً)5. أول الغرائز التي تحتاج إلي ضبط، غريزة حب الذات أي تأليها وعبادتها أي ضبط حب الكمال وتوجيهه الوجهة الصحيحة لأن حقيقة حب الذات هو حب الكمال 6 وحب الكمال نوعان: حب الكمال الشركي هو أساس الضلال وحب الكمال التوحيدي هو أساس العبودية. أما حسن التصرف في الحرية الفردية الخارجية المطلقة هو عبادة الله سبحانه وتعالى وتأليها أي عدم الإشراف به.

قال الأستاذ محمود محمد طه: (حسن التصرف في الحرية معناه: إفراد الله بالعبادة، لأن الله تبارك وتعالى، يقول: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"7. ولا تتحقق عبادة الله سبحانه وتعالى إلا بضبط غريزة حب الذات أيضاً أي عدم تأليها هذا هو حسن التصرف في الحرية الفردية الخارجية المطلقة. فعبادة الله سبحانه وتعالى أي عدم تأليه النفس هو أصل الأخلاق الحسنة، لأن تأليه الإنسان لنفسه هو أصل الشرك بالله وأساسه8.

علم الأخلاق:-

أما علم الأخلاق من هو علم معياري يبحث عن ما يجب أن يكون ولا يبحث عن ما هو كائن وحقيقة ذلك هو البحث عن القيم والمثل العليا أي الرشد الإنساني أي الحياة الكاملة فقضيته الأولى هي المثل الأعلى أي الحياة الكاملة.

قال الدكتور عبد المتعال زين العابدين: (وحقيقة ان اهتمام علم الأخلاق منصب، في الأساس، في قضية الغايات او المثل العليا Deals او القيم Values المرتبطة بأنماط النشاط – هذا الاهتمام

1 القاموس المحيط ص 391.

2 مختار الصحاح ص 186.

3 الشئ الذي يدفع الإنسان لحسن التصرف في الحرية الفردية الخارجية المطلقة هو وجود القيم المطلقة التي تضبط دوافع الإنسان وغرائزه، فمن تعريفات القيم التي إصطلحوا عليها علماء الأخلاق تعريف أن القيم هي ضوابط لضبط دوافع الإنسان وغرائزه، فالقيم هي ضوابط لغرائز الإنسان ودوافعه.

4 أسئلة وأجوبة الكتاب الأول ص 65.

5 أسئلة وأجوبة الكتاب الأول ص 27.

6 حب الذات هو الغريزة الأم، وباقي الغرائز فرع منها.

7 تطوير شريعة الأحوال الشخصية ص 43.

8 قد يقول قائل كيف تقولون هذا تعريف الاخلاق في الصطلاح وهو قول شخص واحد؟ الإجابة إن هذا التعريف للأخلاق يتفق مع أشهر تعاريف القيم وهو أكثر تعريف متفق عليه بين علماء الأخلاق وهو أن القيم ضوابط لدوافع الإنسان، مع العلم أن الحديث عن الأخلاق هو الحديث عن القيم وأن نظرية الأخلاق هي نظرية المثل الأعلى أي نظرية القيم.

بالقيم، والمثل العليا والغايات هو الذي يميز علم الأخلاق عن العلوم الطبيعية . . . هو دراسة ما هو صحيح خلقياً، اكتشاف ما يجب ان يكون وليس محض اكتشاف ما هو كائن من هنا جاء وصفه بأنه علماً معيارياً وليس علم وصفي descriptive، من هنا جا القول: "ان تعرف ما هو كائن او موجود" هو موضوع العلم الطبيعي علي حين ان معرفة "ما يجب ان يكون او ما له قيمة أي ما يجب ان يكون موضع اهتمامنا وهو موضوع علم الاخلاق. من هنا كان اهتمام "فلسفة الاخلاق" بقضية القيم، المثل العليا، واهداف الحياة، وكل بحث في القيم لابد ان يتجاوز مجال الوصف المحض ليلج الي مجال ما يجب ان يكون، أي تصوير الحياة المثلي او هو البحث عن الحياة التي تستحق ان نحياها)1.

قال الأستاذ مصطفى حلمي: (علم الأخلاق يتناول دراسة أفعال الناس بالقياس الي مثل اعلي)2. ويعرف علم الأخلاق كذلك بعلم الخير والشر وعلم الحسن والقبح وعلم النفع والضر لأنه يفصل وعلم العادات.

قال الدكتور مقداد يالجن: (في ضو ذلك يمكن تحديد مفهوم الأخلاق في الاسلام بان الأخلاق عبارة عن علم الخير والشر والحسن والقبح)3.

أركان علم الأخلاق:-

علم الأخلاق أو النظرية الخلقية يتكون من خمسة أركان أساسية وهي الإلزام الخلقى، المسؤولية، النية، الجزاء، الجهد وهي الأشياء تمثل الأعمدة الأساسية لهذا العلم.

قال الدكتور محمد عبد الله دراز: (والإلزام، والمسؤولية، والجزاء، والنية، والجهد، تلکم هي العمدة الرئيسية لكل نظرية أخلاقية، واعية بمراميتها . . . ولقد خصصنا أساس هذا البحث في القرآن لدراسة هذه الأجزاء التكوينية للنظرية الأخلاقية)4.

قد يقول قائل مع إن علم الأخلاق علم معياري إلا إن المثل الأعلى أي الكمال والرشد وهو المعيار الذي تسعى النظريات الخلقية للوصول إليه مع ذلك لم يذكر ضمن أركان علم الأخلاق! نقول المثل الأعلى والجهد متلازمان مترابطان لا ينفكان فالحديث عن اي منهما هو حديث عن الآخر لا يكون هناك بذل للجهد اي لا يكون هناك جهاد إلا بوجود مثل اعلي يسعى النظام الخلقى للوصول إليه.

قال الدكتور محمد عبد الله دراز: (فان بين مصطلحي "الجهد، والقيمة الأخلاقية" علاقة ثابتة، لدرجة ان قياس احدهما بالآخر يمكن ان تذكر في صورة معادلة: فوجود احدهما او عدمه، وزيادته او نقصه قد تستتبع نفس الأثر في الآخر، بصورة لا يمكن تحاشيها، وبنفس النسبة) 5. مع العلم أن الجهد البشري نوعان جهد غريزي طبيعي يبذله كل البشر من اجل العيش وجهد أخلاقي. وجهد عقلي أي قيمي.

1 فلسفة الأخلاق ص9.

2 الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام ص 25.

3 التربية الاخلاقية الإسلامية ص 81.

4 دستور الأخلاق في القرآن الكريم ص675.

5 المصدر السابق ص 592.

وقال كذلك: (ولكن فوق هذا الجهد "الطبيعي" الذي تفرضه الغريزة جهد آخر، يقتضيه "العقل" ويجب ان يسخر لخدمة "المثل الأعلى" وهذا النوع من الجهد، هو الذي نزع بدراسته)1.

وقال كذلك: (إننا إذا حكمنا علي هذه المسألة ببعض النصوص فان الجهاد يجب ان يستهدف المثل الاعلي، متناسيا نفسه..... والواقع إن قوله تعالى: " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَنْطَعْتُمْ" يضع حدا للعمل، لا بالنسبة إلي ما الله حقيق به، بمقتضى صفاته، بل بالنسبة إلي ما يمكن ان يبلغه الناس، فهو يعفيهم اذن من كل ما يتجاوز مقدرتهم، ولكنه يبدو في الوقت نفسه وهو يلزمهم بان يسخروا كل قواهم في سبيل هذا المثل الأعلى)2.

قد يقول قائل من جانب آخر لقد ذكرتم إن هناك شيئان أساسيان في علم الأخلاق ثم ذكرتم اركان علم الأخلاق وهم خمسة كيف الجمع؟ الإجابة: الإلزام والمسئولية والجزاء متلازمات فالكلام عن الإلزام هو كلام عن المسئولية والجزاء.

قال الدكتور محمد عبد الله دراز: (يرتبط بفكرة الإلزام، ناتجان يستلزم احدهما الآخر بدوره، ويؤيده، ويدعمه، هي: فكرة المسئولية، وفكرة الجزاء والواقع أن هذه الأفكار الثلاثة يأخذ بعضها بحجز بعض، ولا تقبل الانفصام. فإذا وجدت الأولى تتابعت الأخرى علي أثرهما؛ وإذا إختفت، ذهبنا علي الفور في أعقابهما)3.

تعريف المثل الأعلى في علم الاخلاق:-

من خلال الحديث عن علم الأخلاق وأركانه اتضح لنا أن هذا العلم غايته الوصول إلي المثل الأعلى أي إلي الكمال أو الحياة الكاملة أي السعادة. والمثل الأعلى هو التصور الكامل للحياة الإنسانية المثلي أو الحياة الإنسانية النافعة "الصحيحة" التي يجب ان يعيشها الإنسان علي الأرض أي هو ما يجب ان يكون. لأنه هو المعيار للحياة المثالية والعالم المثالي. وهو اساس علم الأخلاق بل اصبح يعرف علم الاخلاق (النظرية الخلقية) بنظرية المثل الاعلي. فلكل دائرة حضارية مثل اعلي تسعى للوصول إليه أي تسعى لتحقيقه ويختلف عن المثل العليا للحضارات الاخرى.

أهمية المثل الأعلى:-

قال الأستاذ محمد باقر الصدر: (المثل الأعلى هو نقطة البدء في بناء المحتوى الداخلي للجماعة البشرية، وهذا المثل الأعلى يرتبط في الحقيقة بوجهة نظر عامة الي الحياة والكون، ويتحدد من قبل كل جماعة بشرية علي أساس وجهة نظرها العامة نحو الحياة والكون، علي ضوء ذلك تحدد مثلها الأعلى)1.

وقال كذلك: (سوف ينصرف كل فرد في هذه الامة ينصرف الي همومه الصغيرة، الي قضاياها المحدودة لانه لا يوجد هناك مثل اعلي تلتف حوله الطاقات، تلتف حوله القابليات والإمكانات تحشد من اجله التضحيات لا يوجد هذا المثل الاعلي، حينما يسقط هذا المثل الاعلي تسقط الراهية التي توحد الامة، يبقى كل انسان مشدود الي حاجاته المحدودة، الي مصالحه الشخصية، الي تفكيره في اموره الخاصة، كيف يصبح؟ كيف يسمى؟ كيف يأكل؟ كيف يشرب؟ كيف يوفر الراحة والاستقرار له ولاولاده ولعائلته؟ أي راحة؟ أي استقرار؟ الراحة بالمعنى الرخيص من الراحة، والاستقرار

1 المصدر السابق ص587.

2 المصدر السابق ص652.

3 المصدر السابق ص136.

بالمعنى القصير من الاستقرار يبقى كل انسان سجين حاجاته الخاصة، سجين رغباته الخاصة، يبقى دور، يبقى يلتف حول هذه الرغبات وحول هذه الحاجات لا يرى غيرها اذ لا يوجد المثل الأعلى(2).

قال الدكتور محمد عبد الله دراز: (وأعظم دلائل الايمان- كما راينا - هو التضحية التي يقدمها المؤمن عن طواعية وحرية، وهو يبذل النفس، حتي النفس، من اجل المثل العليا)3. قال الأستاذ فرانسيس فوكوياما: (فالإنسان وحده يستطيع أن يتجاوز غرائزه الحيوانية الخالصة - ومن بينها بشكل رئيسي غريزة البقاء - من أجل الالتزام بمبادئ وأهداف أسمى)4. قال الدكتور عبد الوهاب المسيري: (أصبح من الصعب أن تطلب من الجماهير أن تستيقظ مبكرة، وأن تضحي بنفسها، وأن تؤدي عملها في غياب مثل أعلى)5. وقال كذلك: (فيوسع الإنسان أن يحرم نفسه من الإشباع المباشر والفوري في إطار مثل أعلى سيحقق له، ولأولاده من بعده، قدرا من السعادة الآجلة)6.

المثل الأعلى والمفاهيم الأخرى:-

مفهوم المثل الأعلى يتداخل بشدة مع بعض المفاهيم الأخرى مثل القيم والفضائل والأخلاق. قال الأستاذ فتحي حسن ملكاوى: (تتداخل مفاهيم القيم، والمثل العليا، والأخلاق، والفضائل، والاتجاهات النفسية والانفعالية فيما بينها إلي حد كبير)7.

القيم نوعان:-

1 - قيم ذاتية غائية.

2 - قيم ذرائعية أي وسائل.

أو قيم مطلقة وقيم نسبية.

قال الأستاذ فتحي حسن ملكاوى: (ويسهم التميز بين قيم الغايات وقيم الوسائل في فهم مسألة النسبية في القيم؛ فقيم الغايات قيم مطلقة توصف أحيانا بالقيم المركزية او القيم العليا، وهي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان والأحوال، وهي تطلب لذاتها لا لغيرها. أما قيم الوسائل فإنها تكون وسيلة لغيرها لتحقيق قيمة أخرى أعلى منها في العادة، وهذه القيم ذات طبيعة نسبية تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال)8.

خصائص ومميزات القيم الغائية "المثل العليا":-

القيم العليا هي الغايات النهائية للمجتمعات. والقيم الذرائعية وسائل لتحقيق تلك الغايات. أهم ما يميز القيم الغائية أي القيم العليا للأمم "المثل العليا" عن القيم الذرائعية هي أن كل أمة من الأمم تدعو إلي قيمها العليا الغائية وتسعي لنشرها بين الآخرين، وتدافع عنها، وتعتقد أنها تستحق الجهاد والتضحية من أجلها ويجب الدفاع عنها فالقيم النهائية هي التي يجاهد ويضحي من أجلها.

1 المدرسة القرآنية ص 110.

2 المدرسة قرآنية ص 122.

3 دستور الأخلاق في القران ص 619.

4 نهاية التاريخ والإنسان الأخير ص 27.

5 الهوية والحركة الإسلامية ص 154.

6 المصدر السابق ص 152.

7 بحث بعنوان التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم، مجلة إسلامية المعرفة العدد 54 ص9.

8 القيم العالمية، مجلة إسلامية المعرفة العدد 56 ص19.

قال الأستاذ محمد باقر الصدر: (حينما إجتمعت مجموعة من العشائر فشكلت أمة، هذه الخطوات صحيحة في تقدم البشرية وتوحيد البشرية، ولكن كل خطوة من هذه لا يجب أن تتحول إلي مثل أعلى، لا يجوز أن تتحول إلي مطلق، لايجوز أن تكون العشيرة هي المطلق الذي يحارب من أجله هذا الإنسان، وإنما المطلق الذي يحارب من أجله الإنسان يبقي هو ذلك المطلق الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى)1.

قال الأستاذ احمد المهدي عبدالحليم : (ومن المحكات الأساسية التي تميز القيمة، أن يعتر بها أصحابها، وأن يسعدوا بها، وأن يسعوا إلى إشاعتها بالعمل الدائب، وبالحكمة والموعظة الحسنة. وقد يصل هذا الاعتزاز إلى النضال في سبيل تأكيد القيمة، وتثبيتها في واقع الحياة، وتحمل الأذى في سبيلها)2.

قال الأستاذ فتحي حسن ملكاوى: (يعد مفهوم "القيم العالمية" واحدا من موضوعات الحرب الفكرية التي ترافق اشكال الحرب الاخرى، بهدف كسب العقول والقلوب، وتدور رحاها في ميادين التعليم والاعلام والمؤتمرات الاقليمية الدولية، وتحاول فيه الدول الكبرى في العالم ان تنتشر مبادئها وقيمها، تفرضها علي الكيانات الضعيفة. . . . ولعل مفهوم "القيم العالمية" Universal values ان يكون احد المفاهيم التي ترغب كثير من الانظمة والتوجهات الايديولوجية في ان تنسبها لنفسها، مع ان هذا الادعاء يتصف بالزيف في كثير من الاحيان. ولذلك فان معظم الانظمة والمؤسسات تدعي القيم التي تؤمن بها هي قيم راقية، تستحق الدفاع عنها امام الضغوط التي يمارسها الآخرون الذين يبشرون بما يعدونه قيماً عالمية)3.

أنواع المثل العليا "أنواع القيم الغائية":-

لقد عرف البشر علي مر تاريخهم ثلاثة أنواع من المثل العليا النوع الاول: مثل اعلي منخفض وهو الذي يسمى بالمثل الأعلى التكراري، والنوع الثاني: مثل أعلى محدود، والنوع الثالث: مثل اعلي مطلق4.

قال الأستاذ محمد باقر الصدر: (فيقدر ما يكون المثل الأعلى للجماعة البشرية صالحاً اوعالياً وممتداً تكون الغايات سالحة وممتدا، وبقدر ما يكون هذا المثل الأعلى محدوداً ا أو منخفضاً تكون الغايات المنبثقة عنه محدودة ومنخفضة ايضاً)5.

النوع الأول من المثل العليا: هو المثل الأعلى المنخفض التكراري هو الماخوذ من ماضي المجتمعات والشعوب فهذا نتاج عدم وجود رؤية مستقبلية أي عدم وجود قابلية للتطور فالأمة التي تعيش في ظل المثل الأعلى المنخفض التكراري ليس لها مستقبل لأن مستقبلها هو ماضيها لذلك تعيش في حالة تخلف وعدم نهوض لأن من الصعب على مثل هذه الأمم أن تقبل فكرة التغيير والنهضة والتطور أي المجتمعات ليست لديها قابلية للتطور والتغيير، فهي متمسكة دائماً بالعادات والتقاليد البالية، وتعتبرها رمزاً ومنهاج حياة لا يجوز المساس بها أو الخروج عليها. النوع الثاني من المثل العليا: هو مثل أعلى محدود، وهذا النوع أفضل من المثل الأعلى المنخفض، وهذا النوع من المثل العليا نتاج رؤية للمستقبل أي نتاج من رؤية تطويرية لكن هذه الرؤية ليست

1 المدرسة القرآنية ص127.

2 تعليم القيم فريضة غائبة في نظم التعليم، مجلة المسلم المعاصر العدد (65-66).

3 القيم العالمية، مجلة اسلامية المعرفة، العدد56، ص5.

4 ولكن عندما يذكر المثل الأعلى علي إطلاقه يراد به النوع الثالث أي المثل الأعلى المطلق.

5 المدرسة القرآنية ص110.

كاملة وذلك بحكم محدودية العقل الإنساني على استشراف المستقبل، ولهذا تكون رؤيته للمستقبل نسبية محدودة، ليست مطلقة.

النوع الثالث من المثل العليا : هو المثل الأعلى المطلق وهو نتاج رؤية للمستقبل كاملة أي رؤية تطويرية كاملة وهو الذي يكون مصدره الوحي السماوي¹. هناك تقسيم آخر للمثل العليا وهو نوعان مثل عليا وضعية ومثل علياء إلهية "مقدسة"، فالمثل العليا الوضعية هي المثل الأعلى المنخفض والمثل الأعلى المحدود أما المثل الأعلى الإلهي هو المثل الأعلى المطلق الكامل.

عدم القابلية للتطور " المثل الأعلى المنخفض " والتعصب العنصري:-

المثل العليا ثلاثة أنواع إثنين منهم لديهم قابلية للتطور أي لديهم رؤية مستقبلية أحدي الإثنين رؤيته محدودة للمستقبل والثاني رؤيته كاملة للمستقبل أما النوع الثالث من المثل العليا ليس لديه رؤية للمستقبل أي ليس لديه قابلية للتطور وهو المثل المنخفض المتكرر وعدم القابلية للتطور هو نتاج أو هو التعصب والعناد العنصري.

قال الأستاذ محمود محمد طه: (ما عرف التاريخ عنصرية كعنصرية اليهود في تماسكها، وإستعصائها علي التطور)2.

وقال أيضاً: (فهم اليهود الخاطي لعبارة "شعب الله المختار" هو الذي جر ولا يزال يجر عليهم المصائب، ويمنعهم من الإستجابة لنداء الحياة الملح بالتطور، وبالاندماج في ركب البشرية السائر بوسائل العلم، وبوسائل ديانات التوحيد إلي الوحدة)3.

وقال أيضاً: (فقد كان اليهود طليعة دين التوحيد بهذه الصورة الجماعية، ولكنهم عندما ظنوا أن دين التوحيد يخصهم وحدهم أخطاوا، وإنعزلوا، وإستكبروا، فرفضوا المسيح عندما جاءهم بما لا تهوي أنفسهم، ورفضوا محمداً. وما كان ينبغي لهم أن يفعلوا ذلك لو تفتنوا، ذلك بأن إتجاه التطور حتي في تعاليم أنبيائهم كان يستهدف إعدادهم لقبول دعوات التوحيد المتجددة)4.

خصائص ومميزات المثل الأعلى المطلق:-

المثل الأعلى المطلق أي المثل الأعلى الحق له عدة شروط تميزه عن بقية المثل العليا أي المثل العليا المنخفضة والمحدودة.

الشرط الأول للمثل الأعلى المطلق هو توحيد المجتمع الإنساني:-

الشرط الأول للمثل الأعلى المطلق هو توح يد المجتمع الإنساني أي إلغاء كل الفوارق والحدود أي كل ما يوجد التمييز في المجتمع الإنساني من دم أو جنس أو قومية أو جغرافية أو طبقية. قال الأستاذ محمد باقر الصدر: (حينما إجتمعت مجموعة من العشائر فشكلت أمة، هذه الخطوات صحيحة في تقدم البشرية وتوحيد البشرية، ولكن كل خطوة من هذه لا يجب أن تتحول إلي مثل أعلي، لا يجوز أن تتحول إلي مطلق، لايجوز أن تكون العشيرة هي المطلق الذي يحارب من أجله هذا الإنسان، وإنما المطلق الذي يحارب من أجله الإنسان يبقى هو ذلك المطلق الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى)5.

وقال في موضع آخر: (الفرق بين المثل العليا المنخفضة الفرعونية والمثل الأعلى الحق مثل التوحيد سبحانه وتعالى، فإن المثل الأعلى يوحد الجامعة البشرية ويلغي كل الفوارق والحدود

1 في المنهج الإسلامي لا يطلق اسم المثل الأعلى إلا علي المثل الأعلى الكامل فقط فما سواه لا يسمى مثل علياء.

2 مشكلة الشرق الأوسط ص 79.

3 المصدر السابق ص 102.

4 المصدر السابق ص 102.

5 المدرسة القرآنية ص 127.

باعتبار شمولية المثل الأعلى، باعتبار شموليته فهو يستوعب كل الحدود وكل الفوارق، ويهضم كل الإختلافات، يصهر البشرية كلها في وحدة متكافئة، ولا يوجد ما يميز بعضها عن بعض، لا من دم ولا من جنس ولا من قومية ولا حدود جغرافية أو طبقية المثل الأعلى بشموليته يوحد البشرية ولكن المثل العليا المنخفضة تجزئ البشرية وتشتت البشرية) 1. باعتبار شموليته فهو يستوعب كل الحدود وكل الفوارق، ويهضم كل الإختلافات، يصهر البشرية كلها في وحدة متكافئة.

الشرط الثاني للمثل الأعلى المطلق هو التوفيق بين القيم الانسانية المعيارية:-

الشرط الثاني للمثل الأعلى المطلق هو التوفيق بين القيم الانسانية المعيارية. قال السيد محمد باقر الصدر: (التعميم الأفقي الخاطئ: أن ينتزع الانسان من تصوره المستقبلي مثلاً ويعتبر أن هذا المثل يضم كل قيم الانسان التي يجاهد من أجلها، ويناضل في سبيلها. بينما هذا المثل علي الرغم من صحته الا أنه لا يمثل الا جزا من هذه القيم، الإنسان الأوربي الحديث في بدايات عصر النهضة وضع مثلاً أعلى وهو الحرية، جعل الحرية مثلاً أعلى لأنه رأى أن الانسان الغربي كان محطماً ومقيداً، وهذا الشيء صحيح إلا أن الشيء الخاطئ في ذلك هو التعميم الأفقي فإن هذه الحرية بمعنى كسر القيود عن هذا الإنسان، هذه قيمة من القيم، هذا إطار القيم، ولكن هذا وهذا وحده لا يصنع الانسان، ليس هذا هو المثل الأعلى، فإن كسر قيود إنما يشكل الإطار للتنمية البشرية الصالحة، يحتاج هذا إلي مضمون والي محتوي) 2. 3.

القيم الإنسانية المعيارية هما الحرية الفردية المطلقة والعدالة الإجتماعية الشاملة:-

الحرية الفردية المطلقة والعدالة الإجتماعية الشاملة هما القيم الإنسانية المعيارية، لأن الحرية الفردية هي حاجة الفرد وغايته والعدالة الإجتماعية هي حاجة الجماعة وغايتها فهما امهات القيم الخلقية والمعيارية.

قال الأستاذ محمود محمد طه: (نظامان إجتماعيان قائمان الآن هما خلاصة تراث الإنسانية في عمرها الطويل . الشيوعية والديمقراطية 4، هما يشطران العالم اليوم إلي معسكرين الشرقي والغربي . . بل لقد ظن بعض المفكرين أن أحد هذين المعسكرين يمثل العدالة الإجتماعية، والآخر يمثل الحرية) 5.

قال الأستاذ طه عبد الرحمن: (فإن "الحرية" و"العدل" و"المساواة" والإخاء" و"الاحترام" هي أمهات القيم الخلقية) 6.

قال الدكتور احمد داود اوغلو: (كان هدف الإنسان عبر التاريخ – ولا يزال – هو ان يحقق الحرية والأمن الوجودي المطلق الأمن الوجودي والحرية الإنسانية وهما يمثلان أهم الغايات الأساسية التي ظل الإنسان يبحث عنها علي مر التاريخ) 7.

قال الدكتور توفيق السيف: (أن معظم القيم العليا التي توافق عليها عقلاء العالم وأقرتها الشرائع، مثل العدل والحرية والنظام، وأمثالها من القيم السامية، حظيت بكثير من التبجيل) 1.

1 المدرسة القرآنية ص 169.

2 المدرسة القرآنية ص 126. "بتصرف"

3 هنا ملاحظة وهي وجود تلازم بين الشرطين أي وحدة البشرية والتوفيق بين القيم الانسانية لأنه إذا حصل التوفيق بين القيم الانسانية تحصل وحدة المجتمع الإنساني.

4 يعرف الأستاذ محمود محمد طه الديمقراطية في عدة مواضع بالحرية أي الليبرالية (الفردية) فالنظامين الإجتماعيين هما الشيوعية والليبرالية.

5 الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات ص 6.

6 الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري ص 142.

7 العالم الإسلامي في مهبط التحولات الحضارية ص 29 – 199.

قال الدكتور لؤي صافي: (مفهوم الحرية في الأدبيات الحديثة تظهر لنا أنّ هذا المفهوم يحتل مركز الصدارة في الفكر الغربي الحديث، وأنّ المفاهيم المعيارية الأخرى لا تكاد تضاهيه أو تزاومه. بل نجد أنّ معظم المفاهيم المعيارية الأخرى مثل مفاهيم العدل والمساواة تستمد شرعيتها ومصداقيتها بالإشارة إليه)2.

المثل الأعلى المطلق هو التوفيق بين الحرية الفردية الخارجية المطلقة والعدالة الاجتماعية الشاملة:-

القضية الأساسية التي شغلت الفلاسفة والمفكرين الاجتماعيين علي مر التاريخ الإنساني هي قضية التوفيق "إزالة التناقض" بين القيم الإنسانية المعيارية أي التوفيق بين حاجة الفرد وحاجة الجماعة أي التوفيق بين الحرية الفردية المطلقة والعدالة الاجتماعية الشاملة وإزالة التناقض بينهما، هذه هي عقدة المسألة الاجتماعية.

قال الأستاذ محمود محمد طه: (فالوجه الدميم من المدنية الغربية الآلية الحاضرة 3 هو فكرتها الاجتماعية، وقصور هذه الفكرة عن التوفيق بين حاجة الفرد وحاجة الجماعة . . حاجة الفرد إلي الحرية الفردية المطلقة، وحاجة الجماعة إلي العدالة الاجتماعية الشاملة، وفي الحق إن العجز عن التوفيق بين هاتين الحاجتين: حاجة الفرد، وحاجة الجماعة ظل آفة التفكير الاجتماعي في جميع عصور الفكر البشري. وهذا التوفيق هو، إلي اليوم، القمة التي بالقياس إليها يظهر العجز الفاضح، في فلسفة الفلاسفة، وفكر المفكرين)4.

وقال في موضع آخر: (المجتمع البسيط، في حدوده البسيطة، قد وفق بين حاجة الفرد، وحاجة الجماعة . . ومنذ ذلك اليوم، وإلي يوم الناس هذا، لم يستقيم ميزان التوفيق بين هاتين الحاجتين، في أي فلسفة معاصرة، أو سألقة)5.

وقال كذلك: (فالتحدي الذي يواجه البشرية اليوم، من بينتها الجديدة، يتطلب بزوغ شمس مدنية جديدة، تلقح الحضارة الغربية الآلية الحاضرة، وتنفخ فيها روحاً جديداً، يعطيها المقدرة علي التوفيق بين حاجة الفرد إلي الحرية الفردية المطلقة وحاجة الجماعة إلي العدالة الاجتماعية الشاملة)6.

وقال كذلك: (المسألة التاريخية التي أعيت حكمة الفلاسفة: مسألة التوفيق بين حاجة الفرد إلي الحرية الفردية المطلقة وحاجة الجماعة إلي العدالة الاجتماعية الشاملة)7.

قال الأستاذ محمد باقر الصدر: (هكذا يتضح أن المشكلة الاجتماعية التي تحول بين الإنسانية وتكاملها الاجتماعي، هي التناقض بين المصالح الاجتماعية والمصالح الذاتية)8.

المثل الأعلى في الإسلام أي القيمة الإسلامية المعيارية هي التوفيق بين القيم الإنسانية المعيارية

:-

- 1 مقال بعنوان مفهوم العدالة الاجتماعية جريدة الاقتصادية السعودية العدد www.aleqt.com/2013/09/03/article_783008.html
- 2 مفهوم الحرية في الغرب بين النظرية والممارسة، مجلة إسلامية المعرفة العددان 31-32.
- 3 للمدنية الغربية الآلية الحاضرة شقين النظام الراسمالي والنظام الشيوعي كما بين المؤلف ذلك في كتابه "الدستور الإسلامي نعم ولا".
- 4 رسالة الصلاة ص 55.
- 5 الإسلام ص 29.
- 6 التحدي الذي يواجه العرب ص 29.
- 7 أسس دستور السودان ص 76.
- 8 إقتصادنا ص 303.

انقسم عدد ليس بقليل من المفكرين الإسلاميين حول ما هية القيمة المعيارية في المنهج الإسلامي أي القيمة التي تمثل الخير الأعلى للمسلمين. بعضهم تطرف في جانب وجعل القيمة المعيارية للمسلمين أي المثل الأعلى في الإسلام هي العدالة الإجتماعية الشاملة. والبعض الآخر تطرف في جانب آخر وجعل القيمة المعيارية للمسلمين أي المثل الأعلى في الإسلام هي الحرية الفردية المطلقة. ولكن الحقيقة ان القيمة العليا الحاكمة أي القيمة المعيارية في المنهج الإسلامي أي المثل الأعلى في الإسلام هي التوفيق بين القيم الانسانية المعيارية.

المثل الأعلى في القرآن الكريم:-

أما المثل الأعلى في القرآن الكريم ورد في آيتان.
قال تعالى: {لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (النحل: 60).

قال تعالى: {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الروم: 27).
أولاً: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر والتوكيد. والأعلى اسم تفضيل وحذف المفضل يفيد العموم. والمثل الأعلى في الشرع يقتضي التفرد بالكمال المطلق الذي ليس معه نقص او عيب او عجز بأي وجه من الوجوه ويلزم من ذلك انتفاء المثيل و النظير والكف والند. نُقِلَ عن قتادة أنه قال: ("ولله المثل الأعلى" قال: شهادة أن لا اله الا الله)1.

ونُقِلَ عن قتادة أيضاً في موضع آخر: ("للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السؤ والله المثل الأعلى" الإخلاص والتوحيد)2.

نُقِلَ عن ابن عباس أنه قال: ("له المثل الأعلى في السموات" يقول: ليس كمثلته شي)3.
نُقِلَ عن قتادة، قوله: ("وله المثل الاعلي في السموات والأرض" مثله أنه لا اله الا هو، ولا رب غيره)4.

نُقِلَ عن ابن عباس أنه قال: ("مثل السؤ" النار، و"المثل الاعلي" شهادة أن لا اله الا الله)5. بقدر فسر السلف المثل الأعلى بثلاث معاني التفسير الأول وهو الصفة العليا وهي التي تعم كل صفات الكمال و التفسير الثاني هو انتفاء المثيل والتفسير الثالث هو بكلمة التوحيد.
قال الدكتور عبد الله بن عيسى السعدي: (اختلف العلماء في تفسير المثل الأعلى على أربعة أقوال: الأول:

أن المثل الأعلى بمعنى الصفة العليا، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، وكثير من أئمة التفسير. والمراد بالصفة الجنس فتعم جميع صفات الكمال. . . . الثاني:

1 تفسير الطبري ، المجلد السابع ص200.
2 تفسير الطبري ، المجلد السابع ص200.
3 تفسير الطبري ، المجلد التاسع ص 83.
4 تفسير الطبري ، المجلد التاسع ص 84.
5 تفسير القرطبي، المجلد السادس ص 123.

أن المثل الأعلى بمعنى: شهادة أن لا إله إلا الله، أو التوحيد، أو الإخلاص والتوحيد أو ما يكون في قلوب أولياء الله من معاني الإيمان، أو ما ضربه الله للتوحيد والشرك من الأمثال، وتؤثر هذه الأقوال ونحوها عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ومجاهد ومحمد بن المنكر وغيرهم، ويجمعها تفسير المثل الأعلى بكلمة التوحيد، أو بما دلت عليه من معاني الإيمان، أو بما يدل على التوحيد من الأمثال. . .

والظاهر أن تفسير المثل الأعلى بكلمة التوحيد، أو بمعناها وما يدل عليها من باب تفسير اللفظ بمقتضاه، لأن التفرد بالكمال المطلق يستلزم إفراد الموصوف به بجميع أنواع العبادة.
الثالث:-

أن المثل الأعلى بمعنى النزاهة عن المثل إما مطلقاً، كما يؤثر عن ابن عباس، أو مقيداً بصفة الولد، كما ذهب إليه ابن الجوزي ومن وافقه، وفي المثل محقق لإثبات الكمال المطلق، كما أن إثبات الكمال المطلق محقق لنفي المثل، ولذلك أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسير المثل الأعلى بالصفة العليا، كما تقدم في القول الأول وأثر عنه أيضاً تفسيره بانتفاء المثل كما في هذا القول، وذلك لأن نفي المثل وما في معناه، كالكفاء والند، إذا ورد في سياق المدح والثناء دل على التفرد بصفات الكمال المطلق.

الرابع:

أن المثل الأعلى بمعنى الصفة العليا وما تستلزمه من معاني الإيمان قولاً وعملاً. وهذا القول يعم جميع الأقوال المتقدمة في تفسير المثل الأعلى، ولا محذور في ذلك، لأن اختلاف عبارات السلف في هذا المقام اختلاف تنوع، فمن نظر منهم لحقيقة المثل الأعلى فسره بالصفة العليا التي يستحيل معها وجود المثل، أو بانتفاء المثل المستلزم للتفرد بصفات الكمال المطلق، ومن نظر لأثر المثل الأعلى ومقتضاه فسره بالتوحيد)1.

ولكن كان الغالب علي تفسير السلف للمثل الأعلى أن فسروه بكلمة التوحيد.

قال الدكتور عبد الله بن عيسى السعدي: (ومما يعضد تفسير المثل الأعلى بالتوحيد قوله: {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۗ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ} "الروم: 27 - 28". فأتبع ما تمدح به من التفرد بالمثل الأعلى ما يشعر بمعناه من أمثال التوحيد؛ ولهذا كان تفسير المثل الأعلى بالتوحيد هو غالب المأثور عن السلف)2. وقال كذلك: (معرفة المثل الأعلى من مهمات العقيدة؛ لان الرب - تبارك وتعالى - تمدح بالتفرد به، وجعله طريقاً لمعرفته، وبرهاناً علي توحيده. وقد فسره علماء السلف من حيث حقيقته بصفات الكمال التي يستحيل معها وجود المثل، وفسروه من حيث آثاره بكلمة التوحيد وما تدل عليه من حقائق الإيمان، وكلاهما تفسيران صحيحان ومترابطان ومتكاملان إلا أن الغالب علي عبارات السلف تفسيره بالتوحيد؛ لقريظة للحاق في أية الروم)3.

المثل الاعلى و مثل السوء ضدان:-

المثل الأعلى و مثل السوء ضدان. قال تعالى: {لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (النحل: 60). حتي نعرف حقيقة المثل الأعلى يجب أن نعرف مثل السوء هو المثل المتضمن للنقص والعيب والقبح والذي يقابل مثل السؤ هو المثل الأعلى هو المثل

1 حقيقة المثل الأعلى وأثاره ص 12.

2 المصدر السابق ص 63.

3 المصدر السابق ص 120.

المتضمن للكمال. ومثل السوء خاص بالذين لا يؤمنون بالآخرة مع العلم أن الحكم إذا علق بوصف يدور مع هذا الوصف وجودا وعدما وقوة وضعفا. فبقدر الإيمان بالآخرة يكون المثل الأعلى أي الكمال أي الحياة الكاملة. وبقدر عدم الإيمان بالآخرة أي بقدر الشرك بالله يكون مثل السوء أي النقص والعيب والذلة.

أي أن الذين يؤمنون بالآخرة لهم المثل الأعلى أي الكمال وهو الحياة الكاملة والذين لا يؤمنون بالآخرة لهم النقص والعيب.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (فجعل مثل السوء، المتضمن للعيوب، والنقائص، وسلب الكمال، للمشركين وأربابهم، . . . فمثل السوء لعادم صفات الكمال، ولهذا جعله مثل الجاحدين لتوجيهه، وكلامه، وحكمته، لأنهم فقدوا الصفات التي من أتصف بها كان كاملا، وهي الإيمان، والعلم، والمعرفة، واليقين، والعبادة لله، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والصبر، والرضا، والشكر، وغير ذلك من الصفات، التي أتصف بها آمن بالآخرة، فلما سلبت الصفات عنهم، وهي صفات الكمال صار لهم مثل السوء)1.

قال الإمام ابن كثير: (وقوله ها هنا: "للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء" أي: النقص إنما ينسب اليهم)2.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي: ("للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء" أي: المثل الناقص والعيب التام، "ولله المثل الأعلى" وهو كل صفة كمال)3.

قال الدكتور عبد الفتاح أخلادي: (جعل الله مثل السوء لأعدائه الكافرين ولأوثانهم، وهو المثل الذي يتضمن العيوب والنقائص. أما هو سبحانه فله المثل الأعلى، وهو الذي يتضمن الكمال والجلال لله سبحانه)4.

قال الدكتور عبد الله بن عيسى السعدي: (ولهذا جعل الله مثل السوء المتضمن لكل نقص وعيب للمشركين)5.

أما تفسير السلف للمثل الأعلى بالعبودية لله نابع من تصورهم للإيمان القائم علي العمل لان التدبير الشرعي الديني لا يتحقق الا بتحقيق العبودية لله. فالذي يعتقد ان الله متفرد بالكمال المطلق أي متفرد بالخلق والتدبير اي يعتقد ان الله يملك النفع والضرر ولكن لا يعمل بهذا الاعتقاد أي لا يعبد الله فهذا التصور للإلوهية ليس معه ايمان لان الايمان عند اهل السنة والجماعة قائم علي العمل أي يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان فاذا انتفاء العمل أي انتفت العبودية أي انتفا الايمان ذلك وفق قاعدة جنس العمل أي تلازم الظاهر والباطن فالكفار كانوا يعتقدون بان هو الخالق والرازق ولكن لا يعملون فلم ينفعهم هذا الاعتقاد فالاعتقاد الذهني النظري لا مكان له في عقيدة اهل السنة والجماعة فالمثل الأعلى عندهم هو القيام بالعبودية أي تحقيق التوحيد واخلاص الدين لله فالمثل الاعلي عند أهل السنة والجماعة يتطابق مع مفهوم المثل الاعلي في علم الاخلاق.

المثل الاعلي في الاسلام هو "أن تكون كلمة الله هي العليا":-

1 الصواعق المرسله، الجزء الرابع ص 1030.

2 تفسير ابن كثير، الجزء الرابع ص330.

3 تفسير السعدي ص 443.

4 القبسات السنية من شرح العقيدة الطحاوية ص 77.

5 حقيقة المثل الأعلى وأثاره ص 57.

المثل الأعلى هو الحياة الذي تسعى النظم الأخلاقية لتحقيقه وهي أكمال أي الحياة الكاملة. لذلك يجاهد في سبيله وتزهق الأنفس والأرواح من اجله بل الغاية من الجهاد أي الغاية من بذل الجهد هو الوصول للمثل الاعلي لأنه الخير الاسمي والمقصد الأعلى. ولا يمكن ان يبذل جهد أخلاقي 1 أي جهد عقلي من دون وجود مثل اعلي بل لا يوجد بذل للجهد أي لا يوجد جهاد أخلاقي من دون وجود مثل اعلي فهما متلازمان مترابطان لا ينفكان.

قال الشيخ طه محمد الساكت: (إنما الذي أريده أن تحدثني عن المثل الأعلى في علم الأخلاق والتربية؛ فأنا أرى أن له بالجهاد صلة أي صلة، بل الجهاد هو طريقه والوسيلة إليه. . . . أرى أن هذا عنوان عريض يعني به علماء الأخلاق والتربية المقصد الأسمى والصورة الكاملة التي يطمح إليها المرء ويسعى لتحقيقها)2.

فهناك علاقة تلازم بين المثل الأعلى وبذل الجهد الأخلاقي أي علاقة تلازم بين المثل الأعلى والجهاد، لأن الغاية من الجهاد هو الوصول للمثل الأعلى، ولمعرفة المثل الاعلي لأي امة من الأمم ينظر إلي القيمة أو الغاية التي تجاهد وتضحى من اجلها أي تبذل الجهد من أجلها. فالمثل الأعلى الذي يحقق الحياة الكاملة في الإسلام أي القيمة العليا الحاكمة للأمة الإسلامية يعرف من خلال غايات الجهاد في المنهج الإسلامي وهي "أن تكون كلمة الله هي العليا" أي "أن لا تكون فتنة في الارض".

قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } (البقرة:193).
قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (الأنفال: 39).
الفتنة3 نكرة في سياق النفي تفيد العموم، والفتنة في هذه الآيات فسرت بالشرك أي إرادة غير الله لذاته. وأعظم ما يُراد لذاته من دون الله هو العلو في الارض فحتي يتحقق التوحيد يجب أن يكون العلو كله لله. عن أبي موسى قال: جاء رجل الي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما القتال في سبيل الله؟ فان احدنا يقاتل غضبا ويقا تل حمية. فرفع راسه - قال: وما رفع اليه راسه الا انه كان قائما - فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عزوجل)4.

الضمير المنفصل بين الاسمين "هي" يفيد الحصر والتوكيد. أي إن يكون العلو كله لله أي أفراد الله بالعلو. والله له العلو المطلق من جميع الوجوه علو الذات، علو الصفات، علو القهر. وإفراد الله بالعلو أي أن لا يشاركه ولا ينازعه في احد. فالغاية من الجهاد هو الوصول الي المثل الاعلي في الإسلام وهو "أن تكون كلمة الله هي العليا" أي "أن لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله" وليست الغاية القتال.

قال الدكتور محمد عبد الله دراز: (الآيات القرآنية التي تأمرنا بان نجاهد حق الجهاد في سبيل المثل الأعلى: "انقوا الله حق نقاته"، "وجاهدوا في الله حق جهاده"، دون التفات لإمكانياتنا - في هذه الآيات ليس لها من معني إنساني آخر. فهي حين تعين لنا هذا الهدف الاسمي، وحين تزكي مطامحنا الأخلاقية إلي غير حد - تحاول في الواقع ان تدفع جهودنا إلي اعلي درجة ممكنة في توترها. ولقد

1 وبذل الجهد نوعان جهد فطري غريزي وجهد يقتضيه العقل وهو الجهد الأخلاقي المتلازم مع المثل الاعلي وهو الجهاد في سبيل المثل الاعلي.

2 مقال بعنوان "المثل الأعلى" <http://www.alukah.net/sharia/0/82130>

3 أن لا تكون فتنة في الأرض. قال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَصْمِ أَوْلِيَاءِ بَعْضٍ إِيَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ } (الأنفال: 73).

4 صحيح البخاري، حديث رقم (123)/صحيح مسلم، حديث رقم (1904).

رأينا الي حد يحث القرءان الناس ان ينشدوا الأفضل، وان يسابقوا الي المراتب الأولى. ورسول الله يعطينا المفتاح، يحركه بهذا الجهاد النبيل(1).

قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي: (فلا يكون المجاهد مجاهداً في سبيل الله إلا إذا قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ليست كلمة فلان ولا شعار فلان، ولا منهج علان، إنما لتكون كلمة الله)².

قال الأستاذ سيد قطب عن سورة الأنفال: (وهذه حدود الجهاد في سبيل الله في كل زمان)³.

قال الشيخ سفر الحوالي: (نحن نعلم من دين الله - سبحانه وتعالى- أنَّ أهم فروض الأعيان هو عبادة الله وحده والإخلاص لله وحده - سبحانه وتعالى- ومن أجل ذلك نجاهد لتكون كلمة الله هي العليا)⁴.

فالمثل الأعلى في الإسلام هو "أن تكون كلمة الله هي العليا" أي "أن لا تكون فتنة في الأرض".

"كلمة الله هي العليا" قيمة مطلقة لان الله متفرد بللغني المطلق أي غني بذاته:-

كل موجود في الوجود أو في النظام الكوني نسق حاجة وقيمة بمعنى يحتاج إلي غيره لكي يحصل منه علي القيم التي تحقق الوفاء بحاجاته. و ينتج من القيم ما يحقق الوفاء بحاجات غيره أي يحتاج إليه غيره للحصول علي القيم التي يستوفي بها حاجاته.

قال الدكتور حسين مصطفى غانم: (إذا أمعا النظر في القوانين الكونية نجد أنها قوانين للقيمة فكل شئ في الوجود أو في النظام الكوني نسق حاجة وقيمة- يحتاج إلي غيره لكي يحصل منه علي القيم التي تحقق الوفاء بحاجاته ليستمر في وجوده، وينتج من القيم ما يحقق الوفاء بحاجات غيره)⁵.

وقال كذلك: (لقد عرفنا أن كل شئ - بما في ذلك الإنسان- نسق حاجة وقيمة، يحتاج إلي غيره للحصول علي القيم التي يستوفي بها حاجاته. ويحتاج إليه غيره للحصول علي القيم التي يستوفي بها حاجاته)⁶.

كل موجود في الوجود نسق حاجة وقيمة إلا موجود واحد يحتاج إلي ه جميع ما سواه ليستوفوا به حاجاتهم أي أنه قيمة مطلقة أو مصدر نهائي للقيم، وهو لا يحتاج إلي غيره هذا الموجود هو الله سبحانه وتعالى والسبب في ذلك أنه متفرد بللغني المطلق أي غني بذاته.

قال تعالى: { وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } (آل عمران: ٩٧). قال تعالى: { وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } (العنكبوت: 6). العالمين يشمل كل ما سواه الله عزوجل.

قال تعالى: { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } (الحج: 64).

قال تعالى: { قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ } (يونس: ٦٨). قال تعالى: { لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } (لقمان: 26).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } (فاطر: 15). ضمير الفصل يفيد الحصر هذا يدل علي غني الله غني ذاتي وما سواه غني بغيره. ف"أن تكون كلمة الله هي العليا" هي قيمة مطلقة لذلك.

قال الدكتور حسين مصطفى غانم: (وإذا كان كل شئ نسق حاجة وقيمة فلا بد في النهاية من وجود مصدر للقيم ليس نسقاً لحاجة لأنه إذا كان نسقاً لحاجة فإنه سيحتاج إلي غيره ومن ثم لا يكون

1 دستور الأخلاق في القرءان الكريم 667.

2 سبيل النجاة ص 21.

3 في ظلال القران المجلد الثالث ص 1508.

4 محاضرة مفرغة بعنوان الرد علي عبد الله عزام.

5 المستقبل للإسلام ص 47.

6 المصدر السابق ص 61.

مصدراً للقيم. ومصدر القيم واحد لا يتعدد لأن التعدد معناه أن كل مصدر بذاته لا ينتج – أو بتعبير أدق – لا يخلق كل القيم فيحتاج إلي مصدر آخر ويكون بذلك نسقاً لحاجة وهذا محال)1.

القيم الإسلامية قيم مقدسة:-

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّهُ لَا تُقَدَّسُ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ)2.

عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (كَيْفَ يُقَدَّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعْفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ)3.
عَنْ مُعَاوِيَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لَا تُقَدَّسُ أُمَّةٌ لَا يُقْضَى فِيهَا بِالْحَقِّ وَيَأْخُذُ الضَّعِيفُ حَقَّهُ مِنْ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ)4.

(إن الله تعالى: لا يُقَدَّسُ أُمَّةٌ لَا يُعْطُونَ الضَّعِيفَ مِنْهُمْ حَقَّهُ)5.
مفهوم المخالفة يقتضي المغايرة أي تُقَدَّسُ الأُمَّةُ التي يُقْضَى فِيهَا بِالْحَقِّ وَتِي يَأْخُذُ الضَّعِيفُ حَقَّهُ مِنْ الْقَوِيِّ وَهُوَ لَيْسَ مُتَعَتِّعٌ.

التفديس هو التنزيه عن النقص والعيب أي هو الكمال فالأمة المقدسة هي الأمة الكاملة أي الحياة الكاملة هي الحياة التي يُقْضَى فِيهَا بِالْحَقِّ وَتِي يَأْخُذُ الضَّعِيفُ حَقَّهُ مِنْ الْقَوِيِّ وَهُوَ لَيْسَ مُتَعَتِّعٌ

العدالة الاجتماعية:-

تعتبر العدالة الاجتماعية من القيم الإنسانية الجوهرية التي تسعى الإنسانية لتحقيقها والموضوع الأساسي الذي تُعْنَى بِهِ الْعَدَالَةُ الْإِجْتِمَاعِيَّةُ هُوَ سِيَاسَةُ الْمَالِ أَيْ كَيْفِيَّةُ عِلَاجِ مَشْكَلَةِ الْفَقْرِ أَوْ مَا هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمَثَالِيَّةُ لِتَوْزِيعِ الثَّرْوَةِ وَالْمَالِ.

قال الأستاذ سيد قطب: (الحديث عن سياسة المال هو أدخل شئ في الحديث عن العدالة الاجتماعية)6.

قال الأستاذ محمد باقر الصدر: (مبدأ العدالة الاجتماعية التي جسدها الإسلام، فيما زود به نظام توزيع الثروة في المجتمع الإسلامي من عناصر و ضمانات، تكفل للتوزيع قدرته علي تحقيق العدالة)7.

قال الدكتور عبد المتعال زين العابدين: (مفهوم العدالة الاجتماعية سوف لن يحمل معني ذا بال في غياب معالجة قضية الفقر، لدرجة يمكن فيها القول ان العدالة الاجتماعية يمكن تعريفها في اطار هذا المفهوم اي هي غياب الفقر. لهذا المعني فان محاربة الفقر تعدو المطلب الاول، اي ان قضية العدالة الاجتماعية هي في جوهرها قضية التحرر من الفقر وما يترتب عليه من آفات إجتماعية لا حصر لها. فالمجتمع العادل هو المجتمع الذي يحصل فيه جميع الأفراد علي حاجاتهم الأساسية، وتلبية الحاجات الأساسية "التي لا قوام للحياة في غيابها")8.

الحرية الفردية:-

- 1 صراع القيم ص 100.
- 2 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (1984).
- 3 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3255).
- 4 صحيح الترهيب والترغيب، حديث رقم (2191).
- 5 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (1858).
- 6 العدالة الاجتماعية في الاسلام ص103.
- 7 اقتصادنا ص 286.
- 8 العدالة الاجتماعية رؤية فلسفية ص224.

الحرية الفردية نوعان: حرية فردية خارجية أي التحرر الاجتماعي والسياسي والإقتصادي وهي مضادة للقهر والإكراه والسيطرة.

قال الأستاذ جميل صليبا: (المعنى السياسي والاجتماعي: الحرية بهذا المعنى قسمان: الحرية النسبية، والحرية المطلقة. أما الحرية النسبية، فهي الخلو من القسر والإكراه الاجتماعي، والحر هو الذي ياتمر بما أمر به القانون)1.

وحرية فردية داخلية أي التحرر النفسي والخُلقي وهي مضادة للاندفاع اللاشعوري، والجنون والهوي واللامسؤولية القانونية والخُلقية.

قال الأستاذ جميل صليبا: (المعنى النفسي والخُلقي: إذا كانت الحرية مضادة للاندفاع اللاشعوري، أو الجنون واللامسؤولية القانونية والخُلقية، دلت على حال شخص لا يقدم على الفعل إلا بعد التفكير فيه سواء كان ذلك الفعل خيراً أو شراً. فهو يعرف ما يريد ولم يريد، ولا يفعل أمراً إلا هو عالم بأسبابه، ولذلك قيل: إن الحرية هي الحد الأقصى لاستقلال الإرادة العاملة بذاتها المدركة لغايتها)2.

الحرية الفردية في الإسلام:-

الحرية في الإسلام نوعان أيضاً الأولي خارجية وهي ضد الإكراه والقهر والسيطرة.

قال تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } (البقرة: 256).

قال تعالى: { أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } (يونس: 99).

قال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } (ص: 65).

قال تعالى: { فَذَكَّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ } (الغاشية: 21-22).

والنوع الثاني من أنواع الحرية في النظام الإسلامي هي الحرية الداخلية وهي التحرر من أهواء النفس وهذه الحرية يترتب عليها الثواب والعقاب لذلك هي الحرية الشرعية الدينية. قال تعالى: { إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا } (آل عمران: 35).

قال الإمام القرطبي: (قوله تعالى: "محرراً" مأخوذ من الحرية التي هي ضد العبودية، من هذا تحرير الكتاب، تخليصه من الاضطراب والفساد. وروي خصيف عن عكرمة ومجاهد: أن المحرر الخالص لله عز وجل لا يشوبه شيء من أمر الدنيا. وهذا معروف في اللغة أن يُقال لكل ما خُلص: حر)3.

قال الإمام الشوكاني: (ومحرراً منصوب على الحال، أي: عتقاً خالصاً لله خادماً للكنيسة. والمراد هنا: الحرية التي ضد العبودية. وقيل المراد بالمحرر هنا الخالص لله سبحانه الذي لا يشوبه شيء من أمر الدنيا. ورُجِحَ هذا بأنه لا خلاف أن عمران وأمراته حران)4.

وحقيقة الحرية الداخلية أي الحرية الدينية هي حرية القلب والروح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فان اسر القلب أعظم من اسر البدن، وإستعباد القلب أعظم من إستعباد البدن، فان من أستعبد بدنه وأسترق وأسر لا يبالي إذا كان قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً، بل يمكنه الإحتيال في الخلاص. وأما إذا كان القلب – الذي هو ملك الجسم – رقيقاً مستعبداً، متيماً لغير الله؛

1 المعجم الفلسفي، الجزء الأول ص 462.

2 المعجم الفلسفي، الجزء الأول ص 463.

3 تفسير القرطبي، المجلد الثاني ص 519.

4 تفسير الشوكاني ص 214.

فهذا هو الذل، والاسر المحض، والعبودية الذليلة لما استعبد القلب. وعبودية القلب وأسرته هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب فالحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب)1.
وحرية القلب والروح تكون بالتححرر من شهوات النفس ورغباتها.
قال الإمام الغزالي: (وأما الحرية: فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة)2.

الحرية الفردية الخارجية في الإسلام وانتفاء الفتن:-

المثل الأعلى في المنهج الإسلامي أي القيمة العليا الحاكمة للامة الاسلامية هي "ان لا تكون فتنة في الأرض" أي "ان تكون كلمة الله هي العليا". والفتنة نكرة في سياق النفي تفيد العموم والانتفاء التام للفتن هو إعلاء كلمة الله في الأرض أي تفرد الله بالعلو المطلق أي تفرد الله بالقهر المطلق، لأن العلو أنواع علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر. علو الذات وعلو الصفات عقلاً خاص بالله سبحانه وتعالى أما علو القهر هو الذي فيه المنازعة فعند إنتفاء الفتن يكون العلو كله لله أي يكون القهر كله لله يعني أي إنتفاء كل أنواع القهر بين البشر لأنه هو الذي تحصل فيه المنازعة. مع العلم أن الفتنة نوعان سبب ونتيجة. الفتنة السبب هي الشرك بالله أي التعلق بغير الله سبحانه وتعالى، أما الفتنة النتيجة هي تفرق وإختلاف الناس. عن أبي سفيان، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: "أن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه. فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة. ثم يجي احدهم فيقول. فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شي. قال: ثم يجي احدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت"3.

الفتنة السبب والفتنة النتيجة متلازمان بقدر الشرك يكون التفرق والاختلاف. وضد الفتنة النتيجة سيادة الإتفاق والإجتماع والإلفة بين الناس أي سيادة الموازين والمعايير والقيم المطلقة التي تنظم حياتهم هذا يعني أن حقيقة سيادة الحرية الفردية الخارجية في المنهج الاسلامي أي الإنتفاء التام للقهر بين البشر في المنهج الإسلامي هو سيادة الموازين والمعايير والقيم المطلقة في الأرض، فتحقيق الحرية الفردية الخارجية المطلقة بين البشر في التصور الإسلامي يكون بسيادة الموازين والمعايير والقيم المطلقة في الأرض لأن قمة ما تصل اليه الحرية الفردية الخارجية وأقصى ما يمكن أن تصله بين البشر هو عند سيادة القيم المطلقة.

القهر بنوعيه الكوني والشرعي: متعين لله خاص به:-

قال تعالى: { يَا صَاحِبِي السَّجْنَ أَرَبَابٌ مُّقَرَّرُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } (يوسف:39).
قال تعالى: { قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } (الرعد: 16).
قال تعالى: { يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } (ابراهيم:48).
قال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } (ص:65).
قال تعالى: { لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } (الزمر:4).

قال تعالى: { لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } (غافر: 16).
الالف واللام في القهار للإستغراق أي تعم كل أنواع القهر، فالقهر كله لله ، والقهر والحرية نقيضان. ولكن القهر نوعان كوني والشرعي. القهر الشرعي الإختياري متوقف علي تحقيق التوحيد أي تأليه

1 العبودية ص 87.

2 إحياء علوم الدين، الجزء الثالث ص 260.

3 صحيح مسلم، حديث رقم (2813).

الله سبحانه وتعالى أي بأن لا يكون هناك معبود آخر مع الله، فالقهر وتأليه الله سبحانه وتعالى متلازمان متعينان له. فلا تتحقق الحرية الفردية الخارجية لكل البشر أي الإنتفاء التام للقهر في الأرض أي أن يكون القهر كله لله إلا بعبادة الله وحده أي بانتفاء الألوهة الأخرى¹. فالأصل في الحرية الفردية الخارجية المطلقة في النظام الإسلامي هو أن يكون القهر كله لله لأن القهر و الوحدانية متلازمان فالواحد لا يكون الا قهاراً، والقهار لا يكون الا واحداً ولكن القهر الالهي نوعان قهر كوني وهو يوجد بالإضطرار، وقهر شرعي وهو يوجد بالإختيار أي متوقف على تحقيق التوحيد وحقيقة ذلك هو عدم ارادة شي لذاته غير الله سبحانه وتعالى، لأن بقدر التعلق التام بالله سبحانه وتعالى الذي يكون بعدم اتباع الالهواء أي مخالفة أهواء النفس يكون القهر كله لله، وبقدر الإشارك بالله سبحانه وتعالى الذي يكون باتباع الالهواء النفس لا يكون القهر كله لله، لأن أهواء النفس جميعها هي قهر يمارسه البشر بعضهم ضد البعض فكل هوي متبع هو نوع من أنواع القهر فكل من يشرك بالله فهو قاهر لغيره من البشر، فبقدر اتباع الالهواء يكون العلو البشر في الارض وهو قهر بعضهم لبعض. فحقيقة الحرية الفردية الخارجية أي حقيقة الانتفاء التام للقهر الإجتماعي والسياسي الإقتصادي هو سيادة القيم والموازن المطلقة بين الناس، فعبادة الله "مخالفة أهواء النفس" وسيادة القيم والموازن المطلقة بين الناس متلازمان. فتحقيق توحيد العبادة هو مقدمة وسبب، والنتيجة والمسبب هي سيادة القيم والموازن المطلقة بين الناس أي تحقيق الحرية الفردية الخارجية المطلقة بين البشر. فقيمة ما تصل اليه الحرية الفردية الخارجية من سيادة بين البشر وأقصى ما يمكن أن تصله من مستوي هو عند سيادة القيم المطلقة.

المثل الأعلى في الإسلام " أن كلمة الله هي الأعلى" والتوفيق بين القيم الإنسانية المعيارية :-

الدين الإسلامي بفضل التوحيد يحقق التوفيق بين القيم الإنسانية المعيارية. قال الأستاذ محمد محمود طه: (المقدرة على التوفيق بين حاجة الفرد إلي الحرية الفردية المطلقة، وحاجة الجماعة إلي العدالة ال'جتماعية الشاملة، هي القيمة التي تظهر قصور الفلسفات الإجتماعيات المعاصرات .. مع أن هذه الفلسفات هي قمة وصل إليه الفكر البشري إلي اليوم .. ويهمننا من هذه الفلسفات المعاصرات الماركسية، والديمقراطية الغربية ... وما ذلك إلا لمكان نفوذهما، وإستيلائهما علي تنظيم المجتمع البشري المعاصر، في الشرق، وفي الغرب ... لقد تفرد الإسلام عن هاتين الفلسفتين بهذه المقدرة الدقيقة الفريدة – المقدرة علي التوفيق بين حاجة الفرد وحاجة الجماعة)².

1 قد يقول قائل أليس عبادة الله وحده والخضوع له مناقضة للحرية الفردية الخارجية المطلقة؟ الإجابة الحرية الفردية المطلقة المقصودة هنا هي الحرية في الإطار الإجتماعي أي التي تناقش في إطار الفلسفة الإجتماعية أي القيم الإجتماعية المعيارية وحقيقة ذلك هو أن لا يقهر الإنسان أخيه الإنسان ولا يستعبده، أما ما يجب علي المسلمين هو أن يعبدوا الله أي أن يقهروا أنفسهم لله وأن يدعوا غيرهم لعبادة الله أي أن يقهروا أنفسهم لله أيضاً وليس أن يقهروا أنفسهم لأي أحد من المسلمين ليس له علاقة بموضوع الحرية الفردية الخارجية المطلقة المطروح.

2 تطوير شريعة الأحوال الشخصية ص15.

وقال كذلك: (وقد استطاع الإسلام، بفضل التوحيد، أن يفض التعارض البادي، لدي النظرة الأولى، بين حاجة الفرد وحاجة الجماعة وأن ينسق هاتين الحاجتين في سمط واحد، تكون فيه حاجة الفرد إلى الحرية الفردية المطلقة إمتدادا لحاجة الجماعة إلى العدالة الإجتماعية الشاملة)¹. وقال كذلك: (والقانون الدستوري في الفكر الإسلامي هو القانون الذي يملك التوفيق بين حاجة الفرد إلى الحرية الفردية المطلقة وحاجة الجماعة إلى العدالة الإجتماعية الشاملة، وهكذا لا يضحى بالفرد في سبيل الجماعة، ولا يضحى بالجماعة في سبيل الفرد)². قال الأستاذ محمد باقر الصدر في حديثه عن المشكلة الإجتماعية: (هنا يجئ دور الدين بوصفه الحل الوحيد للمشكلة، فإن الدين هو الإطار الوحيد الذي يمكن للمسألة الإجتماعية أن تجد ضمنه حلها الصحيح. ذلك أن الحل يتوقف علي التوفيق بين الدوافع الذاتية والمصالح الإجتماعية العامة، هذا التوفيق هو الذي يستطيع الدين أن يقدمه للإنسانية)³. وقال كذلك: (فالظرة الإنسانية إذن جانبان: فهي من ناحية تملي علي الإنسان دوافعه الذاتية التي تتبع منها المشكلة الإجتماعية الكبرى في حياة الإنسان "مشكلة التناقض بين الدوافع الذاتية والمصالح الحقيقية العامة للمجتمع الإنساني". وهي من ناحية أخرى تزود الإنسان بإمكانية حل المشكلة عن طريق الميل الطبيعي إلي التدين، وتحكيم الدين في الحياة بالشكل الذي يوفق بين المصالح العامة والدوافع الذاتية)⁴. وقال كذلك: (وظيفة الدين بوصفه إطاراً للتنظيم الإجتماعي والإقتصادي في الإسلام أن يوفق بين الدوافع الذاتية والمصالح الخاصة من ناحية، والمصالح الحقيقية العامة للمجتمع الإنساني)⁵. أما حقيقة ذلك التوفيق بين القيم الإنسانية المعيارية أي التوفيق بين الحرية الفردية المطلقة والعدالة الإجتماعية الشاملة هو التصرف السليم في الحرية الفردية المطلقة وحقيقة ذلك التصرف هو عبادة الله وحده وغاية تلك العبادة⁶. هو "أن تكون كلمة الله هي العليا" أي "أن لا تكون فتنة" أي ترك التكاثر بالأموال والأولاد وهذه هي القيم المطلقة في الإسلام وهي التي تضبط غرائز الإنسان ورغباته ودوافعه. وبذلك تنتج العدالة الإجتماعية الشاملة، أما في حالة عدم التصرف السليم في الحرية الفردية المطلقة أي الانحراف عن التصرف السليم يقوم المجتمع المسلم بالتعامل مع هذا الإنسان المنحرف بمبدأ "الولاء والبراء" وهو جهاد المنافقين وهو ما يسمى في العلوم الإجتماعية المعاصرة بالضبط الإجتماعي، لأن هذا الإنسان المنحرف هو في الحقيقة منافق.

1 رسالة الصلاة ص 56,

2 رسالة الصلاة ص 59.

3 إقتصادنا ص 306.

4 المصدر السابق ص 308.

5 المصدر السابق ص 310.

6 قد يقول قائل تقولون أن الإسلام يوفق بين القيم الإنسانية المعيارية الحرية الفردية المطلقة والعدالة الإجتماعية الشاملة، وحقيقة ذلك هو التصرف السليم في الحرية الفردية المطلقة وهذا التصرف السليم هو عبادة الله وحده. السؤال أليس عبادة الله والخضوع له مناقضة للحرية الفردية المطلقة؟ الإجابة عبادة الله سبحانه وتعالى ليست مناقضة لها لأن الحرية الفردية المطلقة المقصودة هنا هي الحرية في الإطار الإجتماعي أي التي تناقش في إطار الفلسفة الإجتماعية أي القيم الإجتماعية المعيارية وحقيقة ذلك هو أن لا يقهر الإنسان أخيه الإنسان ولا يستعبده، أما ما يجب علي المسلمين هو أن يعبدوا الله أي أن يقهروا أنفسهم لله وأن يدعوا غيرهم لعبادة الله أي أن يقهروا أنفسهم لله أيضاً وليس أن يقهروا أنفسهم لأي أحد من المسلمين. فالعبودية لله ليس له علاقة بموضوع الحرية المطروح. وأهل السنة يقولون العلو ثلاثة أنواع: علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر، فيجب أن يكون القهر كله لله لا يشاركه فيه احد.

الفصل الخامس
الإلزام الخُلقي في الإسلام

الإلزام في اللغة:-

الإلزام في اللغة: الواجب. (الزم فلان نفسه الشيء أوجبه عليه)1.

(الترم الشيء أو الأمر: أوجبه علي نفسه)2.

قال الفيروز أبادي: (وجب الشيء: إذا لزم)3.

الإلزام الخلقى في الاصطلاح:-

الإلزام الخلقى في الاصطلاح هو الواجب الذي توجهه القيم الخلقية على الأفراد تجاه الجماعة.

قال الدكتور حسين مصطفى غانم في حديثه عن القيم: (وهكذا تفقد القيم طبيعتها كحقائق ثابتة وتفقد أهم خصائصها وهي الثبات والإلزام)4.

وقال كذلك: (وهو بذلك يسلب القيم أهم خصائصها وهي الثبات والإلزام)5.

وقال كذلك: (وبذلك يسلب القيم أهم خصائصها وهي الثبات والإلزام)6.

الإلزام الخلقى والمسؤولية الفردية:-

الإلزام الخلقى هو المحور والمرتكز الذي تقوم عليه النظرية الخلقية أي علم الأخلاق وهو عمودها الفقري، لأن غياب الإلزام الخلقى يقود إلى غياب المسؤولية الفردية من ثمة إلى الإنهيار البناء الأخلاقي من أساسه، فتصبح القيم والمثل العليا لا معنى لها وهذا يقود إلى الفوضى والاضطراب في حياة الناس لذلك علم الأخلاق يسمى بعلم الواجب والواجبات، فوجود الإلزام الخلقى شرط أساسي في وجود المسؤولية الفردية.

قال الدكتور محمد عبد الله دراز: (يستند أي مذهب اخلاقي جدير بهذا الاسم – في نهاية الامر – علي فكرة الإلزام، فهو القاعدة الأساسية، والمدار، والعنصر النووي الذي يدور حوله كل النظام الاخلاقي، والذي يؤدي فقده الي سحق جوهر الحكمة العملية ذاته، وفناء ماهيتها، ذلك انه اذا لم يعد هناك الزام فلن تكون هناك مسؤولية)7.

وقال أيضاً في موضع آخر: (يرتبط بفكرة الإلزام، ناتجان يستلزم احدهما الآخر بدوره، ويؤيده، ويدعمه، هي: فكرة المسؤولية، وفكرة الجزاء والواقع أن هذه الأفكار الثلاثة يأخذ بعضها بحجز بعض، ولا تقبل الانفصام. فإذا وجدت الأولى تتابعت الأخرى علي أثرهما؛ وإذا إختفت، ذهبنا علي الفور في أعقابهما)8.

1 المعجم الوسيط ص 855.

2 المعجم الوسيط ص 855.

3 بصائر ذوي التمييز لطائف الكتاب العزيز الجزء الخامس ص160.

4 صراع القيم ص 36.

5 المصدر السابق ص 53.

6 المصدر السابق ص 106.

7 دستور الأخلاق في القرآن ص 21.

8 المصدر السابق ص136.

قال الأستاذ مصطفى حلمي: (فالإلزام هو المحور الذي تدور حوله المشكلة الأخلاقية؛ لأن زوال فكرة الإلزام تقضي على الحكمة العقلية والعملية التي ينبغي تحقيقها، فإذا انعدم الإلزام انعدمت المسؤولية)1.

قال الأستاذ أنور الجندي: (فكرة الإلزام التي هي أساس تطبيق الأخلاق، ذلك إنه إذا إنعدم الإلزام، إنعدمت المسؤولية، وفقدان المسؤولية يؤدي ضياع الحق، وإستحالة إقامة أسس العدالة) 2. قال الأستاذ ماجد بن عبد الله العصيمي: (وتبرز أهمية الإلزام الخلفي بأنه هو الذي تتولد عنه المسؤولية التي بدورها ترتبط بمفهوم الجزاء)3.

قال الدكتور عبد الله الدعجاني: (الإلزام الخلفي يمثل العمود الفقري لكل نظام خلفي؛ لأنه يترتب علي فقدانه انعدام المسؤولية، وفساد القيم الخلفية)4.

الإلزام الخلفي و العقيدة الصحيحة:-

لا بد من للإلزام الخلفي من عقيدة صحيحة أي لا بد من تصور اعتقادي صحيح حتى يكون هناك إلزام أخلاقي.

قال الأستاذ سيد قطب: (انه لا بد من العقيدة الدينية لقيام "الالتزام الأخلاقي" علي أساسه الوحيد الثابت المتين. وليست مطلق العقيدة الدينية. فهناك عقائد تميم هذا الالتزام، وتكلم الي "محسوبة" عند الله، أو شفاعاة من الشفاعات. وهي اخطر العقائد علي الأخلاق)5.

قال الدكتور عبد الرحمن الزنيدي: (فإن المصدر الحقيقي للإلزام الخلفي لا بد أن يكون مركزا علي دين يحظي بثقة مطلقة) 6. لكن التصورات الإعتقادية بصورة عامة مرتبطة ارتباط وثيق بتصوير حقيقة الإلوهية بقدر فساد تصور الإلوهية يكون فساد الالتزام الأخلاقي وبصحة تصور الإلوهية يكون صحة الإلزام الخلفي أي تكون القيم الاخلاقية الملزمة هذا يعني لا بد من عقيدة صحيحة حتي يكون هناك الزام خلفي.

قال الأستاذ سيد قطب: (انه لا بد من عقيدة صحيحة، ليقوم عليها التزام أخلاقي صحيح. وعقيدة الإسلام هي هذه العقيدة الصحيحة)7.

قال الدكتور عبد الرحمن الزنيدي: (ليس سوي دين الإسلام له هذه الصفة، بحيث يستطيع تحقيق الإلزام الخلفي في أكمل الصور الممكنة بشرا، . . . ولكن الصورة العليا للإلزام لا تتحقق إلا في إطار دين الإسلام)1.

1 الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام ص 20.

2 سقوط العلمانية ص 91.

3 الأخلاق العلمية في القرآن الكريم ص 51.

4 منهج ابن تيمية المعرفي ص 395.

5 مقومات التصور الإسلامي ص 299.

6 السلفية وقضايا والعصر ص 527.

7 مقومات التصور الإسلامي ص 302.

عبادة الله والواجب الأخلاقي:-

أفعال البشر في التصور الإسلامي ثلاثة أنواع. بل أحوال البشر هي ثلاثة لا رابع لها. إما أفعال ناتجة عن كبر وإعجاب بالنفس أو أفعال ناتجة من ضعف وذلة أي إعجاب وتعلق بما عند الناس أو أفعال ناتجة من توحيد الله وتعلق به. فالدوافع المحركة للبشر إما التعلق بالله وإما الإعجاب بالنفس وإما الإعجاب بما عند الناس. إعجاب الإنسان بنفسه يقوده إلي الكبر ويتمثل الكبر في أعمال بعينها. وإعجاب الإنسان بما عند غيره يقوده للضعف والذلة أي يقود الي ظهور الرياء ويتمثل ذلك أيضا في أعمال بعينها واعظم فئة في الضعفاء هم المنافقين. فالإنسان المسلم يتوجب عليه ان لا يتشبه بالمنحرفين عن الصراط المستقيم عموما اي لا يفعل افعال المتكبرين وافعال الضعفاء. وتعلق الإنسان بالله وعبادته وتأليه أي محبته لذاته هو حقيقة الإلزام الأخلاقي الاسلامي وهذا التأليه واجب علي كل مسلم مكلف.

قال الاستاذ سيد قطب: (هذه القيم الأخلاقية- بوصفها ذاك - ترتكن بجملتها - كما قلنا - الي ما يحبه الله ويرضاه ومن ثم تتجلي قيمة "حقيقة الإلوهية" كما يصورها القرآن في اعطا هذه القيم الزامها وايجابيتها وفاعليتها . . . ومن هذه الحقيقة الكبرى تستمد الاخلاق في الاسلام الزامها لضمير الفرد اعتقادا، ولسلوكة عملا. كما تستمد ثباتها وعدم خضوعها لأية تصورات او مقولات غير ربانية. . ولهذا وذاك قيمته الايجابية الكبرى في فاعليتها في واقع الحياة. ان الالتزام الاخلاقي في الإسلام انما ينبع من التزام الضمير المسلم بما يحبه الله ويرضاه. والتزام ضمير المسلم بما يحبه الله ويرضاه انما ينبع بدوره من تصور المسلم لحقيقة الالهية)2.

وقال في موضع آخر: (فمن إلهيته وربوبيته تستمد الأخلاق الإسلامية قوتها وإلزامها)3.

وقال كذلك: (فنحن لسنا بصدد بحث عن "الأخلاق في الإسلام" إنما نريد فقط بيان وجه ارتباط الالتزام الأخلاقي في الإسلام بحقيقة الإلوهية) 4. تأليه الله وعبادته لا يتحقق إلا بمخالفة طريق الضعفاء والمتكبرين وسبيل هذين الفريقين هو سبب الفساد الاخلاقي في المجتمع الإنساني أي يلزم الإنسان اذا اراد تحقيق العبودية لله ان يترك التشبه بالكفار اذا كانوا متكبرين او ضعفاء اي لا يفعل افعالهم اي لا يفكر بمنهج تفكيرهم لان التفكير عند الضعفا والمتكبرين منطلق من التعلق بغير الله أي التعلق بأشياء ناقصة وهذا اساس الشرك. والتعلق بالله هو التعلق بالكمال المطلق وهذا التعلق واجب علي كل مسلم مكلف هنا يظهر علاقة الإلزام الخلقى بتوحيد العبادة. وبذلك يكون الإنسان المسلم علي خلق قويم. لان منهج اهل السنة والجماعة قائم علي ان العمل لا ينفك عن حقيقة الايمان فالإيمان عندهم يزيد بالعمل اي بالأعمال الطيبة وينقص بالمعصية.

خُلو النظريات الفلسفية من الإلزام الخُلقي أي خلوها من المسؤولية:-

لقد تنبه شيخ الإسلام ابن تيمية إلي قضية مهمة وهي خلو النظريات الفلسفية من الإلزام الخلقى.

1 السلفية وقضايا والعصر ص 527.

2 مقومات التصور الإسلامي ص 296.

3 المصدر السابق ص 305.

4 المصدر السابق ص 308.

قال الأستاذ مصطفى حلمي: (ولقد سبق لابن تيمية أن تنبه إلى خلو نظريات فلاسفة اليونان الأخلاقية من الإلزام، إذ تبين له من دراستها أن "ما ذكروه من العمل متعلق بالندب" أي ليس واجباً ملزماً. الإلزام الخلفي إذن لا يشتق من الفكرة المحضة، والقوانين الأخلاقية لا ينبغي أن تصبح ترفاً عقلياً، وإنما ينبغي أن تكون قواعد للعمل)1.

قال الأستاذ محمد باقر الصدر عند حديثه عن المثل الأعلى المطلق: (أما التغيير الكيفي الذي يحدثه المثل الأعلى علي هذه المسيرة فهذا التغيير الكيفي هو اعطاء الحل الموضوعي الوحيد للجدل الانساني للتناقض الانساني، اعطاء الشعور بالمسؤولية الموضوعية لدي الانسان، الانسان من خلال ايمانه بهذا المثل الأعلى ووعيه طريقه بحدوده الكونية الواقعية من هذا الوعي، ينشأ بصورة موضوعية، شعور معمق لديه بالمسؤولية تجاه المثل الأعلى، لأول مرة في تاريخ المثل البشرية التي حركت البشر علي مر التاريخ. لماذا؟ لأن هذا المثل الأعلى حقيقة وواقع عيني منفصل عن الانسان وبهذا يعطي للمسؤولية شرطها المنطقي، فان المسؤولية الحقيقية لا تقوم الا بين جهتين: مسؤول، ومسؤول لديه. اذا لم يكن جهة أعلى من هذا الكائن المسؤول واذا لم يكن هذا الكائن مؤمناً بأنه بين يدي جهة أعلى، لا يمكن أن يكون شعوره بالمسؤولية شعوراً موضوعياً، شعوراً حقيقياً)2.

يمكن ان يكون هناك التزام بين مجموعة من البشر ولكنه الزام غير أخلاقي كما هو موجود عند اليهود. قال تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (آل عمران: 75).

قال الأستاذ سيد قطب: (وهذه بالذات صفة يهود. فهم يقولون هذا القول؛ يجعلون للأخلاق مقاييس متعددة. فالأمانة بين اليهودي واليهودي. اما غير اليهودي ويسمونهم الاميين وكانوا يعنون بهم العرب " وهم في الحقيقة يعنون به كل ما سوي اليهود" فلا حرج علي اليهودي من أكل أموالهم، وغشهم وخذاعهم، والتدليس عليهم، وإستغلالهم بلا تحرج)3.

الواجب الاخلاقي نوعان: واجب مطلق وواجب نسبي:-

الواجب الاخلاقي نوعان: واجب مطلق و هو الواجب الذي لا يمكن أن يبطله أي واجب سواه وواجب نسبي وهو الذي يمكن أن يبطله واجب آخر.

قال الدكتور عادل ضاهر: (لأن ما هو واجب للوهلة الأولى هو واجب يمكن إبطاله، بينما العكس تماماً هو ما يصدق علي الواجب المطلق)4.

وقال كذلك: (يعتبر الواجب الذي تفرضه واجباً مطلقاً، أي لا يمكن في أي حال من الأحوال أن يبطله أي واجب سواه، بينما موقف عمارة يقتضي العكس. فالقواعد المعنية في نظره، قواعد

1 الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام ص105.

2 المدرسة القرآنية ص139.

3 في ظلال القرآن، المجلد الأول، ص417.

4 أولية العقل ص184.

مفتوحة، والواجب الذي تفرضه أي منها هو، بالتالي واجب للوهلة الأولى، ليس إلا، يمكن، إذن، إن يبطله واجب آخر)1.

وقال كذلك: (ويعتبر الواجب الذي تفرضه أي منهما واجباً مطلقاً، أي لا يمكن في أي حال من الأحوال أن يبطله أي واجب سواه فالقواعد، المعنية، في نظره قواعد مفتوحة والواجب الذي تفرضه أي منها هو واجب بالتالي واجب للوهلة الأولى، ليس إلا ويمكن إذن أن يبطله واجب آخر)2.

مصدر الالتزام الخلقى المطلق:-

المبادئ الأساسية لمصدرية الالتزام الخلقى هي أن الإنسان ملزم بأن يرضي من أحسن إليه وأن الإنسان ملزم بأن يتصرف في شئ ما وفق ما يحدد المالك للشئ.

قال الدكتور عادل ضاهر: (لدينا إذن مبدئين أخلاقيين قد لا يجد بعضنا أي اعتراض عليهما، ألا وهما أن الإنسان ملزم بأن يرضي من أحسن إليه وأن المالك للشئ ما هو الذي له الحق، دون سواه، في أن يحدد كيف ينبغي التصرف إزاء هذا الشئ أو به)3.

قال الدكتور عادل ضاهر في حديثه عن المبدئين الأخلاقيين الذين الأساس للالتزام الخلقى هما: (ينبغي أن نرضي من أحسن إلينا و ينبغي ألا نتصرف بما لا نملكه، ألا علي النحو الذي يتفق مع رغبات المالك)4.

لكن هذا الشرط يحتاج الي شرط آخر حتي يكون الالتزام الخلقى إلزام مطلق، وهو أن يكون صاحب الملك كلي الخير.

وقال كذلك: (المسألة التي تشكل محور إهتمامنا، أي المسألة المتعلقة بنظرنا إلي الله علي أنه مصدر للالتزام الأخلاقي، أن نظرنا إلي علي هذا النحو، كما ألمحنا سابقاً، أمر منوط بوجود علاقة وحيدة الطرف ولا تماثلية بيننا وبين الله: الله هو الخالق لنا ولكل ما هو ضروري لوجودنا ولا استمرارنا في الوجود. بإختصار، إننا مدينون لله بكل شئ. فبإستقلال عن نشاطه الخلاق نحن وهذا العالم حولنا بكل وقائعه وعلائقه نتحول إلي لا شئ. وكون الله هو الخالق لكل شئ، بالمعني الذي أوضحناه، يعني أنه المالك لنا ولكل ما لنا وما حولنا. إن طبيعة هذه العلاقة الأنطولوجية، التي لا يمكن لأي كائن علي الإطلاق خارجها سوي أن يكون مسلوب الوجود، تفرض علي المخلوقات العالقة أن تدين لله ولا تعصي أوامره. ولكن من المهم أن نذكر هنا أن طبيعة هذه العلاقة تفرض علينا أن ندين لله أو أن نمثل أوامره ونواهيه بإعتبار هذا إلزام خلقي علينا)5.

1 المصدر السابق ص303.

2 اللامعقول في الحركات الإسلامية المعاصرة ص88.

3الاسس الفلسفية للعلمانية ص 273.

4 المصدر السابق ص279.

5 المصدر السابق ص 93.

وقال كذلك: (فالحجة الأصلية، كما قد لا يزال يذكر القارئ، هي أننا مدينون بالطاعة المطلقة لله لأنه خالقنا وخالق كل شيء آخر في العالم. ولكن ما نحن مواجهون به الآن هو حجة من نوع آخر لا تفترض، كالحجة السابقة، أن كون أوامر ونواه معينة صادرة عن خالقنا هو شرط كاف وحده لإلزامنا علي نحو مطلق بالإمتثال لها. إنها تفترض، بالأحري، أن الشرط الأخير لا يكون كافياً لإلزامنا علي نحو مطلق، إلا إذا أضفنا إليه أنه خالقنا هو كلي الخير وكلي المعرفة. من الواضح، إذن، أن الحجة السابقة لا تفترض أننا بحاجة لأن نعرف أي شيء عن الله غير أنه خالقنا حتي نعرف أننا ملزمون بصورة مطلقة بالإمتثال لأوامره، بينما الحجة الأخيرة تفترض أننا بحاجة لأن نعرف أنه كلي الخير وكلي المعرفة، بالإضافة إلي معرفتنا أنه خالقنا، حتي نعرف أننا ملزمون علي نحو مطلق بالإمتثال لأوامره)1.

الله له مُلْكُ السموات والأرض:-

الله سبحانه وتعالى له ملك السموات والارض وما بينهما.
 قال تعالى: { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } (البقرة: ١٠٧).
 قال تعالى: { وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (آل عمران: ١٨٩).
 قال تعالى: { وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (المائدة: ١٧).
 قال تعالى: { وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } (المائدة: ١٨).
 قال تعالى: { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (المائدة: ٤٠).
 قال تعالى: { لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ } (المائدة: ١٢٠).
 قال تعالى: { إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } (الأعراف: ١٥٨).
 قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ } (التوبة: ١١٦).
 قال تعالى: { وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ } (النور: ٤٢).
 قال تعالى: { الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا } (الفرقان: ٢).
خزائن الله رحمة أي ملك الله خزائن الرحمة "كلى الخير":-

الله سبحانه وتعالى له خزائن.
 قال تعالى: { قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ } (الأنعام: ٥٠).
 قال تعالى: { وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ } (هود: ٣١).
 خزائن الله هي خزائن السموات والارض فالذي له ملك السموات والارض هو الذي له خزائن السموات والارض.
 قال تعالى: { وَ لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ } (المنافقون: ٧).
 خزائن الله هي خزائن كل الرحمة أي الرحمة المطلقة.
 قال تعالى: { قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ } (الإسراء: ١٠٠).

قال تعالى: { أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ } (ص:9). فملك الله هو ملك الرحمة المطلقة.

الواجب الأخلاقي المطلق وتنظيم الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية:-

الصفة المميزة للواجب الأخلاقي المطلق إنه الوسيلة لإصلاح وتنظيم شؤوننا السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

قال الدكتور عادل ضاهر: (إن اللجوء إلي الإعتبارات الدينية، كما حاولنا إن نبين في الفصل السابق، لايمكن أن يعني، علي المستوي المعياري، سوي حصولنا، في أفضل حال، علي معرفة لما هي واجباتنا للوهلة الأولى، بينما الأمر الأهم في المجال الذي يعيننا هنا -المجال السياسي - المجال الإجتماعي - هو أن نعرف ما هي واجباتنا الفعلية)1.

قال الدكتور ضاهر في موضع آخر : (من المهم أن نلاحظ هنا أن المبادئ والقواعد المقررة لواجباتنا الأخلاقية معروفة من قبل البشر عموماً، سواء منهم من إعتنقوا ديانة توحيدية ما أو من اعتنقوا ديانة من نوع آخر أو من كانوا وثنيين. إن ما يثير شتي المشكلات للعقل العملي أو المعياري ليس ومعرفة ما إذا كانت واجباتنا للوهلة الأولى هي ألا نسرق وألا نشهد الزور وألا نقتل أو نوذي سوانا وأن ننصف الآخرين ونحسن معاملتهم. إن البوذي يعرف أن هذه واجبات أخلاقية مثلما يعرف ذلك المسلم أو المسيحي. إن السؤال الصعب هو ما إذا كان واجبي الفعلي في وضع محدد هو ألا أسرق أو ألا أشهد بالزور أو أي شيء آخر مما ذكرناه. والأمور تصبح أكثر تعقيداً وصعوبة بكثير عندما يكون السؤال الذي يواجهنا هو ما ينبغي أن نفعله، علي مستوي التنظيم السياسي - الاجتماعى - الاقتصادي)2.

القضايا الأساسية في الاقتصاد والسياسة والإجتماع:-

القضية الجوهرية في علم الاقتصاد هي التوفيق بين الكفاءة في التخصيص الموارد "النمو" والعدالة في توزيعها أي ضمان إستثمار هذه الموارد في ما حررت له أو ما يسمى مبدئي الكفاءة والعدالة3.

قال الدكتور شوقي أحمد دنيا: (لعله من نافلة القول أن نذكر بما هو معروف في الإقتصاد الوضعي وموقفه من علاقة الإنتاج بالتوزيع 1. وكيف مثلت هذه العلاقة لديه معضلة فكرية وتطبيقية. وقد

1 المصدر السابق ص281.

2 المصدر السابق ص282.

3 الكفاءة في التخصيص الموارد والعدالة في توزيعها هما نتاج المسلمة الأساسية في علم الإقتصاد وهي محدودة الموارد، فإذا لم تكن هناك محدودة في الموارد فلا حاجة للكفاءة في تخصيص الموارد ولا حاجة للعدالة في توزيعها. وفي هذه المسلمة يتفق المنهج الإسلام مع المنهج الوضعي
الدليل قوله تعالى: { وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ } (الحجر: ٢١).
وقوله تعالى: { وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ } (الشوري:27). لأن قضية وجود الموارد في الكون هي قضية كونية والموقف من الأشياء الكونية يتفق فيه المسلم والكافر أما في الأشياء الشرعية يختلف المسلم مع الكافر لذلك يختلفان في كيفية تطبيق مبدئي الكفاءة والعدالة وهنا يأتي الفرق بين النظام الوضعي العلماني والنظام الإسلامي القائم علي التوحيد فأنزل الله الكتاب والميزان.

1 الحديث عن الإنتاج "النمو" في حقيقته هو الحديث عن التمويل والإستثمار والتمويل الجيد الفعال المثمر المنتج هو نتاج الكفاءة في تخصيص الموارد فحقيقة الإنتاج وجوهره هو الكفاءة في تخصيص الموارد.

اعتنق في غالبية مراحلها وتياراته فكرة المعارضة والتبادل بين الإنتاج والتوزيع "Trade Off" بمعنى عدم إمكانية تحقيق المقصدين معاً في آن واحد؛ كفاءة الإنتاج وعدالة التوزيع. فإما إنتاج كفاء وإما توزيع عادل)1.

قال أيضاً: (الإقتصاد الوضعي والعلاقة بين النمو "الإنتاج" بالتوزيع: لا يخفي علي القاريء الإقتصادي أن هذا الموضوع قد شغل الإقتصاد الوضعي منذ بداياته، وإن كان تحت مسميات أخرى مثل الكفاية والعدالة ومثل النمو والتوزيع. وقد أقام تحليله علي أساس فرضية مؤداها أن العلاقة بين هذه المصطلحات الإقتصادية هي علاقة تعارض وتقابل (Trade Off) وليست علاقة إنسجام وإتساق (Trade On). بمعنى أن إنجاز النمو لا بد وأن يكون في البدايات علي حساب عدالة التوزيع، كما أن تحقيق العدالة يؤثر سلبيا علي عملية النمو. هذه فرضية أساسية تقوم عليها معظم تيارات وإتجاهات ومدارس الإقتصاد الوضعي)2.

قال الدكتور محمد عمر شابرا: (وبما أن النظم الإقتصادية هي التي تقوم بالدرجة الأولى بالتصدي لمساءلة تحقيق الكفاءة والعدالة، فإن النهج الأرشد هو إعتقاد نظام إقتصادي من شأنه أن يعمل علي تحقيق كل من الكفاءة والعدالة)3.

والحديث عن هذين المبدئين دليل علي إثبات مسلمة الأساسية في علم الإقتصاد وهي محدودية الموارد لأنهما متلازمان.

القضية الجوهرية في السياسة هي الوصول الي مرحلة الاجماع عند إتخاذ القرار.

قال الدكتور عادل ضاهر: (الوصول الي الاجماع يظل مثالا أعلي للممارسة الديمقراطية)4.

القضية الجوهرية في الاجتماع هي إنهاء كل الفوارق العنصرية بين البشر اي الوصول إلي المرحلة القيم المطلقة.

قال الهاعية أحمد ديدات: (يوجد من جهة أخرى في القران الكريم آية واحدة لا تقرر فقط الأصل المشترك للإنسان، وتشرح إنقسام البشرية إلي شعوب أو أجناس أو أعراق وقبائل، وتخبرنا بأن الغاية والهدف من هذا هو الوحدة المطلقة بين البشرية، بل إنها تمضي قدما فتبين لنا المعيار والمقياس الوحيد الذي يحكم به الله علي الإنسان، ومن ثم يجب علينا أيضا أن نحكم به علي رفائنا من البشر. إن هذ المعيار أو المقياس ليس لون بشرته ولا عرقه ولا جنسه ولا منزلته الإجتماعية أو طبقة الإجتماعية "Caste" ولا حتي مهارته ودرجة نكاهه، وإنما هو شي في مقدور كل إنسان أن يبلغه وينجزه سواء كان أسودا أو أسمرا، أبيضاً أو أصفرا، غنيا أو فقيرا، وذلك فقط إذا ما بذل الجهد من أجل تعهده بالعناية داخل نفسه. يقول الله تبارك تعالي في القران. قال تعالي: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } (الحجرات: 13). هذه الآية القرآنية هي الحل الإسلامي لمشكلة العرقية والعنصرية)5.

تعريف الكفاءة في التخصيص والعدالة في التوزيع:-

الكفاءة في تخصيص الموارد وتحريرها هو ضبط إستهلاك الإنسان لموارده بحد الكفاية أي ترك الإستهلاك الغير ضروري وهو القائم علي التبذير، أما العدالة في التوزيع هي إدخال الموارد

1 الإقتصاد الاسلامي ومعضلة العلاقة بين الإنتاج والتوزيع ص 1.

2 الإقتصاد الاسلامي ومعضلة العلاقة بين الإنتاج والتوزيع ص 4.

3 الإسلام والتحدى الإقتصادي ص31.

4 أولية العقل ص392.

5 الحل الإسلامي لمشكلة العرقية ص 62.

المحررة في الإستثمار الصحيح السليم أي فيما حررت له والضابط لهذا النوع من الإستثمار هو تحقيق أهداف الإقتصاد الكلي.

قال البروفسير مجمد الحسن بريمة: (المجتمع لكي يزيد إستثماره لابد من تقليل إستهلاكه ليحرر بذلك بعض الموارد التي كانت سوف تذهب لإنتاج السلع الإستهلاكية المستغني عنها مما يمكن من تحويلها الي إنتاج السلع الرأسمالية..... إذا أراد المجتمع الخروج من حالة الثبات الإنتاجي إلي زيادة نموه لابد له من تحرير بعض الموارد الحقيقية من إنتاج السلع الإستهلاكية الي إنتاج السلع الرأسمالية. السؤال المهم هو ما هي الآلية التي يستخدمها المجتمع في تحرير هذه الموارد وكيف يضمن إستثمار هذه الموارد في ما حررت له. أي في إنتاج السلع الرأسمالية المناسبة؟ ومن أين للمستثمر بالموارد النقدية التي تمكنه من إستغلال عناصر الأنتاج المحررة في إنتاج السلع الرأسمالية المناسبة؟ الأجابة علي هذه الأسئلة تشكل الإجابة علي أعقد قضايا الإقتصاد الكلي(1). قال الدكتور محمد عمر شابرا: (بما أن الموارد محدودة، فلا بد من إستخدامها بكفاءة وعدالة إذا كان للأهداف الإجتماعية – والإقتصادية أن تتحقق، أما إطلاق العنان لإستخدام الموارد وفقاً لرغبات الفرد، وهو هدف المجتمعات العلمانية، فهو وسيلة أكيدة لديمومة حالات عدم التوازن والظلم علي حد سواء فلا بد من إخضاع البشر لبعض القيود لتحقيق كل من الكفاءة والعدالة. ولا يمكن لأي نظام إقتصادي أن ينجح بدون بعض القيود. فالرأسمالية والإشتراكية، رغم رفضهما قبول القيم الإلية، قد اضطرتا لقبول القيود سواء تلك التي فرضتها السوق أو التي فرضتها الدولة. ومع ذلك فإن هذين النظامين قد فشلا، كما جاء في الفصول السابقة، في تحقيق كل من الكفاءة والعدالة وتجنب حالات إختلال التوازن في الوقت نفسه) 2. الهدف من هذين المبدئين أو ضابط هذين المبدئين وهما الكفاءة في تخصيص الموارد والعدالة في توزيعها هو تحقيق أهداف الإقتصاد الكلي.

أهداف الإقتصاد الكلي:-

أهداف الإقتصاد الكلي هي سد الحاجة، التشغيل الكامل للموارد المادية والبشرية ، المعدل الأمثل للنمو الإقتصادي، التوزيع العادل للدخل والثروة، الاستقرار الإقتصادي، التوازن البيئي. قال الدكتور محمد عمر شابرا : (وضع علم الإقتصاد التقليدي أمامه مجموعتين مختلفتين من الأهداف: الأولى هي ما يسمى بالوضعي، وهي متصلة بتحقيق الكفاءة والعدالة في تخصيص وتوزيع الموارد النادرة. والثانية هي ما يسمى بالمعياري، ويجري التعبير عنها بالأهداف الإجتماعية والإقتصادية المرغوبة كونياً لسد الحاجة، والتشغيل الكامل، والمعدل الأمثل للنمو الإقتصادي، والتوزيع العادل للدخل والثروة، والاستقرار الإقتصادي، والتوازن البيئي)3.

مبدئي الكفاءة في التخصيص والعدالة التوزيع تحديان يواجهان البشرية:-

القيام بالطريقة الصحيحة في تحقيق الكفاءة في التخصيص والعدالة في التوزيع في الإقتصاد العالمي هو التحدي الاخلاقي أو التحدي الإقتصادي الذي يواجه البشرية والدليل علي ذلك أن أشهر المذاهب الإجتماعية المعاصرة "الرأسمالية والإشتراكية" قد فشلت في تحقيق هذين المبدئين ومعيار النجاح هو تحقيق أهداف الإقتصاد الكلي أي الأهداف الإجتماعية - إقتصادية هي سد الحاجة، والتشغيل الكامل للموارد البشرية والمادية، والمعدل الأمثل للنمو الإقتصادي، والتوزيع العادل للدخل والثروة، والاستقرار الإقتصادي، والتوازن البيئي.

1 الإدخار الشخصي للدخل النقدي: دوره في الأزمات المالية للنظام الرأسمالي وبديله الإسلامي ص39.

2 المصدر السابق ص304.

3 مستقبل علم الإقتصاد من منظور إسلامي ص56.

قال الدكتور شوقي أحمد دنيا: (لسنا هنا في حاجة الي التذكير بالعديد من المشكلات الاقتصادية العالمية المعاصرة، مثل مشكلة البطالة، ومشكلة سوء التوزيع، ومشكلة الفقر المطلق، ومشكلة تدهور البيئة، ومشكلة عدم الإستقرار الإقتصادي والنقدي، وغيرها. بعبارة أخرى هناك مشكلة عدم تمكن الإقتصاد القائم من القيام الكفاء بمهمته المتمثلة في كفاءة التخصيص وعدالة التوزيع، الأمر الذي جعل الكثير يتبرم من علم الإقتصاد، أو علي حد تعبير الإقتصادي الغربي "بلوغ" هناك أعداد متنامية من الناس الذين يشكون في أن كل شي علي ما يرام في البيت الذي بناه علم الإقتصاد" 1). قال الدكتور محمد عمر شابرا: (ما هو السبب الذي حال دون تمكن أي بلد في العالم من تحقيق حتي العناصر المادية لخير البشرية؟ هل يعود التقصير إلي ندرة الموارد؟ يجب معظم الإقتصاديين عن ذلك بالنفي، لأنهم لا يرؤن الموارد نادرة بالمعني المطلق. فالموارد لا تكون نادرة إلا بالنسبة لمقدار الطلب عليها. لذا يميل معظمهم إلي الإتفاق في الراي القائل أنه بالرغم من الندرة النسبية للموارد فإنه من الممكن تحقيق الأهداف المادية والتقليل من حالات عدم الإستقرار وإختلال التوازن إلي الحد الأدنى إذا ما استخدمت الموارد المتاحة علي نحو "كفو" و"عادل" وهذه الإمكانية هي التي تمثل تحدياً أمام البشرية – أي استخدام الموارد المتاحة بطريقة "كافية" و"عادلة" بحيث تتحقق الأهداف المتعلقة بالخير المادي المعروفة والمقبولة عالمياً، وبحيث تتفصل الي الحد الأدنى حالات عدم الإستقرار وإختلال التوازن) 2).

وقال في موضع آخر: (بما أن الموارد محدودة، فلا بد من إستخدامها بكفاءة وعدالة إذا كان للأهداف الإجتماعية – والإقتصادية أن تتحقق، أما إطلاق العنان لإستخدام الموارد وفقاً لرغبات الفرد، وهو هدف المجتمعات العلمانية، فهو وسيلة أكيدة لديمومة حالات عدم التوازن والظلم علي حد سواء فلا بد من إخضاع البشر لبعض القيود لتحقيق كل من الكفاءة والعدالة. ولا يمكن لأي نظام إقتصادي أن ينجح بدون بعض القيود. فالرأسمالية والإشترابية، رغم رفضهما قبول القيم الإلية، قد اضطرتا لقبول القيود سواء تلك التي فرضتها السوق أو التي فرضتها الدولة. ومع ذلك فإن هذين النظامين قد فشلا، كما جاء في الفصول السابقة، في تحقيق كل من الكفاءة والعدالة وتجنب حالات إختلال التوازن في الوقت نفسه) 3. قد يقول قائل الواجب الاخلاقي الهدف منه اصلاح الشؤن السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولكن الان التركيز علي الاصلاح الاقتصادي بماذا يفسر هذا؟ لان النظام الاقتصادي هو الاصل، بصلاحه يصلح السياسي والاجتماعي وبفساده يفسد السياسي والاجتماعي ما وضع عند الحديث عن النقود وسرقة خزائن الارض علاقتها بالبغي، والسياسي في الحديث عن البنوك ونفوذ وسيطرة من يملكون البنوك علي القرار السياسي.

آليات تخصيص الموارد وتوزيعها:-

في كل نظام إقتصادي هناك آليات لتخصيص الموارد وتوزيعها، وهي آلية التصفية، وآلية الحافز، وإعادة البناء.

قال الدكتور محمد عمر شابرا: (فهناك ثلاث آليات مهمة تحدد إستخدام الموارد في أي مجتمع أو نظام إقتصادي، وهي: التصفية Filtering، والحافز، وإعادة البناء الإجتماعي والإقتصادي والسياسي) 1).

1 الاقتصاد الاسلامي قضايا منهجية ص44.

2 الإسلام والتحدي الإقتصادي ص30.

3 المصدر السابق ص304.

1 مستقبل علم الإقتصاد من منظور إسلامي ص47.

وقال كذلك: (لا يمكن تحقيق الكفاءة والعدالة بمجرد وجود آلية إصطفاء ملائمة. بل لا بد أيضاً من حفز الأفراد علي التصرف بموجها)1.

آليات تخصيص الموارد وتوزيعها في الأنظمة الاقتصادية وعلاقتها بأهداف الاقتصاد الكلي:-

هناك ثلاثة آليات مختلفة لتخصيص الموارد وتوزيعها، أ لآلية الناجحة هي التي تحقق أهداف الإقتصادي الكلي. هذا يعني أن هناك تخصيص كفؤ وتخصيص غير كفؤ. الفرق بينهما هو تحقيق هذه الاهداف، والآلية التي تقوم بتخصيص الموارد بكفاءة أي التي تحقق تلك الأهداف هي الآلية الأخلاقية.

قال البروفسير مجمد الحسن بريمة: (المجتمع لكي يزيد إستثماره لابد من تقليل إستهلاكه ليحرر بذلك بعض الموارد التي كانت سوف تذهب لإنتاج السلع الإستهلاكية المستغني عنها مما يمكن من تحويلها الي إنتاج السلع الرأسمالية..... إذا أراد المجتمع الخروج من حالة الثبات الإنتاجي إلي زيادة نموه لابد له من تحرير بعض الموارد الحقيقية من إنتاج السلع الإستهلاكية الي إنتاج السلع الرأسمالية. السؤال المهم هو ما هي الآلية التي يستخدمها المجتمع في تحرير هذه الموارد وكيف يضمن إستثمار هذه الموارد في ما حُررت له. أي في إنتاج السلع الرأسمالية المناسبة؟ ومن أين للمستثمر بالموارد النقدية التي تمكنه من إستغلال عناصر الأنتاج المحررة في إنتاج السلع الراسمالية المناسبة؟ الأجابة علي هذه الأسئلة تشكل الإجابة علي أعقد قضايا الإقتصاد الكلي)2.

قال الدكتور محمد عمر شابرا: (لذا التعريف الصحيح للكفاءة ليس هو: النسبة بين إجمالي "النواتج" وإجمالي "المدخلات" "لأن هذه النسبة تساوي الواحد الصحيح بالضرورة" بل هو: النسبة بين الناتج النافع وإجمالي المدخلات. هذا يعني أنه لابد من مقياس قيمي "للنفع" حتي يمكن قياس الكفاءة. سوف نبين في هذا الكتاب أن الأذواق الفردية والأسعار لا توفر في حد ذاتها ذلك المقياس إذا كان الهدف هو خير الجميع. فلا بد من إتمامها بمصفاة أخلاقية يقبلها المجتمع. وإذا كان تعريف الكفاءة بدون معايير إخالقية صعباً. فإن تعريف العدالة بدون هذه المعايير أصعب)3.

تعريف آلية تصفية الرغبات علي الموارد:-

آلية تصفية الرغبات علي الموارد هي الجهاز التي تمر عبره كل الرغبات علي الموارد، بهدف إلغاء الرغبات الغير ضرورية أي ما سوي حد الكفاية لخلق التوازن بين الطلب علي الموارد وعرضها.

قال الدكتور شوقي أحمد دنيا: (من المهم أن تصفي كل الرغبات والحاجات البشرية بمصفاة قوية فعالة)4.

قال الدكتور محمد عمر شابرا : (تحتاج كل الطلبات المختلفة علي الموارد المحدودة لأن تمر عبر مصفاة، من أجل خلق توازن بين الطلب علي الموارد وعرضها)1.

1 الاسلام والتحدى الاقتصادي ص 279.

2 الإدخار الشخصي للدخل النقدي: دوره في الأزمات المالية للنظام الرأسمالي وبديله الإسلامي ص39.

3 الإسلام والتحدى الإقتصادي ص36.

4 المشكلة الإقتصادية وحقيقة الندرة النسبية ص21.

1 مستقبل علم الإقتصاد من منظور إسلامي ص48.

وقال كذلك: (إن الندرة النسبية للموارد بالمقارنة مع الطلبات غير المحدودة عليها تستوجب وسيلة إصطفاء. ويتعين علي جميع الطلبات علي الموارد أن تجتاز آلية الإصطفاء تلك، وذلك لخدمة الغرض المزدوج الرامي إلي جعلها تتساوي مع الموارد المتاحة وتحقيق الأهداف الاجتماعية – الاقتصادية المرجوة. إن نجاح آلية الإصطفاء أو عدم قيامها بهذه الوظيفة المزدوجة علي نحو فعال هو ما يحدد نجاح النظام)1.

وقال كذلك: (فبعد تمحيص الطلبات علي الموارد من خلال آلية الإصطفاء متمثلة في القيم المتفق عليها اجتماعياً، وبعد أن يتم الغاء الطلبات غير الضرورية أو تقليصها الي الحد الأدنى)2.

آلية تصفية الرغبات علي الموارد في الأنظمة الاقتصادية:-

هناك ثلاثة أنظمة اقتصادية عرفها المجتمع البشري في العصر الحديث هذا يعني أن هناك ثلاثة آليات مختلفة لتصفية الرغبات علي الموارد أي ثلاثة آليات لتخصيص الموارد وتوزيعها وهذه الآليات هي التخطيط المركزي وهي خاصة بالنظام الوضعي الإشتراكي، وآلية السوق أي العرض والطلب وهي خاصة بالنظام الوضعي الرأسمالي 3، وآلية القيم الأخلاقية وهي خاصة بالنظام الإسلامي.

قال الدكتور محمد عمر شابر: (تحتاج كل الطلبات المختلفة علي الموارد لأن تمر عبر مصفاة، من أجل خلق توازن بين الطلب علي الموارد وعرضها، بدون تعريف الأهداف الروحية الإنسانية للخطر. وهناك طرق مختلفة لهذه التصفية، منها الثلاث التالية: التخطيط المركزي، آلية السوق، والقيم الأخلاقية)4.

قال الدكتور شوقي أحمد دنيا: _ (ماذا ننتج؟ وإذا تجاوزنا هذا السؤال يواجهنا سؤال آخر هو كيف ننتج؟ بمعنى أي الأساليب الإنتاجية المتعددة هو الذي يستخدم في الإنتاج وإذا ما إنتهينا من ذلك يواجهنا سؤال أخير وهو لمن ننتج؟ بمعنى من الذي يستفيد من الإنتاج ومن الذي سيحرم؟. وهم يرون أن هذه الأسئلة الثلاثة تشكل جوهر ومضمون علم الإقتصاد. ومن ثم تبدو علاقة ما يسمى بالمشكلة الاقتصادية بعلم الإقتصاد..... الإجابة علي هذه التساؤلات الثلاثة تتطلب بالضرورة آليات تعمل علي تحقيقها. ويقدم الإقتصاد الوضعي الرأسمالي في هذا الصدد آلية السوق، موفقة بالملكية الخاصة والحرية الاقتصادية. ويقدم الإقتصاد الوضعي الإشتراكي آلية التخطيط موفقة بالملكية العامة. وكل منهما يدعي أنه بهذه الآليات يمتلك السلاح الفعال في المواجهة)5.

آلية تصفية الرغبات علي الموارد في النظام الإسلامي:-

آلية تصفية الرغبات علي الموارد في الإسلام التي تستخدم لتخصيص الموارد وتوزيعها هي القيمة الإسلامية المطلقة وهي "أن لا تكون فتنة في الارض" أي أن "يَكُونَ الدَّيْنُ كُلُّهُ لَهِ".

قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } (البقرة:193).

قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (الأنفال: 39).

1 الإسلام والتحدي الاقتصادي ص274.

2 المصدر السابق ص278.

3 حقيقة آلية السوق هو التجارة في النقود أي العرض والطلب علي النقود، وأساس ذلك هو الربا بنوعيه ربا القروض و ربا البيوع وهو المتمثل في النظام البنكي لأنه هو الأعظم في ذلك.

4 مستقبل علم الإقتصاد من منظور إسلامي ص48.

5 المشكلة الاقتصادية حقيقة الندرة النسبية ص8.

الفتنة 1 نكرة في سياق النفي تفيد العموم، وأعظم ما يُراد لذاته من دون الله هو العلو في الارض فحتي يتحقق التوحيد يجب أن يكون العلو كله لله. عن أبي موسى قال: جاء رجل الي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما القتال في سبيل الله؟ فان احدنا يقاتل غضبا ويقا تل حمية. فرفع راسه - قال: وما رفع اليه راسه الا انه كان قائما - فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عزوجل)2.

الضمير المنفصل بين الاسمين "هي" يفيد الحصر والتوكيد. أي إن يكون العلو كله لله أي إفراد الله بالعلو. والله له العلو المطلق من جميع الوجوه علو ذات، علو الصفات، علو القهر. وإفراد الله بالعلو أي أن لا يشاركه ولا ينازعه في احد هو أن لا تكون فتنة، والفتنة هي.

قال تعالى: { وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } (الأنفال: 28).

قال تعالى: { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } (التغابن: 15). الفتنة هي التكاثر بالأموال والأولاد أي التعالى بالأموال والأولاد وأن لا تكون فتنة هو أن لا يكون هناك تكاثر بالأموال والأولاد أي إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله. المثل الأعلى في الاسلام أي القيم الأخلاقية الإسلامية هو جهاز يقوم بتخصيص الموارد بكفاءة وتوزيعها بعدالة أي يقوم بتحقيق الخير المطلق للبشرية.

تعريف الحافز في الأنظمة الاقتصادية:-

الحافز هو الشئ الذي يدفع البشر لتمرير طلباتهم عبر آلية التصفية لخلق التوازن بين الطلب علي الموارد وعرضها.

قال الدكتور محمد عمر شابرا: (لا يمكن تحقيق الكفاءة والعدالة بمجرد وجود آلية إصطفاء ملائمة. بل لابد أيضاً من حفز الأفراد علي التصرف بموجها)3.

وقال أيضاً: (السؤال هو بإفتراض وجود المصفاة الأخلاقية المقبولة إجتماعياً، فما الحوافز التي تحفز الأفراد، ولا سيما الأغنياء والأقوياء، لتمرير طلباتهم فيها، إذا كان هذا ضار بمصالحهم الخاصة؟)4.

الحافز الدافع على تمرير الرغبات على الموارد في آلية التصفية في النظام الاسلامي هو لقاء الله والنظر الي وجهه الكريم:-

الحافز الذي يدفع المسلمين لتمرير طلباتهم علي موارد أي الإستغناء عن الموارد غير الضرورية عبر مصفاة القيمة الأخلاقية الاسلامية "أن لا تكون في فتنة" هو حرصهم علي رحمة الله أي لقاء الله والنظر إلي وجهه الكريم.

قال تعالى: { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } (الانعام: 52).

قال تعالى: { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } (الكهف: 28).

قال تعالى: { وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى* إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى } (الليل: 19 - 20).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا } (يونس: 7).

قال تعالى: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } (الكهف: 110).

1 أن لا تكون فتنة في الأرض. قال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَصْنَتِهِمْ أُولِيَاءَ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ } (الأنفال: 73).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (123)/صحيح مسلم، حديث رقم (1904).

3 الاسلام والتحدى الاقتصادي ص 279.

4 مستقبل علم الاقتصاد من منظور إسلامي ص 163.

(واسالك لذة النظر الي وجهك الكريم، والشوق الي لقائك؛ في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة)1.

الواجب الأخلاقي المطلق في الإسلام هو جهاد النفس أي إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله:-
قال تعالى: { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۗ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ } (النساء: 95).

قال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (التوبة: 20).

قال تعالى: { انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (التوبة: 41).

قال تعالى: { لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ } (التوبة: 44).

وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (81 التوبة).
قال تعالى: { لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (التوبة: 88).

قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (الحجرات: 15).

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (الصف: 9-10). مع العلم أن الجهاد بالمال مستقل أما الجهاد بالنفس فهو تابع أي غير مستقل، والجهاد بالمال هو حقيقة جهاد النفس وهذا النوع من الجهاد هو حقيقة تحقيق التوحيد.

حد الجهاد وضابطه هو "أن لا تكون فتنة في الأرض":-

غاية الجهاد وحده وضابطه هو "أن لا تكون فتنة في الارض" أي أن يكون الدين كله لله "

قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } (البقرة: 193).

قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (الأنفال: 39).

الرؤية الكلية وعلاقتها بآليات تخصيص وتوزيع الموارد:-

الرؤية الكلية للوجود التي تتبناها المجتمعات هي التي تحدد ما هو الرفاه البشري وهي التي تحدد نوع آليات تخصيص الموارد وتوزيعها التي يأخذ بها النظام وهي المصفاة والحافز وهيكله الاقتصاد والسياسة والاجتماع.

قال الدكتور محمد عمر شابرا: (أن مفهوم الرفاه الذي إختاره علم الإقتصاد، وكذلك آليات التصفية والحفز وإعادة البناء الذي تبناها هذا العلم، تتحدد أساساً برويته العالمية، التي تميل بدورها إلي

1 صحيح سنن النسائي، حديث رقم (1304).

التأثير علي طبيعة إنعكاسات الإنسان علي أي موضوع تقريباً. إن بعض الأسئلة التي تحاول الرؤية العالمية أن تجيب عنها هي: كيف وجد الكون، وما معني وما هدف الحياة الانسانية، وما الملكية النهائية للموارد المحدودة التي هي تحا تصرف البشر، وما غرضها؟ ما حقوق وواجبات كل فرد حيال الآخر، وكل أسرة حيال الأخرى، ما هي بينتهم الطبيعية والاجتماعية؟¹.

لماذا تفشل بعض الانظمة في تخصيص الموارد بكفاءة وتوزيعها بعدالة؟-

السبب في فشل أغلب الانظمة الاقتصادية في تخصيص الموارد بكفاءة وتوزيعها بعدالة هو عدم حصولها علي آلية التصفية الجيدة الملائمة.

قال الدكتور محمد عمر شابرا : (فمن المتفق عليه عموماً أنه حتي البلدان الصناعية الغنية كانت عاجزة عن تحقيق جميع أهدافها المعيارية بصورة متزامنة، برغم الموارد الكبيرة التي تصرفها. فإذا تحققت بعض هذا الأهداف كان ذلك حساب اهداف أخرى. وتشير الدلائل إلي بيان أن الفشل يتزايد تدريجاً مع الزمن. فما السبب وراء هذا الفشل؟ هناك سببان ممكنان لهذا الفشل: الأول هو العجز علم الإقتصاد التقليدي عن إقتراح آليات ملائمة للتصفية والحفز وإعادة البناء؛ والثاني هو عجز المجتمع المعني عن تطبيق هذه الآليات تطبيقاً فعلياً)². وعدم القدرة علي إقتراح آليات ملائمة للتصفية والحفز وإعادة البناء في علم الإقتصاد التقليدي هو نتاج فساد الرؤية الكلية أي نتاج فساد التصور الكلي أي فساد العقيدة. وهذا يظهر بوضوح في أثر الرؤية الكلية العلمانية علي المسلمات الإقتصادية.

قال الدكتور شوقي أحمد دنيا: (إتخذ الإقتصاد الوضعي من لا نهائية أو لا محدودية الحاجات مسلمة فوق أي جدال ونقاش، وهي خارج نطاق ونظام التحليل ومؤثراته)³.

التصور الكلي للوجود في الاسلام هو الايمان بالله:-

قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ } (البقرة:8).

قال تعالى: { مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ } (البقرة:62).

قال تعالى: { وَارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } (البقرة:126).

قال تعالى: { وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ } (البقرة:177).

قال تعالى: { إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } (البقرة:228).

يقول قائل لقد ذكرتم في العنوان الجانبي أن التصور الكلي الاسلامي هو الايمان بالله مع العلم كل الايات التي ذكرتموها تتحدث عن الايمان بالله والايمان باليوم الآخر اليس هذا بتناقض؟ نقول ليست هناك تناقض لأن الاصل هو الايمان بالله ذلك وفق قاعدة الاحكام المستقلة والاحكام التابعة لان في كل الايات المذكورة كان الايمان مقرون باسم الجلالة ولم يقرن باليوم الآخر.

ماذا ننتج من السلع والخدمات؟ وكيف ننتجها؟ لمن ننتجها؟

بعد الحديث عن الية التصفية و عن الحافز في النظام الاقتصادي الاخلاقي "النظام الاقتصادي الاسلامي" والرؤية الكلية التي هي أساس لتلك الأشياء، نتحدث عن قضية أخرى وهي ماذا ننتج من السلع والخدمات؟ وكيف ننتجها؟ لمن ننتجها؟

1 مستقبل علم الإقتصاد من منظور إسلامي ص51.

2 المصدر السابق ص56.

3 المشكلة الإقتصادية وحقيقة الندرة النسبية ص 9.

قال الدكتور محمد عمر شابرا: (إن تخصيص الموارد بكفاءة وتوزيعها علي نحو عادل يقتضي، من كل نظام إقتصادي، الإجابة عن الأسئلة الاقتصادية الأساسية الثلاثة المعروفة وهي، ماذا ننتج؟ وكيف؟ ولمن؟ أي: كم من السلع والخدمات البديلة ننتج؟ من ينتجها؟ وبأية موارد وبأية طريقة تقانية "تكنولوجية"؟ ومن هم الذين سيتمتعون بالسلع والخدمات التي يتم إنتاجها وإلي أي مدي إن الإجابة عن هذه الأسئلة لا تحدد تخصيص الموارد في إقتصاد ما فحسب بل تحدد أيضاً توزيعها بين الأفراد، وبين الحاضر "الاستهلاك" والمستقبل "الادخار والاستثمار")¹.

قال الدكتور شوقي أحمد دنيا: _ (ينجم عن هذا المسلمات المتمثلة في لا نهائية الحاجات ومحدودية الموارد ظهور مشكلة الاختيار، فعلي الإنسان أن يفاضل ويختار بين رغباته، أي رغبة سيحبها وأبها سيضحي بها حالياً، وأي إستخدام للموارد سيكون وأبه سينحي. أي أننا لا مناص أمام قضية التضحية بحاجات ورغبات وباستخدامات. فماذا نفضل وماذا ننحي؟ وعلي نحصل وبم نضحي؟ كل هذه الأسئلة تترجم إقتصادياً في سؤال هو ماذا ننتج؟. وإذا تجاوزنا هذا السؤال يواجهنا سؤال آخر هو كيف ننتج؟ بمعنى أي الأساليب الإنتاجية المتعددة هو الذي يستخدم في الإنتاج وإذا ما إنتهينا من ذلك يواجهنا سؤال أخير وهو لمن ننتج؟ بمعنى من الذي يستفيد من الإنتاج ومن الذي سيحرم؟. وهم يرون أن هذه الأسئلة الثلاثة تشكل جوهر ومضمون علم الإقتصاد. ومن ثم تبدو علاقة ما يسمي بالمشكلة الاقتصادية بعلم الإقتصاد..... الإجابة علي هذه التساؤلات الثلاثة تتطلب بالضرورة آليات تعمل علي تحقيقها. ويقدم الإقتصاد الوضعي الرأسمالي في هذا الصدد آلية السوق، موفقة بالملكية الخاصة والحرية الاقتصادية. ويقدم الإقتصاد الوضعي الإشتراكي آلية التخطيط موفقة بالملكية العامة. وكل منهما يدعي أنه بهذه الآليات يمتلك السلاح الفعال في المواجهة)².

سؤال ماذا ننتج في الإسلام؟ الإجابة ننتج الطيبات من الأشياء:-

قال تعالي: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ } (البقرة: 168).

قال تعالي: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ } (البقرة: 172).

قال تعالي: { وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَانْفِقُوا الَّذِي أَنزَلْنَا بِهِ مُمْنُونَ } (المائدة: 88).

قال تعالي: { فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ } (النحل: 114).

قال تعالي: { كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ } (طه: 81).

قال تعالي: { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا } (المؤمنون: 51).

يفاس علي المأكل الطيب المشرب والملبس والمسكن والمركب. فيكون المشرب الطيب، والملبس الطيب، والمسكن الطيب، والمركب الطيب..... الخ.

الخبيث نوعان: خبيث بذاته وخبيث بغيره:-

نقيض الطيب الخبيث، والخبيث نوعان: الخبيث في ذاته مثل الخمر والسجائر والمخدرات والميتة والدم ولحم الخنزير، أما النوع الثاني من أنواع الخبيث: هو الخبيث بغيره هو الطيب في ذاته، أما خباثته ناتجة من عدم الإلتزام بضوابط الإحسان والجودة وهي ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أمثلة الطيب في ذاته المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمركب تصبح غير طيبة وضارة إذا لم تلتزم فيها بضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فتكون قيود الإنتاج في الإسلام قيدان الأول: الإلتزام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيد الثاني: عدم الإسراف.

1 الإسلام والتحدى الاقتصادي ص31.

2 المشكلة الاقتصادية حقيقة الندرة النسبية ص8.

القيد الاول هو الالتزام معايير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:-

القيد الاول خاص بالمنتجين وهو الالتزام بمعايير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.
قال تعالى: { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } (آل عمران: ١٠٤).

قال تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } (آل عمران: ١١٠).

قال تعالى: { يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } (آل عمران: ١١٤).

قال تعالى: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ } (الأعراف: 157).

قال تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } (التوبة: 71).

قال تعالى: { الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ } (التوبة: 112).
قال تعالى: { الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ } (الحج: 41).

قال تعالى: { يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ } (لقمان: 17).
حقيقة الالتزام بمعايير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو نتج الاحسن في السلع والخدمات.
عَنْ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: تِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِإِجِدِّ أَحَدِكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِّخْ ذَبِيحَتَهُ) 1. و حقيقة الالتزام بمعايير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الاتقان في السلع والخدمات. عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: (من تطيب و لم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن) 2. عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، قال: قال حدثني بعض وفد الذين قدموا علي أبي، قال: قال رسول الله ﷺ: (أيما طبيب تطيب علي قوم، لا يعرف له تطيب قبل ذلك فأعنت؛ فهو ضامن) 3. هذه المعايير سوف يكون تفصيلها في فصل وسائل التنمية.

القيد الثاني عدم الإسراف:-

القيد الثاني للنتاج في النظام الاسلامي هو خاص بالمستهلكين وحقيقة ذلك عدم الاسراف.
قال تعالى: { وَأَنْتُمْ حَقَّةً يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } (الأنعام: 141).

قال تعالى: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } (الأعراف: 31).
عن ابن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلوا وتصدقوا وألبسوا؛ في غير إسراف ولا مخيلة) 1.

قال ابن عباس: (كل ما شئت وألبس ما شئت، ما أخطأتك إثنان: سرف ومخيلة) 1.

1 صحيح مسلم، حديث رقم (1955).

2 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (2808)/صحيح سنن ابي داود، حديث رقم (4586).

3 صحيح سنن ابي داود، حديث رقم (4587).

1 صحيح سنن النسائي، حديث رقم (2558).

عن ابن عُمر يرفعُهُ، قال: (من لبس ثوب شهرة البسه الله يوم القيامة ثوباً مثله، ثُمَّ تَلَهَّبُ فِيهِ النار)2..

عن جابر بن عبدالله، قال: ذكر رسول الله ﷺ الفرش فقال: (فراش للرجل، وفراش للمرأة، وفراش للضيف، والرابع للشيطان)3.

(وَأَنْ تَرِي الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَنْطَاوِلُونَ فِي الْبَنِيَانِ)4.

لمن ننتج؟:-

الإنتاج في الإسلام للناس كافة. قال تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } (آل عمران: ١١٠).

1 صحيح البخاري، حديث رقم (5781).

2 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4029).

3 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4142).

4 صحيح مسلم، حديث رقم (1).

الباب السادس
المثل الأعلى في الإسلام وعلاقته بقضية التنمية.

في هذا الباب سيكون الحديث عن المثل الأعلى في الإسلام وعلاقته بقضية التنمية وحقيقة ذلك هو الحديث عن غايات التنمية في الإسلام، ويتفرع عن ذلك الحديث عن وسائل التنمية وثمر الحديث عن معوقات التنمية وموشرات القياس، ثم الحديث عن علاقة المثل الأعلى في الإسلام بفكرة نهاية التاريخ في المنهج الإسلامي.

مفهوم التنمية

التنمية في اللغة:-

التنمية في اللغة الزيادة والكثرة.

(نماء ينمو نمواً: زاد) 1.

(نماء الشي- نمأ، ونمواً: زاد وكثر) 2.

التنمية اصطلاحاً:-

التنمية في الإصطلاح هي تغيير مرغوب فيه، الهدف من هذا التغيير الوصول إلى السعادة والكمال. قال الأستاذ جمال حسن الحمصي: (ماذا نعني بالضبط بكلمة "التنمية"؟ معظم العاقلين سيقبلون الادعاء بأن التنمية – كمدخل عام – هي: " تغيير إنساني مرغوب") 3.

وقال كذلك: (التنمية مصطلح أخلاقي أو معياري Normative Concept، أي ما يجب أن يكون عليه الوضع الإنساني وبالتالي فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأحكام القيمية Value Judgement أو المسلمات الأخلاقية Ethical Premisis المتعلقة بما هو مفضل أو مرغوب من الأوضاع أو الأهداف) 4.

بما أن هناك تغيير يعني هناك إرادة بما أن هناك إرادة هذا يعني أن هناك غاية والتنمية غايتها السعادة والكمال كما سيأتي عند الحديث عن مقاصد التنمية وغاياتها.

التنمية الشاملة " النهضة " والتنمية الغير الشاملة:-

النهضة هي عملية تغير فكري عميق وتفود إلي تغيير في الواقع وفي المقابل ليست كل تنمية هي بالضرورة ناتجة من نهضة فالنهضة هي عملية تغير يحدث في عالم الافكار أولاً ثم يحدث في العوالم الأخرى ثانياً وهي عالم العلاقات وعالم الأشياء أي أن النهضة هي تغير يحدث في التصورات الكلية الإعتقادية والقيم المنبثق عنها أولاً.

قال الدكتور جاسم سلطان: (التنمية جوهرها اقتصاد، والنهضة جوهرها تحولات عميقة في الفكر ففكرة التنمية رغم تطورها تدور حول المنظور الغربي للتقدم بإستمرار، وهو ينتهي إلي المفهوم الاقتصادي. ومن هنا، نستطيع أن ننظر إلي فكرة النهضة، والتي تتجه في الواقع للإنسان أولاً، وتري عنصر الفكرة والتفكير هما المحرك الرئيس للتنمية والتقدم، فبوابه فكرة التنمية هي الإقتصاد، ومنه تحاول الوصول للإنسان. بينما بوابه فكرة النهضة هي عقل الإنسان ووجدانه، ومنها تحاول الوصول إلي التنمية والتطور) 5.

حقيقة فكرة النهضة أي التغيير التصوري والقيمي هو عملية تغير فكري عميق أي تغير يحدث في عالم الأفكار أي تغيير يحصل في العقائد والتصورات والمبادئ والقيم.

يقول الدكتور جاسم سلطان: (يقصد بعالم الأفكار مجموعة العقائد والمسلمات والمبادئ والنماذج التي تحتويها عقول مجتمع ما) 6.

قال الأستاذ السنوسي محمد السنوسي: (التغيير الاجتماعي الحضاري فإنه لا يكتفي بتغيير " اللاتقات " والأسماء، بل يرمي إلي النفاذ إلي الأعماق والأصل والمسميات . . ولا يتم بمجرد الإطاحة بنام سياسي وإحلال نظام آخر مكانه، وإنما يتطلب وقت أكبر، ونفساً أطول، وجهداً أكثر،

1 القاموس المحيط ص 1318.

2 المعجم الوسيط ص 995.

3 مقال بعنوان "نحو مفهوم موضوعي وإنساني للتنمية مجلة البيان الإسلامية العدد 57.

4 المصدر السابق العدد 57.

5 لحظة الإقلاع وتساؤلات المرحلة ص 50.

6 من الصحوة إلي اليقظة ص 123.

وبذلاً وتضحية وصبراً، لأن التغيير الاجتماعي بمعناه العام هو: تغيير العادات والتقاليد والأفكار والمعتقدات في الاتجاه غير الاتجاه السائد في لحظة ما هو تغيير يستهدف الجوهر قبل المظهر، والمضمون قبل العنوان، والنفس قبل الجوارح؛ كان القرآن الكريم دقيقاً غاية الدقة وهو يرسي تلك المعادلة التي تمثل "قانوناً حضارياً ثابتاً" فيما يتصل بالتغيير الفعال، فقال: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" الرعد: 11. فما بالنفس - من المعتقدات وقيم وتصورات - هو المستهدف الأول من التغيير المنشود) 1. وحقيقة التغيير في العقائد والتصورات هو تغير في تصور الإنسان ونظرته للإله والوجود والإنسان 2.

قال الدكتور جاسم سلطان: (إذا أردنا أن نغير ما بأنفسنا، فلنبدأ أولاً بعالم الأفكار كما بدأ الوحي، وذلك بتصحيح العقيدة والتصورات عن الإله والكون والغيب) 3. وقال كذلك: (إن العودة إلي الكتاب والسنة مطلب حقيقي، وأول هذه العودة يجب أن يكون بما بدأت به الدعوة من تغيير عالم الأفكار، والذي يتمثل في نظرة الإنسان للإله والكون والغيب) 4. والأصل في عالم الأفكار هو تصور حقيقة الإلهية الذي يحدد حقيقة الوجود والإنسان في أي مذهب فكري هو تصور حقيقة الإلهية.

قال الدكتور مجدي عز الدين حسن: (إذا عقدنا مقارنة بين الثقافة الأوروبية من جانب والثقافة الإسلامية من جانب آخر - ولناخذ الثقافة هنا بالمعنى الذي تتحدد به نظرة الفرد "المسلم أو الأوربي" والتصور الذي يحمله عن الموضوع الكلي المركب من ثلاثية "الله، الإنسان، العالم" - سنجد أن الفكر الأوربي قد أختزل هذه الأقطاب الثلاثة في قطبين "الإنسان، العالم" وبالتالي الإنسان في مقابل العالم، وهو الأمر الذي يعني أن الإنسان في مواجهة مشكلاته وقضاياها، أما القطب الثالث "الله" فغائب، ولو حضر يتم توظيفه لخدمة قضايا الإنسان والواقع) 5.

فكل نهضة تقود إلي تنمية وليست كل تنمية ناتجة عن نهضة والذي يحدد الفرق بين أنواع التنمية أي الفرق بين التنمية الناتجة عن نهضة والتنمية الغير ناتجة من نهضة هو غاية التنمية وهدفها إذا كانت الغايات واحدة هذا يدل علي التصور الكلي الاعتقادي واحد وإذا اختلفت الغايات هذا يدل علي أن هناك إختلاف في التصورات الكلية. فمثلاً هناك دول كثيرة في العالم حصل فيها تطور وتقدم

1 مقال بعنوان " نظرة متأنية في معادلة التغيير الاجتماعي " مجلة البيان الإسلامية العدد 298.
2 قد يقول قائل إذا كانت فكرة النهضة أي التغيير التصوري والقيمي هو تغيير نظرة البشر للإله والوجود والإنسان السؤال هو أن الأمة الإسلامية بل البشرية جمعاً تحتاج إلي تغيير حضاري قيمي أي إلي نهضة وهذا لا يختلف فيه إثنان مع العلم أن السواد الأعظم من المسلمين الموجودين الآن علي ظهر الأرض يؤمنون بلقاء الله والنظر الي وجهه الكريم ويؤمنون بان هناك حياة أخرى ويؤمنون بالجنة والنار والتغيير القيمي الحضاري أي النهضة أساسه تغيير في التصور الكلي فما هو ذلك التغيير في نظرة الإنسان المسلم الكلية للوجود الذي يقود إلي نهضة الأمة الإسلامية؟ الإجابة التصور والاعتقاد والإيمان في منهج أهل السنة والجماعة متوقف علي العمل وليست علي التصور الذهني فقط، لا بد أن يصاحبها العمل بقدر ما يقل العمل يقل الإيمان والاعتقاد ويقدر ما زاد العمل زاد الإيمان والاعتقاد. العمل هنا يقصد به العبادة فكان هناك إشكال في مفهوم عبادة الله أي تأليه الله.

3 فلسفة التاريخ ص 144.

4 من الصحوة إلي اليقظة ص 167.

5 العقل الإسلامي المعاصر. . . إلي أين؟ ص 252.

6 غايات التنمية هي في الأصل القيم الغائية للأمم والمجتمعات والقيم الغائية تنبثق من التصورات الكلية الإعتقادية فالتصور الكلي هو الأصل والقيم هي الفرع فوجود تنميات في مناطق مختلفة من العالم ولكن غاياتها واحدة هذا يدل علي أن التصور الكلي الفلسفي لهذه الأنواع المختلفة واحد. لذلك يطلق علي النهضة التغيير الحضاري أو التغيير القيمي لأن النهضة هي تغيير في التصور الكلي وكل تغيير في التصور الكلي يقود إلي تغيير في القيم والغايات النهائية.

وتنمية في العقود الماضية ولكن الشيء الظاهر في كل تلك هو أن غاياتها واحدة وهو الكم المادي والنمو الإقتصادي هذا يدل علي التصور الكلي لهذه واحد وهو التصور المادي للوجود.
قال البروفيسور محمد الحسن بريمة : (النظام الرأسمالي، الذي يربط الحياة الطيبة بالكم المادي)
1.

وقال كذلك : (قِيمَ النظام الرأسمالي التي تمجد جمع المال وتكديسه وترسخ في أفراد المجتمع دوافع الحرص والشح والبخل)2.

قال الدكتور جمال حسن الحمصي: (المشكلة في التعريف الاقتصادي للتنمية أنه يجعل النمو الاقتصادي والتصنيع بمثابة " الهدف الأسمى " الذي يطمح إليه الإنسان إلي التوصل إليه، فحسب هذا التعريف فإن أي تغير إنساني يزيد من الدخل القومي هو تغير " مرغوب ". حتي وإن أدي إلي تدهور الرفاهية غير الاقتصادية)3.

التنمية والنهضة في المنهج الإسلامي:-

لقد ذكرنا أن طبيعة التنمية تتحدد بغايتها فغاية التنمية في المنهج الإسلامي هي الإصلاح بين الناس أي تنمية الخير وتكثيره وزيادته. عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَهُ أَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كُثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (لَيْسَ الْكُذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيُنْمِي خَيْرًا)4.

فغاية التنمية في المنهج الإسلامي هو الإصلاح بين الناس أي تنمية الخير وسقف ذلك الإصلاح أو سقف تنمية الخير هو " أن لا تكون فتنة في الأرض " أي " أن تكون كلمة الله هي العليا " وهي القيمة العليا للأمة الإسلامية أي للمسلمين وهو المثل الأعلى عندهم وهي منبثقة من تصورهم الكلي للوجود الذي يختلف عن التصور المادي للوجود وهي غاية التنمية عند الأمة الإسلامية كذلك لأن حقيقة " أن لا تكون فتنة " هو إنتفاء التفرق والإختلاف بين الناس لأن الفتنة نوعان سبب والنتيجة. السبب هي الشرك بالله والنتيجة هي تفرق الناس وإختلافهم والسبب والنتيجة متلازمان بقدر وجود الشرك يكون التفرق والإختلاف والعكس صحيح بقدر وجود التفرق والإختلاف يكون الشرك بالله فالنفي التام للفتن يعني النفي التام للشرك أي النفي التام للتفرق والإختلاف أي الوصول لمرحلة الإصلاح بين الناس فالحديث عن النفي التام للفتن هو الحديث عن الإصلاح بين الناس.

التنمية بلغة الأرقام:-

عملية التنمية بلغة الأرقام هي عبارة عن وجود غايات ومقاصد المراد الوصول إليه ووجود وسائل لتحقيق هذه الغايات ووجود مؤشرات لقياس مدى تحقق هذه الغايات.
قال البروفيسور محمد الحسن بريمة: (العملية التنموية في مجملها مقاصد " Goals "، ووسائل " Means "، ومحددات " Constraints ")5.

والأصل في هذه الأركان الثلاثة هي الغايات فمفهوم التنمية مفهوم مقاصدي في الأصل.
قال البروفيسور محمد الحسن بريمة: (مفهوم التنمية مفهوم مقاصدي في الأصل يحدد أهدافا، ويبحث عن الوسائل المناسبة لتحقيقها، وهو بذلك معياري النزعة)6.

1 التنمية المستدامة: تأسيس مقاصدي ص 73.

2 الادخار الشخصي للدخل النقدي: ودوره في الأزمات المالية للنظام الرأسمالي ص42.

3 مقال بعنوان "نحو مفهوم موضوعي وإنساني للتنمية مجلة البيان الإسلامية العدد 57.

4 صحيح البخاري، حديث رقم (2692)/صحيح مسلم، حديث رقم (2605).

5 التنمية المستدامة: تأسيس مقاصدي ص 97.

6 المصدر السابق ص 79.

الفصل الأول

مقاصد التنمية في الإسلام
أن لا تكون فتنة في الأرض
(الحياة الكاملة)

المقاصد والغايات التي تسعى عملية التنمية لتحقيقها في كل الفلسفات والأفكار هي السعادة والكمال و الحياة الطيبة أي الحياة الكاملة.

قال الدكتور مصطفى الشافعي: (وقد أجمعت نظريات التنمية الاقتصادية الحديثة أن مقياس التقدم ليس بما يحققه مجتمع ما من إنتاج أو دخل إنما يقاس بما حققته الحركة الاقتصادية من فلاح الأفراد ورفاهيتهم و سعادتهم)1.

قال البروفسير محمد الحسن بريمة: (ولعل النظرية الاقتصادية السائدة اليوم وغريماتها، والسياسات المترتبة عليها، والحياة الاجتماعية المعبرة عنها، خلال القرن الماضي، والي اليوم، كلها عبارة عن بحث مستمر للإجابة علي السؤال القديم الذي طرحه فلاسفة الإغريق قبل آلاف السنين: ما هي الحياة الطيبة؟، وكيف يحيا الإنسان هذه الحياة الطيبة؟)2.

قال الدكتور حسن إبراهيم الهنداوي: (إن المشاريع التنموية مهما اختلفت أهدافها أو تعددت أغراضها، فإنها تتفق في الهدف العام والمتمثل في تحقيق سعادة الإنسان ورفاهيته)3.

قال الأستاذ جمال حسن الحمصي: (يمكن القول بان مصطلح "التنمية" أو "التنمية الشاملة" جاء ليعبر عن رغبة الإنسان الملحة في تحسين أوضاعه المعيشية، وتوقه الدائم لزيادة رفاهيته وسعادته)4.

قد يقول قائل: إذا كانت كل النظم الاجتماعية متفقة علي أن غاية التنمية هي تحقيق السعادة والحياة الطيبة للإنسان. هذا يعني أن الأنظمة الاجتماعية أي القيم العليا (غايات الأمم والمجتمعات) واحدة. فإن التصورات الاعتقادية (الأفكار الكلية) واحدة. لان كل تصور كلي تنبثق منه قيم عليا أي نظام اجتماعي. التعليق علي هذا الكلام نقول: أن الاتفاق في اللفظ فقط أما المضمون والمعني مختلف فلكل فكرة كلية تصور معين عن السعادة والحياة الطيبة أي الحياة الكاملة يختلف عن الأفكار الاخري لان التصورات للوجود مختلفة.

قال الدكتور محمود محمد سفر: (يتفق علماء التنمية ومختصوها علي أن مسيرة التنمية في أي مجتمع لا تكون راسخة الأركان، عميقة الجذور، وفائضة المردود، مالم تكن نابعة من ذاتية ذلك المجتمع، متطابقة وتصوراته، متماشية مع احتياجاته، لأن تبني أفكارا تنموية غريبة عن مجتمع ما، وصبها في القوالب الاجتماعية لذلك المجتمع لا يأتي بخير، ولا يفضي بالنتائج المرجوة. كما اصبح من المؤكد، أن التنمية لا تخدم مجتمعها إلا إذا تمت داخل إطاره الاجتماعي المحدد، الذي يعكس قيمه، وأخلاقياته، ومبادئه، وعاداته، وتقاليده، وطرق معيشة ابنائه، وكل ذلك يلعب دورا اساسيا في صياغة فكر التنمية، وذهنية مخططيها)5.

السعادة في النظام الإسلامي:-

هناك عدة تعريفات للسعادة في التصور الإسلامي، وهذه التعريفات لقد ذكرت في نصوص القران والسنة ولكن في مضمونها تدل إلي شي واحد أي هي مجموعة أسماء لشي واحد.

المعنى الأول للسعادة إنتفاء الفتن "الحياة الكاملة":-

1 مقال بعنوان "اسس ومبادي النهضة والتنمية" new.cairo21.org/2011/03/21

2 التنمية المستدامة: تأسيس مقاصدي ص57.

3 دراسة بعنوان مفهوم التنمية وخصائصها من وجهة نظر إسلامية مجلة التنوير العدد الخامس ص32.

4 نحو مفهوم موضوعي وإنساني للتنمية، مجلة البيان العدد 57.

5 دراسة في البناء الحضاري ص53.

المعنى الأول للسعادة في المنهج الإسلامي هو انتفاء الفتن وهو الحياة الكاملة. عن المقداد بن الأسود، قال: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن)1.

فيقدر انتفا الفتنه وغياها تكون السعادة. فحقيقة السعادة هي تجنب الفتن أي أن لا تكون فتنة أي أن تكون كلمة الله هي العليا أي الإصلاح بين الناس. وهي الحياة الكاملة لأنه بقدر إنتفاء الفتن يكون الدين كله لله، لأن إنتفاء الفتن وكمال الدين نقيضان.

قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } (البقرة:193).

قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (الأنفال:39).

فهناك تناقض بين "أن تكون فتنة" و"أن يكون الدين كله لله" أي إذا وجدت الفتنة ولا يكون الدين كله لله.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (فأمر بالجهاد حتى لا تكون فتنة وحتى يكون الدين كله لله، فجعل المقصود عدم كون الفتنة، ووجود كون الدين كله لله، وناقض بينهما، فكون الفتنة ينافي كون الدين لله، وكون الدين لله ينافي كون الفتنة)2.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (أن الأمر بقتالهم مقيد بغايتين؛ غاية: "حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً" أي حتى لا توجد فتنة؛ و"الفتنة" هي الشرك، والصد عن سبيل الله؛ والغاية الثانية إيجابية: "وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ")3. يكون الدين كله لله أي أن تكون الإرادة والتعلق كله لله، بقدر كمال المراد تكون كمال الإرادة وكمال الحياة وهي الحياة الكاملة والله له الكمال المطلق. فسعادة الإنسان في الحياة الكاملة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عن النفس البشرية: (لكن سعادتها ونجاتها إنما تتحقق بأن تحيا الحياة النافعة الكاملة)4.

المعنى الثاني للسعادة إنتفاء الخوف والحزن:-

المعنى الثاني للسعادة في المنهج الإسلامي هو انتفاء التام للخوف والحزن أي تحقق الأمن والفرح الكاملين.

قال تعالى: { فَأَمَّا يَا تِيبُكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } (طه: 23). يضل ويشقى أفعال تعرضت للنفي، والفعل مشتمل على مصدر وزمن ، والمصدر نكرة فيكون نكرة في سياق النفي تفيد العموم، فلا ضلال ولا شقاء. والنفي التام يفيد إثبات كمال الضد فالنفي التام للضلال يفيد إثبات تمام الهداية والنفي التام للشقاء يفيد إثبات تمام السعادة. و الهداية في الأصل هي وسيلة، فتكون السعادة هي النتيجة والمقصود.

وقال تعالى: { فَأَمَّا يَا تِيبُكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة:38). وفي هذه الآية الخوف نكرة في سياق النفي يفيد العموم والنفي التام للخوف يفيد إثبات تمام الامن ويحزنون فعل تعرض للنفي يفيد النفي التام للمصدر وهو الحزن وهذا يعنى إثبات تمام الفرح

1 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4263).

2 قاعدة في المحبة ص 158.

3 الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين، المجلد الأول ص 585.

4 الحسنة والسبئية ص 80.

والسرور. فالهداية سبب لتحقيق الامن التام والفرح التام، وهذه الآية مفسرة للآية السابقة وهذا يعنى إن السعادة هي تحقق الأمن والفرح الكاملين أى الانتفاء التام للخوف والحزن أى الهم والغم.

المعنى الثالث للسعادة هو رحمة من فى الأرض:-

المعنى الثالث للسعادة فى المنهج الإسلامى هو رحمة الله أى رحمة من فى الأرض. عن أبى هريرة، قال: سمعت الصادق المصدوق ρ صاحب هذه الحجره، يقول: (لا تنزع الرحمة إلا من شقى)1.

عَنْ عَمْرِو بْنِ حَبِيبٍ ، أَنَّهُ قَالَ لِسَعِيدِ بْنِ عَمْرٍو : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : (خَابَ عَبْدٌ وَخَسِرَ ، لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ رَحْمَةً لِلْبَشَرِ)2.

فى "الحديث الرحمة والشقاء" نفي وإثبات وهو من أقوى صور الحصر. فمن هو الشقى هو الذى نزع من قلبه الرحمة ومن هو السعيد هو الذى لم تنزع من قلبه الرحمة. ولكن ما المقصود بالشقاوة المذكورة فى حديث "الرحمة والشقاء" حتى نعرف معنى السعادة هناك احاديث تفسر الشقاوة التى وردت فى "حديث الرحمة والشقاء".

قال زيد بن وهب سمعت جرير بن عبد الله عن النبي ρ قال: (من لا يرحم لا يُرحم)3. وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ρ : (من لم يرحم الناس لا يرحمه الله)4.

فى الاحاديث السابقة هناك شرط من لا يرحم الناس لا يرحمه الله. فهذه الاحاديث تفسر الشقاوة فى "حديث الرحمة والشقاء" من لا يرحم هو الشقى ومن يرحم هو السعيد وفى الاحاديث الأخيرة من لا يرحم لا يرحمه الله هذا يعنى أن تفسير الشقاوة هو أن لا يرحمك الله أى أن المعنى الثالث للسعادة هو أن يرحمك الله فالسعادة كل السعادة هي أن يرحمك الله والشقاوة كل الشقاوة أن لا يرحمك الله والوسيلة للسعادة أى الوسيلة إلى رحمة الله هو أن ترحم الناس ولكن من هم الناس هل هم المسلمين أم هم المسلمين وغيرهم؟ الناس هم من فى الأرض جميعاً أى رحمة الناس كافة.

عن عبدالله بن عمرو، يبلغ عن النبي ρ : (ارحموا من الأرض يرحمكم من السماء)5. قال أطيبي : (أتى بصيغة العموم ليشمل جميع أصناف الخلق فيرحم البر والفاجر ، والناطق و ألبهم ، والوحوش والطيير)6.

(والذى نفسى بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيم. قالوا: كلنا يرحم. قال: ليس برحمة أحدكم صاحبه؛ يرحم الناس كافة)7. ويدخل فى رحمة من فى الأرض البهائم والأنعام (الشاة إن رحمتها رحمك الله)8. (من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة)9.

السعادة أى رحمة الله لا تكون إلا بالحرص على رحمة الناس كافة أى إلا بالحرص على رحمة من فى الأرض والشقاوة هي نزع الرحمة من العبد أى بعدم الحرص على رحمة الناس كافة والحكم يدور مع علته وجودا وعدمه وقوة وضعفا وزيادة ونقصان فبقدر وجود الرحمة فى قلب العبد للناس

1 صحيح سنن أبى داود، حديث رقم (4942)/صحيح سنن الترمذى، حديث رقم (1923). هذا الحديث سوف نطلق عليه فى هذا الكتاب اسم حديث الرحمة والشقاء.

2 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (3205).

3 صحيح البخارى، حديث رقم (6013)/صحيح سنن الترمذى، حديث رقم (1911).

4 صحيح سنن الترمذى، حديث رقم (1922).

5 صحيح سنن أبى داود، حديث رقم (4941)/صحيح سنن الترمذى، حديث رقم (1924).

6 تحفة الأحوذى، الجزء السادس ص 51.

7 السلسلة الصحيحة حديث رقم (167).

8 السلسلة الصحيحة حديث رقم (26).

9 السلسلة الصحيحة حديث رقم (27).

كافة أي لمن في الأرض تكون سعادته أي رحمة الله له وبقدر نزع الرحمة من قلب العبد إتجاه الناس كافة أي لمن في الأرض تكون شقاوته أي عدم رحمة الله له. ويمكن تعريف السعادة برحمة من في الأرض من باب تعريف الشي بسببه.1

الرحمة ضد الضر:-

قال تعالى: { إِنَّ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ } (الزمر: 38).

قال تعالى: { وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ } (المؤمنون: 75).

قال تعالى: { وَلَئِنْ أَدْخَلْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي } (فصلت: 50).

قال تعالى: { وَإِذَا أَدْخَلْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا } (يونس: 21).

سبب الضر هو الفتن:-

عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تعرض الفتن علي القلوب كالحصير عودا عودا، فأبي قلب اشربها نكت فيه نكتة سودا، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير قلبين: علي ابيض مثل الصفاء، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والأخر اسود مرবাদا، كالكوز مجخيا، لا يعرف معروف، ولا ينكر منكر، إلا ما اشرب من هواه)2.

عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: (ما تركت بعدي في الناس فتنة اضر علي الرجال من النساء)3.

الرحمة وانتفاء الفتن متلازمان:-

الرحمة ضد الفتن.

قال تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (التوبة: 71). بقدر مولاة المؤمنون بعضهم البعض تتحقق رحمة الله.

قال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ } (الأنفال: 73).

وبقدر عدم مولاة المؤمنين بعضهم بعض تكون الفتنة في الارض.

هذا يعني لا تتحقق الرحمة التامة إلا بالانتفاء التام للفتن بقدر نقصان الفتن تزداد الرحمة وبقدر زيادة الفتن تقل الرحمة أي هناك التلازم بين الرحمة وانتفاء الفتن.

غايات البشر نوعان:-

غايات البشر نوعان إما رحمة الله وفضله وإما جمع المال وكنزه.

قال تعالى: { وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } (آل عمران: 157).

قال تعالى: { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } (يونس: 58).

1 قد يقول قائل كيف يرحم العبد من في الأرض وهو محدود المقدرات؟ لكي يقوم الإنسان بعمل لأبد من توفر شيئين هما الإرادة والقدرة فإذا لم توجد القدرة فتكون رحمة من في الارض بالتفكير والهم والدعاء هذه هي رسالة الإنسان المسلم.

2 صحيح مسلم، حديث رقم(644).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (2741).

قال تعالى: { وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } (الزخرف:32).
والجمع يكون للمال.

قال تعالى: { الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ } (الهمزة: 2).
المفاضلة بين جمع المال ورحمة الله وجمع المال هو أساس الفتن وهو فتنة الغني أي أن الرحمة ضد الفتنة.

قال تعالى: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (ال عمران:132).
قال تعالى: { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (الأنعام:155).
لعل في كلام الله للتعليل فالتقوي وطاعة الله والإتباع سبب للرحمة وعدم الطاعة أي عدم عبادة الله والشرك به أي وقوع الفتنة تكون عدم الرحمة مع العلم الفتنة مقدمة ونتيجة وهما متلازمان الفتنة السبب هي الشرك بالله والفتنة النتيجة هي التفريق والاختلاف هذا يعني أن عدم رحمة الله هو التفريق والاختلاف.

قد يقول قائل إن السعادة هي اللذة والمتعة:-

قال الدكتور عبد الله حسن زروق: (لماذا تريد اللذة، فاللذة مطلوبة لذاتها؛ لأجل ذلك فهي غاية قصوى؛ ولكن هل إن السعادة حقا هي الغاية القصوى لكل إنسان؟ السعادة بمعنى إن ينشد الإنسان اللذة أو حالة يحبها ويفضلها. يرى البعض إن الإنسان يهدف من حركته ونشاطاته وأفعاله إلي الحصول علي أكبر قدر من اللذة والإشباع، ويرون ان هم الإنسان السعادة التي هي عبارة عن اللذة والمتعة. وهناك فريق يرى ان هدف الإنسان ليس الحصول علي اللذة والسعادة ولكن هدفه التخلص من هموم معينة)1.

نقول لا تعارض بين تحقيق السعادة بمعنى انتفاء الهم والغم أي انتفاء الخوف والحزن أي تحقق العافية وبين تحقيق السعادة بمعنى الحصول علي اللذة والمتعة لماذا ؟ لان كل لذة أعقت ألما ليست بلذة.

المتاع في التصور الإسلامي:-

المتاع في التصور الإسلامي نوعان متاع حسن ومتاع غرور.

المتاع الحسن والمتاع الغرور:-

كثير من الناس عند الحديث عن الزهد يقولون إن الله خلقنا لنتمتع فهل نترك الدنيا ليتمتع بها الكفار. ويقولون إن الكلام عن الزهد هو الكلام عن ترك الدنيا. لإزالة هذا اللبس لابد تعريف المتاع.

تعريف المتاع:-

المتاع هو كل شي زائل هو أي كل شي غير مستقر هو متاع

قال تعالى: { وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ } (الرعد:26).

قال تعالى: { يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ } (غافر:39).

المتاع نوعان:-

المتاع الحسن ومتاع الغرور.

المتاع الحسن:-

قال تعالى: { وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ } (هود:2).
 قال تعالى: { وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِثَّةِ آلَافٍ أَوْ يُزِيدُونَ، فَاْمُنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ } (الصافات: 147، 148)
متاع الغرور:-

قال تعالى: { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } (آل عمران: 185).
 قال تعالى: { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } (الحديد: 20).

تعريف المتاع الغرور:-

وحقيقة المتاع الغرور هو التمتع باللعب واللهو لان ذلك هو حقيقة الحياة الدنيا.
 قال تعالى: { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ } (الأنعام:32).
 قال تعالى: { وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ } (العنكبوت: 64).
 قال تعالى: { إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ } (محمد:36).
 قال تعالى: { اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ } (الحديد:20).

تعريف المتاع الحسن:-

المتاع الحسن هو التمتع بالقوة والتمتع بالعافية والتمتع بالصحة والتمتع بالسلامة. عن ابن عمر قال: قلما كان رسول الله يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه: (اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك. ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا، واجعله الوارث منا)1.
 متاع حسن وهو التمتع بالصحة والعافية والقوة. ومتاع الغرور وهو التمتع بالأكل والشرب والتفاخر والتكاثر والزينة واللعب واللهو وهو الذي يعقبه الآلام والامراض. اذن حقيقة السعادة في التصور الاسلامي كمقصد تنموي أي الخير الاسمي الذي يجب ان تسعى اليه البشرية هو تحقيق المتاع الحسن أي الحصول علي اكبر قدر من العافية والقوة.
 القوة مفرد مضاف يفيد العموم أي كل القوة وعطف القوة علي الأبصار والاسماع من باب عطف العام علي الخاص يفيد التعميم.

العافية غاية نهائية:-

فأعظم شي بعد اليقين أي بعد تأليه المولي عز وجل هي العافية. عن معاذ بن رفاعة عن ابيه قال: قام ابوبكر الصديق علي المنبر ثم بكى فقال: قام فينا رسول الله ﷺ عام أول علي المنبر ثم بكى: (أسألوا الله العفو والعافية؛ فإن أحدا لم يعطي بعد - اليقين - خيرا من العافية) 2. عن ابي بكر، حين قبض النبي ﷺ، يقول: قام رسول الله ﷺ، في مقامي هذا، عام الاول - ثم بكى ابوبكر - ثم قال: (وسلوا الله المعافاة، فانه لم يؤت احد، بعد اليقين، خيرا من المعافاة)3.
 فاليقين وسيلة والعافية غاية بل العافية غاية نهائية.
 لذلك أعظم شي يطلبه العبد من المولي عز وجل في أعظم ليلة أي في ليلة القدر هو العفو.

1 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2783).

2 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (3558).

3 صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم (3118).

عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله: ارايت ان علمت أي ليلة: ليلة القدر ما اقول فيها؟ قال: (قولي: اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني) 1. العافية هي الغاية النهائية والغاية الكبرى ليست في الحياة الدنيا فقط إنما في الدنيا والآخرة. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من اللهم إني أسالك المعافاة في الدنيا والآخرة) 2.

عن العباس بن عبد المطلب، قال: قلت يا رسول الله! علمني شيئاً أسأله الله عز وجل، قال: "سل الله العافية" فمكثت أياماً ثم جئت فقلت له: يا رسول الله! علمني شيئاً أسأله الله، فقال لي: (يا عباس يا عم رسول الله! سل الله العافية في الدنيا والآخرة) 3.

والعافية مطلوبة في الدين والدنيا وفي الأهل وفي المال. عن ابن عمر، قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هولاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: (اللهم أنى أسالك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم أنى أسالك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي) 4. إذا كان العافية مطلوبة في الدنيا والآخرة هي مطلوبة في القبور كذلك. عن بريدة رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر ان يقول قائلهم: (السلام عليكم أهل ديار من المؤمنين والمسلمين وأنا ان شاء الله للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية) 5.

وأفضل الدعاء أن يسأل الله العافية. عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: (من فتح له منكم باب الدعاء؛ فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية) 6. عن انس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: (الدعاء لا يرد بين الأذان و الإقامة) قالوا: ماذا نقول يا رسول الله؟ قال: (سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة) 7. العافية ضد العقوبة.

عن علي بن ابي طالب: أن النبي ﷺ كان يقول في وتره: (اللهم أنى أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك) 8.

هنا يحصل ويظهر التطابق بين مقاصد التنمية الفردية و مقاصد التنمية الجماعية فالخير الاسمي أي الخير الاعلى للمجتمع الإنساني في التصور الإسلامي هو "أن لا تكون فتنة" أي "أن تكون كلمة الله هي العليا" و حقيقة ذلك هو تحقق العافية التامة. فإذا كان القتال ليس غاية إنما الغاية هي "إن لا تكون فتنة" كذلك الغاية ليست لقاء العدو إنما هي العافية.

العافية في الجسد:-

عن عبيد الله بن محصن الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: (من أصبح منكم معافى في جسده، أمناً في سربه، عنده قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا) 9.

- 1 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (3513)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3119).
- 2 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3120).
- 3 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (3514).
- 4 صحيح سنن ابي داود، حديث رقم (5074)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3135).
- 5 صحيح مسلم، حديث رقم (975).
- 6 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (3548).
- 7 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (3594).
- 8 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (3566)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3113).
- 9 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3357)/صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (1913).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله p: (من راي مبتلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني علي كثير ممن خلق تفضيلا، لم يصبه ذلك البلاء)1.
عن جابر قال: قال رسول الله p: (يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطي أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض)2.

عافية بمعنى الأمن:-

(أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا)3.
العافية في الجسد والعافية بمعنى عدم تمني لقاء العدو متلازمان في التصور الإسلامي.

السعادة كمقصد إجرائي:-

السعادة أي الحياة الطيبة في المنهج العلماني كمقصد للتنمية تعتبر مقصد موضوعي أي يتفق عليها كل البشر أو أكثرهم لأن قليلا ما يوجد إنسان لا يسعى لتحقيق السعادة في حياته ولكن الحياة الطيبة أي السعادة كمقصد للتنمية في التصور العلماني غير إجرائي بمعنى لا يمكن قياسه أي لا توجد مؤشرات لقياسه.

قال الاستاذ جمال حسن الحمصي: (فمن خلال إلقاء نظرة متفحصة علي أدبيات التنمية في العلوم الاجتماعية "وبالذات علم الاقتصاد وعلم الاجتماع"، يستطيع المرء أن يستنتج تعريفين رئيسين لمصطلح "التنمية": الأول هو تعريف إجرائي Operational ولكنه غير موضوعي بناتاً وذلك هو التعريف الاقتصادي للتنمية والذي ينظر إلي "التنمية" بوصفها: "عملية طويلة الأجل تهدف إلي زيادة متوسط الدخل الفردي الحقيقي". أما التعريف الثاني والأكثر حداثة فهو موضوعي إلي حد كبير ولكنه غير إجرائي، وهو ينظر الي التنمية بوصفها: "عملية طويلة الأجل تهدف الي زيادة الرفاهية او السعادة الإنسانية التعريف الأول هو إجرائي بلا شك لأنه يمكن توفير سلاسل زمنية إحصائية تتابع حركة الدخل القومي، ولكنه غير موضوعي (علمي) لان الدخل الفردي الحقيقي Real Per Capita Income هو مؤشر ضعيف للرفاهية الاقتصادية، فكيف نجعله مقياساً أو حتى مؤشر للرفاهية الإنسانية والتي تضم – إضافة الي الرفاهية الاقتصادية – كلا من الرفاهية الأسرية و الرفاهية السياسية و الرفاهية الاجتماعية و الرفاهية البيئية و الرفاهية الروحية و الرفاهية النفسية . . . اما التعريف الثاني للتنمية فهو تعريف موضوعي الي حد كبير ولكنه ضمن النظرية العلمانية للمعرفة – غير إجرائي. وهو ينظر الي التنمية بصفتها عملية تهدف الي زيادة الرفاهية الإنسانية بمكوناتها وأسبابها المتعددة، الاقتصادية منها والاجتماعية والسياسية والروحية والأسرية، والبيئية والنفسية. انه تعريف موضوعي لان قليلا من الناس من يرفض رفاهية او سعادة البشر كهدف اسمي، ولكنه غير إجرائي لأننا كبشر لا نعلم – من خلال العلم او العقل أو الأدلة التجريبية – ماهي العوامل أو القيم أو الأوضاع التي تزيد من الرفاهية، لان المسألة فلسفية جدلية)4.
ولذلك عندما دعا علماء التنمية في العالم لنموذج تنموي إنساني جديد من داخل النظام الراسمالي العلماني وهذا النموذج يعرف بالتنمية المستدامة فمن المشاكل التي واجهة خبراء التنمية هي المؤشرات الإجرائية التي تمكن قياس مدي تحقق الاهداف.

1 صحيح سنن الترمذي، حديث (3432).

2 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2402).

3 صحيح البخارى، حديث رقم (2966)/صحيح مسلم، حديث رقم (1742).

4 نحو مفهوم موضوعي وإنساني للتنمية. مجلة البيان العدد 57.

قال الدكتور ضرار الماحي العبيد: (بالرغم من انتشار مفهوم التنمية المستدامة وكثرة تعريفاته إلا أن المعضلة الرئيسية في التعامل مع هذا المفهوم تمثلت في الحاجة الماسة إلى تحديد مؤشرات Indicators يمكن من خلالها قياس مدي التقدم نحو التنمية المستدامة وصعوبة تحويل هذا المفهوم ألي مقاييس ومعايير عملية يمكن استخدامها وتطبيقها في ارض الواقع)1.

أما السعادة في التصور الإسلامي كمقصد للتنمية تعتبر مقصد موضوعي أي الناس مجمع عليه وإجرائي أي يمكن قياسه لأن له مؤشرات قياس فإجرائية الحياة الطيبة والسعادة في النظام الإسلامي تظهر من خلال المؤشرات الموضوعية لقياس مدي تحقق المقصد التنموي. فبقدر ما ظهرت هذه المؤشرات كانت دليل علي تحقق المقصد التنموي وبقدر ما إختفت دليل علي غياب المقصد التنموي.

1 نشأة وتطور مفهوم التنمية المستدامة. مجلة التنوير، العدد الخامس ص 15.

الفصل الثاني

وسائل التنمية في الإسلام
أن لا تكون فتنة في الأرض
(العلم الكامل)

العلم هو الوسيلة الأساسية للتنمية والتطور والتقدم بقدر فقدان العلم وغيابه يكون التخلف والانحطاط و التأخر وبقدر الحصول علي العلم والازدياد منه تكون النهضة والتنمية والتطور.

قال الدكتور علي مصطفى مشرفة: (قد كان احد الأغراض التي رميت إليها من وضع هذا الكتاب، أن أدعوا بني وطني وسائر الناطقين بالضاد إلي الإهتمام بشأن العلم والمسائل العلمية، وأن أبين لهم ما للعلوم من أثر علي حياة الشعوب؛ ولذلك طُفْتُ بنواحي الحياة، فعرجت علي كل ناحية منها، وأبنت ما للعلم فيها من أثر واضح، وما يُرجي منه من خير وإصلاح، وقد رحلت أسوق الحُجة تلو الحجة للتدليل علي مكانة العلم وأهميته)1.

قال الأستاذ عبد الوهاب بن لطف الديلمي: (إن العلم هو القاعدة الصلبة التي تقوم عليها نهضة الأمم والشعوب)2.

قال الدكتور محمود محمد سفر: (للعلم دور أساسي في العملية التنموية بجميع أبعادها)3.

قال الدكتور حسن عبد الله الثرابي: (لا يستقيم أمر الإنسان وتعمير حياته إلا بالعلم)4.

قال الدكتور عيد الدويهبس: (العلم هو العمود الفقري للتنمية)5.

وقال كذلك: (إن التقدم العلمي هو الأساس الذي تنطلق منه التنمية بكافة مجالاتها)6.

الجامعات كمؤسسات للتنمية:-

لقد ذكرنا أن الوسيلة الأساسية للتنمية هي العلم. في الدولة القطرية الحديثة، المؤسسات التي تقع في قمة الهرم العلمي هي الجامعة والمؤسسات الملحقة بها مثل مراكز الأبحاث. بمعنى أن الحديث عن الجامعات هو جزء أصيل من الحديث عن العلم، ففي الدولة القومية المؤسسة العلمية التي لها دور أساسي في العملية التنموية هي الجامعة. (الجامعة: يقصد بها المؤسسة التربوية العلمية المنظمة التي تقع علي قمة السلم التعليمي في المجتمع وتقوم بإعداد الفرد مهنيًا بالإضافة إلي قيامها بالأبحاث العلمي التي تخدم خطط التنمية الشاملة)7.

قالت الدكتورة عايذة باكير: (أن الوظيفة الأساسية للجامعة إضافة لتقديم المعرفة تتمثل بالاستجابة للاحتياجات أفعالة والأساسية لتنمية المجتمع)8.

قال الدكتور ساجد شرفي: (ولا يغيب علي بال أحد الدور الهام الذي تلعبه الجامعات في تحريك التنمية لأن الجامعات هي أرفع المؤسسات التعليمية التي يناط بها توفير ما يحتاجه المجتمع وعمليات التنمية فيه من متخصصين في مختلف مجال التنمية)9.

التنمية وعلاقتها بالقوانين والسياسات:-

من وسائل التنمية الأساسية لدول والمجتمعات إضافة للجامعات القوانين والسياسات العامة.

قال الدكتور شمس الدين ضو البيت: (إذا إستخدمنا لغة التخطيط الإستراتيجي يمكن القول بأن المشروع يتكون من رؤية " vision"، أو حُلم نريد أن نراه متجسداً في الواقع، ورسالة

1 العلم و الحياة ص 119.

2 <http://www.aldaylami.com/details.php?id=100>

3 التنمية . قضية! ص 16.

4 الإيمان وأثره في حياة الإنسان ص 257.

5 الطريق إلي التقدم العلمي ص 33.

6 أين السلطة العلمية؟ ص 7.

7 مؤتمر الوزراء المسؤولين من التعليم العالي في الوطن العربي عام 1983 ص 10. نقلا من ورقة علمية بعنوان "نحو توثيق العلاقة بين الجامعة والمجتمع" ص 4.

8 تطوير دور الجامعة في خدمة المجتمع في ضوء المسؤولية المجتمعية الحديثة ص 3.

9 دور الجامعات في تطوير وتنمية المجتمع ص 171. مركز دراسات الكوفة

"mission"، هي الأهداف العامة التي يلزم الوصول إليها لتحقيق الحلم، ووسائل " means وتعني البرامج التي يجب تنفيذها لتحقيق الأهداف، وهذه الأخيرة، في حالة المشاريع التي تروم هندسة المجتمع، هي البناء التشريعي والقانوني والمؤسسي الذي يضع الأساس والموجهات للأخلاق وللمؤسسات والسياسات، للمجتمع والدولة)1.

وقال أيضاً: (المكونات الثلاثة للمشاريع الإجتماعية الكبرى هي، أولاً رؤية مثالية المجتمع يتطلع إليها، وثانياً أهداف كبرى تتحقق بها الرؤية، هي الرسالة، وأخيراً بنا تشريعي قانوني مؤسسي يضع الاساس والموجهات للأخلاق والمؤسسات والبرامج والسياسات، للمجتمع والدولة، نحو هذه الاهداف. وهذا الأخير هو حجر الأساس علي أرض الواقع للمشروع)2. تعريف السياسات العامة هي وسيلة لتحقيق غايات النظام السياسي وأهدافه. قال الدكتورة نحوي إبراهيم محمود: (السياسات العامة هي وسيلة لتحقيق أهداف النظام السياسي وغاياته)3.

القوانين والسياسات هي جوهر العملية السياسية:-

القوانين والسياسات هي جوهر العملية السياسية وعمودها الفقري. قال الدكتور يوسف عبدالله الطيب: (السياسة هي إدارة شئون المجتمع، والقوانين هي الضوابط التي يضعها المجتمع لضمان حسن إدارته وإستقراره)4.

قال رفائيل رونكاغليولو أور بيغوسو: (الأحزاب السياسية يبدو أنها تفقد في كثير من الأحيان طبيعتها البرامجية وتتحول إلي الآت إنتخابية مؤقتة. أجريت وزملاني الذين شاركوني في وضع الكتاب مقابلات مع أعداد كبيرة من قادة أهم الأحزاب السياسية في منطقة الإنديز، ولاحظنا أن منظماتهم كانت تواجه مسؤولياتها بقدرات متواضعة فيما يتعلق بوضع السياسات والبرامج والتعبير عنها، الأمر الذي يؤدي بطبيعة حال إلي تفريغ السياسة من محتواها بات بوسعنا اليوم إثبات أن إفراغ السياسة من البرامج لم يكن مؤقتاً ولم يقتصر علي منطقة الإنديز أو أمريكا اللاتينية)5.

الفرق بين القانون والأخلاق:-

الأخلاق والقانون يشتركان في أشياء ويختلفان في أشياء، يشتركان في أنهما قيم وضوابط، وفي أن الهدف منهما هو إستقرار المجتمعات وإتزانها، ويختلفان في الجزاء فالأخلاق الجزاء فيها يقوم علي الجزاء الأخروي وعلي الضبط الإجتماعي (الراي العام) أما القانون الجزاء فيه يقوم العقوبة الدنيوية المادية القسرية. قال الدكتور عبدالرزاق السنهوري: (ليست قواعد القانون وحدها هي التي تحكم تصرفات الإنسان في المجتمع، بل توجد إلي جانبها قواعد أخري تشترك معها في أنها حد علي الحرية الفردية، هذه القواعد إما يفرضها الدين أو الأخلاق . . وأهم ما يميز قواعد الدين عن قواعد القانون أن الجزاء فيها أخروي، أي يوقع في الحياة الآخرة، وأهم ما تتميز به قواعد الأخلاق عن قواعد القانون، أن الجزاء فيها يتولي توقيعه الراي العام، إذ هو سخط المجتمع وذمه . . فجزاء القواعد القانونية مادي توقعه الدولة بما لديها من وسائل قهر)6.

1 الحركات الإسلامية في السلطة إشكال المنهج والتطبيق ص 32.

2 المصدر السابق ص 47.

3 مفهوم السياسات العامة. alhoriytmoroc.yoo7.com

4 هذه هي الحقيقة المادية ضحية الماركسيين وأعدائهم ص 502.

5 تقديم لكتاب نشوء الأحزاب السياسية البرامجية.

6 أصول القانون أو مدخل لدراسة القانون ص19.

ملاحظة:-

ولكن من الملاحظات في الدولة القطرية الحديثة هناك تباعد بين مؤسسات العلم وأهله من جانب ومؤسسات صياغة القوانين والسياسات العامة "مؤسسات إتخاذ القرار" من جانب آخر، فمؤسسات العلم هي الجامعات ومراكز أبحاثها، ليست لها أي سلطة أو ولاية في الحياة العامة أي ليست لها دور في صناعة القوانين والسياسات العامة واتخاذ القرار، وفي المقابل مؤسسات صياغة القوانين والسياسات العامة هي مؤسسات النظام السياسي، غالباً ما يتم صياغة القوانين والسياسات العامة فيها بعيداً عن العلم وأهله أي بعيداً عن مؤسسات العلم، وفي الغالب الشبي الذي يؤثر علي صياغة القوانين والسياسات العامة في مؤسسات النظام السياسي في الدولة القطرية القومية الحديثة هي الأهواء والمصالح الشخصية والحزبية وجماعات الضغط . وإن إتجهوا الي العلم يكون بصورة غير شورية أي بصورة غير ملزمة. مع العلم أن الوسيلة الأساسية للتنمية هي العلم لذلك ظهرت في الفترة الأخيرة في العالم ما يعرف السلطة العلمية ولكنها ظهرت ناقصة أي بصورة غير شورية أيضاً.

السلطة العلمية "ولاية العلماء":-

حقيقة السلطة العلمية أي حقيقة ولاية العلماء هي إعطاء المجال الكامل للعلم وأهله في صياغة القوانين والسياسات واتخاذ القرار أي التعامل مع المشاكل والتحديات والهموم التي تواجه الإنسان بطريقة علمية موضوعية.

قال الدكتور عيد الدويهي: (فكرة السلطة العلمية قائمة علي جعل العلم وأهله المسؤولين عن القيادة العلمية للتنمية أو علي الأقل يشاركون في الدور الأكبر منها)1.

وقال في موضع آخر: (وغياب السلطة العلمية جعلت مشاكلنا تكبر مع الزمن وجعل كثير من قرار اتنا وخططنا فاشلة، وزادت مشاكل البطالة وأنخفض مستوي التعليم، وزادت الصراعات والاختلافات والمشاكل الاجتماعية)2.

وقال كذلك: (تقدم الغرب علمياً يعني أنه متقدم في علم وتطبيقات الزراعة والصناعة والإدارة والتجارة والاستثمار أي أنه يتعامل مع مشاكله وطموحاته بأساليب علمية ومن خلال دراسات علمية تحدد قراراته وخطط دوله وحكوماته)3.

قال الدكتور بسطامي محمد سعيد: (وهكذا يتضح أن مبدأ ولاية العلماء من المبادي المهمة التي لها آثار عملية كبيرة في المجتمع المسلم، ويمكن القول أن صلاح أي مجتمع مسلم يعتمد أساساً علي صلاح علمائها)4.

وسائل الحصول علي العلم في النظام الإسلامي:-

وسائل الحصول علي العلم في النظام الإسلامي وسيلتان، الوسيلة الأولى عامة لكل المسلمين وهي المنهج العلمي عند أهل السنة والجماعة وهي الحنيفية السمحة أي كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" وهي الوسيلة الأساسية للحصول علي العلم في النظام الإسلامي، أما الوسيلة الثانية للحصول علي العلم في النظام الإسلامي هي السلطة العلمية أي "ولاية العلماء" وهي وسيلة ليست عامة إنما لها خاصة بأهل الاختصاص.

1 أين السلطة العلمية؟ ص 7.

2 أين السلطة العلمية؟ ص 10.

3 لا للأبحاث التطويرية ص 90.

4 مسائل معاصرة في فقه السياسة ص 121.

المنهج العلمي:-

الوسيلة الأساسية في النظام الإسلامي وبالأخص عند اهل السنة والجماعة للحصول علي العلم أي المنهج العلمي "منهج التفكير" لديهم هو "الحنيفية السمحة" وحقيقة منهج التفكير هو أصول وقواعد لضبط عملية التفكير ومنع العقل من الانحراف وحقيقة ذلك المنهج في النظام الإسلامي هو "الحنيفية السمحة" أي مخالفة أهواء النفس وهي سنن الجاهلية.

ولاية العلماء في النظام الإسلامي:-

الوسيلة الثانية للحصول علي العلم هي السلطة العلمية أي ولاية العلماء في الإسلام وحقيقة ولاية العلماء في النظام الإسلامي هي اولي العلم في كل مجال من مجالات الحياة. قال تعالى: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ } (آل عمران: 18). قال الإمام الفخر الرازي: (قوله "قائما بالقسط" فيه وجهان: الأول: أنه حال من المؤمنين والتقدير: وأولوا العلم حال كون كل واحد منهم قائما بالقسط في أداء هذا الشهادة. والثاني وهو قول جمهور المفسرين: إنه حال من "شهد الله")1.

الله سبحانه وتعالى يشهد والملائكة يشهدون وَأُولُو الْعِلْمِ يشهدون، شهادة أولوا العلم هي القيام بالقسط أي شهادة أولوا العلم تتحقق حال قيامهم بالقسط لأن الغاية الأساسية من إرسال الرسل هي تقويم الناس بالقسط أي القيام بالقسط. قال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ } (الحديد: 25). أي الغاية من التوحيد أي من الشهادة هي القيام بالقسط لأن إنزال البينات الغاية منه الإيمان بالله وتحقيق التوحيد ولكن في الآية السابقة كانت الغاية من إنزال البينات هو القيام بالقسط هذا يعني أنه بقدر القيام بالقسط يكون تحقيق التوحيد أي أن القيام بالقسط هو المعيار لتحقيق التوحيد والشهادة.

فبقدر قيام أولوا العلم بالقسط تكون شهادتهم ب"أن لا إله إلا الله" وبقدر عدم قيامهم بالقسط يكون عدم شهادتهم ب"أن لا إله إلا الله".

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ } (النساء: 135). شهداء لله حال مؤسسة مبنية كاشفة لحقيقة القيام بالقسط، فكل من قام بالقسط فهو شاهد لله.

أولو العلم هم الولاية:-

الصفة المميزة ل"أولو العلم" هي القيام بالقسط فبقدر قيامهم بالقسط تكون شهادتهم بأن "لا إله إلا الله". ولكن مواضع القسط ثلاثة هي الحكم والولاية والأهل. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن المقسطين عند الله علي منابر من نور. عن يمين الرحمن عز وجل. وكلتا يديه يمين؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)2. القسط يكون في ثلاثة مواضع في الحكم وفي الولاية وفي الأهل. و الحكم هو القضاء. وفي آية آل عمران ذكر فئة العلماء وجعل شهادتهم ب"أن لا إله إلا الله" حال قيامهم بالقسط. قال تعالى: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ } (آل عمران: 18). فتكون الولاية هي أولو العلم.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (أولي العلم في كل موضع بحسبه، ففي الأمور الشرعية يستنار أهل العلم الشرعي، وفي الأمور الحربية يستنار أهل العلم بالحرب، وفي أمور الصناعة

1 تفسير الفخر الرازي، المجلد الرابع ص 179.

2 صحيح مسلم، حديث (1827).

يستشار أهل العلم بالصناعة، وفي أمور الزراعة يستشار أهل العلم بالزراعة، وهكذا لان كل احد يدرك ما لا يدركه الآخر)1.

الإمارة على البشر والولاية على الأشياء:-

الفرق بين الإمارة والولاية أن الإمارة تكون على البشر والولاية تكون على الأشياء. عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: (يا أبا ذر إني أراك ضعيفا. وإني أحب لك ما أحب لنفسي. لا تأمرن علي أثنين. ولا تولين مال يتيم)

الرعاية للأشياء وللبنش:-

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (كلكم راع و مسؤول عن رعيته: فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته، قال: فسمعت هؤلاء من النبي، وأحسب النبي ﷺ قال: والرجل في مال أبيه راع و مسؤول عن رعيته فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته)2. عن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالأمير الذي علي الناس راع وهو مسئول عنهم، والرجل راع علي أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية علي بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع علي مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)3.

الحفظ والتضييع:-

(إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيع؟ حتي يسأل الرجل عن أهل بيته)4.

الشيء الذي يحتاج إلى حفظ ورعاية هي الأمانات:-

الشيء الذي يحتاج إلي رعاية وحفظ هي الأمانات لان الرعاية والحفظ تكون لكل شي مفيد ولكن الأمانة والعهد خصصت في القران بالرعاية. قال تعالى: { وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } (المومنون: 8). قال تعالى: { وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } (المعارج: 32). وحقيقة حفظ الأمانة ورعايتها يكون باداها إلي أهلها. قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا } (النسا: 58).

الأمانات نوعان: الأموال والولايات:-

الأمانات قسمان هي الأموال والولايات. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلي أهلها، والحكم بالعدل فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة. أما أدا الأمانات ففيه نوعان: أحدهما الولايات: وهو كان سبب نزول الآية. . . . والقسم الثاني من الأمانات: الأموال، كما قال تعالى في الديون: { فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ } "البقرة: 283")

5

أداء الأمانات إلي أهلها والحكم بين الناس بالعدل متلازمان:-

1 شرح كتاب السياسة الشرعية لابن تيمية ص 49.

2 صحيح البخاري، حديث رقم (2558)/ صحيح مسلم، حديث رقم (1829).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (2554).

4 السلسلة الصحيحة حديث رقم (1636).

5 السياسة الشرعية ص 6.

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } (النساء: 58). هناك تلازم بين أدا الأمانات إلي أهلها وبين الحكم بين الناس بالعدل، مع العلم لأبد لكل عدل من ميزان. ما هو هذا الميزان؟ أهل الأمانة هم من أخذها بحقها وأدي الذي عليه. عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله! ألا تستعملني؟ قال: فضرِب بيده علي منكبي ثم قال: (يا أبا ذر إنك ضعيف. إنها أمانة. وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدي الذي عليه)1. حقها هو أن تكون من أولي القوة أي أولي العلم، أما أداء الذي عليه هو القيام بالقسط والميزان قال تعالى: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ } (آل عمران: 18). أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن الخيانة هي الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف. عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فأنها بئس البطانة)2.

والبطانة السيئة هي التي تأمر بالشر. عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: (ما بعث الله من نبي ولا أستخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى)3.

البطانة الامينة هي التي تأمر بالمعروف و البطانة الخائنة هي التي تأمر بالمنكر أو الخيانة هي الامر بالمنكر. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (ومن إشارة علي أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانته)4. الميزان هو الأمر المتفق المجمع عليه لأن المعروف هو المجمع علي الأمر به، والمنكر هو المجمع علي النهي عنه.

الولاية أمانة:-

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد دلت سنة رسول الله ﷺ علي أن الولاية أمانة يجب أداؤها في مواضع: مثل ما تقدم، ومثل قوله لأبي ذر - رضي الله عنه - في الإمارة: "إنها أمانة. وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدي الذي عليه" رواه مسلم. وروي البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قيل: ما إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا وسد الأمر إلي غير أهله فانتظر الساعة" وقد أجمع المسلمون علي هذا معني هذا)5.

العلامة عبد الرحمن السعدي: (من الآيات الجامعة في السياسة قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ } (النساء: 58). والآية التي بعدها 6. فالأمانات يدخل فيها أشياء كثيرة، من اجلها الولايات الكبيرة، والصغيرة، والمتوسطة، الدينية، والدينية)7.

إضاعة أمانة الولايات بإسناد الأمر إلى غير أهله:-

- 1 صحيح مسلم، حديث رقم (1825).
- 2 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (1547)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (2723).
- 3 صحيح البخاري، حديث رقم (7198).
- 4 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3657).
- 5 السياسة الشرعية ص 10.
- 6 الآية التي لم تذكر هي قوله تعالى: { إِنَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } (النساء: 59).
- 7 القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ص 92.

إضاعة أمانة الولايات أي عدم حفظها تكون بإسناد الأمر إلي غير أهله. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أسند الأمر إلي غير أهله فانتظر الساعة) وفي رواية: (إذا وسد الأمر إلي غير أهله فانتظر الساعة) 1.

من هم الذين ليس اهل للأمر؟

إسناد الأمر إلي غير أهله هو إسناده إلي من سأله أو حرص عليه. عن أبي موسى رضي الله عنه قال: دخلت علي النبي صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من قومي، فقال أحد الرجلين: أمرنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الآخر مثله، فقال: (إنا لا نولي هذا من سألته ولا من حرص عليه) 2. إسناد الأمر إلي غير أهله هو إسناده إلي من سأله أو حرص عليه أي إلي الضعفاء (غير أولي العلم أي غير المتخصصين) أو السفهاء.

إسناد الأمر إلي الضعفاء أي إسناده إلي غير أولى العلم المتخصصين في إحدى مجالات الحياة المختلفة:-

عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله! ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده علي منكبي ثم قال: (يا أبا ذر إنك ضعيف. إنها أمانة) 3. عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: (يا أبا ذر إني أراك ضعيفا. وإني أحب لك ما أحب لنفسي. لا تأمرن علي أثنين ولا تولين مال يتيم) 4. فالضعفاء ليس اهل للولاية فالضعف ضد القوة 5 وحقبة الضعيف هو من ليس من أولي العلم.

- 1 صحيح البخاري، حديث رقم (6496).
- 2 صحيح البخاري، حديث رقم (7149).
- 3 صحيح مسلم، حديث رقم (1825).
- 4 صحيح مسلم، حديث رقم (1826).

5 القوة نوعان: القوة المحمودة والقوة المذمومة:-

الموانع الأساسية من تولي الولاية هي سؤالها والحرص عليها، وسؤالها هي الضعف وضده القوة، لكن القوة نوعان: القوة المحمودة هي التي قرنت بالأمانة.

قال تعالى: { أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ } (النمل: ٣٩).

قال تعالى: { إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } (القصص: ٢٦).

والقوة المذمومة هي التي قرنت بالتكاثر والجمع والأثار في الأرض وهذا حقيقة الحرص علي الولاية.

قال تعالى: { كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا } (التوبة: ٦٩).

قال تعالى: { أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ فَدَّ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا } (القصص: 78).

قال تعالى: { كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا } (الروم: 9).

قال تعالى: { كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ } (غافر:

21).

إسناد الأمر إلى السفهاء:-

(بادروا بالأعمال خصالا ستا: إمرة السفهاء، وكثرة الشرط، وقطيعة الرحم، وبيع الحكم، واستخفاف بالدم، ونشوا يتخذون القرآن مزامير، يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا أعلمهم؛ ما يقدمونه إلا ليغنيهم)1.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال لكعب بن عجرة: (أعاذك الله يا كعب من إمارة السفهاء) قال: وما إمارة السفهاء يا رسول الله؟

قال: (أمرأ يكونون بعدي لا يهدون بهديي ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون على حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم، وسيردون علي حوضي)2.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (سيأتي علي الناس سنون يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، وينطق فيها الروبيضة) قيل يا رسول الله وما الروبيضة؟ قال: (السفيه يتكلم في أمر العامة)3.

السفهاء هم المتكبرين لانهم يسفهون الحق. (الكبر سفه الحق، وغمص الناس) 4. فمن يسأله هم الضعفاء ومن حرص علي العلو والرئاسة هم المتكبرين أي السفهاء. عن أبي هريرة ر، عن النبي ﷺ قال: (إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرزعة، وبئست الفاطمة)5.

قال الإمام بن رجب الحنبلي: (واعلم أن حب الشرف بالحرص على نفوذ الأمر والنهي وتدبير أمر الناس، كان القصد بذلك مجرد علو المنزلة على الخالق والتعاضم عليهم وإظهار صاحب هذا الشرف حاجة الناس وافتقارهم إليه، وذلك له في طلب حوائجهم منه.. فهذا نفسه مزاحمة لربوبية الله وإلهيته، وربما تسبب بعض هؤلاء إلى إيقاع الناس في أمر يحتاجون فيه إليه ليضطرهم بذلك إلى رفع حاجاتهم إليه وظهور فقرهم واحتياجهم إليه، ويتعاضم بذلك ويتكبر به، وهذا لا يصلح إلا لله وحده لا شريك له)6.

قال تعالى: {كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (غافر: 82). القوة المذمومة هي التي قرنت بالتكاثر والجمع والأثار في الأرض خيانتها هي الأمر بالمنكر.

1 السلسلة الصحيحة حديث رقم (979).

2 مستدرک الحاكم، کتاب الفتن والملاحم، حديث رقم (8302)، قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

3 مستدرک الحاكم، کتاب الفتن والملاحم، حديث رقم (8564)، قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني السلسلة الصحيحة حديث رقم (1887).

4 السلسلة الصحيحة حديث رقم (1626).

5 صحيح البخاري، حديث رقم (7148).

6 ذم المال والجاه ص 17.

وقال كذلك: (ومن دقيق آفات حب الشرف طلب الولايات والحرص عليها، وهو باب غامض لا يعرفه إلا العلماء بالله تعالى، والعارفون به، المحبون له، الذين يعادون له من جهال خلقه المزاحمين لربوبيته وإلهيته)1. أما المقسطين هم من أخذها بحقه وأداء الذي عليه.

خيانة الضعفاء وخيانة السفهاء:-

خيانة الأمانة في حالة الضعفاء هي أن يتولي الأمر الإنسان من غير أولي العلم. عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله! ألا تستعلمني؟ قال: فضرب بيده علي منكبي ثم قال: (يا أبا ذر إنك ضعيف. إنها أمانة)2، وخيانة الأمانة في حالة السفهاء المتكبرين هي الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف أي رد الحق. عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فأنها بئس البطانة)3.

والبطانة السيئة هي التي تأمر بالشر. عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: (ما بعث الله من نبي ولا أستخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى)4.

البطانة الامينة هي التي تأمر بالمعروف و البطانة الخائنة هي التي تأمر بالمنكر أو الخيانة هي الامر بالمنكر. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (ومن إشارة علي أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانته)5.

المنكر هو معيار وميزان والمعروف هو معيار وميزان:-

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } (آل عمران: 104).

قال تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } (آل عمران: 110).

قال تعالى: { يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } (آل عمران: 114).

قال تعالى: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ } (الأعراف: 157).

قال تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } (التوبة: 71).

قال تعالى: { الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ } (التوبة: 112).

قال تعالى: { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ } (الحج: 41).

قال تعالى: { يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ } (لقمان: 17).

المنكر هو الشيء المجمع المتفق علي النهي عنه، والمعروف هو الشيء المجمع المتفق علي الأمر به.

1 ذم المال والجاه ص 17.

2 صحيح مسلم، حديث رقم (1825).

3 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (1547)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (2723).

4 صحيح البخاري، حديث رقم (7198).

5 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3657).

مع العلم أن كل أمر مجمع عليه هو معيار وميزان وقيمة هذا يعني أن المنكرات هي قيم وموازن ومعايير منهي عنها والمعروف هو موازين وقيم ومعايير مأمور بها.

الأمر بالمعروف هو الأمر بالقسط:-

وحقيقة الأمر بالمعروف هو الأمر بالقسط. قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ } (آل عمران: 21). (عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، عن أبي عبيدة بن الجراح قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشدّ عذاباً يوم القيامة؟ قال: " رجل قتل نبياً، أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ " (60) إلى أن انتهى إلى " وما لهم من ناصرين "، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا عبيدة، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة! فقام مائة رجل واثنا عشر رجلاً من عبّاد بني إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوه عن المنكر، فقتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم، وهم الذين ذكر الله عز وجل)1.

العلم الكامل والأهلية للولاية:-

أما رعاية الأمانة وحفظها تكون بان تودي إلي أهلها. قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } (النساء: 58) 2. أداء الأمانات الي أهلها والحكم بالعدل متلازمان أي هناك تلازم بين أدا الأمانات إلي أهلها وبين الحكم بالعدل. أهل الأمانة في الحديث هم من أخذها بحقها وأدي الذي عليه. عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله! ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده علي منكبي ثم قال: (يا أبا ذر إنك ضعيف. إنها أمانة. وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدي الذي عليه) 3. حقها هو أن تكون من أولي العلم، وأداء الذي عليه هو القيام بالقسط أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمعروف والمنكر هو الميزان.

قال الدكتور عبد الكريم زيدان: (فإن تنظيم الحسبة وضبطها من قبل ولي الأمر وتعيين الأكفاء لها حتي لا تسود الفوضى في المجتمع بأسم الحسبة قيام ولي الأمر بتنظيم امور الحسبة وتعيين الأكفاء لها فإن المعين يملك من الولاية أكثر مما يملكه غير المعين)4.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (من الآيات الجامعة في السياسة قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ { (النساء:58). والآية التي بعدها5. فالأمانات يدخل فيها أشياء كثيرة، من اجلها الولايات الكبيرة، والصغيرة، والمتوسطة، الدينية، والدينية، فقد أمر الله أن تودي إلي أهلها بان يجعل فيها الأكفاء لها، وكل ولاية لها أكفاء مخصوصون، فهذا الطريق الذي أمر الله به في الولايات من أصلح الطرق لصالح جميع الأحوال، فان صلاح الأمور بصلاح المتولين والرؤسا فيها، والمديرين لها، والعاملين

1 تفسير الطبري، المجلد الثالث ص 149.

2. قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } (النساء: 58). هناك تلازم بين أدا الأمانات إلي أهلها وبين ال

3 صحيح مسلم، حديث رقم (1825).

4 أصول الدعوة ص 178.

5 الآية التي لم تذكر هي قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا { (النساء:59).

لها، . . . فصلاح المتولين للولايات ألكبري والصغرى عنوان صلاح الأمة، وضده بضده، ثم أرشدهم إلي الحكم بين الناس بالعدل، الذي ما قامت به السموات والأرض إلا به، فالعدل قوام الأمور وروحها، بفقده تفسد الأمور، والحكم بالعدل من لازمه معرفة العدل في كل أمر من الأمور)1.

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي في موضع آخر: (إلي غير ذلك من الولايات الكبار والصغار فإنها داخله في قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا } (58) وهذه الولايات من أعظم الأمانات، فيتعين أن تؤدي إلي أهلها، أن يوظف أهل الكفاءة فيها)2.

حد الأمانة:-

عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله! ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده علي منكبي ثم قال: (يا أبا ذر إنك ضعيف. إنها أمانة. وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه)3. حد الأمانة أي الولاية أن تأخذها بحقها وهو القوة أي أن تكون من أولو العلم. و أن تؤدي ما أمرت به كاملاً وهو أن تقوم بالقسط فيها.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الخازن الأمين الذي يؤدي ما أمر به طيبة نفسه فيدفعه إلي الذي أمر له به؛ أحد المصدقين)4. (الخازن المسلم الأمين الذي يعطي ما أمر به كاملاً موفراً طيبة به نفسه فيدفعه إلي الذي أمر له به؛ أحد المتصدقين)5. أداء ما أمرت به كاملاً هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الحكمة والميزان:-

الحكمة نوعان الحكمة التي هي سبب وهي تمنع من السفه أي التي تمنع من التعلق بالعلو في الأرض أي تمنع من الشرك بالله. وحكمة التي هي النتيجة هي التي تكون مقرونة بالكتاب هي الموازين والمعايير لان الكتاب في القران قرن بالحكمة وقرن بالميزان أيضاً هذا يفسر بعضه 6.

السنة والميزان:-

لقد فسر كثير من العلماء الحكمة التي هي بالمعني الخاص أي المقرونة بالكتاب فسروها بالسنة وهذا لا يخالف تفسير الحكمة بالميزان لان السنة هي نفسها يمكن ان تفسر بالميزان. عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: "جاء ثلاثة رهط الي بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما اخبروا كانهم تقالوها، فقال: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر. قال احدهم: اما انا أصلي الليل ابدًا. وقال اخر: انا اصوم الدهر ولا افطر. وقال اخر: ان اعتزل النساء فلا اتزوج ابدًا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: (اما والله اني لأخشاكم لله واتقاكم له؛ لكني اصوم وافطر، واصلي وارقد، واتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني) 7. عن عون بن جحيفة عن أبيه قال: "أخي النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدر داء، فزار سلمان أبا الدر داء، فراء أم الدر داء مبتذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدر داء لا حاجة له في الدنيا. فجاء أبو الدر داء فصنع له طعاما فقال

1 القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القران ص92.

2 بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار ص 3.

3 صحيح مسلم، حديث رقم (1825).

4 صحيح البخاري، حديث رقم (2260).

5 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (3336).

6 لقد تحدثنا عن الحكمة والرشد في فصل العقل العملي.

7 صحيح البخاري، حديث رقم (5063)/صحيح مسلم، حديث رقم (1401)/صحيح سنن النسائي، حديث رقم (3217).

له: كل، قال: فاني صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل. قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدر دا ء يقوم، قال: نم، فنام. ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا. فقال له سلمان: (ان لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعطي كل ذي حق حقه). فأتي النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: صدق سلمان"1.

في الحديث الأول ذكر الأفعال

حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبد الله أخبرنا الأوزاعي قال حدثني يحيى بن أبي كثير قال حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: (يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟) قلت: بلى يا رسول الله، قال: (فلا تفعل صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا)2.

موضوع هذه الأحاديث الثلاثة الغلو أي تجاوز حد العبادة. الرسول ﷺ عالج الغلو في الحديث الأول باتباع سنته وعالج الغلو في الحديثين الثاني والثالث بأعطاء كل ذي حق حقه وهذا يتطلب وجود موازين ومعايير حتي تعرف الحقوق فيكون إتباع السنة هو إلتزام المعايير والموازين إذن فلا تناقض بأن تفسر الحكمة بالسنة وأن تفسر الحكمة بالميزان والمعيار.

المعروف و المنكر والميزان "المعيار":-

من أهم شروط المنكر المراد النهي عنه أو المعروف المراد الأمر به أن يكون مجمع ومتفق عليه. ومع العلم كل شيء متفق مجمع عليه هو معيار وميزان لان أبسط تعاريف المعايير هو ما أتفق عليه.

(المعيار: هو الذي يتفق عليه كل شخص)3.

وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي اليد واللسان والقلب:-

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له ثلاثة وسائل اليد واللسان والقلب. عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رأي منكرا فلينكره بيده، ومن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، ذلك اضعف الإيمان)4.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يكون باليد والقوة والسلطان هو الولاية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر وهذا نعت النبي والمؤمنين كما قال تعالى: " وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ " (التوبة: 71). وهذا واجب علي كل مسلم قادر، وهو فرض علي الكفاية، ويصير فرض عين علي القادر الذي لم يقم به غيره، والقدرة هي السلطان والولاية، فذوو السلطان أقدر من غيرهم، وعليهم من الوجوب ما ليس علي غيرهم فإن مناط الوجوب هو القدرة)5.

درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي تعليم الحكمة والتفتيش والأخذ على يد الظالم:-

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاثة درجات تقريبا. أول هذه الدرجات تعليم الحكمة وهو تعليم المعروف أي تعليم الموازين والمعايير. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (

1 صحيح البخاري، حديث رقم (1968).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (5199).

3 <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B9%D9%8A%D8%A7%D8%B1> 3

4 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3258)/صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2172).

5 الحسبة في الإسلام ص 11.

لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة؛ فهو يقضى بها ويعلمها)1.

وثانيها التفتيش والرقابة عن المنكرات. عن أبي هريرة؛ قال: مر رسول الله ﷺ برجل يبيع طعاماً فأدخل يده فيه، فأذا هو مغشوش فقال رسول الله ﷺ: (ليس منا من غش)2.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ مر علي صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال: (ما هذا يا صاحب الطعام) قال: أصابته السماء يا رسول الله قال: (أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني)3.

وآخر درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الأخذ علي يد الظالم. عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ هَذِهِ آيَةَ تَضَعُونَهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا: (عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْ شَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِ)4.

عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ؛ قَالَ: قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ هَذِهِ آيَةَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) وَإِنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ لَا يُعَيِّرُونَهُ، أَوْ شَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ)5. والأخذ علي يد الظالم يحتاج إلي قوة وسلطان، والولاية هي القوة أي هي السلطة.

الشيء الموجب للأخذ علي يد الظالم أي الشيء الموجب للضمان هو عدم إحسان العمل وعدم

إتقانه:-

الشيء الموجب للضمان أي للمسئولية الذي يعرف في النصوص الشرعية بالأخذ علي اليد الظالم هو عدم الإحسان العمل وعدم إتقانه أي عدم الحق. عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: (من تطيب و لم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن)6.

عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، قال: قال حدثني بعض وفد الذين قدموا علي أبي، قال: قال رسول الله ﷺ: (أيما طبيب تطيب علي قوم، لا يعرف له تطيب قبل ذلك فأعنت؛ فهو ضامن)7. قال الخطابي: (لا أعلم خلافاً في أن المعالج إذا تعدي فتلف المريض كان ضامناً والمتعاطي علماً أو عملاً لا يعرفه متعدياً فإذا تول عن فعله التلّف ضمن الدية)8.

قال الإمام بن القيم: (وأما الأمر الشرعي، فيإيجاب الضمان علي الطبيب الجاهل، فإذا تعاطي علم الطب وعمله، ولم يتقدم له به معرفة، فقد هجم بجهله علي إتلاف الأنفس، وأقدم بالتهور علي ما لم يعلمه، فيكون قد غرر بالتعليل، فيلزمه الضمان لذلك، وهذا إجماع من أهل العلم)1.

1 صحيح البخاري، حديث رقم (1409)/صحيح مسلم، حديث رقم (816).

2 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (1823).

3 صحيح مسلم، حديث رقم (164).

4 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4339)/صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2168).

5 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3251).

6 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (2808)/صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4586).

7 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4587).

8 معالم السنن لشرح سنن أبي داود، المجلد الرابع ص 330.

1 زاد المعاد في هدي خير العباد، المجلد الرابع ص 127.

وقال كذلك: (وقوله p "من تطيب"، ولم يقل: من طب، لأن لفظ التفعّل يدل علي تكلف الشيء والدخول فيه بعسر وكلفه، وأنه ليس من أهله، كتحلّم وتشجع وتصبر ونظائرهما)1. قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي عن هذا الحديث: (هذا الحديث يدلّ بلفظه وفحواه على: أنه لا يحل لأحد أن يتعاطى صناعة من الصناعات وهو لا يحسنها، سواء كان طباً أو غيره، وأن من تجرأ على ذلك: فهو آثم.

وما ترتب على عمله من تلف نفس أو عضو أو نحوهما: فهو ضامن له. وما أخذه من المال في مقابلة تلك الصناعة التي لا يحسنها: فهو مردود على باذله؛ لأنه لم يبذله إلا بتغريره وإيهامه أنه يحسن، وهو لا يحسن، فيدخل في الغش. و "من غشنا فليس منا" ومثل هذا البناء والنجار والحداد و الخراز والنساج ونحوهم ممن نصّب نفسه لذلك، موهماً أنه يحسن الصناعة، وهو كاذب)2.

قال الدكتور محمد بن محمد المختار الشنقيطي عن هذا الحديث: (الجهل 3 هو الموجب للمسئولية كما يدل عليه ظاهر الحديث)4.

وقال كذلك: (دل ظاهر هذا الحديث علي أن الطبيب الجاهل ملزم بضمان ما نتج عن طبه)5.

الطب في اللغة يشمل كل المهن وليست علاج المرضى فقط:-

عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله p قال: (من تطيب و لم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن)6. عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، قال: قال حدثني بعض وفد الذين قدموا علي أبي، قال: قال رسول الله p: (أيما طبيب تطيب علي قوم، لا يعرف له تطيب قبل ذلك فأعنت؛ فهو ضامن)7.

هذا الحديث يدلّ بلفظه أنه لا يحل لأحد أن يتعاطى مهنة من المهن وهو لا يحسنها لأن الطب في لغة العرب هو الحذق والمهارة أي إحسان كل المهن.

قال الإمام بن القيم: (هذا الحديث يتعلق به ثلاثة أمور: أمر لغوي، وأمر فقهي، وأمر طبي. فأما اللغوي: فالطب بكسر الطاء في لغة العرب، يقال: علي معان. منها الإصلاح، يقال طببته: إذا أصلحته. ويقال له طب بالأمور. أي: لطف وسياسة. قال الشاعر: وإذا تغير من تميم أمرها كنت الطبيب لها برأي ثاقب ومنها: الحذق. قال الجوهري: كل حاذق طبيب عند العرب، قال أبو عبيد: أصل الطب: الحذق بالأشياء والمهارة بها. يقال للرجل: طب وطبيب: إذا كان كذلك، وإن كان في غير علاج المريض. وقال غيره: رجل طبيب: أي حاذق، سمي طبيبا لحذقه وفطنته)8.

حقيقة عدم الاحسان الموجب للضمان:-

وحقيقة عدم الاحسان الذي يوجب الضمان والمسئولية هو الجهل بالأصول و المعايير 1 العلمية والعملية للمهن والحرف والصنائع.

1 زاد المعاد في هدي خير العباد، المجلد الرابع ص 127.

2 بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ص 118.

3 في النظام الإسلام عدم معرفة الحق يعتبر جهل، ومعرفة الحق وعدم العمل به يعتبر جهل أيضاً.

4 أحكام الجراحة الطبية و الآثار المترتبة عليها ص 447.

5 المصدر السابق ص 519.

6 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (2808)/صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4586).

7 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4587).

8 زاد المعاد في هدي خير العباد، المجلد الرابع ص 124.

قال الإمام الشيرازي: (معرفة القناطير والأرطال و المثاقيل والدرهم لما كانت هذه أصول المعاملات، وبها إعتبار المبيعات، لزم المحتسب معرفتها، وتحقيق كميتها؛ لتقع المعاملة بها من غير غبن، علي الوجه الشرعي)².

قال الدكتور عبد الكريم زيدان: (يجري الاحتساب علي جميع أصحاب المهن والحرف والصنائع المختلفة لأن للإسلام حكمه فيهم وفيما يباشرونه. . . وحكم الإسلام فيما يباشرونه هو أدأوه علي الوجه الصحيح السليم الخالي من الغش والتدليس والإضرار، ومن ثم كانت واجبات المحتسب تمتد إلي مراقبتهم ليقرهم علي أعمالهم أن كانت علي الوجه الشرعي ويمنعهم إن كانت مخالفة للشرع، ولهذا بين العلماء رحمهم الله تعالي الضوابط والحدود الواجب مراعاتها في مباشرة المهن المختلفة والتي يجب علي المحتسب التأكد من مراعاتها من قبل أصحاب هذه المهن)³.

قال الدكتور محمد بن محمد المختار الشنقيطي: (وهذا كله يدل دلالة واضحة علي وجوب اعتبار الأصول العلمية والتقني أثناء القيام بمهام الجراحة الطبية، وإن مخالفتها والخروج عنها أمر محرّم و موجب للمسئولية ومن هذا كله نخلص إلي القول بإعتبار الشريعة لخروج الأطباء ومساعدتهم عن الإصول العلمية أمرًا موجب للمسئولية المهنية)⁴.

قال محمد الطيب الخير سرور: (فإن ممارسة مهنة معينة تفرض علي من يمارسها واجب الإلمام بأصول هذه المهنة وإتباعها بحيث يعتبر الجهل بهذه الأصول أو عدم مراعاتها إخلال بذلك الواجب وخطأ يستتبع المسئولية المدنية)⁵.

تعريف المعايير العلمية:-

الأصول العلمية هي المعايير أي المتفق المتعارف عليها بين أهل الاختصاص الواحد. قال الدكتور محمد بن محمد المختار الشنقيطي: (للجراحة الطبية أصول علمية، وضعها العلماء المختصون، وهي في جملتها تحدد الطريق الذي ينبغي علي الأطباء ومساعدتهم سلوكه، والتقيد به أثناء قيامهم بمهامهم)⁶.

وقال كذلك: (هي تلك الإصول الثابتة التي يعترف بها أهل العلم ولا يتسامحون مع من يجهلها أو يتخطاها ممن ينتسب إلي علمهم وفنهم)⁷.

وقال في موضع ثالث: (عرقنتها بعض المصادر الطبية بقولها " هي الإصول الثابتة، والقواعد المتعارف عليها نظرياً، و علمياً بين الأطباء والتي يجب أن يلم بها كل طبيب)¹.

1 قال الرهاوي: (وأعلم أن القاعدة والقضية والأصل والضابط والقانون بمعنى واحد، وهو أمر كلي منطبق علي جزئياته) شرح المنار وحواشيه ص 20. نقلا من قواعد التفسير لخالد السبت ص 31.

(القانون لفظ يوناني معرب معناه في الأصل المقياس المادي، ثم أطلق بعد ذلك علي كل مقياس فكري، او معنوي، فقيل: القانون مقياس كل شي وطريقه، وقيل: القانون "امر كلي ينطبق علي جميع جزئياته التي تتعرف أحكامها منها" "تعريفات الجرجاني" وهو بهذا المعني مرادف للمعيار والقاعدة) المعجم الفلسفي ص 179.

2 نهاية الرتبة في طلب الحسبة 219.

3 أصول الدعوة ص 187.

4 أحكام الجراحة الطبية و الآثار المترتبة عليها ص 480.

5 قواعد المسئولية التقصيرية في القانون السوداني ص 344.

6 أحكام الجراحة الطبية و الآثار المترتبة عليها ص 472.

7 المصدر السابق ص 473.

1 (نقل هذا التعريف الدكتور إسامة عبد الله قايد عن بعض المصادر الأجنبية في كتابه المسئولية الجنائية للأطباء ص 190) كتاب أحكام الجراحة الطبية و الآثار المترتبة عليها ص 472.

2 المصدر السابق ص 472.

قال الدكتور مصطفى علي المشرفة: (ففي كل صناعة توجد معايير متفق عليها لقياس الصفات والخواص الرئيسية للمصنوعات والعمليات الصناعية) 1.
قال الدكتور عبد الوهاب عمر البتراوي: (يوجد لكل مهنة من المهن قواعد وأصول عامة تحكم سلوك أبنائها وهي ذات طبيعة عرفية) 2.

شروط المعايير العلمية:-

الشروط التي يجب أن تتوفر في الاصول والمعايير العلمية هما شرطان الأول أن تكون هذه الموازين والمعايير صادرة من جهة معتبرة والثاني أن يشهد أولو العلم بصلاحيته هذه المعايير.
قال الدكتور محمد بن محمد المختار الشنقيطي: (أنها تعتبر أصولاً علمية متى توفرت فيها الشرطان التاليان:-

الشرط الأول:-

أن تكون صادرة من جهة معتبرة مثل المدارس الطبية المختصة بالأبحاث والدراسات الطبية.
الشرط الثاني:-

أن يشهد أهل الخبرة بكفاءتها وصلاحيته للتطبيق) 3(4.

وقال كذلك: (العبرة بصدور النظرية والدراسة من الأهل، وشهادة المختصين بصلاحيته فهذان الأمران محور القضية من الناحية المهنية العلمية) 5.

المؤسسات المعتمدة في النظام الإسلامي التي تقوم بإصدار هذه المعايير هي هيئات أولو العلم أي الولايات الإسلامية وهذه الهيئات ينبغي أن تضم كل أولو العلم المختصين في المجال المعين. فهذان الشرطان، الشرط الأول أن تكون هذه المعايير صادرة من جهة معتبرة و الشرط الثاني أن يشهد أولو العلم بصلاحيته هذه المعايير. في النظام الإسلامي يصبح شرط واحد لان المؤسسات المعتمدة التي تقوم بإصدار هذه المعايير هي هيئات أولو العلم "الولايات الإسلامية" وهي يجب أن تضم كل أولو العلم في المجال المعين لأن العلم هو الأمانة فصدور هذه المعايير من هذه الهيئات هو في الحقيقة شهادة بصلاحيته هذه المعايير.

وهذه الهيئات التي تضم أولو العلم أي الولايات الإسلامية أقرب المؤسسات التي تقابلها في العصر الحاضر الهيئات والسلطات العليا لتنظيم المهن أو المجالس المهنية المتخصصة 6 هذه المجالس والسلطات العليا تسمى أيضا بالهيئات المستقلة 7.

منها علي سبيل المثال المجلس الأعلى لتنظيم مهنة للقضاء "السلطة القضائية" والمجلس الأعلى للتعليم العالي والمجلس الأعلى للتعليم العام والمجلس الأعلى للطرق والجسور وتنظيم حركة المرور والمجلس الأعلى للدفاع المدني والمجلس الأعلى للقوات المسلحة والمجلس الأعلى لتنظيم

1 نحن والعلم ص 62.

2 المسؤولية الجنائية للأطباء، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب المجلد 16، العدد 31.

3 هذان الشرطان أشار اليهما الدكتور أسامة عبد الله قايد أنظر المسؤولية الجنائية للأطباء ص 160. نقلا من كتاب أحكام الجراحة الطبية و الآثار المترتبة عليها للدكتور محمد بن محمد المختار الشنقيطي.

4 أحكام الجراحة الطبية و الآثار المترتبة عليها ص 474.

5 المصدر السابق ص 475.

6 مع العلم هناك بعض الفروق بين الولايات الإسلامية والمجالس المهنية العليا المتخصصة ولكن مع ذلك هي اشبه المؤسسات بها.

7 الاستقلال نوعان: استقلال تام كامل واستقلال جزئي. والاستقلال الكامل يكون في ثلاثة أبعاد استقلال مالي، واستقلال اداري، واستقلال عضوي. فيوجود هذه الأبعاد الثلاثة يكون الاستقلال تام وكامل واذا نقص قسم او اثنان يكون الاستقلال جزئي. نظام الحسبة أي نظام الولايات في الاسلام، الاستقلال فيه تام وكامل.

مهنة الطب و المجلس الأعلى لتنظيم مهنة الصيدلة و المجلس الأعلى لتنظيم مهنة البيطرة و المجلس الأعلى للشرطة و المجلس الأعلى لسلامة و الصحة المهنية و المجلس الأعلى لتنظيم مهنة الهندسة "المجلس الهندسي" المجلس الأعلى لتنظيم الأندية الصحية "أندية اللياقة البدنية" 1 المجلس الأعلى للطيران المدني و المجلس الأعلى للصحة العامة و المجلس الأعلى للإحصاء و السكان و المجلس الأعلى للطفولة و الأمومة و المجلس الأعلى للمساجد و المجلس الأعلى للإسكان و المجلس الأعلى للنقود "البنك المركزي" و المجلس الأعلى لتنظيم مهنة الزراعة و المجلس الأعلى لتنظيم مهنة المحاسبة و المراجعة القانونية و المجلس الأعلى لتنظيم التعليم الفني و التقني و المجلس الأعلى للضباط الإداريين و هيئة المياه و الصرف الصحي و المجلس الأعلى للتغذية . . . الخ. و الدليل علي أن المؤسسات هي التي تقابل الولايات الإسلامية أي ولايات الحسبة في العصر الحاضر هي الهيئات و المجالس العليا لتنظيم المهن أو المجالس المهنية المتخصصة هو عند النظر في كتب الحسبة القديمة و الحديثة المتخصصة تجد موضوع الأساسي فيها هو الاحتساب علي أصحاب المهن و الحرف و الصناعات مثل الاحتساب علي الكحالين و الاحتساب علي المجبرين و الاحتساب علي البيطرة و الاحتساب علي القطنيين و الحسبة علي النحاسيين و الحسبة علي الحدادين و الحسبة علي الصاغة و الحسبة علي الصيارف و الحسبة علي القصابين و الجزائرين و الحسبة علي الخياطين و الحسبة علي الحاكة و الحسبة علي الحريريين و الحسبة الكتانيين و الحسبة علي البزازين و الحسبة علي الصباغين و الحسبة علي الأساكفة و الحسبة علي الخبازين و الحسبة علي الفرانين و الحسبة علي المنادين و الدالبيين و الحسبة علي الرواسيين و الحسبة علي السمانين.... الخ. فهذا يدل علي أن اقرب المؤسسات التي تقابل الولايات الإسلامية المجالس و الهيئات المتخصصة.

قال الإمام الشيرازي: (قد ذكرنا في هذا الكتاب من الحسبة علي أرباب الصنائع المشهورة، و من كشف غشوشهم و تدليسهم، ما فيه الكفاية للمحتسب، و أصل يقيس عليه ما عداه، مما لم نذكره)2. و قال كذلك: (ما سوي ذلك من أرباب الحرف المذكورة، و الصنائع المشهورة في كتابي هذا، فلا يخفي علي المحتسب كيفية الحسبة، و التطرق الي كشف تدليسهم)3.

قال الدكتور عبد الكريم زيدان: (فقد ذكر الفقهاء أن علي المحتسب أن يراقب أصحاب المهن و الصنائع المختلفة و يمنعهم من الغش فيها، كما يمنع مباشرتها من قبل الجهال بها، و من البديهي إن ذلك لا ينأتي للمحتسب إلا إذا كان عارفا بهذه الصنائع و الحرف، بل ذهب الفقهاء إلي أن المحتسب يمتحن أصحاب المهن العلمية كالكحال " طبيب العيون" ليتأكد من صلاحيته لهذه المهنة، و هذا يستلزم معرفة المحتسب لهذا من العلم و علي هذا يجب علي المحتسب أن يعرف ما يحتسب فيه من المهن و الحرف و الصنائع)4.

و قال كذلك: (يجري الاحتساب علي جميع أصحاب المهن و الحرف و الصنائع المختلفة لأن للإسلام حكمه فيهم و فيما يباشرونه. فمن أحكام الإسلام في الصنائع التي يحتاجها الناس أنه يعتبرها من فروض الكفاية فإذا أمتنع أصحابها عنها ألزمهم المحتسب بالقيام بها. و حكم الإسلام فيما يباشرونه هو أدأؤه علي الوجه الصحيح السليم الخالي من الغش و التدليس و الإضرار، و من ثم كانت واجبات المحتسب تمتد إلي مراقبتهم ليقرهم علي أعمالهم أن كانت علي الوجه الشرعي و يمنعهم إن كانت

1 هناك فرق بين الأندية القائمة علي التنافس و المغالبة و الميسر و الشهرة و الأندية التي تقوم بإعداد الإنسان المسلم للجهاد الصحيح لأن من معاني اللياقة البدنية كفاءة البدن عند القيام بالواجب.

2 نهاية الرتبة في طلب الحسبة 269.

3 المصدر السابق ص 274.

4 اصول الدعوة ص 183.

مخالفة للشرع، ولهذا بين العلماء رحمهم الله تعالى الضوابط والحدود الواجب مراعاتها في مباشرة المهن المختلفة والتي يجب علي المحتسب التأكد من مراعاتها من قبل أصحاب هذه المهن(1). وإن كان هناك فرق بين الولايات الإسلامية والهيئات المستقلة المعاصرة لان ما تتمتع بها الولايات الإسلامية من إستقلالية لا يتوفر كله في الهيئات المستقلة المعاصرة 2 ولكن مع ذلك فإن هذه المجالس العليا المستقلة المتخصصة هي أشبه المؤسسات في العصر الحاضر بالولايات الإسلامية ومن أهم ما يميز الولايات الإسلامية أن لها ولاية كاملة أي علي المجال الذي يخصها أي لها سلطة كاملة علي ذلك المجال.

المعايير العلمية والوصول إلى مرحلة الإحسان:-

يجب أن يعلم أن الغاية الأساسية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي الغاية الأساسية من تنظيم المهن والحرف والصنائع هي منع الغش والتدليس فيها ليست هي العقوبة إنما هي الوصول إلي مرحلة إحسان أي إحسان الأعمال والصنائع والمهن. عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: تِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَاتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا دَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الدَّبْحَ، وَلِيُجِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرْخِ دَبِيحَتَهُ)3.

حكم الإحسان أنه واجب في كل شيء من الأعمال وإحسان كل شيء بحسه. قال الإمام ابن رجب الحنبلي: (وهذا الحديث يدل علي وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال، لكن إحسان كل شيء بحسه)4.

والإحسان هو الأخذ بالمعايير والشروط العلمية للأعمال. قال الدكتور حسن عبدالله الترابي: (الإحسان في العمل هو أن يقارب شروطه المثلي – شأن الحسن في كل شيء، وأحسن العمل أقرببه إلي كمال تحقيق المعيار)5.

وقال أيضاً: (ويتضمن الإحسان كذلك الدقة والضبط في مراعاة المقاييس الخارجية التي تقضيها أحكام الشريعة في الإلتزام بهدي الدين في تنظيم الحياة)6.

وقد يقول قائل لكن الإحسان في الحديث المشهور هو "أن تعبد الله كأنك تراه وأن لم تكن تراه فهو يراك" فكيف يكون الإحسان هو إتقان العمل؟ الإجابة هي أن الاحسان نوعان سبب ونتيجة.

الإحسان السبب هو ان تعبد الله كأنك تراه اما الاحسان النتيجة هو اتقان المهن والحرف والصنائع والأخير هو الذي يقابل المنكر. قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ } (النحل:90). العدل ضد الفحشاء والإحسان ضد المنكر. وحقيقة ذلك

الاحسان هو معرفة شروط ومعايير المهن. أما الاحسان السبب في الآية هو العدل وهو عبادة الله كأنك تراه. فالأخذ باليدين هي المرحلة الثالثة من مراحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أما المرحلة الأولى هي تعليم المعروف أي تعليم الموازين والمعايير حتى لا يقع الخطاء والضرر وهذه المرحلة هي الأصل. أي الوصول إلي مرحلة معايير والشروط العلمية للعمل. فالغاية الأساسية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي الغاية الأساسية من تنظيم المهن والحرف والصنائع ومنع

1 المصدر السابق ص 187.

2 أهم المميزات بين السلطات الإدارية المستقلة وولايات الحسبة مسالة التعيين وهي لها اثر في غياب استقلالية المؤسسات الإدارية أما ولايات الحسبة فهي مستقلة إستقلال تام.

3 صحيح مسلم، حديث رقم (1955).

4 جامع العلوم والحكم ص162.

5 الإيمان وأثره في حياة الإنسان ص 103.

6 المصدر السابق ص 104.

الغش والتدليس فيها هي الوصول إلى مرحلة إحسان أي إحسان الأعمال والوظائف والمهن وذلك بمعرفة المعايير والأصول العلمية المنظمة لكل مهنة من المهن، التي قام بوضعها العلماء والخبراء متخصصين في تلك المهنة والعمل بتلك المعايير وليست الغاية هي العقوبة. هذا يعني الغايات الأساسية من تكوين المجالس المهنية المتخصصة أو من فكرة تنظيم المهن والحرف والصناعات في النظام الإسلامي غايتان الغاية الأولى هي تطوير المهن والنهوض بها وتنظيمها وذلك بوضع الأصول والمعايير العلمية المنظم لها إذا كان ذلك بوضع معايير و أصول جديدة أو بتحديث الأصول والمعايير، القديمة وقمة تطور المهن والحرف والصناعات في التصور الإسلامي هو الوصول إلى مرحلة الاحسان وليست العقوبة أي الوصول إلى مرحلة معرفة كل المعايير والأصول التي تحتاجها المهن والحرف والصناعات. و الغاية ثانياً هي منع الغش والتدليس والفوضى في المهن والحرف هي فرع من الغاية الأولى¹. وكل ذلك فرع القيم الإسلامية العليا "أن لا تكون فتنة" ومن معاني الفتنة غياب المعايير والموازين أو إضطرابها. وسيلتهم لذلك هو عدد من المعايير والأصول المنظمة لكل مهنة من المهن، التي قام بوضعها العلماء والخبراء متخصصين في تلك المهنة.

في الدولة القومية الحديثة قمة الهرم للمؤسسات الأكاديمية الرسمية هي الجامعة ومراكز أبحاثها وهي الوسيلة العلمية الأساسية لعملية التنمية فيها أي هي الجهة الأساسية التي تقوم بتوظيف العلم لخدمة الإنسان والبشر أما في النظام الإسلامي قمة الهرم للمؤسسات العلمية الرسمية أي الجهة التي تقوم بتوظيف العلم لخدمة الإنسان هي هيئات أولي العلم وهي الولايات الإسلامية في كل مجال من مجالات الحياة وحقيقة توظيف العلم يكون بوضع المقاييس والموازين والمعايير التي تنظم ذلك المجال حتي يتم الوصول به إلى مرحلة الإحسان. فالولايات الإسلامية تقوم بتوظيف العلم للتوظيف الكامل لخدمة الإنسان وذلك من خلال جمع كل أهل التخصص في كل مجال من مجالات الحياة أي أولي العلم في ذلك في كل التخصصات حتي يقدموا ما عندهم في سبيل تنظيم ذلك المجال وتطوره. وحقيقة ذلك التنظيم والتطور هو الوصول إلى كل المعايير والموازين التي بها يتم تنظيم ذلك المجال ومنع الغش والتدليس المهني فيه وحقيقة ذلك هو الإحسان هو أن يقدم كل إنسان من أولي العلم في أي تخصص ما لديه لأنه أمانة عنده.

هيئات أولي العلم والتنمية:-

لقد ذكرنا أن الجامعات هي أعلى المؤسسات العلمية في الدولة القطرية الحديثة وهي أساس النهضة والتنمية فيها. أما قمة هرم المؤسسات العلمية في النظام الإسلامي هي هيئات أولي العلم أي الولايات الإسلامية وهذه الهيئات لها سلطة أي التقويم بالقسط علي المجال الذي لها ولاية عليه أي تأمر بالمعروف تنهي عن المنكر في ذلك المجال. أما العلم الذي تقدمه مؤسسات أولوا العلم هو المعايير والموازين التي تنظم المهن والحرف والصناعات. وحقيقة هيئات أولي العلم أي المجالس المهنية المتخصصة هي المؤسسات التي تأمر بالمعروف تنهي عن المنكر باليد أي بالسلطة أي هي ولايات الحسبة أو مؤسسات الحسبة والعلماء الذين تتكون منهم هذه الولايات يسمون بالمحتسبين الولاية ومفردهم المحتسب الوالي¹.

1 فالاصل هو تعليم الناس الحكمة أي تعليمهم المعايير والموازين
1- المحتسبين نوعان النوع الأول هو المحتسب الوالي وهو المحتسب المتفرغ للحسبة وهذا النوع من المحتسبين هم الذين تتكون منهم ولايات الحسبة أي تتكون منهم هيئات أولي العلم ولهم سلطة علي المجال الذي لهم ولاية عليه أما النوع الثاني من المحتسبين هو المحتسب الغير متفرغ للحسبة أي الحسبة ليست وظيفة له وهو يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ولكن بدون سلطة وولاية.

القواعد القانونية في الإسلام معيارية (المعروف والمنكر):-

القواعد القانونية في الإسلام معيارية أي تبحث عن المعايير والموازن أي الإجماع والإتفاق ليطم به تنظيم حياة الناس بالقسط فغاية النظام السياسي في الإسلام هو البحث عن الموازن والمعايير أي الإجماع لِيَقُومَ حياة الناس بالقسط. قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} (الحديد: 25). الموازن والمعايير هي القرارات المُجمع عليها. قال الدكتور حسن عبد الله الثرابي: (الفرق الآخر بين الديمقراطية ونظام الشوري السلطانية أن المسلمين دائماً يلتزمون بالإجماع؛ والغريبيون يلتزمون بالأغلبية)1.

وقال أيضاً: (روح الوحدة بين المسلمين وهدى الشريعة العامة وتجردهم من العصبية والمكابرة، تدعوهم إلي توخي الإجماع لا المغالبة حتى تجد الجماعة كلها ذاتها ممثلة في القرار العام)2. ولقد ذكر الدكتور حسن عبد الله الثرابي في حديثه عن البناء السياسي في المجتمع المسلم قائلاً: (وممارسة السلطة تجري بروح الشوري والمناصحة والوحدة أيضاً، والعلاقات السياسية تتحري الإجماع في امور العامة ولا تعمل بروح الصراع بين أقلية وأغلبية أو بين عصبية حزبية)3.

وقال في موضع آخر: (الشكل الذي تصبح به الشوري وعاء للقرار السياسي الشعبي4 هو الإجماع للإجماع هو القرار السياسي الناشئ عن إدارة الشوري)5.

قال الدكتور محمد ابوالقاسم حاج حمد: (البرلمان نفسه، والذي تتبني فكرته علي مفهوم صراع الأغلبية ضد الأقلية، فهو نقيض آخر لأسلوب الإدارة الإسلامية الذي يُفترض أن يقوم مبدئياً علي وحدة الجماعة وإجماع الأمة، لا علي صراع تكتلاتها في ما بينها)6.

قال الأستاذ محمود محمد طه: (سيتحقق الإجماع الذي لا تكون الديمقراطية مباشرة الا به)7. وقال كذلك: (ولذلك فانا ندعو من الوهلة الأولى الي الديمقراطية الشعبية. ونقدر أن تحقيقها أمر عسير لأنه يقتضي شرطين: الأول أن تصدر القرارات الخاصة بادارة شؤون الدولة بأجماع أفرادها والثاني أن يشترك جميع أفراد الشعب في مباشرة السيادة داخل الدولة، حتي يكون الحكام هم المحكومين. ومع أن هذين الشرطين يستحيل تحقيقهما في الحيز العملي)1.

والإجماع الذي يُومر به هو المعروف والإجماع الذي يُنها عنه هو المنكر والإجماع في صناعة القرار في السياسات العامة أي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو في الحقيقة التوظيف الكامل للعلم ليقدم الإنسان لأنه يشارك في صنعه كل أهل الاختصاص في كل مجال من مجالات الحياة.

1 خواطر في الفقه السياسي لدولة إسلامية معاصرة ص 17.

2 في الفقه السياسي مقاربات في تأصيل الفكر السياسي الإسلامي ص 159.

3 المصدر السابق ص 251.

4 الإجماع هو إجماع العلماء من أهل التخصص في كل مجال من مجالات الحياة وليس إجماع شعبي مطلق.

5 خواطر في الفقه السياسي لدولة إسلامية معاصرة ص 15.

6 حرية الإنسان في الإسلام ص 20.

7 أسس دستور السودان ص 19.

واطر في الفقه السياسي لدولة إسلامية معاصرة ص 17.

1 الإجماع يمكن حصوله في الواقع العملي عن طريق نظام أولي العلم أي مؤسسات الشوري وهذا النظام أي مؤسسات أولي العلم وسط بين النظام النبائي والنظام الشعبي القاعدي، فأولي العلم مسئولين أمام الله بقدر قيامهم بالقسط يكون توحيدهم.

2 أسس دستور السودان ص 18.

قال الدكتور حسن عبد الله الثرابي: (الإجماع هو ما يعتمد عليه الشعب بعد الاستئثار بالعلم والاستشارة لذوي التخصص)1.

وهو يُعتبر معايير وموازين بها يتم تنظيم حياة الناس هي التي تمنع الاختلاف والتفرق بين الناس أي تمنع حصول الفتن بينهم لأن حقيقة الفتنة النتيجة هي غياب الموازين والمعايير والقيم المطلقة أي المتفق عليها أو عدم أخذ بها مع وجودها والسبب في عدم أخذ بها هو الكبر. أن البحث عن موازين الأشياء ومعاييرها هو أعظم العلم وهو الحكمة لأن المعايير والموازين هي أصل العلم وأساسه. ففي النظام الإسلام لا يوجد تناقض بين العلم والسياسة أي لا يوجد تناقض بين مؤسسات العلم ومؤسسات السياسة لأن الأمر والنهي سلطة والمعروف علم والمنكر هوي والأهواء أساس الجهل بل هي الجهل فهذا حقيقة ولاية العلماء أي حقيقة السلطة العلمية.

الإجماع أقوى أنواع قرارات في السياسة العامة:-

أقوى أنواع القرارات في السياسات العامة هو الإجماع.

قال الدكتور حسن عبد الله الثرابي: (الإجماع هو أقوى صور السياسة وأقربها إلي تحقيق معني الاشتراك علي الخلافة)2.

وقال في موضع آخر: (سنة الإجماع الأصل الأئزم والأقوى في الأحكام، التي تؤسس وتضبط حياة السياسة ونظم السلطان)3.

قال الدكتور عادل ضاهر: (الوصول الي الاجماع يظل مثالا أعلي للممارسة الديمقراطية)4.

الخيانة هي الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:-

الخيانة هي البطانة السيئة. عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله μ يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فأنها بئس البطانة)5.

والبطانة السيئة هي التي تأمر بالشر. عن أبي سعيد الخدري عن النبي μ قال: (ما بعث الله من نبي ولا أستخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى)6.

البطانة الامينة هي التي تأمر بالمعروف و البطانة الخائنة هي التي تأمر بالمنكر أو الخيانة هي الامر بالمنكر. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله μ : (ومن أشارة علي أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانته)1.

الفتنة "التكاثر" سبب خيانة الأمانة:-

السبب في خيانة الأمانة أي في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف هو الفتنة وبالأخص الطمع. عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله μ يقول: (تعرض الفتن علي القلوب كالحصير عودا عودا، فأني قلب اشربها نكت فيه نكتة سودا، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير

1 في الفقه السياسي مقاربات في تأصيل الفكر السياسي الإسلامي ص 298.

2 في الفقه السياسي مقاربات في تأصيل الفكر السياسي الإسلامي ص 151.

3 السياسة والحكم ص76.

4 أولية العقل ص392.

5 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (1547)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (2723).

6 صحيح البخاري، حديث رقم (7198).

1 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3657).

قلبين: علي ابيض مثل الصفاء، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والأخر اسود مربادا، كالكوز مجخيا، لا يعرف معروف، ولا ينكر منكرا، إلا ما اشرب من هواه)1.

عن عياض بن حمار المجاشعي؛ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: (وأهل النار خمسة: والخائن الذي لا يخفي له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك في أهلك ومالك)2.

1 صحيح مسلم، حديث رقم(644).
2 صحيح مسلم، حديث رقم (2865).

الفصل الثالث مؤشرات التنمية في الإسلام

أهم شيء في العملية التنموية بعد تحديد المقصد الذي يراد تحقيقه هو وجود مؤشرات لقياس مدى تحقق هذا المقصد فما لا يمكن قياسه لا يمكن أن الإنسان إذا حدد المقصد بيّدا في البحث عن الوسائل فتحديد المقصد هو تحديد للوجه- وصبب ستفكير في البحث عن الوسائل.

قال الدكتور جاسم سلطان: (تعتبر المؤشرات قضية أساسية في أي نوع من الأعمال . . . لا تتمكن أي مؤسسة من تحديد ما إذا كانت ترباح أو تخسر في أي جانب من الجوانب إلا إذا وضعت مؤشرات يمكن بها قياس التقدم والتأخر)1.

وقال كذلك: (إن اعتماد قانون المؤشرات الحساسة أمر في غاية الأهمية. فإدارة مشروع النهضة تحتاج إلي معرفة المؤشرات. وفي غياب هذه المعرفة تصبح إدارة المشروع غير ممكنة عمليا. وإذا وجدت فستسير عشوائيا كالذي يسير في الظلام ولا يعرف الإتجاه الصحيح، ولا يعرف إن كان لا يزال علي الطريق أم انحرف؟! فما يسري علي المؤسسات الربحية والتجارية يسري أيضا علي مشروع النهضة)2.

أما في المنهج الإسلامي للتنمية هناك عدة مؤشرات يمكن من خلالها قياس مدى التقدم في تحقيق عملية التنمية أي تحقيق المقاصد المرغوب فيها وهذه المقاصد "أن لا تكون فتنة" أي الانتفاء التام للفتن فهذه المؤشرات مستنبطة من فقه الفتن في الكتاب والسنة أي هذه المؤشرات مستنبطة من منهج عبادة الله في القرآن الكريم. الله سبحانه وتعالى إستنكر علي المشركين عبادة من لا يملك النفع والضرر، لأن الشئ المقرر في القرآن والسنة أن من يملك النفع والضرر هو الإله الحق الموجود ومن لا يملك النفع والضرر هو ليس بإله، فالله سبحانه وتعالى وحده هو من يملك النفع والضرر. عند عبادته يوجد النفع "الذي ينفع الإيمان، والقلب السليم، والصدق"، وعند الإشراف به يوجد الضرر والشرك نوعان رياء والفتنة في الدين، الرياء فرع ووجوده غير مستقل، أما الفتنة في الدين هي الأصل ووجودها مستقل.

هذا يعني عند وجود الفتن يوجد الضرر لأن الفتن سبب للضرر. عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والأخر اسود مرابادا، كالكوز مجخيا، لا يعرف معروف، ولا ينكر منكرا، إلا ما اشرب من هواه)3. عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: (ما تركت بعدي في الناس فتنة اضر علي الرجال من النساء)4. وعند إنتفاء الفتنة يوجد النفع.

السؤال ما هو الضرر؟ وما هو النفع؟ الضرر هو الفقر والجوع والمرض والخوف والحزن. والضرر بمعني الجوع في قوله تعالى: { فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَانَا الضُّرُّ { (يوسف: 88).

الضرر بمعني الفقر في قوله تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ { (آل عمران: 134). والضرر بمعني المرض في قوله تعالى: { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ { (الأنبياء: 83). أما الضرر بمعني الخوف في قوله تعالى: { وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ { (الإسراء: 67).

1 قوانين النهضة ص 145.

2 المصدر السابق ص 147.

3 صحيح مسلم، حديث رقم(644).

4 صحيح البخاري، حديث رقم (2741).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إنه إذا أصابتك مضرة كالخوف والجوع والمرض)1. قال العلامة عبد الرحمن السعدي: (ولهذا قال: {وان يمسسك الله بضر} من فقر أو مرض أو عسر أو هم أو غم أو نحوه)2. وقال كذلك: (يقول تعالى: {وإذا أدقنا الناس من رحمة من بعد ضرا مستهم} كالصحة بعد المرض والغنى بعد الفقر والأمن بعد الخوف)3. وقال كذلك: (ثم إذا مسكم الضر) من فقر ومرض وشدة)4. هذا يعني أن الفتن سبب للفقر والجوع والمرض والخوف وهذه أوضح مؤشرات التنمية في الإسلام هذا عرض لها بصورة مجملّة ناتّي إلي تفصيل هذه المؤشرات.

المؤشر الأول للحياة الطيبة في النظام الإسلامي هو انتفاء الفقر أي أن يكثر المال ويفيض أي أن لا يوجد من يأخذ الزكاة:-

فإذا كان الجوع عقوبة للكفر فالخوف عقوبة للكفر كذلك. قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} (سورة النحل:112). ومن الأشياء التي تسبب الخوف بل من أعظم الأشياء التي تسبب الفقر. عن أبي الدرداء- رضي الله عنه - قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، ونحن نذكر الفقر و نتخوفه، فقال: (الفقر تخافون؟ والذي نفسي بيده لتصبين عليكم الدنيا صبا، حتى لا يزيغ قلب أحدكم إزاغة إلا هيه)5. الناس في المجتمع المسلم اما أغنياء او فقراء ومساكين حديث. عن أبي معبد مولي ابن عباس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: لمعاذ بن جبل حين بعثه إلي اليمن: (انك ستاتي قوما اهل كتاب، فاذا جنتهم فادعهم إلي أن يشهدوا ان لا اله الا الله، وأن محمدا رسول الله، فان هم اطاعوا لك بذلك، فاخبرهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فان هم اطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد الي فقرائهم)1.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (الزكاة لا تجب علي الفقير، لقوله: "من أغنياهم فترد الي فقرائهم" ولكن من هو الغني؟ اهو الذي يملك الملايين؟ الغني في هذا الباب هو الذي يملك نصابا،

1 مجموعة الفتاوى، الجزء الأول ص 31.

2 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 252.

3 المصدر السابق ص 361.

4 المصدر السابق ص 442.

5 صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم (5).

1 صحيح البخاري، حديث رقم (1496)/صحيح مسلم، كتاب الإيمان (1)، حديث رقم (19).

إذا ملك النصاب فهو غني تجب عليه الزكاة، وإن كان يكون فقير من وجه آخر، لكنه غني من حيث وجوب الزكاة عليه)1.

فالحذ الأدنى للغني هو أن لا يأخذ الزكاة أي امتلاك النصاب لمدة حول كامل والنصاب هو 85 جرام من الذهب الخالص والذي لا يمتلك النصاب لمدة حول كامل هو فقير. وهذا هو حد الذي لا يأخذ عنده المرء الزكاة وهو 85 جرام من الذهب الخالص. هو اختفاء الفقر أي أن لا يوجد من يأخذ الزكاة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: (لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه)2. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: (لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال، ويفيض، حتى يهمل رب الصدقة من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي)3.

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ليأتين علي الناس زمان يطوف الرجل بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحدا يأخذها منه)4.

نُقل عن حارثة بن وهب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تصدقوا، فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها، يقول الرجل: لو جئت بها أمس لقبلتها، فاما اليوم فلا حاجة لي بها)5.

نقل عن عدي بن حاتم رضي الله عنه يقول: "كنت عند رسول الله ﷺ فجاءه رجلان: أحدهما يشكو العيلة، والآخر يشكو قطع السبيل. فقال رسول الله ﷺ: (أما قطع السبيل فإنه لا يأتي عليك إلا القليل حتى تخرج العير إلى مكة بغير خفير. وأما العيلة فإنه لا تقوم الساعة حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه)6.

المؤشر الثاني للحياة الطيبة في النظام الإسلامي هو سيادة الأمن أي انتفاء الجريمة والمخالفات القانونية:-

قال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } (الأنعام:82). الأمن مُعرّف بالألف واللام يفيد الاستغراق والكمال أي الأمن الكامل واللام في "لهم" للاستحقاق فالأمن الكامل خاص بالذين حققوا التوحيد وكفروا بالطاغوت.

قال تعالى: { سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا } (آل عمران: 151). سبب إلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا هو الإشراف بالله والحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا قوةً وضعفاً وزيادةً فيقدر الإشراف بالله يكون الرعب والخوف. قال تعالى: { فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة:38).

1 شرح رياض الصالحين، المجلد الأول ص560.

2 صحيح مسلم، حديث رقم (157).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (1412).

4 صحيح البخاري، حديث رقم (1414)/ صحيح مسلم، حديث رقم (1012).

5 صحيح البخاري، حديث رقم (1411)/ صحيح مسلم، حديث رقم (1011).

6 صحيح البخاري، حديث رقم (1413).

قال تعالى: {بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة: 112).

قال تعالى: { مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (المائدة: 69).

قال تعالى: { فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الأنعام: 48).

قال تعالى: { فَمَنْ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الأعراف: 35).

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الاحقاف: 13).

قال تعالى: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } (سورة النحل: 112).

النفى التام إثبات لكمال الضد، فالخوف ضد الأمن النفى التام للخوف إثبات لكمال الأمن. وحقيقة الأمن الكامل هو أن تقل الجرائم والمخالفات القانونية بكل أنواعها في الأجهزة القضائية والإدارية وتنتهي فكلما قلت الجرائم والمخالفات القانونية هذا دليل سيادة الأمن. لأنه لا وجود للأمن المجرد فحقيقة سيادة الأمن هو إنتفاء الجريمة و المخالفات القانونية وغيابها.

(يرى فريق من علماء الاجتماع أن غياب أو تراجع معدلات الجريمة يُعَبِّر عن حالة الأمن الاجتماعي ، وأن تفشى الجرائم وزيادة عددها يعني حالة غياب الأمن الاجتماعي ، فمعيار الأمن منوط بقدرة المؤسسات الحكومية والأهلية في الحد من الجريمة والتصدي لها)1.

قال الأستاذ فاروق أحمد الدسوقي: (حتى ضاع الأمن بين الناس وهددتهم الجريمة في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وذلك بالرغم من استخدام الوسائل العلمية والتكنولوجية المتقدمة في مكافحة الجرائم ولكن دون جدوي)2.

قال الدكتور سامي محمد الدلال: (إن عدد المسجونين يعكس الحالة الأمنية الاجتماعية استقراراً أو اضطراباً)3.

مع العلم أن المخالفات القانونية والجرائم في المنهج الإسلامي تدخل في كل جوانب الحياة ويعرف ذلك من خلال أجهزة الحسبة⁴ وهي مؤسسات الشورى في النظام الإسلامي وهذه الأجهزة تتكون من أولي العلم في كل مجال من مجالات الحياة وتقوم هذه الأجهزة بالتنظيم والإدارة والمراقبة ولكل جهاز من هذه الأجهزة قانونه الخاص به لأنه يلزم من الحكم بالعدل معرفة العدل في كل مجال من مجالات الحياة أي معرفة الموازين والمعايير والمقاييس في كل جهاز من أجهزة الحسبة وهو القوانين التي تنظم وتحكم به لأن قوانين هذه الأجهزة هي القيم والموازين.

المؤشر الثالث للحياة الطيبة في النظام الإسلامي هو انتفاء الجوع بنوعيه الكمي والنوعي:-

1 الأمن الاجتماعي ص 2 . www.policemc.gov.bh/reports/2007/August/15-8-2007/1.doc

2 مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان ص15.

3 الإسلام والعولمة . . المنازلة ص 321.

4 وهي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يكون باليد.

قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} (النحل: 112). عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه يبس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فأنها ببست البطانة)1.

المؤشر الثالث هو انتفاء الجوع بشقيه الكمي أي المجاعات وهو نقص الغذاء الكمي، والنوعي وهو سوء التغذية أي غياب العناصر الأساسية للغذاء. لان في الآية الجوع اسم جنس معرف بالالف واللام يفيد العموم أي كل انواع الجوع أي الجوع الناتج من نقص غذا أو الجوع الناتج من نقص العناصر الأساسية للغذاء وهو سوء التغذية الذي يقاس بالعوامل الفيزيائية للإنسان وهي الطول والعمر والوزن وله مظاهر وهي النحافة والهزال والسمنة والنقرم الغذائي أما الجوع العادي يقاس بكمية الغذاء وليس بنوعه.

المؤشر الرابع للحياة الطيبة في النظام الإسلامي هو اختفاء الأمراض التي لم تكن في الأسلاف:-

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: " اقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: (يا معشر المهاجرين! خ مس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا)2.

الفاحشة اسم جنس معرف بالالف واللام يفيد العموم أي كل الفواحش والفحشاء أي الفتنة في الدين هي أصل الفواحش قال تعالى: {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (الأعراف: 28). إذا فعلوا فاحشة قالوا الله أمرنا بها، فكان الرد إن الله لا يأمر بالفحشاء، فالفاحشة نتيجة لوجود الفحشاء.

الدليل الثاني علي إن الفحشاء أصل الفاحشة هو أن أساس كل الفواحش الخمر كما في الحديث الصحيح الخمر أم الفواحش وأم الخبائث و أكبر الكبائر ومفتاح كل شر. (الخمر أم الفواحش، و أكبر الكبائر، من شربها وقع على أمه وخالته وعمته)3.

عن عثمان، قال: (اجتنبوا الخمر؛ فإنها أم الخبائث، فانه كان رجل ممن كان قبلكم، يتعبد ويعتزل الناس . . . فذكر منه) 4. عن أبي الدرداء؛ قال أوصاني خليلي ﷺ: (لا تشربوا الخمر، فإنها مفتاح

كل شر)5. والخمر اسم جنس أي أنواع كثيرة وأعظم أنواع الخمر كما بينا أننا الحديث عن الميسر

هو التنافس علي الدنيا أي التنافس علي العلو في الارض أي حب الانسان نفسه واعظم انواع التنافس و ارادة العلو في الارض هو التكاثر بالمال أي حب المال لذاته. فوجود الأمراض التي لم تكون في الأسلاف مؤشر للتعلق الناس بالدنيا والتكاثر بها والمقصد التنموي للمسلمين ان لا تكون فتنة فإذا حقق الناس التوحيد تختفي هذه الأمراض.

المؤشر الخامس للحياة الطيبة هو إحياء الأرض بعد موتها أي أن تعود ارض العرب مروجا

وانهارا:-

- 1 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (1547)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (2723).
- 2 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3262).
- 3 صحيح الجامع الصغير حديث رقم (3345).
- 4 صحيح سنن النسائي، حديث رقم (5682).
- 5 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (2733).

قال تعالى: { فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ } (الروم:50). وفي قراءة اثر رحمة الله فمن اثار رحمة الله إحيا الارض بعد موتها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه. وحتى تعود ارض العرب مروجا وانهارا)1.

عن أبي هريرة قال سفيان: لا اعلم ألا قد رفعه قال: رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تعود ارض العرب مروجا وانهارا)2.

الأرض المقصودة هنا هي ارض المسلمين. فالرحمة هي نتيجة للتقوى وطاعة الله وتوحيده. وإحياء الأرض اثر لرحمة الله. مع العلم أن طاعة الله وتوحيده والتقوى واجب علي كل مسلم وليست علي المسلمين في ارض العرب فقط. هذا يعني بقدر تحقيق التوحيد تكون الرحمة وبقدر الرحمة تكون حياة الأرض بالزرع. وفي سورة سبا تم استبدال الجنة الأمانة المطمئنة بجنة نوات أكل وأثل وشي من سدر قليل بسبب الكفر. قال تعالى: { لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىٰ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ } (سبا: 15- 17). فإذا وجد التوحيد توجد الزرع والجنان والبساتين وإذا انتفاء التوحيد وجد الأراك والسدر والشوك.

قال قتادة: (بينما شجر القوم من خير الشجر إذ صيره الله من شر الشجر بأعمالهم، فاهلك أشجارهم المثمرة وانبث بدلها الأراك والطر فا و السدر)3.

قال القشيري: (وأشجار البوادي لا تسمى جنة وبستانا ولكن لما وقعت الثانية في مقابلة الأولى الق لفظ الجنة)4.

قال القرطبي: (وهذا التبديل جزا الكفر)5.

قال تعالى: { وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ } (الأعراف: 58).

فالبلد الطيب هو البلد الذي يعبد فيه الله.

عن ابى سعيد الخدرى رضي الله عنه إن النبي ﷺ قال: (كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسع و تسعين نفسا، فسأل عن اهل الأرض فدل على راهب ، فاتاه فقال: انه قتل تسع وتسعين نفسا، فهل من توبة؟ فقال :لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سال عن اهل الأرض؟ فدل على رجل عالم فقال: انه قتل مائة نفس، فهل من توبة ؟ فقال: نعم، من يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى ارض كذا وكذا ، فان بها اناس يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى ارضك فانها ارض سوء)6. وفي السلسلة الصحيحة (اخرج من القرية الخبيثة التي انت فيها إلى القرية الصالحة قرية كذا وكذا، فاعبد ربك فيها)1. والبلد الخبيثة يخرج نباته نكدا)1.

1 صحيح مسلم، حديث رقم (157).

2 مستدرک الحاكم، كتاب الفتن الملاحم، حديث رقم (8472). حديث صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

3 تفسير القرطبي المجلد السابع، الجزء الرابع عشر ص288.

4 تفسير القرطبي المجلد السابع، الجزء الرابع عشر ص288.

5 تفسير القرطبي المجلد السابع، الجزء الرابع عشر ص288.

6 صحيح البخارى حديث رقم (3470)/ صحيح مسلم، حديث رقم (2766).

1 السلسلة الصحيحة 2640.

المؤشر السادس للحياة الطيبة هو التوازن في التركيبة النوعية للسكان:-

عن انس بن مالك قال: لحدثكم حديثا لا يحدثكم احد بعدي، سمعت رسول الله ρ يقول: " من اشراط الساعة ان يقل العلم ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال حتى يكون خمسين امراة القيم الواحد)2.

سبب اختيار هذا المؤشر هو ان الاختلال في التركيبة النوعية للسكان من المؤشرات التي تدل علي انتشار الفتن مثل قلة العلم وانتشار الجهل وظهور الشح فيقدر ما قل العلم تظهر الفتن والغاية العظمي هي "أن لا تكون فتنة". الأسباب الأساسية لاختلال التركيبة النوعية للسكان هي الهجرات والحروب فحصول التوازن في التركيبة النوعية هذا مؤشر لانقفاء سفك الدماء والحروب في الأرض. أي انه من اهم للضوابط للفصل بين الجهاد المشروع في سبيل الله وبين البغي والعدوان في الأرض لان الغاية من الجهاد هي "أن لا تكون فتنة" أي "أن تكون كلمة الله هي العليا" وليس القتل وسفك الدماء فالقتال حالة استثنائية وليست الأصل. فحصول التوازن في التركيبة النوعية للسكان أحدي المؤشرات علي تحقيق التوحيد أي "أن لا تكون فتنة".

المؤشر السابع للحياة الطيبة هو انخفاض معدلات الطلاق والخلافات الزوجية:-

عن سعد بن ابي وقاص- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ρ : (اربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيئ. وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق) 3. المؤشر الثامن للحياة الطيبة هو انخفاض معدلات الطلاق وحقيقة ذلك هو وجود المرأة الصالحة قد يقول قائل ما بال المرأة لم لا يكون الرجل الصالح؟ المرأة الصالحة تعين زوجها علي الآخرة أي علي الاخلاق الحسنة كما في الحديث النبوي عن ثوبان مرفوعا: (ليتخذ احدكم قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وزوجة صالحة تعينه علي أمر الآخرة)4. من جانب آخر النساء تعلقاً بزينة الدنيا من الرجال. عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ρ : (ما تركت بعدي في الناس فتنة اضر علي الرجال من النساء) 5. الحديث السابق يتضمن مؤشرات أخرى مثل السكن الطيب والمركب الطيب أي تطور مسائل النقل كما ونوعا.

المؤشر العاشر للحياة الطيبة هو حفظ خزائن الأرض أي سيادة نظام الذهب:-

قال تعالي: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (النور: 55).

قال تعالي: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ* وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} (يوسف: 55- 56).
السؤال بماذا تحفظ خزائن الأرض؟

1 مع العلم مساحة الصحراء الكبرى وهي اكبر صحرا مدارية في العالم تقريبا تقع في قلب العالم الاسلامي مساحتها تقريبا حوالي عشرة ملايين كيلو متر مربع.

2 صحيح البخاري، حديث رقم (81)/صحيح مسلم، حديث رقم (2671)/صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم (3285).

3 صححه الالباني، السلسلة الصحيحة حديث رقم (282).

4 السلسلة الصحيحة حديث رقم (2176).

5 صحيح البخاري، حديث رقم (2741).

الجواب: تحفظ خزائن الارض بالنقود الثابتة.

وظائف النقود هي:-

1-وسيلة لتبادل.

2-مقياس للجهود والاشياء أي ثمن ومعيار لها.

الشروط التي يجب ان تتوفر في النقود حتى تقوم بوظائفها:-

الشروط التي يجب ان تتوفر في النقود حتى تقوم بوظائفها هي ثبات قيمتها أي قيمة النقود لان النقود أثمان والثمن معيار والمعيار لا بد أن يكون ثابت.

قال الإمام الشاطبي: (النقود خلقت أثمانا وقيما للسلع ومتى استعملت سلعة دخل على الناس الفساد)1.

قال الإمام ابن القيم الجوزية: (فإن الدراهم والدنانير أثمان للمبيعات، والثمن هو المعيار الذي به يعرف تقويم الأموال، فيجب أن يكون محدودا مضبوطا لا يرتفع ولا ينخفض؛ إذ لو كان الثمن يرتفع وينخفض كالسلع لم يكن لنا ثمن نعتبر به المبيعات، بل الجميع سلع، وحاجة الناس إلي ثمن يعتبرون به المبيعات حاجة ضرورية)2.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكذلك انزل الله - سبحانه - الميزان في القلوب؛ لما بينت الرسل العدل وما يوزن به عرفت القلوب ذلك؛ فانزل الله علي القلوب من العلم ما تزن به الأمور حتى تعرف التماثل والاختلاف، وتضع من الآلات الحسية ما تحتاج إليه في ذلك، كما وضعت موازين النقدين وغير ذلك)3.

قال الدكتور محمد عمر شابرا: (أن إستقرار قيمة النقود هدف لا غني عنه في الإطار الإسلامي، وذلك بسبب تأكيد الإسلام الواضح علي الأمانة والعدالة في كافة المعاملات الإنسانية. ألا تري أن القران يبين بجلاء أهمية الأمانة والعدالة في كل مقاييس القيمة:

{ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ } (الأنعام:152).

{ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا } (الأعراف: 85). هذه المعايير لا تنطبق فقط علي الأفراد، إنما تنطبق أيضا علي المجتمع والدولة، ولا تقتصر فقط علي الموازين والمكاييل التقليدية، بل لا بد أن تضم كل مقاييس القيمة. ولما كانت النقود أيضا مقياسا للقيمة، فإن أي تآكل مستمر ومهم في قيمتها الفعلية، يمكن تفسيره في ضوء القران علي أنه إفساد للعالم، لما لهذا التآكل من أثر سئ علي العدالة الاجتماعية والصالح العام)4. قال الدكتور شوقي أحمد دنيا: (من الأهمية بمكان أن تتسم النقود بأكبر قدر ممكن من الثبات في قيمتها، لما في ذلك من تأثير جوهري في استقرار الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للفرد وللمجتمع، بحيث يمكن القول مع خبراء الاقتصاد الوضعي ان النقود لا تؤدي وظائفها بفعالية

1 نقلا من دراسة بعنوان " الاعتراض على فتوى مجمع البحوث الإسلامية في إباحة الفوائد البنكية (1 - 2)" صحيفة الشرق الاوسط العدد8834.

2 إعلام الموقعين عن رب العالمين، المجلد الثالث، ص401.

3 الرد علي المنطقيين ص428.

4 نحو نظام نقدي عادل ص 51.

واقترار في غياب الثبات النسبي في قيمتها..... أن خاصية النقود تتوقف على هذا الثبات وبزواله تكف النقود عن قيامها بوظائفها وتدخل في عداد السلع وتفسد أوضاع المجتمع)1.

النقود المعتمدة عند المسلمين:-

هناك رأيين لفقهاء المسلمين حول ما هي النقود المعتمدة. فرأي يقول أن النقود المعتمدة هي الذهب والفضة فقط. ورأي آخر يقول أن النقود المعتمدة هي كل ما تعارف الناس عليه أنه نقد. قال الأستاذ أنور محمد ايمن السباعي: (موقع الذهب والفضة في النقد الإسلامي: ينقسم فقهاء الإسلام حول هذا الموضوع على رأيين: الأول يقول أن النقد المعتمد في الإسلام هو فقط الذهب والفضة. بينما يقول الرأي الثاني أن العبرة في اعتبار النقد هو للعرف وفي ذلك يقول الامام الغزالي "أن النقد ما تم الإتفاق على اعتباره نقداً حتى لو كانت قطعة من أحجار أو خشب". وسنعالج الآراء بشيء من التفصيل من خلال ذكر أقوال الفقهاء في الموضوع: الرأي الأول: قصر النقود على الذهب والفضة: هذا الرأي لا يعتبر صفة النقود منطبقة إلا على الذهب والفضة، فيعتبرهما نقوداً بالخلقة، أي أن الله سبحانه خلقهما لأجل هذه الوظيفة ولا يقوم غيرهما بها الرأي الثاني: يقيس بالعلة، فيجعل كل ما اصطلح عليه الناس بجعله نقوداً، يعده من لنقود، وهذا هو الرأي الغالب للباحثين اليوم)2.

شرط القبول الاجتماعي للنقود هو ثبات قيمتها:-

شرط القبول الاجتماعي أي القبول العرفي للنقود أي شرط رواجها هو ثبات قيمتها وذلك باتفاق العقلاء.

قال الدكتور حمزة السالم: (مما يخالف شرط شيخ الإسلام ابن تيمية ومن تبعه من العلماء والعقلاء والاقتصاديين بأن الشيء لا يكون ثمناً إلا بشرط ثباته النسبي في القيمة بحيث يكون مستودعاً للثروة. قال شيخ الإسلام - رحمه الله "ولكن الدراهم والدنانير هي أثمان المبيعات والثلث هو المعيار الذي يعرف به تقويم الأموال فيجب أن يكون محدوداً مضبوطاً لا ترتفع قيمته ولا تنخفض.. وذلك إنما يكون إذا كان ذلك الثمن باقياً على حال واحدة لا تزداد فيه القيمة ولا تنقص")3. وقال كذلك: (ولذا نص شيخ الإسلام على شرط ثبات القيمة للثمن في إطلاق علة الثمنية عليه، لأن الشيء إذا كان متغير القيمة أصبح موضعاً للتجارة وخرج عن كونه ثمناً وهذا باتفاق العقلاء)4. قال الشيخ فيصل مولوي: (ان النقود وسيط للتبادل وهذه الوظيفة الأساسية لها. وان نجاح النقود في القيام بهذه الوظيفة يتطلب ان تكون مقبولة من جميع الناس، أي ان تمثل قوة شرائية عامة. وأننا

1 تقلبات القوة الشرائية للنقود وأثر ذلك على الإنتمان الاقتصادي والاجتماعي، مجلة المسلم المعاصر العدد (41).

2 الضوابط الاقتصادية للإصدار النقدي بين النظام الإسلامي والنظام الرأسمالي ص22.
3 مقال بعنوان " أقول: قال الله والرسول .. يقولون: قالت قرارات المجمع الفقهي ". صحيفة الاقتصادية السعودية العدد 5539/10/12/2008م.

4 مقال بعنوان " لا ربا ولا زكاة اليوم في الذهب والفضة هو لازم الفتوى المعتمدة الآن " صحيفة الاقتصادية السعودية العدد (5721). ت6/10/2009م.

نوكد انه حتى تزداد ثقة الجمهور في النقود، يجب ان تكون قوتها الشرائية ثابتة، او علي الأقل تتقلب في حدود ضيقة(1).

وقال كذلك: (تحرص السلطات النقدية علي عدم الإفراط عادة في طباعة كميات كبيرة حتى لا تتدهور قوتها الشرائية، و حتى لا يرفضها الجمهور بسبب انعدام ثقته في ثبات قيمتها)2. إذن لا اختلاف بين أراء الفقهاء المسلمين عن النقود المعتمدة فالنقد العرفي مقبول هو أن يكون ثابت القيمة فالناس يبحثون النقود التي تحفظ لهم ثرواتهم وحقوقهم ولا يوجد شي يستعمل كنقد وله قيمة ثابتة إلا الذهب والفضة وما سواهم قيمته ليست ثابتة.

ثبات قيمة الذهب:-

فالذهب كنقد قيمته ثابتة من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بل علي مر التاريخ كما ذكر ذلك الدكتور محمد سليمان الأشقر.

قال الدكتور حمزة السالم: (فأما من ناحية الأدلة الشرعية فقد تتبع الدكتور الشيخ محمد سليمان الأشقر الأحاديث و الآثار التي ذكرت فيها قيم بعض السلع في بحث رائع بعنوان النقود وتقلب القيمة، قدم لعدد من المجامع الفقهية، أظهر فيه ثبات قيمة الذهب منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا، خاتما بحثه بفساد وبطلان قياس الأوراق النقدية على الذهب مطالباً بالتراجع عن فتوى إلحاق الأوراق بالذهب و معاملتها أي الأوراق معاملة السلع التي لا يجري فيها لا ربا الفضل ولا ربا النسيئة)3.

قال الأستاذ أنور محمد السباعي: (ويقول الدكتور محمد سليمان الأشقر رحمه الله إن قياس الورق النقدي على الذهب في إثبات حكم الربا فيها قياس باطل وبيان وجه البطلان يتبين واضحا اذا علمنا ما بينه الاقتصاديون من أن الذهب فيه ثلاث خصال تجعله - كما يقول علماء الحنفية ثمنا خلقة - ويخالفه فيها الورق النقدي في اثنين منها:

الاول: انه مقياس للقيم فهو ثابت القيمة على مدار التاريخ وأما الورق النقدي فلا يصلح مقياسا إلا في المبايعات الفورية.

الثاني: ان الذهب مخزن للقيم لثبات قوته على مدار التاريخ، أما الورق النقدي فهو مخزن للقيم ولكنه مخزن مهترئ مخزوق القاع يتسرب مخزونه باستمرار.

الثالث: انه اداة للتبادل)4.

قال الدكتور حمزة السالم: (فإلغاء الغطاء الذهبي للعملات الورقية من بعد عام 1971 أدى إلى انتفاء صفة حفظ القيمة عن الأوراق النقدية وأصبح التناقض في قوتها الشرائية أصلا في طبيعتها وليس طارئا عليها، كما نوقش في المجمعات الفقهية من قبل في الليرة اللبنانية ونحوها)5. بل هناك إجماع من خبراء الصيرفة بان الذهب ثابت القيمة (ويجمع خبراء الصيرفة في العالم على أن الذهب استخدم قديما في البيع والشراء وأن إعادة استخدامه كعملة في التجارة الدولية أفضل من التعامل

1 اثر انهيار قيمة الأوراق النقدية علي المهور ص39.

2 المصدر السابق ص38.

3 مقال بعنوان "تناقض قيمة الأوراق النقدية أصل فيها لا طاري" صحيفة الاقتصادية السعودية العدد 5333. ت 2008 /5/18م.

4 الضوابط الاقتصادية للإصدار النقدي بين النظام الإسلامي والنظام الرأسمالي ص29.

5 مقال بعنوان " أقول: قال الله والرسول .. يقولون: قالت قرارات المجمع الفقهي ". صحيفة الاقتصادية السعودية العدد5539. ت2008 /12/10م.

بالعملات الورقية لأن الذهب يحتفظ بقيمته وثمانه كمدن ثمين على العكس من العملات الورقية التي تتذبذب أسعارها باستمرار(1).

المشاكل التي تواجه نظام الذهب:-

المشكلة الأولى:-

ضخامة الاقتصاد العالمي وان كمية الذهب الموجودة في العالم لا تكفي لان تغطي كل عملات العالم بالذهب. حل المشكلة الاولي يكون من عدة جوانب:-

الجانب الأول:-

هو أن هذه الضخامة الموجودة في الاقتصاد العالمي ليست حقيقية إنما هي نتاج المضاربات والتجارة في العملات والأسهم والسندات التي تتم في البورصات أو ما يعرف بالاقتصاد المالي. نُقِلَ عن الدكتور مهاتير محمد رئيس الوزراء الماليزي الأسبق أنه قال: (إن حجم رأس المال اليوم لا يمكن تصديقه. إن حجم الاتجار في العملة أصبح يوازي أكثر من 20 ضعف حجم التجارة العالمية موضحاً إن مثل هذا الحجم الضخم من الأموال يؤدي إلي اضطراب الأعمال أينما ذهبت هذه الأموال. وان استخدامها في بيع العملات وشرائها يؤدي إلي إثراء المضاربين وإفقار الأمم وإغراقها في الفتن والعنف والحروب وقلب نظم الحكم وإشاعة الفوضى بعد أن كان يسودها القانون والنظام)2.

قال الدكتور عبد الوهاب عثمان وزير المالية السوداني الأسبق: (مما يهدر الاقتصاد الدولي في مجالات الإنتاج الزراعي والصناعي ان أسواق المعاملات المالية بما في ذلك المضاربات في الأسهم والعقود الوهمية والتجارة في المستقبل تستحوذ عشرين ضعف مما تستحوذه القطاعات الإنتاجية كالصناعة والزراعة والتجارة في السلع في العالم)3.

قال الأستاذ أبو العز عبد السلام: (أما بالنسبة لمشكلة المضاربات التي استشرت في الأسواق المالية فإنها تسببت في جعل تلك الأسواق بمثابة الثقوب السوداء التي تبتلع كل ما يلج فيها، فقد نشأ عنها وجود مبالغ خيالية يتم تداولها دفترياً من دون رصيد لها من الأصول علي ارض الواقع، ثم تبخرت كل تلك الأموال من الأسواق بشكل مفاجئ ومن دون سابق إنذار. فإذا علمنا أن الناتج الحقيقي العالمي للسلع والخدمات الحقيقية يعادل ما يقارب الـ 40 تريليون دولار سنوياً فان الناتج العالمي المتداول لنفس السلع والخدمات في الأسواق المالية يعادل الـ 500 تريليون دولار سنوياً، أي انه يزيد 12.5 ضعفا عن الناتج الحقيقي)4.

الجانب الثاني:-

هو أن الاقتصاد الإسلامي قائم علي اخذ حد الكفاية في الإنتاج وفي الاستهلاك. وليس قائم علي الإنتاج الكبير أو الاستهلاك والمزيد من الاستهلاك. وحد الكفاية في الإسلام مضبوط بمعايير وحدود معينة وليست شي فضفاض.

الجانب الثالث:-

1 مقال بعنوان "مهاتير محمد يعيد تأكيد دعوته السابقة الدينار الذهبي لمواجهة أزمات الدولار" صحيفة الاقتصادية السعودية العدد 5774. http://www.aleqt.com/2009/09/28/article_259648.html.
2 مجلة المجتمع الكويتية العدد 1407. صفحة الاقتصاد.
3 الأمة الإسلامية والتحويلات السياسية والاقتصادية ص33.
4 ورقة علمية بعنوان نشوء الأزمة الاقتصادية الحالية الأسباب والمسببات. مؤتمر حزب التحرير الاقتصادي الذي عقد في الخرطوم عام 2009.

هو القيام بتغطية عملة واحد بالذهب ثم ربط بقية عملات العالم بهذه العملة المغطي كما حصل في اتفاقية برايتون وودز.

قال الدكتور محمد ابراهيم السقا: (لعودة العالم إلى نظام الذهب هو العودة إلى النظام في صورته الكلاسيكية، أي في صيغته المعدنية، أو في صورة النقود الورقية النائبة، ولسنا في حاجة هنا إلى إثبات أن العودة إلى النظام وفقا لهذا السيناريو تعد أمرا مستحيلا سواء حاليا أو في المستقبل، أخذا في الحسبان الكميات المتاحة للعالم من احتياطات الذهب، والكميات المصدرة من النقود في أنحاء العالم كافة. ذلك أن توفير الذهب اللازم لكل دول العالم ليستخدم كغطاء كامل للنقود سيعني أن كل الكميات المنتجة من الذهب في العالم لن تكون كافية للوفاء باحتياجات دول العالم لأغراض إصدار ما تحتاج إليه من نقود، وذلك إذا أخذنا في الحسبان حجم القاعدة النقدية، أي كمية النقود المصدرة في العالم)1.

المشكلة الثانية:-

المشكلة الثانية هي عند اختيار عملة معينة وتغطيتها بالذهب ثم ربط بقية عملات العالم بهذه العملة المشكلة تكمن في معدل التبدل بين هذه العملة والذهب كم يكون فلو اخترنا الدولار مثلا لأنه آخر عملة كانت مغطية بالذهب فله أكثر من معدل تبدل بينه وبين الذهب.

قال الدكتور محمد ابراهيم السقا: (السيناريو الثاني؛ هو أن يعود العالم إلى نظام الذهب من خلال العودة إلى صيغة مماثلة لصيغة اتفاقية بريتون وودز، أي عودة عملة واحدة في العالم إلى نظام الذهب، هذه العملة ستكون بالتأكيد الدولار . . . وإذا افترضنا أن العالم سيعود إلى الذهب وفقا لهذا السيناريو، فإن هناك أكثر من بديل لتحديد قيمة التعادل بين الدولار والذهب، أو معدل التحويل بين الدولار والذهب)2.

حل المشكلة الثانية:-

حل المشكلة الثانية يكون باختيار الدينار الإسلامي ليُغطا بالذهب لأنه العملة الوحيدة من بين عملات العالم علي مر التاريخ التي لها معدل تبدل ثابت بينها وبين الذهب ومن خلاله يتم معرفة نصاب الزكاة وغيرها من التعاملات المالية التعبدية. الدينار يساوي واحد مثقال أي (4.25 جرام) هذا منذ زمن الرسول μ فكل عملات العالم الأخرى ليست لديها معدل تبدل ثابت بينها وبين الذهب فاختيار الدكتور محمد ابراهيم السقا للدولار ليغطي بالذهب ثم تربط بقية عملات العالم بالدولار كانت مقدمة خاطئة فقات الي نتيجة خاطئة.

المؤشر الحادي عشر للحياة الطيبة هو قلة أو رفع الزنا:-

عن انس رضي الله عنه قال: لاحتثكم حديثا سمعت رسول الله μ لا يحدثكم به احداً غيري، سمعت رسول الله μ يقول: (إن من اشراط الساعة ان يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزني، ويكثر شرب الخمر)3. عن انس بن مالك قال: لاحتثكم حديثا لا يحدثكم احد بعدي، سمعت رسول الله μ يقول: "

1 مقال بعنوان " هل يعود العالم إلى نظام الذهب..وكيف؟ (3)"صحيفة الاقتصادية السعودية العدد 2010/12/3م.

2 مقال بعنوان "هل يعود العالم إلى نظام الذهب..وكيف؟ (3)" صحيفة الاقتصادية السعودية العدد 2010/12/3م.

3 صحيح البخاري، حديث رقم (5231)/صحيح مسلم، حديث رقم (2671).

من اشراط الساعة ان يقل العلم ويظهر الجهل، ويظهر الزنا) 1. عن أبي هريرة، يرفعه قال: (يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويلقي الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج) قالوا: يا رسول الله! وما الهرج؟ قال: (القتل)2.

عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال: (يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقي الشح، وتظهر الفتن ويكثر الهرج. قالوا: يا رسول الله ايما هو؟ قال: القتل القتل)3. هناك تلازم بين كثرة الجهل وضده رفع العلم " تلازم بين ظهور الفتن و نقص العلم " من جانب وبين كثرة الزنا وكثرة شرب الخمر من جانب آخر، فإذا كثر الجهل وهو ظهور الفتن وضده قل العلم ونقصه، يكثر الزنا ويكثر شرب الخمر. وإذا رفع الجهل وهو إختفاء الفتن وضده كثرة العلم وكماله، يقل ويرفع الزنا ويقل ويرفع شرب الخمر. ولكن الأصل والسبب هو العلم الكامل وضده الفتنة في الدين أي الفحشاء الدليل هو قوله تعالى: { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْفُؤُلُومٌ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (الأعراف: 28). إذا فعلوا فاحشة قالوا الله أمرنا بها، فكان الرد إن الله لا يأمر بالفحشاء، فالفاحشة نتيجة لوجود الفحشاء.

المؤشر الثاني عشر للحياة الطيبة هو قلة أو رفع شرب الخمر:-

عن انس رضي الله عنه قال: لاحتثكم حديثاً سمعت رسول الله ﷺ لا يحدثكم به احداً غيري، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن من اشراط الساعة ان يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزني، ويكثر شرب الخمر)4. عن انس بن مالك قال: لاحتثكم حديثاً لا يحدثكم احد بعدي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من اشراط الساعة ان يقل العلم ويظهر الجهل، ويظهر الزنا) 5. هناك تلازم بين كثرة الجهل وهو ظهور الفتن وضده رفع العلم ونقصه من جانب وبين كثرة الزنا وكثرة شرب الخمر من جانب آخر، فإذا كثرة الجهل أي قل العلم وهو ظهور الفتن، يكثر الزنا ويكثر شرب الخمر. وإذا رفع الجهل " أي كثر العلم" يقل أو يرفع الزنا ويقل أو يرفع شرب الخمر.

1 صحيح البخاري، حديث رقم (81)/صحيح مسلم، حديث رقم (2671)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3285).

2 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3292).

3 صحيح البخاري، حديث رقم (7061)/صحيح مسلم، حديث رقم (2672).

4 صحيح البخاري، حديث رقم (5231)/صحيح مسلم، حديث رقم (2671).

5 صحيح البخاري، حديث رقم (81)/صحيح مسلم، حديث رقم (2671)/صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3285).

الفصل الرابع
معوقات التنمية في الإسلام
الفساد
(وجود فتنة في الأرض)

المعوق الأساسي للتنمية والإصلاح في كل دول العالم أو في العالم كله هو الفساد فأبي معوق آخر للتنمية والتطور والتقدم يتفرع من هذا الأصل أي يتفرع من الفساد. لذلك يعتبر الفساد من أعظم التحديات والمشكلات التي تواجه المجتمع الإنساني بل هو أعظم تحدي للمجتمع الإنساني.

قال الأستاذ محمد باقر الصدر: (إن النظام الشيوعي وإن عالج جملة من أدواء الرأسمالية الحرة بمحوه للملكية الفردية، غير أن هذا العلاج له مضاعفات طبيعية تجعل ثمن العلاج باهظاً، وطريقة تنفيذه شاقة علي النفس لا يمكن سلوكها إلا إذا فشلت سائر الطرق والأساليب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى هو علاج ناقص لا يضمن القضاء علي الفساد الاجتماعي كله؛ لأنه لم يحالفه الصواب في تشخيص الداء، وتعيين النقطة التي إنطلق منها الشر حتي إكتسح العالم في ظل الأنظمة الرأسمالية، فبقيت تلك النقطة محافظة علي موضعها من الحياة الاجتماعية في المذهب الشيوعي. وبهذا لم تظفر الإنسانية بالحل الحاسم لمشكلتها الكبرى)1.

قال الدكتور حسن عبد الله الثرابي في حديثه عن الفساد السياسي والاداري: (فبالإيمان تتحل أعضل مشكلة تواجه المجتمع والفكر السياسي البشري)2.

قال الدكتور داود خير الله: (إن الفساد داء ينهش النسيج الاجتماعي من جوانبه الثقافية والسياسية والاقتصادية، وتعتبر منظمة الشفافية العالمية إنه من أكبر التحديات التي تواجه عالمنا الحديث. فهو يقوض الحكم الصالح، ويشوه السياسة العامة، ويدفع الي إساءة توزيع الموارد، ويضر بالقطاع الخاص وتنميته، ويلحق أكبر الضرر بالفقراء)3.

قال الدكتور ابراهيم الامين: (الفساد هو أكبر تحديات عصرنا يشكل تهديدا مباشرا للإنسان وحقوقه المشروعة)4.

قال الدكتور محمد صادق أسماعيل: (ربما يكون الفساد أكبر المشكلات العالمية التي تجمع المؤسسات المحلية والدولية علي اعتبارها العقبة الرئيسية أمام الإصلاح والتنمية والاستثمار الصحيح)5.

أنواع الفساد من حيث الحجم والمكان:-

أنواع الفساد من حيث الحجم هو ثلاثة أنواع فساد صغير وفساد كبير و فساد منظم. والفساد من حيث المكان نوعان فساد محلي وفساد دولي.

خطورة الفساد:-

خطورة الفساد انه ليس معوق للتنمية والتطور فحسب بل مهدد أساسي للأمن والسلم علي المستوي المحلي والعالمي وهو سبب رئيسي للازمات الاقتصادية وانتشار الجريمة وبالجملة هو آفة المجتمعات والشعوب والحضارة.

قال الدكتور فراس مسلم ابو قاعد: (فموضوع الفساد بشكل عام والفساد الإداري كأحد أشكال وصور الفساد يُعتبر العنصر الأساسي لانهايار كثير من الأنظمة السياسية التي شهدت تغيرات جذرية خلال العام ، بالإضافة اعتبارها المسبب الرئيسي للازمة الاقتصادية العالمية وانهايار مئات

1 فلسفتنا ص71.

2 الإيمان وأثره في حياة الإنسان ص222.

3 الفساد الإداري ومعوقات التطور في العالم العربي ص 7.

4 مواجهة الفساد . . عناصر بنا نظام النزاهة الوطني، مجلة أفكار جديدة الدورية، العدد العاشر، ص 84.

5 الفساد الاداري في العالم العربي مفهومه وأبعاده المختلفة ص10.

البنوك والمؤسسات المالية والاستثمارية ومدىونية كثير من دول العالم في مختلف أصقاع الكرة الأرضية)1.

وقال كذلك: (والفساد يغذي نفسه بنفسه ويخلق مناخا واسعا من الأعمال غير المشروعة تقوض عمليات التنمية، فهو آفة المجتمعات وهو ليس بظاهرة غير مرغوب فيها فحسب، بل ظاهرة خطيرة تقود للفساد الأعظم ألا وهو إنهيار الدولة والمجتمعات)2.

قال الاستاذ داود خير الله: (فالفساد عندما ينتشر ويتجذر يقوض سلطة الدولة ومؤسساتها ويفتح المجال للتمرد. والفساد يزيد من مخاطر النزاعات الداخلية، والنزاعات بدورها تضاعف من مخاطر الفساد. للثنتين علاقة متداخلة متفاعلة تهدد الأمن والاستقرار وبخاصة في الدول التي يحيق بها العنف. الربط بين الفساد وعدم الاستقرار السياسي والنزاع المسلح أصبح من المواضيع التي تلقي اهتماما خاصة لدي الباحثين في الآونة الأخيرة. تقرير هام للبنك الدولي 2011م عن التنمية الدولية وموضوعه "النزاعات المسلحة والأمن والتنمية"، اظهر أن للفساد أثر بليغا في تزايد مخاطر اللجوء الي العنف عن طريق إثارة الشعور بالظلم وتدمير فعالية المؤسسات الوطنية والقيم الاجتماعية. كذلك تقرير منظمة التعاون والتنمية الإقتصادية " OECD " حول الفساد وبنا الدولة، جاء فيه أن الفساد هو مكن الهشاشة لدي الدول، وأن بعض أنواع الفساد هو أساس أنتزاع الشرعية في الدول التي عرفت العنف والنزاع المسلح)3.

الفساد والديمقراطية4:-

قال الدكتور ابراهيم الامين: (جاء في كتاب "المرجعية – الشفافية الدولية" . الفصل الرابع "نظام النزاهة الوطني" أن الفساد يقوض التطور الديمقراطي ويعرقل أداء المؤسسات العامة والاستخدام الأمثل للموارد، وهو يغذي السرية والقمع)5.

قال الاستاذ داود خير الله: (يشكل الفساد مانعا أساسيا من بناء نظام ديمقراطي)6. قال بان كي مون الامين العام الأسبق للامم المتحدة: (يشكل الفساد تهديداً للديمقراطية والتنمية والاستقرار. فهو يخل بسير عمل الأسواق ويحدّ من النمو الاقتصادي وينفّر الاستثمار الأجنبي. وهو يتسبب أيضاً في تدهور الخدمات العامة والثقة بالمسؤولين، ويسهم في حدوث أضرار بيئية ويهدّد الصحة العامة بتهيئته للظروف التي تساعد على الإغراق غير المشروع للنفايات الخطرة وعلى إنتاج وتوزيع الأدوية المغشوشة)7.

تعريف الفساد والمناهج الفكرية للفساد:-

هناك عدم قدرة لضبط مفهوم الفساد لان المناهج الفكرية التي من خلالها يتم تعريف الفساد متعددة ومختلفة. مثل المنهج القيمي الأخلاقي والمنهج الوظيفي العملي ومنهج المصلحة العامة.

1 الوقاية من الفساد الاداري ومكافحته من منظور اسلامي، مجلة بغداد للعلوم الاقتصادية العدد 36، ص 143.

2 المصدر السابق ص 142.

3 الفساد ومعوقات التطور في العالم العربي ص 6.

4 قد يقول قائل لماذا خصصنا الديمقراطية؟ لان هناك من البشر من يعتقد أن الديمقراطية الليبرالية هي التي تحقق للبشر نهاية التاريخ أي تحقق لهم الحياة الكاملة "فرانسيس فوكوياما" وبما أنها تحقق نهاية التاريخ والحياة الكاملة هذا يعني أنها لا نقيض لها أي إنها الحق النهائي ولكن الواقع أثبت أن الفساد أعظم نقيض للديمقراطية الليبرالية.

5 مواجهة الفساد . عناصر بنا نظام النزاهة الوطني، مجلة أفكار جديدة، العدد العاشر، ص 93.

6 الفساد الاداري ومعوقات التطور في العالم العربي ص 4.

7 مقال بعنوان "الفساد يهدد الديمقراطية والتنمية والاستقرار" صحيفة الوسط البحرينية العدد 3018.

المنهج القيمي:-

المنهج القيمي يعرف الفساد بأنه مخالفة القيم والخروج عليها أو هو القصور القيمي في المجتمع. قال الأستاذ عاصم الأعرجي عن المنهج القيمي: (القصور القيمي عند الأفراد الذي يجعلهم غير قادرين على تقديم الالتزامات الذاتية المجردة)1.

قال الدكتور آدم نوح القضاة: (المعيار القيمي. يقصد من اعتبار هذا المعيار اعتبار الفساد شكلاً من أشكال الخروج على القيم السائدة في المجتمع ضمن الإطار الوظيفي، باعتبار هذه القيم مما يجب الالتزام به)2.

قال الدكتور سالم بن سعيد القحطاني: (والواقع ينظر الى الفساد الإداري من خلال ثلاث مراحل تطور خلالها الفساد الى ان اصبح اليوم ليس فساداً على مستوى المنطقة وإنما على مستوى العالم. والمرحلة الأولى التي تطور فيها الفساد هي عندما كانت هناك قيم وكان ينظر الى من كان يخالفها على انه ارتكب جريمة فساد، لأنه خالف القيم. يخالفها على انه ارتكب جريمة فساد، لأنه خالف القيم، وبعدها ظهر لدينا في المرحلة الثانية النظم والقوانين وأصبح من يخالفها سواء في الأعمال او في الممارسات او في الإدارة انه يرتكب جريمة فساد اداري، ولم تعد القيم بالنسبة لبعض المهتمين بالنظم والقوانين، ذات قيمة كبيرة، وإنما يركزون فقط على مخالفة الأنظمة والقوانين، ثم جاءت المرحلة الثالثة وهي الخلط مابين القيم والأنظمة.. حيث يرون ان الفساد لم يخالف الأنظمة ولا القيم)3.

المآخذ على المنهج القيمي:-

المآخذ التي تؤخذ على المنهج القيمي أنه لم توجد قيم ثابتة في النظام السائد اليوم في العالم فقيمه نسبية تختلف من شخص لآخر ومن مكان لآخر ومن زمان لآخر والقيم لا يوجد قانون ثابت لها ولكن السؤال هل هذا التصور للقيم يوجد داخل المنهج الإسلامي؟ هذا المآخذ لا ينطبق ولا يوجد في المنهج الإسلامي والقول بأنه لا توجد قيم ثابتة في الاسلام هذا جهل بالدين الإسلامي لان الإسلام كنظام للحياة يملك قيم مطلقة وهي عبارة عن غايات تسعى الأمة الإسلامية لتحقيقها فمسألة نسبية القيم لا مكان لها في النظام الإسلامي انما توجد في المناهج الليبرالية ومع العلم إن المنهج الغير قيمي للفساد هو المنهج السائد اليوم في العالم.

المنهج الوظيفي4 و المآخذ عليه:-

المنهج الوظيفي القانوني يعرف الفساد علي إنه انحراف عن نظام العمل أي انحراف عن القوانين والتشريعات والقواعد التي يجب مراعاتها وظيفياً. قال الدكتور آدم نوح القضاة: (المعيار القانوني "التشريعي" هذا المعيار هو الذي يفضله القانونيون، حيث يحرصون الفساد الإداري في خرق القوانين والأنظمة والتعليمات التي يجب مراعاتها وظيفياً،

1 نظريات التطوير والتنمية الإدارية 53.

2 ورقة عمل بعنوان "نحو نظرية إسلامية لمكافحة الفساد الإداري ص 8" قدمت في المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد 2003م.

3 ندوة صحيفة الرياض السعودية بعنوان " الفساد الإداري... جرائم مجهولة تحتاج إلى اجتهات! " العدد

"13483"، بتاريخ 24 مايو 2005م.

4 المنهج المعتمد في العالم الان في تعريف الفساد هو المنهج القانوني الوظيفي اما غيره من التعاريف غير معتبرة لا سباب كثيرة.

وعادة ما يقترن ذلك بالسعي وراء تحقيق منفعة شخصية(1).

قال الدكتور سالم بن سعيد الفحطاني: (ظهر لدينا في المرحلة الثانية للنظم والقوانين وأصبح من يخالفها سواء في الأعمال او في الممارسات او في الإدارة انه يرتكب جريمة فساد اداري، ولم تعد القيم بالنسبة لبعض المهتمين بالنظم والقوانين، ذات قيمة كبيرة، وإنما يركزون فقط على مخالفة الأنظمة والقوانين)(2).

المآخذ علي المنهج الوظيفي القانوني هو أنه حصر الفساد في جزء محدود من جوانب الحياة وهي جانب العمل و القوانين المنظم لها أي هو انحراف عن قواعد العمل وإجراءاته واشتراطاته وقوانينه وتشريعات المنظم له ولم يغطي كل جوانب الحياة.

منهج المصلحة العامة والمآخذ عليه:-

وحقيقة الفساد في المنهج المصلحي هو تقديم مصلحة خاصة علي مصلحة عامة (المعيار المصلحي. يقصد من اعتماد هذا المعيار اعتبار الفساد الاداري في حقيقته تقديمًا للمصلحة الخاصة علي المصلحة العامة، يقوم به شخص انيطت به رسمياً مهمة الحفاظ علي المصلحة العامة)(3). المآخذ علي المنهج المصلحي هو أنه لا يوجد ضابط لمفهوم المصلحة العامة.

مفهوم الفساد في المنهج الإسلامي:-

مفهوم الفساد في الإسلام ذو علاقة وثيقة بالمفاهيم الأساسية للمنهج الإسلامي وهي مفاهيم الألوهية "العبودية" والربوبية والدين والشرك بالله .

الفساد ضد الايمان الإصلاح والإحسان وضد النظام:-

الفساد في القرآن له أصداد فهو ضد الإيمان وضد الإصلاح وضد الإحسان وضد العمل الصالح.

الفساد ضد الإصلاح:-

قال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } (البقرة: 11- 12).
قال تعالى: { وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ }
(البقرة: 220).

قال تعالى: { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا }
(الأعراف: 56).

قال تعالى: { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا }
(الأعراف: 85).

قال تعالى: { وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } (الأعراف: 142).

قال تعالى: { وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ } (النمل: 48).
الفساد ضد النظام .

1 ورقة عمل بعنوان "نحو نظرية إسلامية لمكافحة الفساد الإداري ص 8" قدمت في المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد عام 2003م.

2 ندوة صحيفة الرياض السعودية بعنوان " الفساد الإداري... جرائم مجهولة تحتاج إلى اجتناب! " العدد

"13483، 24 مايو 2005م.

3 ورقة عمل بعنوان "نحو نظرية إسلامية لمكافحة الفساد الإداري ص 9" قدمت في المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد.

الفساد ضد العمل الصالح:-

قال تعالى: { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ } (ص:28)

الفساد ضد الإحسان:-

قال تعالى: { وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ } (القصص:77).

أصل الفساد يكون في القلب:-

أصل الفساد في النظام الإسلامي هو فساد القلب، فإذا فسد القلب فسد باقي الجسد والعكس صحيح إذا صلح القلب صلح باقي الجسد أي فسد السلوك والعمل وفساد السلوك والعمل هو فساد للحياة وللمجتمعات.

عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (وان في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب)1.

فساد القلب وفساد الدين سببه الفتن:-

وفساد القلب يكون بالفتن.

قال تعالى: { وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ } (المائدة:41).

قال الأستاذ الطاهر بن عاشور: (القول في قوله: "اولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم" كالقول في قوله: "من يرد الله فتنته")2. عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تعرض الفتن علي القلوب كالحصير عودا عودا، فأبي قلب اشربها نكت فيه نكتة سودا، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير قلبين: علي ابيض مثل الصفاء، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والأخر اسود مرابادا، كالكوز مجخيا، لا يعرف معروف، ولا ينكر منكرا، إلا ما اشرب من هواه)3.

وفساد الدين سببه الفتن أيضاً. إن علي بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل علي فاطمة عليها السلام، فسمعت رسول الله ﷺ يخطب الناس في ذلك علي منبره هذا – وأنا يومئذ المحتلم – فقال: (إن فاطمة مني وإني أتخوف أن تفتن في دينها)4. عن ابي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن)5.

الفتنة في الدين والفساد متلازمان:-

قال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ } (الأنفال:73). هناك تلازم بين الفتنة في الارض والفساد أي تلازم بين المعطوف عليه والمعطوف فلا يكون هناك فساد إلا بوجود فتنة في الدين.

الفتنة في الدين والعمل الصالح نقيضان:-

1 صحيح البخاري، حديث رقم (52)/صحيح مسلم، حديث رقم (1599).

2 تفسير التحرير والتنوير، المجلد الثالث، ص 201.

3 صحيح مسلم، حديث رقم (644).

4 صحيح البخاري، حديث رقم (3110)/صحيح مسلم، حديث رقم (2449).

5 صحيح البخاري، حديث رقم (19).

العمل الصالح والفتن نقيضان. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقي الشح، وتظهر الفتن ويكثر الهرج. قالوا: يا رسول الله ايما هو؟ قال: القتل القتل"¹.
 عن أبي هريرة، يرفعه قال: (يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويلقي الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج) قالوا: يا رسول الله! وما الهرج؟ قال: (القتل)2.

العمل الصالح هو إنفاق المال في سبيل الله.
 قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 62).
 قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 277).
 قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (المائدة: 69).
 قال تعالى: { فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الأنعام: 48).
 قال تعالى: { فَمَنْ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (الأعراف: 35). في الآيات السابقة الإيمان والعمل الصالح سبب، والنتيجة إنتفاء الخوف والحزن فالخوف نكرة في سياق النفي يفيد العموم والحزن نكرة في سياق النفي يفيد العموم كذلك.
 قال تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 262).
 قال تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة: 274). في الآيات السابقة إنفاق المال في سبيل الله سبب، والنتيجة إنتفاء الخوف والحزن. فالخوف نكرة في سياق النفي يفيد العموم والحزن نكرة في سياق النفي يفيد العموم كذلك.

هناك قاعدة منطقية تقول أن الأسباب المتماثلة تقود إلي نتائج متماثلة وبما إن النتائج متماثلة هذا يعني أن الأسباب متماثلة أي أن حقيقة العمل الصالح هو إنفاق الأموال المرادة لذاتها أي الفضل في سبيل الله.

الفتنة هي التكاثر بالاموال والاولاد أي الحرص على المال والشرف:-

والأشياء التي تفسد القلب والدين أي التي تفسد أحوال المجتمعات والأمم هي التكاثر بالاموال والاولاد أي الحرص علي المال والشرف.
 قال تعالى: { وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } (الأنفال: 28).
 قال تعالى: { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } (التغابن: 15).
 عن كعب بن مالك الأنصاري، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: (ما ذنبان جائعان أرسلا في غنم؛ يافسد لها من حرص المرء علي المال، والشرف لدينه)3.

1 صحيح البخاري، حديث رقم (7061)/صحيح مسلم، حديث رقم (2672).

2 صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3292).

3 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2376)/سنن الدارمي، حديث رقم (2936)/صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم (3250).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما ذئبان ضاريان جائعان باتا في زريبة غنم، أغفلها أهلها، يفتريسان ويأكلان؛ بأسرع فيها فسادا من حب المال والشرف في دين المرء المسلم)¹.

من خلال الأحاديث الصحيحة المذكورة هناك سببين للفساد في المنهج الإسلامي السبب الأول للفساد هو الحرص علي المال أي حبه لذاته أي تأليه والتعلق به المال المراد لذاته في سبيل الله. والسبب الثاني للفساد في النظام الإسلامي هو الحرص علي الشرف أي إبتغاء العزة عند الناس وحقيقته هو إنفاق المال المراد لذاته في غير سبيل الله

قال تعالى: { وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا } (النساء: 38 – 39). جمع المال المراد لذاته وكنزه هو التكاثر بالمال و إنفاق المال المراد لذاته في غير سبيل الله هو التكاثر بالنفر والهدف من الأخير الشرف. وهذين السببين ناتجين من فساد في التصور

فإعجاب المتكبرين بأنفسهم يقودهم إلي احتقار الناس أي الاستغناء عنهم والاستغناء فيما عند الناس إذا كان الشي الذي مع الناس صحيح أو باطل والتعلق فقط بالمال وجمعه والبخل به. أما المنافقون فيتعلقون بما عند الناس و يبتغون عندهم العزة أي الذكر والسُّمعة ويأخذون بالأسباب المؤصلة الي السُّمعة والشرف والجاه وهذا يقودهم إلي إنفاق المال المراد لذاته في غير سبيل الله أي رياء الناس. التعلق بالمال والشرف وحبهما لذاتهما هو أساس الشرك بالله. فالتعلق بهذه الأشياء أساس الفساد في القلب والدين أي أساس الفساد في الأرض.

وهي ناتجة من الحرص علي العلو في الارض فالحرص علي المال نوع من الحرص علي العلو في الارض والحرص علي الشرف والعزة والمكانة نوع من الحرص علي العلو في الارض أيضاً.

والشيء الصحيح عدم التقتير وعدم الاسراف.

قال تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } (الفرقان: 67).

فالفساد في النظام الإسلامي إما يكون بسبب التقتير أي البخل الناتج من إعجاب المرء بنفسه وإما بسبب الإسراف وهو الإنفاق في غير مكانه الصحيح أي في غير سبيل الله بالمعني العام.

الإسراف نوعان:-

الإسراف نوعان إسراف بالمعني العام هو وضع المال في غير مكانه صحيح إذا هذا كان الوضع ناتج من البخل أو ناتج من الإنفاق.

قال تعالى: { وَأَنْتُمْ حَقُّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } (الأنعام: 141).

قال تعالى: { وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۗ وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى } (طه: 127).

قال تعالى: { وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ } (الشعراء: 151 – 152).

قال تعالى: { وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ } (غافر: 43).

1صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم (3251).

أما الإسراف بالمعنى الخاص هو وضع المال في غير مكانه الصحيح الناتج من الإنفاق فقط وليس من البخل والتقتير. قال تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } (الفرقان:67).

الفساد مقدمة ونتيجة:-

الفساد في النظام الإسلامي مقدمة ونتيجة فالفساد كمقدمة هو الشرك بالله أي تأليه غير الله سبحانه وتعالى أي التعلق بالمال والشرف. أما الفساد كنتيجة هو اضطراب الموازين والمعايير والقيم المطلقة أو غيابها¹. وحقيقة ذلك هو تخسير المكايل والموازين والمعايير أي إنقاصهما أي تبخيس الناس أشياءهم وهذا هو أساس تفرق بين الناس واختلافهم واقتتالهم أي حقيقة فساد ذات البين. والمقدمة والنتيجة متلازمان مترابطان لا ينفكان عن بعضهم البعض فإذا كانت المقدمة هي الشرك فالنتيجة هي "أن لا تكون فتنة في الأرض" أي "أن لا يكون شرك في الأرض".

قال تعالى: {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} (الأعراف: 85).

قال تعالى: {وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} (هود:85).

قال تعالى: {أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} (الشعراء: 181 – 183).

قال تعالى: {قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ} (القصص: 19).

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ ، وَالصَّلَاةِ ، وَالصَّدَقَةِ ؟) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ: (إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ : هِيَ الْحَالِقَةُ)². عن الزبير بن العوام قال: أن النبي ﷺ قال: (دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين)³.

فحقيقة الفساد بين الناس أي فساد ذات البين هو اضطراب المكايل والموازين والقيم. فاضطراب الموازين والمكايل والمعايير هو السبب الأساسي والوحيد لاضطراب حياة الناس وشيوع الفوضى وتقويض النظام وهو نتاج الشرك بالله أي نتاج الحرص على المال والشرف أي إرادة العلو في الأرض.

قال تعالى: {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} (الرحمن: 7-9).

قال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ } (الحديد:25).

1 المنهج الفكري للفساد السائد الآن في العالم أي المنهج المعتمد لدي المنظمات العالمية العاملة في محاربة الفساد لا يعتبر اضطراب المعايير والموازين والقيم وغيابها نوع من أنواع فساد لأنه منهج لا يؤمن بوجود قيم مطلقة يمكن ان يؤمن بها كل الناس والقيم عنده نسبية.

2 صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4919)/صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2509).

3 صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2510).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكذلك انزل الله - سبحانه - الميزان في القلوب؛ لما بينت الرسل العدل وما يوزن به عرفت القلوب ذلك؛ فانزل الله علي القلوب من العلم ما تزن به الأمور حتى تعرف التماثل والاختلاف، وتضع من الآلات الحسية ما تحتاج إليه في ذلك، كما وضعت موازين النقدين وغير ذلك. وهذا من وضعه -تعالى- الميزان؛ قال تعالى: {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا} (الرحمن: 9). وقال أكثر المفسرين: هو العدل، وقال بعضهم: هو ما يوزن به ويعرف العدل، وهما متلازمان)1.

والسبب في اضطراب الموازين والقيم والمكاييل هو التعلق بغير الله أي التعلق بالمال والشرف. أي الاضطراب في الموازين والمعايير.

الميزان المطلق أي القيمة المطلقة هو "أن لا تكون فتنة" :-

حقيقة التفرق والاختلاف بين الناس أي حقيقة الفتن بينهم هو اضطراب الموازين والمعايير أو عدم معرفتها.

لفظ الفتن يطلق علي الأسباب ويطلق علي النتائج. والفتن التي هي الأسباب هي الشرك بالله أي إرادة العلو في الارض أي الحرص علي المال والشرف. أما الفتن التي هي النتائج حقيقتها التفرق والاختلاف والسبب في ذلك هو اضطراب الموازين والمعايير أي عدم الوفاء الميزان والمكيال ونوعي الفتن متلازمين.

قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ} (الشوري: 17).

قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} (الحديد: 25).

حقيقة الميزان المطلق الذي هو الحق هو أن لا تكون فتنة.

قال تعالى: { حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } (البقرة: 193).

قال تعالى: { حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (الأنفال: 39).

المنهج الفكري للفساد في النظام الإسلامي :-

المنهج الفكري للفساد في النظام الإسلامي هو المنهج أقيمي لأن الاسلام يوجد به قيم مطلقة أي قيم لكل البشر لاتعترف بلون أو لغة أو شعب أو قبيلة أو زمان أو مكان. فأبي مخالفة لهذه القيم أو الخروج عليها يعتبر فساد وإضطراب في الحياة هذا هو المنهج الفكري للفساد في النظام الإسلامي.

مع العلم إن المنهج الغربي للفساد هو الذي يعمل به في العالم اليوم. والقيم الإسلامية هي "أن لا تكون فتنة" أي "أن تكون كلمة الله هي العليا" والفتنة هنا بمعني الشرك أي تأليه غير الله سبحانه وتعالى أي ارادة غير الله لذاته وأعظم ما يراد لذاته من دون الله هو العلو في الأرض أي التكاثر بالمال.

الدليل العقلي علي صحة المنهج الإسلامي للفساد :-

هناك شبه إجماع بين المختصين في مجال مكافحة الفساد علي أن ضعف الجانب الاخلاقي القيمي هو السبب الاساسي للفساد.

قال الدكتور آدم نوح القضاة: (يكاد يتفق الباحثون في أسباب الفساد علي أن ضعف الجانب الأخلاقي او التربوي السليم لدي القائمين بالإعمال الإدارية تُعتبر عاملا هاما في تفشي الظاهرة)2.

1 الرد علي المنطقيين ص 428.

2 نحو نظرية إسلامية لمكافحة الفساد الاداري ص 21.

الباب السابع
المثل الأعلى في الإسلام
ونهاية التاريخ
(الحل النهائي)

التعريف:-

نهاية التاريخ ليست توقف الأحداث أو توقف الزمن إنما هي لحظة يتم فيها الوصل إلى حلول نهائية لكل مشاكل البشر و آلامهم وهمومهم أي يتم فيها الإشباع التام لحاجات البشر الأساسية والضرورية المادية منها والروحية أن نهاية التاريخ هو وصول التاريخ إلى المثل الأعلى أي إلى الكمال أي وصول التاريخ إلى غايته وغاية التاريخ هي المثل الأعلى¹.
قال الدكتور عبد الوهاب المسيري: ("نهاية التاريخ" بالانجليزية: إند أوف هستوري end of history" عبارة تعني إن التاريخ، بكل ما يحويه من تركيب وبساطة، وصيرورة وثبات، وشوق وإحباط، ونبل وخساسة، سيصل إلى نهايته في لحظة ما، فيصبح سكونيا تماما، خاليا من التدافع والصراعات والثنائيات والخصوصيات، إذ إن كل شيء يرد إلى مبداء عام واحد يفسر كل شيء "لأفراق في هذا بين الطبيعي والإنساني". وسيسيطر الإنسان سيطرة كاملة علي بيئته وعلي نفسه، وسيجد حولا نهائية حاسمة لكل مشاكله وآلامه)².

قال الاستاذ فرانسيس فوكوياما: (كان هيغل وماركس أيضا يعتقدان أن تطور المجتمعات البشرية ليس بلاء نهائية، ولكنه قد يكتمل عندما تجد البشرية الشكل الاجتماعي الذي يشبع حاجاتها الأكثر عمقا والأكثر أساسية. وهكذا يكون المفكران قد وضعوا "نهاية للتاريخ")³.

وقال في موضع آخر: (باستطاعتنا القول إن التاريخ وصل إلى النهاية إذا كان الشكل الحاضر للتنظيم الاجتماعي والسياسي مرضيا كليا للإنسان في خصائصه الأساسية)⁴.

قال الاستاذ عيسى برهومة:(التاريخ يصل الي نهايته عند تحقق غايته)⁵.

نهاية التاريخ هي وصول التاريخ إلى غايته لأن حركة التاريخ تتميز عن الحركات الأخر بأنها حركة غائية هادفة أي لها غاية تسعى للوصول إليها وهذه الغاية هي المثل الأعلى أي الكمال.

قال الدكتور احمد داود اوغلو: (وكما ذكرنا أنفا فان نظرية النهاية التي تفترض وصول التطور في الفكر الإنساني الي نهايته فيما يتعلق بطرق تحقيق السعادة الإنسانية)⁶.

قال الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا في كتابه "اشباح ماركس": (الديمقراطية الليبرالية لم تنتصر في كل بلدان العالم لكي نقول أن التاريخ انتهى. ثم بشكل أخص فإنها لم تجد حلا لمشكلة الفقر والبؤس

1 فكرة نهاية التاريخ في كل المذاهب والأفكار تتعلق بكل البشر أي بإيجاد الحلول وإجابات لمشاكل البشر جميعا بدون استثناء ماعدا نهاية التاريخ في الفكر اليهودي فنهاية التاريخ عندهم تتعلق بإيجاد الحلول لمشاكل المجتمع اليهودي فقط وما سواهم ليسوا ذو أهمية.

2 العلمانية والحداثة والعولمة ص171.

3 نهاية التاريخ والإنسان الأخير ص24.

4 نهاية التاريخ والإنسان الأخير ص145.

5 بحث بعنوان حوار حضارات ام صراع؟، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 47، ص 172.

6 العالم الإسلامي في مهب التحولات الحضارية ص 199.

الاجتماعي حتي داخل المجتمعات الغربية نفسها، وبالتالي فكيف يمكن القول بأنها الصيغة النهائية للتاريخ؟)1.

عراقة الفكرة:-

فكرة نهاية التاريخ موجودة في كل الفلسفات والمذاهب الفكرية والديانات وإن اختلفت مسمياتها وهي عميق في الوجدان الإنساني وقديمة قدم الإنسان.

قال الدكتور عبد القادر بوعرفة: (مقولة "نهاية التاريخ" ليست وليدة العصر، بل هي قديمة قدم الإنسان ذاته)2.

قال الاستاذ محمد عثمان مكي: (لا شك أن فوكويام ا فيلسوف عميق المعرفة بالتاريخ الإنساني ومدافع شرس عن النظام الرأسمالي ولكن هذا لا يمنع أن فكرته حول نهاية التاريخ ليست جديدة تماماً علي البشرية فقد طرحها قبله أفلاطون وميكافيللي وهيجل وحتى ماركس نفسه)3.

قال الاستاذ محمد بابكر العوض: (فمنذ أن سمع جمهور مسرحية هيبو ليتس في أثينا تلك الصيحة "أين ينتهي هذا التاريخ"؟ وصدي الفكرة يتردد في مداولات الفكر، وإبداعات الثقافة)4.

وقال كذلك: (لم يدع فوكوياما أن نهاية التاريخ من بنات أفكاره، فهو يعلم أنها فكرة عريقة المحتد في سجلات الفكر والفلسفة والأدب، منذ عهد الكهف والصخرة، إلي زمن الشرائح السليكونية)5.

نهاية التاريخ و الأفكار الاخرى:-

فكرة نهاية التاريخ تداخل بشدة مع عدة أفكار أخرى مثل فكرة "الخلاص" و "الحياة الكاملة" و "الفردوس الأرضي" وفكرة "المستقبل" بل تطابق مع اغلبها.

قال الاستاذ محمد بابكر العوض: (إننا عندما نتحدث عن نهاية التاريخ إنما نتحدث عن المستقبل)6.

أما علاقة نهاية التاريخ بالحياة الكاملة هي أن النظام الذي يحقق نهاية التاريخ هو نظام خالي من التناقضات أي أن حقيقة نهاية التاريخ هي الوصول إلي إنعدام التناقضات. فالمفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما استدل علي أن الديمقراطية الليبرالية تحقق نهاية التاريخ لأنها خالية من التناقضات التي كانت موجودة في أنظمة الحكم القديمة. فقال: (ان الديمقراطية الليبرالية بإمكانها أن تشكل فعلاً "منتهي التطور الايدولوجي للإنسانية" و"الشكل النهائي لأي حكم إنساني" اي انها من هذه الزاوية "نهاية التاريخ". فبينما كانت أشكال الحكم القديمة تتميز بأخطاء خطيرة وتناقضات لا

1 نقلاً من كتاب مستقبل الإسلام مقارنة في فقه المستقبل للأستاذ محمد بابكر العوض، ص 18.

2 الأساس الأسطوري لنهاية التاريخ، مجلة إنسانيات الجزائرية.

<http://journals.openedition.org/insaniyat/7989>

3 دعوة للتفلسف ص 149.

4 مستقبل الإسلام مقارنة في فقه المستقبل، ص 16.

5 مستقبل الإسلام مقارنة في فقه المستقبل، ص 18.

6 مستقبل الإسلام مقارنة في فقه المستقبل، ص 16.

يقبلها العقل ادت الي انهيارها، فانه بالإمكان الإدعاء أن الديمقراطية الليبرالية كانت خالية هذه التناقضات)1.

اما كارل ماركس فإنه يري أن التاريخ سوف يصل إلي نهايته بتحقيق اليوتوبيا الشيوعية التي ستحل جميع التناقضات السابقة عليها.

قال الدكتور أحمد عبدالعزيز المزيني: (ثم رأي كارل ماركس أشهر من روجوا فكرة نهاية التاريخ أن التاريخ سيصل نهايته بتحقيق اليوتوبيا الشيوعية التي ستحل في النهاية جميع التناقضات السابقة عليها)2.

هذا يعني أن فكرة نهاية التاريخ تعني الوصول إلي النظام الخالي من التناقضات أي الحياة الكاملة. التناقضات هي المشاكل والنقائص التي لا يوجد لها حل داخل النظام.

قال الأستاذ فرانسيس فوكوياما: (فالمشكلة لا تصبح تناقضاً إلا إذا كانت بالغة الخطورة بحيث يتعذر حلها في إطار النظام، وهي في الوقت نفسه تخرق شرعية هذا النظام، بحيث ينهار من تلقاء نفسه)3. اما المشاكل التي يوجد لها حلول داخل النظام ليست تناقضات. فكل تناقض هو نقص و مشكلة وليست كل نقص ومشكلة هو تناقض لأن التناقضات هي المشاكل والنقائص التي لا يوجد لها حل داخل النظام.

. والحياة الكاملة هي التي ليست فيها أي تناقض. إذا كانت المشاكل والنقائص تناقضات سوف ينهار النظام تلقائياً ويندثر وإذا لم تكن المشاكل والنقائص تناقضات سوف يتم حلها داخل النظام فتكون الحياة الكاملة. أما الخلاص ونهاية التاريخ فالعلاقة بينهما هي أنه لا تخلو ديانة من الديانات من فكرة المخلص وفي نفس الوقت فكرة نهاية التاريخ اكثر عراقةً وعمُفاً في الأديان السماوية.

قال الأستاذ الأسعد بن علي قيدارة: (فباستقراء التاريخ الديني والثقافي للإنسانية نجد أنّ مفهوم المخلص ومبدأ الخلاص قاسم مشترك بين أكثر الحضارات ، وإن كانت تختلف فيما بينها في حدود هذا المفهوم وعمقه وتفصيله ومشخصاته. إننا نجد الفكرة ماثلة في أكثر روافد التراث الإنساني "الدين ، الفلسفة ، السياسة" . . لا تخلو ديانة من الديانات تقريباً من فكرة - المخلص)4.

قال الاستاذ محمد بابكر العوض: (فكرة نهاية التاريخ أكثر عراقة وعمقا في الإسفار الدينية والكتب السماوية)5.

نهاية التاريخ والمذاهب الفكرية:-

1 نهاية التاريخ والإنسان الأخير ص23.

2 نظرية نهاية التاريخ في الفكر الغربي، مجلة الوعي الإسلامي العدد 532.

3 نهاية التاريخ والإنسان الأخير ص145.

4 النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ ص 31.

5 مستقبل الإسلام مقارنة في فقه المستقبل، ص 16.

كل دائرة حضارية تدعي أن قيمها هي التي تحقق نهاية التاريخ أي تحقيق الخلاص والنجاة للمجتمع الإنساني أي تحقق المجتمع المثالي الإنساني لان قيمها تمثل المثل الاعلى للبشرية. قال الدكتور عبد الوهاب المسيري: (أما نهاية التاريخ، فتتحقق داخل الزمان الإنساني وعلي الأرض، حيث يؤسس الإنسان الفردوس "صهيون - مملكة المسيح - المهدي المنتظر - اليوتوبيا التكنولوجية" علي الأرض وداخل الزمان، فهو فردوس أرضي)1.

قال الدكتور حسن حنفي: (كما أعتبر كل تيار ومذهب نفسه نهاية التاريخ، الرومانسية، المثالية المطلقة، الوضعية، الثورة الصناعية، الظاهراتية، الوجودية، البنيوية، الماركسية، البرجماتية، التحليلية، بل والايديولوجيات السياسية في هذا القرن كالنازية والفاشية)2.

قال الأستاذ علي عزت بيغوفيتش: (عند "ماركس"، القضية النهائية في التاريخ هي الشيوعية. أما عند "هيجل"، فالمعنى النهائي للتاريخ هو إنتصار الحرية)3.

قال المفكر الامريكي فرانسيس فوكوياما: (كان هيجل وماركس أيضا يعتقدان أن تطور المجتمعات البشرية ليس بلاء نهاية، فبالنسبة لهيجل، تتجلى تلك النهاية في الدولة الليبرالية، أما بالنسبة لماركس ففي المجتمع الشيوعي)4. أما نهاية التاريخ عند اليهود تكون بمجي المسيح المنتظر اليهودي وان يحكم العالم الف سنة بشرية صهيون أي تكون الهيمنة فيه لليهود "نظام عالمي يهودي" أي تخليص الشعب اليهودي من ويلات المنفي.

قال الدكتور عبد القادر بوعرفة: (أما الديانة اليهودية، فنهاية التاريخ مرتبطة لديها بفلسفة التفوق المؤسسة على قاعدة ثيولوجية "الاصطفاء الإلهي" و بالتالي برزت مقولة شعب الله المختار . إنّه تعال جمع لعرق يعتقد في ذاته الصفة والخيرة ،وبالتالي إن الأرض لم تخلق إلا للشعب اليهودي، وأن نهاية التاريخ قائمة على مبدأ تحقيق العالمية اليهودية، وفق الوعد الإلهي، و العالمية اليهودية تتجلى كحقيقة في مملكة إسرائيل الكبرى)5.

قال الدكتور أحمد عبد العزيز المزيني: (إن العقيدة الألفية أي حكم المسيح كملك للعالم مدة ألف عام - هي عقيدة يهودية - تقوم على الإيمان بمخلص سوف يأتي ليفدي شعب إسرائيل، وينقذه من عذاب المنفى، ويقوده عائداً إلى أورشليم، ليفرض منها الحكم على أمم الأرض . والمسيح المنتظر اليهودي ستكون مهمته العالمية خلاص الشعب، وحكم العالم بشرية صهيون)6.

قال الأستاذ عمران حسين: (يعلم كل طفل يهودي ويؤمن بان الله تعالي وعد بني إسرائيل بان تاريخ العالم سينتهي بمجي نبي هو المسيح يحكم العالم كله حكما خالدا من عرش داود عليه السلام في القدس. وقد استنتج اليهود من ذلك ان تاريخ العالم سينتهي بهيمنة اليهود "نظام عالمي يهودي"،

1 العلمانية الشاملة والجزئية، المجلد الاول، ص 147.

2 ما العولمة؟ ص 49.

3 الإسلام بين الشرق والغرب ص236.

4 نهاية التاريخ والإنسان الأخير ص24.

5 مقال بعنوان الأساس الأسطوري لنهاية التاريخ، مجلة الإنسانيات الجزائرية.

<http://journals.openedition.org/insaniyat/7989>

6 نظرية نهاية التاريخ في الفكر الغربي، مجلة الوعي الإسلامي العدد 532.

وتكون القدس مرة أخرى مركز العالم كما كانت من قبل في عهد سليمان عليه السلام. وامنوا بان هذه الهيمنة اليهودية ستثبت ان اليهود علي حق وان غيرهم علي باطل(1).

أما نهاية التاريخ في المذهب الشيعي مرتبط بعقيدة الإمامة وبالأخص بظهور الإمام الغائب.

قال الدكتور عبد القادر بوعرفة: (أما الطرح الشيعي فتتجلى نهاية التاريخ لديه في نظرية الإمامة على الخصوص. فالإمام المغيب هو الذي يحقق نهاية التاريخ، وأن التاريخ ما هو إلا في نطاق محنة الإنتظار. إن حضور الإمام المنتظر ما هو في حقيقة الأمر إلا إنهاء للشر و القضاء على مجتمع الأشرار، والإمام كما ترويهِ الأساطير الشيعية على الخصوص يحمل كل مقومات القوة والقدرة لتغيير العالم. إن العالم لا بد أن ينتهي عند نقطة ما ، يسود فيها الخير المطلق من جدلية "ما ينبغي أن يكون من معكوس ما هو كائن "، فالإمام المعصوم و المنتظر في نفس الوقت مؤيد، و إستعلاؤه حتمية، و إنتصاره مسلمة، و عالميته قضاء و غاية)2.

الشي الأكثر أساسية هو التوفيق بين القيم الإنسانية المعيارية وهي الحرية الفردية المطلقة

والعدالة الإجتماعية الشاملة وهذا هو المثل الأعلى المطلق:-

من خلال تعريف العلماء والمفكرين لفكرة نهاية التاريخ هي اللحظة من التاريخ البشري التي يتم فيها إشباع حاجات البشرية الأكثر عمقاً وأساسية. ولكن السؤال هنا ما هي حاجات البشر أو غاياتهم الأكثر عمقاً وأساسية؟ حاجات البشر الأكثر عمقاً وأساسية هي التوفيق بين الحرية الفردية المطلقة والعدالة الإجتماعية الشاملة. الحرية الفردية هي حاجة الفرد و غايته، والعدالة الإجتماعية هي حاجة الجماعة و غايتها و هذين الغايتين يكون تحقيقهم في المنهج الإسلامي بإنتفاء التام للفتن أي "أن لا تكون فتنة في الأرض" مع العلم أن كل الفلسفات الأرض عجزت عن تحقيق هذين الغايتين في أن واحد أي عجزت عن التوفيق بينهما.

نهاية التاريخ في المنهج الإسلامي السنّي:-

القيم الإسلامية العليا هي "أن تكون كلمة الله هي الاعلي" أي "حتى لا تكون فتنة" أي "رحمة من في الأرض" والفتنة هي سبب الضر والشر، والنفي التام للفتن أي النفي التام للضر و الشر يفيد إثبات كمال الضد أي إثبات النفع التام و الخير التام فحقيقة نهاية التاريخ في المنهج الإسلامي السنّي هو الانتفاء التام للفتن أي الوصول إلي مرحلة "الإصلاح بين الناس" أي "أن لا تكون فتنة" أي الإنتفاء التام للشرك أي "أن تكون كلمة الله هي العليا". ومن جانب آخر ضد الشر و ضد الضر الرشد.

قال تعالي: {أَسْرُ أَرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} (الجن: 10).

قال تعالي: {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا} (الجن: 21). والرشد هو الكمال أي الحياة الكاملة فحقيقة نهاية التاريخ في المنهج الإسلامي السنّي هو الوصول إلي مرحلة الرشد أي الحياة الكاملة وهو أي الرشد هو سيادة المعايير والموازين والقيم المطلقة (ملء الأرض عدلاً وقسطاً) 3. وهو

1 الدينار الذهبي والدرهم الفضي الإسلام ومستقبل النقود ص 30.

2 الأساس الأسطوري لنهاية التاريخ، مجلة الإنسانيات الجزائرية.

<http://journals.openedition.org/insaniyat/7989>

3 صحيح سنن أبي داود حديث رقم (4285).

الإنتفاء التام للفتن لأن الفتنة تطلق علي السبب وعلي النتيجة، الفتنة السبب هي الشرك بالله أي العلو في الأرض والفتنة النتيجة هي تفرق الناس وإختلافهم أي أن يكون هناك إضطراب أو غياب في المعايير والموازن القيم المطلقة التي تنظم حياة الناس أي "الإصلاح بين الناس". وفي مقابل الفتنة السبب تحقق التوحيد في الارض وفي مقابل الفتنة النتيجة سيادة القيم والمعايير والموازن المطلقة في الأرض (ملء الأرض عدلاً وقسطاً) 1 أي مرحلة "الإصلاح بين الناس". هذا يعني أن هناك غاية واحدة تجمع الناس، ووصول الناس الي غاية واحدة تجمعهم هذا دليل علي حل جميع مشاكلهم وهذا هو الخير الأسمى أي الحياة الكاملة أي نهاية التاريخ. والخلاص والنجاة والنفع التام والحياة النافعة في منهج اهل السنة والجماعة مشروط بتحقيق التوحيد أي البعد والهروب من الفتنة لأنها سبب للضلال والضرر أي "ان لا تكون فتنة في الأرض" هذه هي نهاية التاريخ في منهج أهل السنة والجماعة أي في الإسلام السني.

"أن لا تكون فتنة في الأرض" هي "أن يكون الدين كله لله" وحقيقة ذلك هو ظهور دين الحق في الأرض. قال تعالى: { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } (التوبة:33). قال تعالى: { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَقَدْ بَاتِلَهُ شَهِيداً } (الفتح:28). قال تعالى: { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } (الصف: 8-9). إذا كانت فكرة نهاية التاريخ تعني وصول البشرية إلي المثل الأعلى، يجب علينا نحن المسلمين أن نعتقد انه لا يمكن الوصول إلي هذه اللحظة إلا عن طريق الدين الإسلامي القائم علي التصور الصحيح للإلوهية لان المثل الأعلى خاص بالله عز وجل.

قال تعالى: { لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (النحل:60).

قال تعالى: { وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (الروم: 27).
أولاً: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر والتوكيد. والأعلي اسم تفضيل فحذف المفضل يفيد العموم. هناك كثير من الآيات وأحاديث التي تبين هذه الحقيقة.
قال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً } (البقرة: 143).

قال تعالى: { فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } (المائدة:56).
قال تعالى: { إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } (الأعراف:127-129).
قال تعالى: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } (الأنبياء:105).

قال تعالى: { كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي } (المجادلة: 21).

قال تعالى: { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ، وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ } (الصافات:171-182).

1 صحيح سنن أبي داود حديث رقم (4285).

عن ثوبان، قال: قال رسول الله p: (الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربتها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها)1.

عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ p ، يَقُولُ : (لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الامر مَبْلَغَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَلَا يَبْرُكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ ، عِزُّ يُعْزُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْإِسْلَامَ ، أَوْ ذُلُّ يُذِلُّ بِهِ الْكُفْرَ)2.

عن ابي بن كعب رضي الله عنه: ان رسول الله p قال: (بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والنصرة والتمكين في الارض)3.

فنهاية التاريخ أي مرحلة الكمال البشري في الأرض أي المجتمع المثالي الانساني في التصور الاسلامي السني تكون عندما يتحقق التوحيد في الأرض أي عندما تكون العبودية كلها لله أي عندما "تكون كلمة الله هي العليا" أي عندما "لا تكون فتنة في الأرض" أي عندما يتم "رحمة من في الأرض" . وهذا واضح من القيم الاسلامية نفسها لان الفتنة في الأصل هي الشرك بالله ثم يظهر بعد ذلك الاختلاف والتفرق بين الناس.

هناك عدد ليس بقليل من العلماء والمفكرين المسلمين تحدثوا عن فكرة نهاية التاريخ في الفكر الاسلامي ولكن لم يذكروها بهذا الاسم إنما ذكروها بمسميات والفاظ اخري فمثلا يكون الحديث عن الصلاح العام الشامل للمجتمع الإنساني كما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية فقال:
قال شيخ الإسلام بن تيمية: (ولا صلاح لبني ادم إلا بان يكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا)4.

او يكون الحديث عن حل جميع المشاكل التي تواجه المجتمع البشري وإيجاد الاجابات لها.
وعن ذلك قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي في كتابه الدين الصحيح يحل جميع المشاكل ومن ضمن ما قال: (فهذه كلمات تتعلق بموضوع الدين الإسلامي، وأنه يهدي التي هي أقوم وأصلح، ويرشد العباد في عقائده وأخلاقه ومعاملاته وتوجيهاته وتأسيسات ه إلى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم. وبيان أنه لا سبيل إلى إصلاح شيء من أمور الخلق الإصلاح التام إلا به. وبيان أن جميع النظم المخالفة لدين الإسلام لا يستقيم بها دين ولا دنيا إلا إذا استمدت من تعاليم الدين. وهذا الذي قلناه قد برهنت المحسوسات والتجارب على صدقه وصحته كما دلت الشرائع والفطر والعقول السليمة على حقيقته. فإن الدين كله صلاح وإصلاح، وكله دفع للشور والأضرار، كلها يدعو إلى الخير والهدى، ويحذر من الشر وأنواع الردى.
وعند عرض بعض النماذج من تعليماته وتوجيهاته يظهر لكل عاقل منصف صحة هذا، وأن الخلق كلهم مضطرون إليه.

وأنهم لا يستغنون عنه في حالة من أحوالهم ذلك بأن الدنيا كلها قد جاشت بمشكلات الحياة، والبشر كلهم يتخبطون في دياجير الظلمات فيهتدون من وجه واحد ويضلون من وجوه أخرى. وقد يستقيم لهم أمر من بعض وجوهه ويقع الانحراف في بقية أنحاءه. وهذا ناتج من أحد أمرين: إما جهل بما دل عليه الدين وما أرشد إليه. وإما مكابرة وغي، ومقاصد سيئة وأغراض فاسدة، حالت بينهم وبين الصلاح الذي يعرفونه كما هو الواقع كثيرا.

1 صحيح مسلم، حديث رقم (2889)/صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4252).
2 مستدرک الحاكم، کتاب الفتن والملاحم، حديث رقم (8326). قال الحاكم هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه وافقه الذهبي.
3 مستدرک الحاكم، کتاب الرقاق، حديث رقم (7862). قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه وافقه الذهبي.
4 قاعدة في المحبة، ص204.

لهذا ينبغي أن نذكر بعض مشاكل الحياة المهمة، مثل مشكلة الدين، ومشكلة العلم، والغنى والفقير، والصحة والمرض، والحرب والسلام، والاجتماع والافتراق، والمحارب والمكراه. وغير ذلك مما اختلفت فيها أنظار الناس وتوجيهاتهم)1.

أو الحديث عن إحلال السلام في كوكب الأرض.

وفي ذلك قال الأستاذ محمود محمد طه: (عودة الإسلام لا تكون إلا في مستوي حل مشكلة المجتمع الكوكبي المعاصر. . وقد ظهر عجز الفلسفات الاجتماعية المعاصرة عن حل هذه المشكلة. ومشكلة المجتمع الكوكبي المعاصر إنما تتمثل في إحلال السلام في الأرض)2.

وقال كذلك: (المجتمع البشري في اللحظة الحاضرة، يحتاج الي الفكرة التي تحقق السلام في الأرض، تحقق أن يتعايش الناس في سلام مع بعض)3.

والسلام حل التناقض بين القيم الإنسانية المعيارية أي بين حاجة الفرد وهي الحرية الفردية المطلقة، وحاجة الجماعة وهي العدالة الاجتماعية الشاملة.

قال الأستاذ محمود محمد طه : (إن حاجة العالم للإسلام هي حاجته إلي السلام . . وتلك حاجة "حياة" أو "موت" .. والاسلام دين السلام . هو رسالته، وهو جوهره وموعد هذا الدين هو الظهور علي الأديان كلها .. يقول تعالي في ذلك: " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ " .. وهو إنما يظهر علي الأديان، لمقدرته الفريدة علي تحقيق السلام في كل نفس بشرية .. ومن ثم، تحقيق السلام في الأرض، بمنلها عدلاً، كما ملئت جوراً .. وإنما تجيئه هذه المقدره التي يتميز بها علي جميع الأديان، وعلي جميع الفلسفات الاجتماعيات الاخریات، من مقدرته علي التوفيق بين حاجة الفرد الي الحرية الفردية المطلقة، وحاجة الجماعة الي العدالة الاجتماعية الشاملة)4.

قال الإمام محمد ناصر الدين الالباني في مقدمة كتابه السلسلة الصحيحة: (المستقبل للإسلام " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ" التوبة:33". تبشرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه علي الأديان كلها، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقق في عهده صلي الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين، وليس كذلك، فالذي تحقق إنما هو جزء من هذا الوعد الصادق؛ كما أشار إلي ذلك النبي صلي الله عليه وسلم بقوله:" لا يذهب الليل والنهار حتي تعبد اللات والعزي. فقالت عائشة: يا رسول الله! إن كنت لأظن حين أنزل الله { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } أن ذلك تاماً. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله" الحديث. وقد وردت أحاديث أخري توضح مبلغ ظهور الإسلام ومدى إنتشاره، بحيث لا تدع مجالاً للشك في أن المستقبل للإسلام بإذن الله وتوفيقه)5.

أو الحديث عن عالمية الدين الإسلامي والشهادة علي الناس وعن مناسبة خطاب العالمية والشهادة لهذا العصر وإجابته عن التساؤلات والمشكلات التي يعيشها الناس اليوم

فقال الدكتور محمد عبد الله القرني: (فان عالمية الإسلام وشهادة المسلمين علي الناس جميعاً أمران متلازمان لا ينفك احدهما عن الآخر لان الله تعالي أرسل رسوله p رحمة للعالمين، وختم

1 الدين الصحيح يحل جميع المشاكل ص 1.

2 تعلموا كيف تصلون ص89.

3 الدعوة الاسلامية الجديدة ص8.

4 تطوير شريعة الاحوال الشخصية ص49.

5 السلسلة الصحيحة، المجلد الأول، مقدمة الطبعة الأولى ص 31.

بدين الإسلام الرسالات السماوية، فلا بد ان يكون تبليغ الإسلام لجميع الناس واجبا في كل عصر، واذا كان النبي ﷺ قد أدى ما أوجبه الله عليه من تبليغ رسالة الإسلام وتحقيق الشهادة به علي اتم وجه فان الواجب علي كل أتباعه ان يقوموا بما أوجبه الله عليهم من ذلك، وان يبلغوا دين الله تعالي علي الوجه الذي بلغهم به النبي ﷺ.....الاساس المنهجي الذي ينبغي البناء عليه والبداءة به في تحديد معالم الخطاب الاسلامي المطلوب اليوم هو الذي يتحقق به التوافق بين تجديد الدين وحيائه وبين مناسبة هذا الخطاب لعصرنا واجابته عن التساؤلات والمشكلات التي يعيشها الناس اليوم، بحيث لا ينحصر الاهتمام بتاصيل الحقائق الشرعية دون مراعاة تنزيلها علي واقع الناس في هذا العصر وفي المقابل ينبغي الحذر من ان يصل الامر بتنزيل الدين علي واقع الناس الي تحريف الدين وتطويعه لمتطلبات العصر دون مراعاة لثوابت الدين ومحكماته وما كان عليه هدي السلف في فهمه وتطبيقه. كما تستند أهمية مناسبة الخطاب الإسلامي لعصرنا الي ان الاسلام هو الدين الذي جعله الله تعالي رحمة للعالمين في كل زمان وفي كل مكان، فلا يمكن ان تنزل بالناس نازلة او يجد لهم امر لم يكن معهودا عند من سبقهم الا وفي دين الإسلام حكمه. وتحقيق التوافق بين هذين الأصلين أمر في غاية الاهمية، والتفريط فيه إما أن يؤدي إلي مخالفة بعض الحقائق الشرعية بدعوي مراعاة حاجة العصر، وإما أن يؤدي إلي الاهمال في تنزيل الاحكام الشرعية علي الواقع لعدم فهم دلالات النصوص الشرعية علي تلك الوقائع)1.

أو الحديث عن الخلاص والنجاة وتحقق الرحمة للبشر وفي ذلك. او عن فشل المذاهب والايديولوجيات المخالفة للإسلام اخلاقيا وانسانيا وفي قال الأستاذ عبد المجيد النجار: (لقد شهد العالم فشلا أخلاقيا وأنسانيا لكل المذاهب والايديولوجيات التي جربت فيه خلال القرنين الماضيين، فهذا هو يعاني من الحروب في كل مكان، ويحكم علاقات الدول والمجموعات البشرية فيه ما يشبه قانون الغاب، ويتعرض الإنسان الفرد فيه إلي اليأس وينقطع به الأمل، وتتهدد البشرية جمعاء أزمة بيئية تنذر بهلاك شامل. وفي الرسالة الإسلامية منقذ من كل ذلك، لما أنبتت عليه من معادلة دقيقة بين مطالب البدن ومطالب الروح، وبين الفرد ومطالب المجتمع، ولما تحمله من قيم أخلاقية وأنسانية عالية ممتدة من حقيقة الدين نفسه. فاذا ما أحسن تبليغ هذه الرسالة فإنها ستكون مستقبل البشرية الذي ينقذها من مصيرها المظلم)2. وغير ذلك من الألفاظ والمسميات التي تتحدث عن نهاية التاريخ في المنهج الإسلامي وتحدث عنها العلماء والمفكرين المسلمين ولكن ليس بمسمى "نهاية التاريخ" وانما بمسميات اخري. عموما فإن فكرة "نهاية التاريخ" في المنهج الإسلامي مرتبطة ارتباط وثيق بالتدبير الرباني الشرعي الديني الاختياري الذي لا يتحقق إلا بتحقيق توحيد العبادة بل هو نفسه تحقيق توحيد العبادة أي مرتبط ارتباط وثيق بالتصور الصحيح لمفهوم الإلوهية.

نهاية التاريخ ومؤشرات التنمية في النظام الإسلامي:-

1 بحث بعنوان واجبنا نحو عالمية الاسلام. مجلة التاصيل للدراسات الفكرية المعاصرة. العدد الثاني ص 15-16.

2 العولمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والادارية كنظام أساسي، مجلة التنوير العدد الثالث.

"أن لا تكون فتنة" هي المقصد النهائي للتنمية في النظام الإسلامي ومن خلال مؤشرات التنمية في الإسلام تظهر طبيعة الحياة الكاملة في الإسلام وإنها الحياة الكاملة الطيبة فعلاً التي يحلم بها كل البشر في الأرض لأن هذه المؤشرات كمقياس للحياة الكاملة لا يمكن أن يوجد أفضل أو أعلي أو أرقى منها في كل النظم التنموية الأخرى بل لا يوجد مؤشر آخر يمكن أن يُضاف إلي هذه المؤشرات. لذلك التنمية التي يسعى المنهج الإسلامي الي تحقيقها هي نوع مختلف تماماً عن كل النماذج التنموية التي حدثت في العالم. فالشي الذي يميزها إنها تُغطي كل جوانب الحياة الإنسانية الروحية والمادية أي اشواق الروح وضرورات الجسد أي الروح والعقل وتُغطي كذلك الجوانب الكمية والكيفية وتُغطي كذلك الجوانب العامة والخاصة فيمكن ان نقول انه النموذج التنموي الذي يستطيع يحقق المجتمع المثالي الانساني في الارض لان المدبر لهذا النموذج محيط بكل جوانب الظاهرة الانسانية وهذا ما يُفتقد في المناهج التنموية الأخرى. قال الدكتور عبد الوهاب المسيري: (ظهرت دراسات عديدة عن مفهوم التنمية تبين انه مفهوم كمي لا يتعامل مع الكيف، ومادي لا يتعامل مع الإنسان، وعام لا يتعامل مع الخاص والفردي، أي: انه قاصر علي الإحاطة بكل جوانب الظاهرة الإنسانية. ومع تصاعد أزمة البيئة بدء الكثيرون يتحدثون عن حدود التقدم والتنمية، كما إن فشل معظم التجارب التنموية في العالم الثالث التي تستند إلي مفاهيم التنمية الغربية) 1. وهذا يدل علي المنهج القائم عليه التنمية في النظام الاسلامي هو المنهج الحق لذلك يجب الإيمان به وهذه هي الحكمة من إرسال الرسل والأنبياء.

قال الشيخ عبد الرازق عفيفي: (إن تفاوت العقول والمدارك وتباين الأفكار واختلاف الأغراض والمنازع ينشأ عن تضارب الآراء وتناقض المذاهب، وذلك مما يفضي إلي سفك الدماء، ونهب الأموال، والاعتداء علي الأعراض، وانتهاك الحرمات، وبالجملة ينتهي بالناس إلي التخريب والتدمير، لا إلي التنظيم وحسن التدبير، ولا يرتفع هذا إلا برسول يبعثه الله بفصل الخطاب؛ ليقوم به الحجة، ويوضح به المحجة، فاقترضت حكمة الله أن يرسل رسله بالهدى ودين الحق رحمة منه بعباده، وإقامة العدل بينهم) 2. هنا يتوافق التصور الصحيح للألوهية أي تصور الألوهية عند أهل السنة والجماعة مع الفطرة البشرية الباحثة عن الخير والنفع المطلق أي الباحثة عن الحياة الكاملة أي الباحثة عن التدبير الكامل الذي يُسمى في علم التاريخ والحضارات بـ"نهاية التاريخ" الذي يخلصها من جميع المشاكل والتناقضات والآلام. لذلك القيم الاسلامية تستحق ان تكون النهاية المنطقية للتاريخ وليس مجرد ادعاء وعنجهية. وهذا ما عجزت عنه ووسوف تعجز عنه المناهج البشرية في مشارق الأرض ومغربها في تحقيقه. والسبب في ذلك إن الانسان عاجز عن الاحاطة العلمية بكل جوانب النفس البشرية.

الكمال الدنيوي والكمال الآخروي:-

لا توجد ادني مقارنة بين الحياة الكاملة في الحياة الدنيا أي في الارض والحياة الكاملة في الدار الآخرة انما يتفقان في الاسم فقط أي لا توجد مقارنة بين الكمال الدنيوي والكمال الآخروي. فحقيقة الحياة الكاملة الدنيوية هي (ملء الأرض عدلاً وقسطاً) 3 أي "الإصلاح بين الناس". أي سيادة القيم

1 الفكر الغربي: رؤية نقدية، مجلة إسلامية المعرفة العدد 5 ص 128.

2 الحكمة من إرسال الرسل ص 15.

3 صحيح سنن أبي داود حديث رقم (4285).

والموازنين والمعايير في حياة الناس وهذا هو حقيقة "أن لا تكون فتنة في الأرض" أي "أن تكون كلمة الله هي العليا" لأن الفتنة هي تفرق وإختلاف الناس والتفرق نتاج غياب وإضطراب القيم والموازنين والمعايير فالوصول إلي مرحلة "أن لا تكون فتنة في الأرض" هو الوصول إلي مرحلة سيادة الموازين والمعايير والقيم المطلقة في حياة الناس أي (ملء الأرض عدلاً وقسطاً) 1. ويعرف هذا من خلال مؤشرات الحياة الكاملة في الدنيا مثل انتفاء الفقر وانتفاء الجوع وانتفاء الحروب وانخفاض معدلات الجريمة والمخالفات السلوكية الي ادني حد ممكن والتوازن الديمغرافي . الخ. أما الحياة الكاملة في الدار الآخرة فهي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر. عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علي قلب بشر) 2. هذا يعني أن الوصول الي الحياة المثلي في الأرض عند المسلمين ليست النهاية انما هناك حياة اخري لا توجد مقارنة بينهما. و النهاية الحقيقية والمصير النهائي في الدار الآخرة. اما السعي لتحقيق الحياة الكاملة الارضية الغاية من ذلك هو النجاة في الدار الآخرة فالأصل هو الدار الآخرة.

نهاية التاريخ والبرهان على التصور الكلي الحق:-

كل إدعاء أو قول لا بد له من برهان أو دليل قاطع ليس معه شك لكي يصدق هذا القول. قال تعالى: { أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُوبٌ بَرَّهَانَةٌ } (النمل:64). البرهان هو الدليل الذي ليس له معارض أو نقيض أي الذي يحصل عنده اليقين أي الذي لا يعتريه ريب ولا شك.

قال الإمام القرطبي:(البرهان: الدليل الذي يوقع اليقين)3.

قال الإمام الشوكاني:(والبرهان: الدليل الذي يحصل عنده اليقين)4.

قال الإمام محمد أبو زهرة:(والبرهان هو الدليل القاطع الملزم الذي لا يعتريه ريب ولا شك)5.

وكل من اعتقد إعتقاد أو أدعي دعوة لا بد له من الدليل والبرهان علي هذا الإعتقاد وعلي تلك الدعوة وإلا فهو كاذب.

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: (كل إعتقاد لا يقيم مُعْتَدَهُ دليل إعتقاده فهو إعتقاد كاذب)6.

قال الفخر الرازي: (دلت الآية علي أن المدعي سواء إدعي نفيًا، أو إثباتًا، فلا بد له من الدليل والبرهان)7.

1 صحيح سنن أبي داود حديث رقم (4285).

2 صحيح البخاري، حديث رقم (3244)/ صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3510).

3 تفسير القرطبي، المجلد الأول الجزء الثاني ص75.

4 تفسير الشوكاني ص.

5 تفسير زهرة التفاسير، المجلد الأول ص366.

6 تفسير التحرير والتنوير، المجلد الأول الجزء الأول ص674.

7 تفسير الرازي، المجلد الثاني، الجزء الثالث ص4.

قال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي: (كل من ادعى دعوي لا بد أن يقيم البرهان علي صحة دعواه، وإلا قلبت عليه دعواه، وإدعى مدع عكس ما ادعى بلا برهان لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعوي أو يكذبها) 1. قال الأستاذ محمد رشيد رضا: (ثم طالبهم تعالي بالبرهان علي دعواهم، فقرر لنا قاعدة لا توجد في غير القرآن من الكتب السماوية، وهي أنه لا تُقبل من أحد قول لا دليل عليه، ولا يُحكم لأحد بدعوي ينتحلها بغير بُهان يؤيدها)2.

أعظم برهان عقلي علي صحة العقيدة الإسلامية وبالأصح علي تصور الألوهية عند أهل السنة والجماعة وأنها التصور الحق الذي يجب أن يتبعه جميع البشر هو الوصول إلي نهاية التاريخ أي الوصول إلي الحياة الكاملة والتي تكون بسيادة القيم الإسلامية هي "أن لا تكون فتنة" أي "أن تكون كلمة الله هي العليا" أي "رحمة من في الأرض" لأن المنهج الذي يحقق نهاية التاريخ في الأرض أي يحقق الحياة الكاملة للبشر هو منهج لا معارض له ولا نقيض له لا مضاد له أي أنه منهج كامل لا نقص فيه وهو دليل علي صحة العقيدة المنبثق منها وهو دليل من جانب آخر علي فساد كل القيم والمناهج الأخرى لأن نهاية التاريخ لا يُحققها منهجان إنما يحققها منهج واحد.

نهاية التاريخ والدعوة الي الله:-

قد يقول قائل لقد ذكرتم ان المثل الاعلي أي الحياة الكاملة هو غاية لكل البشر الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون بالغيب أي الذين يؤمنون بالآخرة والذين لا يؤمنون بالآخرة. والحياة الكاملة هي نتيجة لمقدمة في التصور الاسلامي المقدمة هي تأليه الله سبحانه وتعالى أي افراده بالعبادة و النتيجة هي الحياة الكاملة ولكن هنا سؤال كيف يحقق الله الحياة الكاملة لمومنين الذين وحدوه ولغير المومنين الذين لم يوحدوه؟ نقول الحياة الكاملة الرشيدة في الارض هي ليست الغاية النهائية المطلقة للمومنين انما الغاية المطلقة النهائية لهم هي الدار الآخرة أي الحياة الكاملة كمال مطلق واساس تلك الحياة لقاء الله والنظر الي وجهه الكريم. اما السعي لتحقيق الحياة الكاملة في الارض أي السعي للوصول إلي نهاية التاريخ في النظام الإسلامي هي من باب الدعوة إلي دين الله بل هي اعظم وسيلة للدعوة الي الله لأن كل من كفر هو صاد عن سبيل الله.

قال تعالي: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا} (النساء:167).

قال تعالي: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا} (النحل:88).

قال تعالي: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} (الحج:25).

قال تعالي: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} (محمد:1).

قال تعالي: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} (محمد:34).

قال تعالي: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا} (34 محمد).

هناك تلازم بين الكفر والصد عن سبيل الله لأنهم قرينان والقرينان متلازمان عند السلامة والصحة من المعارض.

1 تفسير السعدي ص 62.

2 تفسير المنار الجزء الأول ص 305.

الصفحة	الموضوع
3	المقدمة
9	التمهيد
21	الباب الأول: الإله والمعبود والإرادة
25	الفصل الأول: ضبط مفهوم الإله
47	الفصل الثاني: الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة
65	الفصل الثالث: أصل شرك العبادة تأليه الإنسان لنفسه
85	الفصل الرابع: أنواع الشرك في العبادة "الرياء والفتنة في الدين"
109	الباب الثاني: الربا والميسر "الصور التفصيلية للفتنة في الدين"
113	الفصل الأول: الربا وعلاقته بالفتنة في الدين
135	الفصل الثاني: الميسر وعلاقته بالفتنة في الدين
157	الباب الثالث: الذين فتنوا انفسهم "الضعفاء والذين إستكبروا"
161	الفصل الأول: الكبرياء في الأرض "السيطرة علي خزائن الأرض"
189	الفصل الثاني: الحسد "البغي والعدوان"
207	الفصل الثالث: النفاق والمنافقون
225	الباب الرابع الهجرة والجهاد وعلاقتها بالفتنة بالدين
229	الفصل الأول: جهاد النفس "تحقيق التوحيد"
253	الفصل الثاني: وجوب إنفاق المال المراد لذاته في سبيل الله
267	الفصل الثالث: جهاد المنافقين "الولاء والبراء"
287	الباب الخامس: المنهج العلمي الكلي في الإسلام
291	الفصل الأول: الحنيفية هي المنهج العلمي الكلي في الإسلام
313	الفصل الثاني: الحنيفية وسنن الجاهلية
343	الفصل الثالث: العقل العملي في الإسلام
359	الفصل الرابع: المثل الأعلى في الإسلام
379	الفصل الخامس: الإلزام الخلفي في الإسلام
399	الباب السادس: المثل الأعلى في الإسلام وعلاقته بقضية التنمية
403	مفهوم التنمية
409	الفصل الأول: مقاصد التنمية في الإسلام
419	الفصل الثاني: وسائل التنمية في الإسلام

443	الفصل الثالث: مؤشرات التنمية في الإسلام
459	الفصل الرابع: معوقات التنمية في الإسلام
471	الباب السابع: المثل الأعلى في الإسلام وعلاقته بفكرة نهاية التاريخ "فكرة الحل النهائي"
485	الفهرس

ردمك ISBN 978-99988-0-434-0
رقم الإيداع: 2021/874